عيد العرش المجيد

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية



العرش المغربي

قوة للصمود، ودعم للثبات، وضمان للاستقرار والاستمرار

تهنئة

بقلب مومن مفعم بالولاء والوفاء وعظيم المحبة والصفاء، تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية وأسرة "دعوة الحق" إلى المقام العالي أسماه الله حضرة صاحب الجلالة والمهابة أمير المومنين مولانا الحسن الثاني أيده الله ونصره بأزكى التهاني وأغلى الأماني بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لجلوس جلالته على أريكة أسلافه المقدسين الأمجاد .

وإذ تغتنم الوزارة هذه الفرصة السعيدة لترجو من الله العلي القدير أن يحفظ مولانا أمير المومنين ذخراً للبلاد، وملاذاً للوطن، وحصناً منيعاً لحماية المقدسات، وجامعاً لوحدة الأمة العربية والإسلامية، ويديم نصره ويشد أزره، ويسدد خطاه، ويمد في عمره، ويلهمه سبل النجاح والفلاح، ويكلأه في ولي عهده زين الشباب الأمير المحبوب سيدي محمد وصنوه صاحب السمو الملكي الامير مولاي رشيد، وباقي أفراد الأسرة الملكية الكريمة وشعبه العظيم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

دعوة الحق



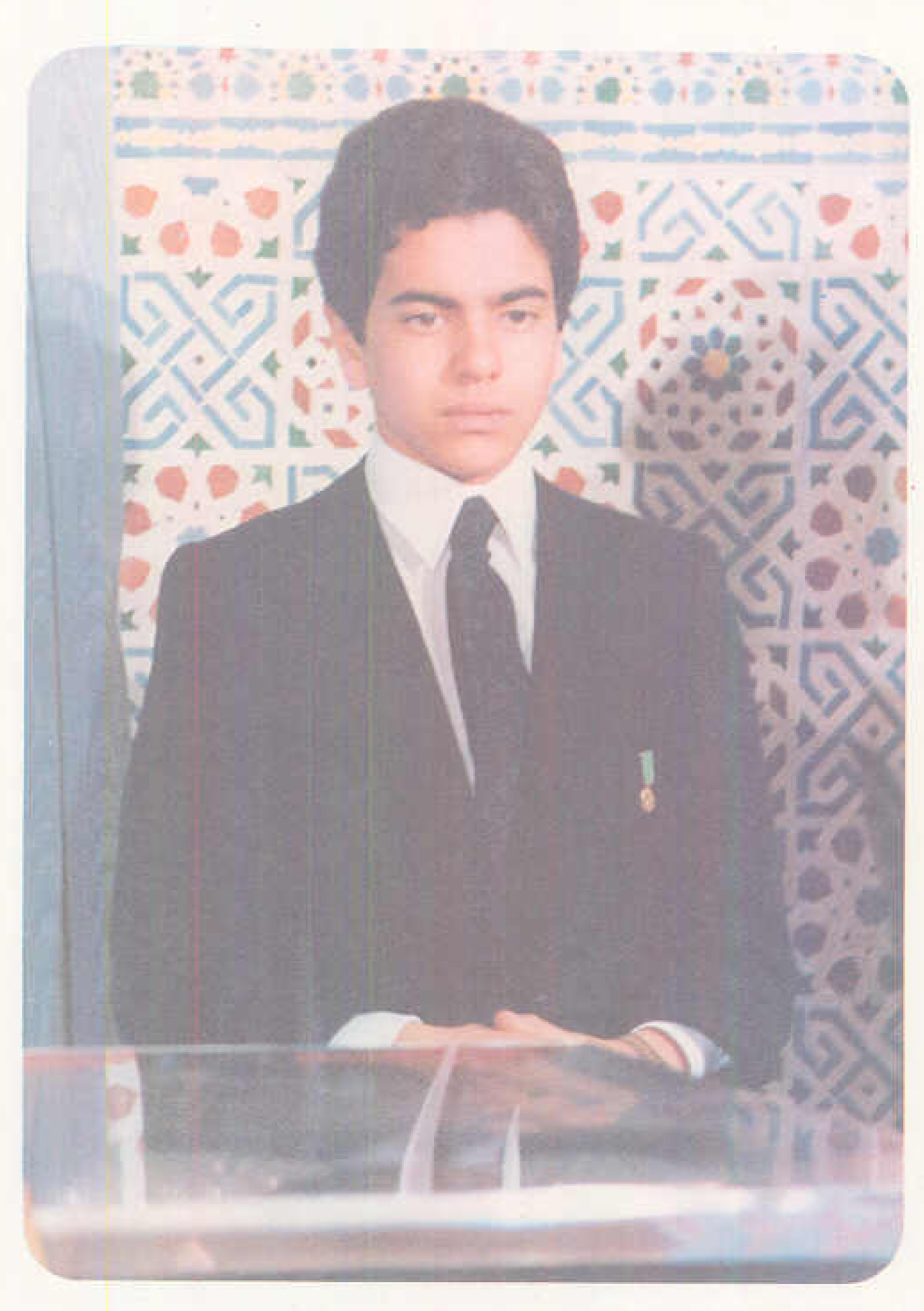
صاحب الجلالة أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني حفظه الله وأيده.





صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد





صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد



بسم الله الرحمن الرحيم

لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل

لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

في اليوم الثالث من شهر مارس، ومن كل عام، وفي فصل الجمال والصفاء والبهاء، وطلائع أيام الربيع الريان، وفي مواكب العطر والزهور والرياحين. يحتفل الشعب المغربي الشاكر بذكرى عزيزة عليه، أثيرة لديه، هي الذكرى السابعة والعشرون لجلوس صاحب الجلالة والمهابة مولانا أمير المومنين الحسن الثاني، حفظه الله وأيده، على أريكة أسلافه المنعمين.

ففي هذه الذكرى الخالدة تتقوى العزائم، وتستد السواعد، وتتجدد المشاعر، وتنبعث الأفكار هادية ملهمة معترفة بالفضل للجالس على العرش، المحفوف من ذي العرش... لأنها في الواقع ذكرى عرش عظيم، له تاريخ موصول، متماسك الحلقات، كله كفاح ونضال، وجهاد وجلاد، وسعادة ورضى، ويمن وإقبال....

فلقد شاء الله، أن يكون هذا العيد الوطني السعيد، الذي يعده الشعب المغربي من أقدس أيامه، وأعز أعياده، وأكرم مواسمه، ربيعا للقلوب، ومظهرا للفرح، ومهبطا للسرور، وعنوانا للمسرات والابتهاج، وفرصة ميمونة لتقوية الروابط، وتأكيد العهد، وتمتين الصلة، ومراجعة الأعمال ومحاسبة النفس، وبراءة من التقصير، وعزما أكيدا على الجد والمثابرة، والصبر والمصابرة، ومصدرا للاخاء الصحيح، والرخاء الشامل، والانطلاق من جديد في سبيل الحق والخير والجمال...

كما شاء الله، أيضا، أن تتم فرحة هذا الشعب العظيم في هذا الشهر المبارك الميمون الذي هو بداية لفصل الربيع الباسم، والجو الطليق، والطبيعة الأنيقة التي تغرق في النعيم، وتفيض بالبشر والحبور، حيث القلوب تزخر بالعواطف، والصدور تجيش بالأماني، والنفوس تسبح في مرح العافية، وفيض من النعيم المقيم، وكأن هذه المعاني والرموز إشارة إلى أن هذه الأمة الفتية الشابة يتجدد شبابها كل عام، وتستجمع قواها كلما طرأ ضعف أو فتور، وتحس بوجودها كل عيد، وذلك بإعلان فرحتها وبهجتها وخفوق قلبها بالحب والإخلاص، فهي تحيا حياة طيبة واعية تضمن لها أن تخطو خطوات تصعد بها إلى معارج المجد، وتقودها إلى سوح النضال، وتبوؤها كراسي الأستاذية، وتنصبها لمنابر الهدى...

إنه فصل اليقظة والحياة، وعيد البعث والنشور، وموسم الربيع الذي تتراقص على حواشيه الخضر، عرائس المنى، واطياف الحب والحسن والجمال...

وكيف لا تعتز هذه الأمة الشاكرة الواعية، وقد وهبها الله ملكا شجاعا ناجح المسعى، ملهما بالصواب، حاز كل مزايا الفضل والخصل، وسجايا البطولة والنبل، كما حباه الله فضائل الرشد والتوفيق والإقبال، وعلمه كيف يسود هذا الشعب الكريم، الذي يحمل له حبا صادقا، وقلبا صافيا، وولاء مكينا...

فالعرش المغربي المكين، هو الضامن للوحدة، والجامع للفرقة، والملم للشتات، والحافظ للكرامة، والمعين على النهوض، والكافل للاستقرار والاستمرار، إذ هو الروح الذي ينشر على البلاد ظله الوارف الرخي، ويحقق الطمأنينة والهدوء الذي يضمن للبلاد وحدتها واستقلالها، ويحقق لها مستقبلا مشرقا واعدا، وكرامة عزيزة، وحياة مستقلة آمنة، مما يترك البلاد، تعيش ولله الحمد، في سعادة، وأمن وأمان، وهو كما قال عبد الله بن المبارك :

الله يدفع بالسلطان معضلة عن ديننا رحمة منه، ورضوانا
لولا الأئمة... لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا، نهبا لأقوانا...

☆☆☆

لقد وجه ملوك هذه الدولة العلوية الشريفة قافلة الحياة في طريقها القاصد، وسبيلها المرسوم، فجمعوا حولهم القلوب الشاردة على هوى واحد، والفوا نوافر النفوس بالحب الخالص، وأقاموا قواعد المجتمع على العدل، وخففوا متاعب العيش بالإحسان، وضمنوا وفاء العهد بالذمة، ومهدوا لهذا البلد المسلم سبيل الاستقلال الخالص الصريح، واعتمدوا في تأثيل ملكهم، وانهاض شعبهم، على الحرص الموصول، والجد النزيه، والإخلاص لله، والعمل على إعلان مجده، بإعزاز دينه، وبث فنون المعرفة والعلم والثقافة في ربوع هذا الوطن المحبوب، بما يوائم فطرة الله، ويلائم طبيعة التقدم، ويساير مقتضى الحياة، فقد قدموا لهذا البلد العزيز أجل الخدمات، وأسمى العوارف، وأسنى المبرات والمشاريع...

ولقد ترسم صاحب الجلالة خطى أجداده الكرام، وسار على نهج سلفي قويم في جميع المجالات، وشتى الميادين... يذكي خمود جيله بحرارة دمه، ويضيء وميض وطنه بوميض روحه، ويعمل على تنشئة الجيل المغربي الطموح، نشأة إسلامية صحيحة، قوامها خلق صحيح، ورأي جميع، ودين متين...

☆ ☆ ☆

لقد مرت سبعة وعشرون سنة، من أيام الله، قضاها بطل التحدي والوحدة والتحرير في التشييد والبناء، والغرس والنماء، والكفاح والنضال، والجهاد والجلاد، يسوس أمة ذكية القلب، ويقود شعبا يقظ الفؤاد بالعدل والصراحة، والحرية والسماحة، وما زال حفظه الله يشفع نشاطا بنشاط، ويبذل جهودا إثر جهود بدافع من نفسه وحافز من شعوره، وباعث من وطنيته التي تملا شعاب القلب بالإعجاب والإكبار...

فلقد أعطى حفظه الله لهذا الشعب، الذي أخذ إليه بالثقة، وألقى في يده المقاليد، ذوب قلبه، وعصارة تفكيره، ونضارة وجوده، وقد ألفنا من جلالته حفظه الله أن يصدع بالنصح المحض، والتوجيه الحسن والهداية الرشيدة، في ظلال الحكم الصالح، والديمقراطية الواعية التي يزينها قانون قائم، وعدل شامل، وإحسان ونصفة ومساواة... فهو يتجاوب ويستجيب، كلما دعا داع إلى ذلك...

فسبعة وعشرون سنـة، كم هي حافلة بالبطولات والملاحم، ومليئة بدلائل التوفيق، وآيات الرضى، قضاها سيد البلاد يدافع وينافح، ويناضل ويكافح... والعالم حوله يجري ويلهث، ويخمد وينفث، وكلما بدا مشكل عظيم أمره، إلا ذلله، وكلما أنبت الزمان قناة، إلا خضد شوكتها، واستأصل شأفتها، وتغلب في الأخير... لأن الله ألان له أعطاف الشدائد، وهكذا كان ناجحا في سياسته في الداخل والخارج، فالله قد وهبه من دلائل الفوز والزعامة ما جعله مناط أمته، ومعقد رجائها، ومناط ثقتها، ومبعث وجودها، وعدة مستقبلها...

وما زال حفظه الله ورعاه ينفق، في سبيل القضايا الوطنية والمقدسات، المال الكثير في سعة، ويحمل سلاح المجاهدين المخلصين، ويخوض المعامع في صبر وأناة، ويخطو إلى الامام في إيمان ويقين وثبات، ويبذل كل غال ورخيص في سبيل المبدأ وتأكيد الحضور وإثبات الذات، يكنفه التوفيق والرشد، وتلاحظه عين العناية والرعاية، وحق لنا أن ننشد فيه ما يقول الشاعر أحمد شوقي في هذا المعنى :

خطونا للجهاد، خطى فساحا وهادنا، ولم نلق السلاحا،

بذلنا في سبيل الله طوعا دم الشهداء، والمال المتاحا

☆☆☆

ولئن كان هذا الشعب المغربي في هذا العيد السعيد، يحتفل بيومه الأغر، وذكراه الغالية، فإنه، أيضا، يقف وقفة المحاسب لنفسه، والمراقب لضميره، ويلتفت إلى ماضيه... كم قدم له من أعمال ؟ وكم بذل له من نفيس ؟ إذ قد يبلغ، بمناسبة هذه الذكرى، ذروة العمر في محاسبة النفس، وموازنة الأعمال، ومراقبة الضمير، كما يبلغ ذروة الخشية والخوف من التقصير والإهمال في الإحساس بالمسئولية، فإما أن تبتسم في طريقه مضاحك الفوز، ويسفر الأمل عن وجه الرضى، ويكون، إذ ذاك، قد حقق مكاسب ضامنة، وخطا خطوات ثابتة مطمئنة... وإما أن تكون الأخرى فيعقل النشاط، ويضاعف القوى، ويغذ السير، ويرصد الأهب، ليدرأ ما يعترضه من أذى، يقيه شر العثرات، ويجنبه المزالق والهفوات.

وللحسن الثاني، حفظه الله على كل القضايا، في الداخل والخارج، يد تواسي في الشدة، وقلب يخفق في المصيبة، ومبادرة ذكية ينتزعها من صميم الأحداث، وهو المشهود له بالذياذ عن الحمى، والدفاع عن الكرامة، والمحافظة على المقدسات...

يقف بجانب الشعوب المكروبة المناضلة، والأمم المكافحة الباسلة ضد الظلم والفساد والطغيان، ولا سيما في النضال، ومقارعة الاحتلال، وخوض المعارك العادلة الشاملة على جميع المستويات، والعمل على ضم الشمل، حتى لا يكتفي، كغيره من الناس بالقول والكلام، والصياح والصراخ، ولعله هو ذاك الذي عناه الشاعر العربي سلامة بن جندل بقوله :

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له، قرع الظنابيب

☆☆☆

حفظ الله مولانا الإمام وأدام عليه أردية الصحة والعافية، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وحفظه في ولي عهده المحبوب، زين الشباب، الأمير الأمجد، طلعة الخير والسعد سيدي محمد، وصنوه الرشيد، الأمير السعيد مولاي رشيد، وباقي الأمراء والأميرات والأسرة العلوية الشريفة، وشعبه العظيم.

الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري



في العدد القادم

ملف كامل عن أعمال

المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسنغال

للصداقة والتعاون الإسلامي

الذي انعقد بدكار - الجمهورية السنغالية

في الفترة ما بين 13-15 جمادى الثانية 1408 موافق 2-4 يبراير 1988

المبادرة الملكية الحسنية
في الدعوة للاجتماع العاجل
للجنة القدس
بمنتجع إيفران

يناير 1988

هذا الملفّ...

لقد أدرجنا، في هذا العدد الخاص بالذكرى السابعة والعشرين لتربع مولانا حفظه الله على عرش أسلافه الأكرمين ملفا كاملا عن نجدة صاحب الجلالة وشهامته في قضية فلسطين وتحرير المسجد الأقصى الذي بارك الله من حوله، تؤكد ملاحقة سيد البلاد لهذه القضية المقدسة الإسلامية، في مختلف مراحلها وأطوارها.

ومن لها من منجد غير جلالة الحسن الثاني...؟

- إن قضية فلسطين، اليوم، وبكل وضوح وصراحة، فضيحة القرن العشرين، وضلالة من ضلالات العصبية والعنصرية، والأثرة والغرور... فاليوم يشهد التاريخ رجفة من رجفات الهول والهلاك يعيشها الفلسطينيون وكأنها أشبه بالرواجف والروادف، والزلازل والعواصف، والأوبئة والبراكين، يقوم بها صهاينة، لفظتهم الشعوب لفظ الغثاء، فانقضوا على هذه المنطقة الفلسطينية انقضاض الطفيليات التي تعيش على دم المجتمع، كما يعيش القمل والبعوض على دماء الناس، وقد تنزى في صدورهم حقد الماضي، وطمع الحاضر..

انطلقوا في الشهور الأخيرة يخربون المدن، ويحرقون الحقول، ويقطعون السبل، ويأتون في ناديهم المنكر...

أناس آمنون في ديارهم، مطمئنون في أوطانهم، يقرر الأقوياء إخراجهم منها، ومنحها لشرار الخلق وشذاذ الآفاق، لينزلوها نزول الوباء، ويحلوها حلول الفتنة، ويمتصوها امتصاص العلق، بعد أن أخذهم جماح السلطان، وعرام القوة، يقذفون الرعب في كل قلب، والشقاء في كل بيت، ويوقدون سعير الحرب، ثم يقفون في ضوء لظاها المشبوب في الأموال والأنفس والثمرات، يتفرجون على شعب يكابد برحاء الهموم، وعلى وطن استباحه غريب، وشعب يتخطفه الموت وحال من البؤس تقطع الرجاء، وحق يتحيفه الباطل ويحتقرون أجناس الناس، وينكرون حقوق الشعوب، ويزدرون قواعد السلوك ويستحلون في سبيل السيطرة والغلب، الغدر والكذب والمكروغش السياسة، ونقض العهود...

تلك هي سياسة أوكار المؤامرات، وجحور الدسائس، وبيوت الغناء، ومزابل الرذائل التي لا تعرف برا بوعد، ولا وفاء بعهد، ولا ثباتاً على مبدأ...

وخليق بأطفال الحجارة، اليوم، وبمن يدفع عن نفسه من شرداء الطريق، وطرداء الوطن، أن يعان، وبمن يذوذ عن رزقه أن يعذر، وبمن يفتح صدره لرصاص الغدر أن يرحم، فقد جدعوا بثباتهم أنف المستكبر، وقرعوا باحتجاجهم ضير المصر، وأخذوا موثقهم من الدم الشهيد أن يعيشوا أعزة، أو يموتوا كرماء، لا يرهبون وحشة السجن، ولا يجزعون عند الفاجعة، ولا يرتبكون عند الهول، ولا يحجمون عند اللقاء... فالشتاء على شتامة وجهه، لهو المفيد بشاشة المصطاف... ورحم الله الزهاوي حيث كان ينشد :

وإن الـــــذي يسعى لتحرير أمـــــة
يهـون عليـــه السجن والنفي والشنق
متى مـا اطمـأن القلب بـالنفع بـالحيـا
فقــد لا يروع الليـل والرعـــد والبرق

فهؤلاء الكماة البناة الأباة الذين ولدوا في عام 1967، والذين يغاديهم الفزع، ويراوحهم الموت، وهم يدافعون عن حقهم السليب في الحياة، وينافحون عن مرقدهم في الأرض، هم الذين حركوا عجلة التاريخ، وهم الشباب الفتية الذين آمنوا بربهم...

فمن لهؤلاء المجاهدين المناضلين الذين يؤكدون الحضور، ويثبتون قدرتهم وفعاليتهم وبطولتهم، على الوجود والاستمرار.

ومن لهؤلاء الأطفال الذين يتسعرون بالحماس، وينفجرون بالوطنية، ويهتفون بالتضحية، تفيض في نفوسهم الحياة، وتزخر في أرواحهم القوة، فلم يتركوا أعنتهم للقدر، وثروتهم للغريب، وحمايتهم للحليف... وسينجلي الغيهب الكثيف، بإذن الله، عن وضح الفجر، وينتهي الطريق المخيف إلى بر السلامة، وأمان الغاية...

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

من لهؤلاء الأطفال والشيوخ والأرامل والأيامى واليتامى الذين هم بمكان القلب، وموضع الإحساس ؟ لقد كان المغرب في هذه الجولة أيضا في شخص عاهله الهمام أول من جمع لجنة القدس[1] بمنتجع افران، وعبأ حولها كل الطاقات، وأصبح المغرب، كدأبه، محورا تلتقي فيه عناصر الشهامة والنجدة والمروءة والكرامة...

وإن الجميع ليلهج بالعطر والثناء على جهود مولانا الإمام الذي نجح نجاحا باهرا منقطع النظير في ذلك الجمع الحفيل، ترك ألسنة الوفود الإسلامية، وجميع الملاحظين في الداخل والخارج، تلهج بالثناء والتقدير، والإكبار للجهود المضاعفة التي يبذلها سيد البلاد الذي يواصل ليله بنهاره، وينفق راحته، ويعقل جهوده في سبيل القضية الإسلامية الكبرى التي يعمل لها في صمت وتفان وإصرار.

إن العرش المغربي كان وسيظل بؤرة لأمّة تجذب القلوب المومنة الصادقة من مختلف الجهات، ونقطة تجميع موحدة لسائر فئات الطبقات، ومناة وصوى تهدي الحائرين المعذبين المكدودين والمكروبين والمضغوطين في دجنة الليالي الحالكات...

وقد أجمل آمال الأمة الإسلامية، وبلور تلك الأماني جلالة ملكنا المحبوب الملهم بالصواب الذي أثر عنه الرأي الرجيح واللب الحصيف والبصر النفاذ، والذكاء اللماح، حيث قال حفظه الله في الكلمة السامية التي تحدث فيها باسم ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية لدى اختتام إحدى مؤتمرات القمة حيث عبر جلالته عن عظيم شكره وتقديره لمضيفهم رئيسا وحكومة وشعبا.

(سوف نصلي في القدس وسوف نحيي علم فلسطين، وسوف نحضر استعراضات النصر في كل من دمشق والقاهرة... أما المسافة فعلينا أن نعلم أنها مسافة طويلة شاقة، ولكن، من سار على الدرب وصل).

---

1) راجع في هذا العدد مقالا هاما للأستاذ عبد الله كنون.

نص الرسالة الملكية السامية من رئيس لجنة القدس إلى ملوك ورؤساء وأمراء الدول الإسلامية

على إثر الأحداث الدامية التي عاشتها وتعيشها منذ شهرين الأراضي العربية المحتلة والقدس الشريف، دعا أمير المومنين جلالة الحسن الثاني حفظه الله رئيس لجنة القدس، ملوك ورؤساء وأمراء الدول الإسلامية إلى عقد اجتماع عاجل للجنة القدس بالمغرب، على مستوى وزراء الخارجية...

وهذا نص الرسالة الملكية السامية :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

إن الأحداث الداهية التي تعيشها الأراضي العربية المحتلة والقدس الشريف بصفة خاصة، توجب على كل من ينتمي إلى شريعة الإسلام أن يعمل جادا للتنديد بها، والعمل لإيقافها وفضحها أمام الرأي العالمي بكيفية علنية ورسمية.

ونظرا لهذا كله، ارتأينا كرئيس للجنة القدس، أن نستدعي - بصفتكم عضوا فيها - وزير خارجيتكم لاجتماع عاجل حتى ندارس الوضع القائم بالقدس الشريف، ونتخذ من المساعي والقرارات، ما يتطابق مع انتمائنا للأسرة الإسلامية المتماسكة الأطراف، وللفضيلة العالمية التي يجب أن يكون موقفها موقفا واضحا وسلميا دون محاباة أو انتهاء.

ولهذا كله، فإننا نوجه لكم استدعاءنا لاجتماع لجنة القدس الشريف بالمغرب، ابتداء من يوم الأحد 27 دجنبر 1987.

وتقبلوا حضرة الأخ العزيز، أصدق مشاعر المودة والتقدير.

نص الخطاب الملكي السامي الذي ألقاه رئيس لجنة القدس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في الاجتماع العاجل للجنة القدس المنتجع يفرن

ترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله عشية يوم الثلاثاء 4 جمادى الأولى عام 1408 الموافق 5 يناير 1988 بالقصر الملكي بمصطاف إفران، أشغال الاجتماع العاجل للجنة القدس الذي دعا جلالته إلى عقده لبحث الوضع القائم في القدس الشريف.

وقد أوفدت إثنا عشر دولة، عضوا، في لجنة القدس، ممثليها للمشاركة إلى جانب المغرب ومنظمة المؤتمر الإسلامي في هذا الاجتماع الذي احتضنه المغرب بمبادرة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني لبحث الوضع في الأراضي العربية المحتلة والقدس الشريف.

وقد أدلى السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، الذي رافقه وفد هام يضم كلا من (أبو الأديب) نائب رئيس المجلس الوطني الفلسطيني وعضو اللجنة المركزية للمنظمة وأبو طارق الشرفاء مستشار السيد ياسر عرفات في الشؤون العربية، وبسام أبو الشريف، مستشار الزعيم الفلسطيني في الشؤون الصحافية، بتصريح لرجال الصحافة أوضح فيه أنه جاء إلى المغرب لحضور اجتماع اللجنة كما هي العادة عند انعقاد أشغالها وذلك نظرا لما يمثله اسم القدس الشريف بالنسبة لكل الفلسطينيين من معان سامية تمس صميم وجدانهم القومي وعقيدتهم.

وأشار إلى الأهمية التي تكتسيها دعوة صاحب الجلالة لعقد اجتماع اللجنة في ظل هذه الظروف المصيرية التي تمر بها القضية العربية والشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة خاصة عبر الموجات من الانتفاضة الجماهيرية الشعبية الرائعة التي واجه بها الشعب الفلسطيني سياسة القبضة الحديدية للجيش الإسرائيلي المدجج بأحدث أنواع الأسلحة.

وقد حضر هذا الاجتماع صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي هشام، كما حضره عدد من أعضاء الحكومة، ومستشار وجلالة الملك.

وقد أبى جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله إلا أن يشرك لجنة الشؤون الخارجية والتعاون والدفاع الوطني والحدود والمناطق المحتلة في اجتماع القدس.

وقد ألقى صاحب الجلالة خطابا ساميا في هذه الجلسة أبرز العاهل الكريم فيه دور ومشاركة المغرب والمغاربة إلى جانب الحلفاء بالدفاع عن الحرية والكرامة البشرية، ولاحظ جلالة الملك أن الخلط بين القدس والمشكل العربي الإسرائيلي من شأنه أن يؤخر حل مشكلة القدس الشريف، واقترح جلالته أن تنكب لجنة القدس أو اجتماع وزراء الخارجية الذي سيعقد في بداية مارس القادم لوضع مشروع يعرض على وزراء خارجية الدول الإسلامية حتى يكون بجانبهم مشروع يمكن أن يحشدوا للمسلمين ولقضية القدس، أكثر ما يمكن من الدعم.

ودعا جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله في الختام إلى توحيد الصف فيما يخص قضية القدس لإرغام العدو على دخول باب الحوار، وطلب من رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أن يحمل المجاهدين خارج الأرض المحتلة، والمقاومين داخل الأرض المحتلة ما قاله الله سبحانه وتعالى : ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله﴾.

وطلب جلالة الملك في الأخير من الحاضرين قراءة «الفاتحة» ترحما على أرواح الشهداء.

وقد أنهت لجنة القدس برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني أشغالها مساء يوم الثلاثاء بيفرن بالمصادقة على عدد من التوصيات، أدانت فيها بشدة السياسات والممارسات الصهيونية اللا إنسانية تجاه السكان العرب في الأراضي العربية المحتلة المتمثلة في الإخلاء والطرد والإبعاد والقتل والاعتقال الجماعي ومصادرة الممتلكات والاعتداء على حرمة الأماكن المقدسة.

وقد عبرت لجنة القدس في الختام عن تقديرها البالغ وامتنانها العميق لرئيسها جلالة الملك الحسن الثاني لما يبذله من جهود مشكورة ولدعوته إلى عقد هذا الاجتماع، كما عبر أعضاء اللجنة عن شكرهم وتقديرهم للشعب المغربي. وطالبت من الأمانة العامة تعميم هذا البيان على الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

وجاء في لجنة توصية القدس أنها تؤكد أن القدس وباقي الأراضي الفلسطينية والشرق الأوسط، لن تشهد الاستقرار ما لم يتم حل القضية


لجنة القدس
16-15 جمادى الأولى 1408
الله أكبر
COMITE ALQODS
5-6 JANVIER 1988
AL QOD'S COMMITTEE
JANUARY 5th-6th 1988
الرئيس
PRESIDENT
PRESIDENT

فلسطين ودعت اللجنة من جهة أخرى إلى الإسراع في عقد المؤتمر الدولي للسلام تحت رعاية الأمم المتحدة كما أوصت بإعلان يوم الجمعة 15 يناير 1988 م الماضي يوما للتضامن مع الشعب الفلسطيني، وتخصيص خطبة الجمعة في ذلك اليوم في جميع مساجد العالم الإسلامي للتحدث عن الانتفاضة الفلسطينية...

وقد أقام صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الذي كان محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد بالقصر الملكي بيفرن حفل استقبال على شرف الوفود المشاركة في اجتماع لجنة القدس وذلك في أعقاب الاجتماع العاجل الذي عقدته اللجنة برئاسة جلالة الملك.

وفيما يلي نص الخطاب الملكي السامي :

نص الكلمة الملكية السامية

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

إخواني أعضاء لجنة القدس الشريف.

إن لجنتنا تكون منذ سنتين طاقما ومجموعة متكاملي الأطراف متضامني السياسة والأهداف.

ورغم ما لاحظناه في هذه السنوات الأخيرة من بعض النزاعات ليس المذهبية ولكن الاستراتيجية الشيء الذي يواكب الاجتهاد ويساير العمل. كما دائما نرى ونلمس في عواطف أعضاء هذا الطاقم وهذه المجموعة غيرتهم الإسلامية عربا كانوا أم غير عرب.

عادة حينما يطلب رئيس لجنة سواء كانت جهوية أو قارية أو دولية أن يجتمع أعضاؤها بكيفية طارئة لابد آنذاك للمحللين أن يتساءلوا وأن يضعوا الأسئلة لماذا سنذهب هل سنشارك أم لا...

أما وقد وقع في القدس الشريف ما وقع ومنذ شهور بالخصوص أما وقد وقع في جوار القدس الشريف ما وقع فلا يمكن للجنة مكونة من دول كدولنا من شرق العالم الإسلامي إلى غربه أن تتردد أو تطرح الأسئلة على نفسها هل من اللائق الاجتماع أم الاجتماع غير مرغوب فيه الآن.

لست بصدد عرض عواطفي وألمي شخصيا حينما أرى المشردين من الأطفال والنساء والشيوخ يذهبون ضحية العنف لا يرحمهم أحد من الدول العظمى وبالأخص دولة عظمى من أعظم الدول حاربت لتحرير العالم ولتحرير الشعوب من النازية والفاشيستية تلك التي بجانبها حارب المغرب وهذه هي علة تدخلي بالنسبة للولايات المتحدة التي هي صديقة لنا منذ القديم ومنذ القدم، فهي صديقة قريبة وصديقة وفية ولكن أقول لها لا.

استشهد جنودنا وجنودكم بالآلاف وبمئات الآلاف لتحرير البشرية وهنا لا يمكن لحليفك بالأمس إلا أن يستغرب تنكرك للمبادئ التي من أجلها مات أبناؤك وأبناؤنا ولا سيما أن الجنود المغاربة حينما ذهبوا للحرب الدامية لم يذهبوا كجنود دولة مستعمرة (بفتح الميم) لم يذهبوا كمرتزقة أبدا بل ذهبوا بعد نداءات متكررة من جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه والدي آنذاك السلطان سيدي محمد بن يوسف الذي أمر أن تقرأ على المنابر رسالة ملكية يأمر فيها الرجال المغاربة أن يحاربوا بجانب الحلفاء للدفاع عن الحرية وللدفاع عن الكرامة البشرية ولذا فقد وسمه الجنرال دوغول بوسام التحرير وكان رئيس الدولة الوحيد في العالم لا أقول رئيس حكومة ولكن رئيس الدولة الوحيد في العالم الذي قلده الجنرال دوغول ذلك الوسام هذا يجعلني أقول لأصدقائنا لماذا مات باتون... لماذا مات ضباطنا... لماذا متنا جميعا في كاليفيانو... لماذا متنا جميعا في ألمانيا... لماذا متنا جميعا في ليزاردين ؟. متنا للدفاع عن الكرامة وهذا هو الذي يعطيني حقي كمغربي لأن أقول هذا الكلام وبكل صراحة هو كلام غير موجه للحكومة وللشعب الأمريكيين هو كلام موجه لعدم الانصاف والصديق من صادقك لا من صدقك.

فعلينا إذن في نظري أن نخطو خطوة جديدة فكرت فيها هذه العشية هي أننا وجدنا كلنا أرضية



صاحب الجلالة يلقي خطابه السامي أمام لجنة القدس

واحـدة فيمـا يخص المشكـل العربي الإسرائيلي واجتمعنا بفاس واتفقنا على مخطط حاز الاجماع وأصبح كل عربي عربي كأن بيده دليل للطريق كلما سئل وجد الحجة والنص للإجابة وأخاف أن نكون قد قمنا بخلط بين قضية القدس الشريف والمشكل العربي الإسرائيلي وأظن أن من شأن هذا الخلط أن يؤخر حل مشكلة القدس الشريف ذلك لأنه سواء في هذه اللجنة أو في المؤتمر الإسلامي توجد دول إسلامية غير عربية لها نظرياتها السياسية بالنسبة لإسرائيل ولكن إيمانها راسخ بالنسبة للقدس. فلهذا اقترح أن تنكب هذه اللجنة أو ينكب وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي سينعقد في عمان في شهر مارس على ما أظن على وضع مشروع يعرض على وزراء خارجية الدول الإسلامية حتى يكون كذلك بجانبهم دليل يمكنهم من أن يقنعوا به جميع ذوي الديانات غير الإسلامية وأن يجدوا ويحشدوا للمسلمين ولقضية القدس أكثر ما يمكن من العطف.

هـذا الاقتراح أتركـه لكم وأرجو إذا كنتم موافقين عليه أن توافونا بوجهات نظركم وبجوابكم اما مباشرة او بواسطة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي. في نظري وبكل صراحة ووضوح اعتبر أن هذا العمل ضروري جدا، لأنه إذا نحن وحدنا صفنا في قضية القدس من الناحية الاستراتيجية اضطررنا العدو إلى أن يدخل باب الحوار أما هنا أو هناك، فلا يمكنه أبدا أن يتنصل من الحوار بخصوص القدس وأن يتنصل من الحوار بخصوص الأرض المحتلة فإذا تنصل منهما مبدئيا أظهر ورسخ في أذهان الناس أنه لا يقبل حلا سلميا وأنه غير مستعد لحوار ولا لمناقشة ولا لمذاكرة ولا لاتصال.

وقبل أن اختتم كلمتي هاته أقدم لأميننا العام السيد بيرزادة شكرنا وامتناننا على الجهود التي مازال يقوم بها لمصلحة المؤتمر الإسلامي ولمصلحة لجنة القدس وما رأينا منه إلا ما يسر وأننا بهذه المناسبة نشكره جزيل الشكر على نشاطه هو والأمانة العامة.

أما بالنسبة للشعب الفلسطيني فلا يسعني إلا أن أتوجه إلى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الأخ أبو عمار لأرجو منه أن يحمل إلى المجاهدين خارج الأرض المحتلة وإلى المقاومين داخل الأرض المحتلة وهنا يجب أن نضع النقط على الحروف فخارج الأرض المحتلة هم مجاهدون، وداخل الأرض المحتلة هم مقاومون، وحق المقاومة معترف به لجميع من انتهكت أو استعمرت أراضيه.

لأولئك المحاربين ما قاله الله سبحانه وتعالى : ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله﴾ صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد ذلك طلب جلالة الملك من الحاضرين قراءة الفاتحة ترحما على أرواح الشهداء.



منظر عام لأعضاء لجنة القدس في اجتماعهم تحت رئاسة صاحب الجلالة بمنتجع يفرن.



أقسمتَ قبلُ على الصّلاة بقُدسِنا
ولأنتَ أوفى مُقسِمٍ بَرّا
لم تدّخِرْ جُهداً لِنجْدَتِه، ولمْ
تفْتأْ تُواصِلُ نَحْوَهُ السَّيْرا
فَغَداً يُصَلّي المُسْلِمُونَ وَرَاءَكُمْ
وَيُكَبِّرُونَ لِرَبِّهِمْ شُكْرا

لجنة القدس تطالب المجتمع الدولي باتخاذ جميع الاجراءات لمساندة الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه المشروعة

ناشدت لجنة القدس في توصياتها المجتمع الدولي فتح تحقيق تحت إشراف هيأة الأمم المتحدة وهيأة الصليب الأحمر الدولي لتحديد حجم الجرائم البشعة التي تقترفها إسرائيل ضد الشعب العربي في فلسطين والعمل على وقفها.

وحيت اللجنة الشعب العربي الفلسطيني وعبرت عن اعتزازها بانتفاضته ودعت أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي إلى تكثيف دعمها للشعب العربي الفلسطيني داخل الوطن المحتل سياسيا وماديا لتعزيز قدرته على الصمود ومقاومة الاحتلال وممارساته الإرهابية العنصرية.

كما طلبت من أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي بما لها من وزن وما تملك من صداقات في المجتمع الدولي القيام بكل ما تراه مناسبا من الجهود والاتصالات السياسية والدبلوماسية للدول والهيآت الدولية والإقليمية كي تبادر إلى الضغط على سلطات الاحتلال للتقيد في معاملة السكان المدنيين في زمن الحرب في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة بمقتضيات اتفاقية جنيف لعام 1949 وبالقرارات الدولية في هذا الشأن وبمبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وأوصت اللجنة بتشكيل لجان إسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي للتضامن مع الشعب الفلسطيني ونجدته وتقديم العون المادي والمعنوي له لدعم ثورته حتى يتمكن من تحرير وطنه وتقرير مصيره ودعت مجالس السفراء المسلمين في عواصم العالم كله إلى إجراء اتصالات سريعة مع الجهات الرسمية والحزبية والشعبية ووسائل الإعلام في بلدان اعتمادها لحثها على استنكار هذه الممارسات الصهيونية والتنديد بها والدعوة لإيقافها.

وأهابت اللجنة بالمؤسسات الإعلامية الإسلامية إلى تكثيف تغطيتها لأخبار الانتفاضة الشعبية في فلسطين المحتلة والتعليق عليها بما يخدم هدف تنوير الرأي العام الإسلامي وتعريفه بحقائق الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ومن جهة أخرى عبرت اللجنة عن تقديرها لكل الدول والهيآت والتجمعات الدولية التي بادرت إلى التنديد بإجراءات القمع الإسرائيلي وعملت على فضحها أمام الرأي العام العالمي بكيفية علنية ورسمية وتدعوها إلى مواصلة هذا التنديد وتكثيفه وإلى ممارسة الضغط اللازم على سلطات الاحتلال الإسرائيلي لإيقاف تلك الإجراءات.

وطالبت المجتمع الدولي باتخاذ جميع الإجراءات الممكنة لمساندة الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه المشروعة مؤكدة أن القدس وباقي الأراضي الفلسطينية ومنطقة الشرق الأوسط لن تشهد السلام والاستقرار ما لم يتم حل قضية

فلسطين قضية المسلمين الأولى وجوهر النزاع في الشرق الأوسط حلا شاملا وعادلا يضمن استعادة شعب فلسطين لحقوقه الوطنية الثابتة بما فيها حقه في وطنه فلسطين وحقه في العودة إليه واستغلال ممتلكاته فيه وحقه في تقرير مصيره بنفسه دون أي تدخل خارجي وحقه في الممارسة الحرة لسيادته على أرض وطنه وعلى موارده الطبيعية فيها وحقه في إقامة دولته المستقلة ذات السيادة في فلسطين بعاصمتها القدس الشريف بقيادة ممثله الشرعي منظمة التحرير الفلسطينية.

ودعت اللجنة أيضا إلى الإسراع في عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط تحت رعاية الأمم المتحدة تشارك فيه جميع أطراف النزاع العربي الإسرائيلي بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية على قدم المساواة والدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن.

واعلنت اللجنة يوم الجمعة 25 من جمادى الأولى 1408 الموافق 15 يناير 1988 يوما للتضامن الإسلامي مع الانتفاضة الفلسطينية ودعت إلى تخصيص خطبة الجمعة في ذلك اليوم جميع مساجد العالم الإسلامي للتحدث عن الانتفاضة وعن آلام شعب فلسطين ومعاناته وصموده كما دعت إلى إقامة صلاة الغائب ترحما على أرواح الشهداء في اليوم نفسه.

وأوصت للجنة الحكومات الإسلامية باتخاذ الترتيبات اللازمة لتنظيم حملة للتبرع بأجر عمل يوم واحد تعبيرا عن التضامن مع الشعب الفلسطيني في انتفاضته.

وأقرت اللجنة توجيه برقيات إلى السكرتير العام للأمم المتحدة وإلى رئيس مجلس الأمن الدولي ورؤساء الدول الأعضاء في مجلس الأمن لدعوتهم إلى التدخل العاجل لوقف الممارسات الصهيونية ضد أبناء الشعب الفلسطيني العزل في الأراضي العربية المحتلة وإلى اتخاذ الإجراءات الرادعة ضد الكيان الإسرائيلي وإقرار إنزال العقوبات به وفقا للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

ووافقت اللجنة على تشكيل لجنة من أعضائها يختارها جلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس للاتصال بالأمين العام للأمم المتحدة والدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن لإطلاعها على تطورات الوضع في الأراضي الفلسطينية المحتلة ومطالبتها بالعمل على تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 605 بما في ذلك تأمين الحماية اللازمة للمواطنين الفلسطينيين تحت الاحتلال.

وعبرت اللجنة عن تقديرها البالغ وامتنانها العميق لرئيسها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بما يبذله من جهود مشكورة ولدعوته إلى عقد هذا الاجتماع الطارئ للجنة تلك الدعوة التي تعكس اهتمام جلالته بالقدس الشريف وسائر الأراضي العربية المحتلة وحرصه على صمود أهلها ودعمهم والدفاع عن حقوقهم الوطنية الثابتة وسعيه الدائم لاستعادة السيادة العربية الإسلامية للقدس الشريف.

وعبر أعضاء اللجنة عن الشكر والتقدير للشعب المغربي لما خصهم به من حرارة استقبال وكرم الضيافة.

عرفات يشيد بمبادرة جلالة الملك الحسن الثاني بالدعوة لعقد اجتماع لجنة القدس

نوه السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بمبادرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بالدعوة إلى عقد اجتماع عاجل للجنة القدس لبحث الانتهاكات الاسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة والقدس الشريف وقال : إن هذه المبادرة تعد وقفة أخوية صادقة تجاه المجاهدين الفلسطينيين الذين يواجهون حاليا أخطر هجمة امبريالية إسرائيلية صهيونية عنصرية ضد أطفالنا ونسائنا وشعبنا.

وذكر السيد عرفات في كلمته خلال اجتماع لجنة القدس بالاعتداءات الإسرائيلية المتتالية على القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين في محاولة لتحويل المسجد الحرام إلى ما يسمونه بهيكل سليمان وبالتعسفات الصهيونية في الأراضي العربية المحتلة وحملة الاعتقالات الجماعية التي تقوم بها سلطات. الاحتلال ضد أبناء الشعب الفلسطيني.

وقال السيد عرفات ان ما يحدث الآن داخل الأراضي المحتلة هو انتفاضة شعب موجة وراء موجة لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي مؤكدا أن هذه الانتفاضة الثورية الفلسطينية ستستمر حتى ينتهي الاحتلال الإسرائيلي ويتحرر القدس الشريف.

وأكد الزعيم الفلسطيني أن الانتفاضة الشعبية الفلسطينية تعد انتصارا ودعما لشعبنا المحاصر في مخيمات لبنان والذي كان يواجه اعتداء مزدوجا واحدا بالطائرات والمدفعية والبحرية في الجنوب اللبناني وآخر في مخيمات أخرى وخاصة في بيروت من طرف بعض الإخوة.

وبعدما ذكر بأهمية القرارات التي اتخذتها مؤتمرات القمة العربية والإسلامية لفائدة القضية الفلسطينية وخاصة مؤتمر القمة العربي المنعقد بالرباط سنة 1974 الذي أكد على أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني أوضح السيد ياسر عرفات أن الانتفاضة الشعبية الفلسطينية تشكل ردا على سياسة القبضة الحديدية التي تمارسها



المُبَادرة المَلَكيّة

وَقفة أخويّة صَادقة تجاه المجاهدين الفلسطينيين

« ياسر عرفات »

إسرائيل وعلى استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية مشيرا في هذا الصدد إلى مختلف مراحل الكفاح البطولي الذي خاضه الشعب الفلسطيني منذ عام 1948 ضد آلة الحرب الإسرائيلية.

وأشار السيد عرفات إلى أن منظمة التحرير الفلسطينية استطاعت بفضل المجهود العربي والإسلامي ومجهود دول عدم الانحياز تحقيق انتصار سياسي بمصادقة مجلس الأمن على القرار 605 مبرزا أن المنظمة تعتبر امتناع أمريكا الحليف الرئيسي لإسرائيل عن التصويت وعدم استخدامها الفيتو خطوة متقدمة لصالح القضية الفلسطينية إلى جانب اعتراض الولايات المتحدة في بيان صحفي على قرار إسرائيل بطرد المقاومين الفلسطينيين المؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية.

ودعا الزعيم الفلسطيني إلى ضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ القرار رقم 605 مؤكدا أن الحل العادل لمشكلة الشرق الأوسط ينطلق من القرارات التي أجمعت عليها الدول الإسلامية والعربية ودول عدم الانحياز والدول الإفريقية وكذا دول السوق الأوربية المشتركة من خلال بيان البندقية والدول الاشتراكية والاتحاد السوفياتي والصين وهي القرارات المؤيدة لعقد مؤتمر دولي يقود نحو تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ويعقد تحت رعاية الأمم المتحدة ومشاركة الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن وكافة الأطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية.

وأكد السيد عرفات في الختام أن الثورة الشعبية الفلسطينية ستستمر مهما كانت التضحيات إلى حين تحرير القدس والأراضي العربية المحتلة.

حتى يراق على جوانبه الدم..!

أدلى صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني بحديث صحفي هام لكل من مجلة «المصور» وصحيفة «الجمهورية» المصريتين في شخص كل من السيد محمد أحمد مكرم، والسيد محفوظ الأنصاري.

وقد تناول الحديث عدة قضايا من بينها قضايا فلسطين.

ومما جاء في إحدى الأسئلة :

سؤال :

إذا كان المناخ العربي يا جلالة الملك يسمح ويفرض عقد قمة عربية مستقبلا كما سبق أن ذكرت جلالتكم فهل تعتقد جلالتكم أن الساحة الدولية مهيأة أيضاً إلى أن تلعب كل الأطراف دورها وأن تتجه نحو مؤتمر دولي حقيقي يحصل حوله الإجماع وإن لم تتوفر له الإرادة العربية الكاملة.

فكان جواب جلالة الملك :

أظن شخصياً أن علينا أن ننتظر بعض الوقت حتى نرى ماذا ستخلفه الأحداث الواقعة في الأراضي المحتلة على الإسرائيليين أنفسهم، فالإسرائيليون عنيدون ولي اليقين أنهم أحسوا بالضربة وأحسوا بأنها ضربة قاسية، ولكن لن يقولوا ذلك ولن يصرحوا به، لقد أحسوا بها وأحسوا بالخطر، وكما قلت لأعضاء المؤتمر اليهودي الأمريكي الذين زارونا كما زاروا فخامة الرئيس أن الشيء الذي يقع في الأراضي المحتلة يجب أن نفسروه كما يأتي : هؤلاء الشباب والرجال والنساء والأطفال الذين ولدوا بعد 1967 سوف يكونون مواطنين غير صالحين لكم أنتم الإسرائيليين إذا قررتم الضم وإذا قبلتم أن يكون هناك كيان بجانبكم فسوف يكونون جيراناً غير لائقين لكم، خذوا احتياطكم من الآن فإذا ضممتموهم فستضمون مواطنين خطرين وإذا أردتم أن تعايشوهم دوليا كجيران فستكون نيتهم غير صافية، ففي نظري يتعين على الإنسان أن ينظر ويشاهد ويأخذ ورقة وقلماً ليدون الأحداث واحداً تلو الآخر، ويضع هذا الحدث في هذا الركن والآخر في ذاك الركن، ولا يمكن لنا أن نتسرع لا في التكتيك ولا في الاستراتيجية، فأنا شخصياً أمنع على نفسي التحليل، فلابد لنا بالطبع من فترة شهر ونصف أو شهرين على أكثر تقدير، أما ما

يقع فأنا مسرور به ولو أنا هناك قتلى وضحايا لأنه كما يقول الشاعر العربية :

لا يسلم الشرف الرفيـــــــــــع من الأذى

حتى يراق على جـــوانبـــــه الـــــدم

فقد مررنا نحن من هذه المرحلة كما مرت منها مصر وكل الشعوب فلابد من ضحايا ولابد من شهداء حتى يسموا أبطالاً وشهداء مخربين أو إرهابيين، بل أبطال مقاومون وشهداء. ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾.

سؤال :

أعود مرة أخرى إلى تصور جلالتكم حول الأطراف المعنية التي لها أن تقبل والأطراف التي عليها أن تساند، والحق يا جلالة الملك أننا نواجه مشكلة ما يمكن أن نسميه بالتمثيل الفلسطيني أو العلاقة الأردنية الفلسطينية (التمثيل المشترك) فما هي وجهة نظر جلالتكم بخصوص هذه القضية التي يتذرع بها الآخرون ويعتبرون أننا نحن الذين نضع العراقيل ؟

جواب جلالة الملك :

نصيحتي أن تقبل م.ت.ف بقرار 242

المهم هو أنه حينما اتخذ سنة 1974 بالرباط قرار اعتبار منظمة التحرير الممثل الوحيد والشرعي للفلسطينيين تم ذلك بإجماع الدول الأعضاء في الجامعة العربية وعلى رأسها مصر، فهذا شيء من اللازم أن يبقى ثابتاً وإلا أصبحنا كالمشركين نصنع أصناماً من الحلوى نعبدها في الصباح ونأكلها في المساء، فهذا في الحقيقة سيكون تلاعباً فالعنصر الجديد في نظري - وهذا لايمس أبدا بتمثيلية ومشروعية منظمة التحرير الفلسطينية - والذي يجب أن تأخذه المنظمة بعين الاعتبار كذلك هو ما يقع الآن في الأراضي المحتلة، فهذه مسألة داخلية بالنسبة للفلسطينيين لا دخل لي فيها ولكن هذا عنصر جديد، وأنصح إخواني الفلسطينيين - من دون أن أشكك في تمثيلية منظمة التحرير الفلسطينية لأنها هي الممثل الشرعي والوحيد - بأن يأخذوا بعين الاعتبار ما يقع الآن في الأراضي المحتلة، ولو كنت مكان المنظمة لفكرت كيف أقبل في أقرب وقت ممكن قرار 242 لأن البيضة موجودة الآن ومن اللازم أن نضع لها عشاً لكي تفقس. والآن لو كنت مكان منظمة التحرير سأقبل نظرا لما يجري في الأراضي المحتلة قرار 242 وهذه نصيحة أخ و «أهل مكة أدرى بشعابها».

الحل هو إصلاح ذات البين

سؤال :

إذا كانت مشكلة التمثيل الفلسطيني مشكلة عربية أو مشكلة فلسطينية فلها جوانبها الأخرى لها مشكلتها الإسرائيلية ومشكلتها الدولية، وكانت جلالتكم ومصر من أسبق الدول التي أقامت حواراً مع إسرائيل وحاولت بهذا الحوار أن تقرب من الحق العربي، ولكن كما ذكرت جلالتكم هناك عناد إسرائيلي ثم رغم كل هذه الجهود في الحوار المغربي الإسرائيلي.

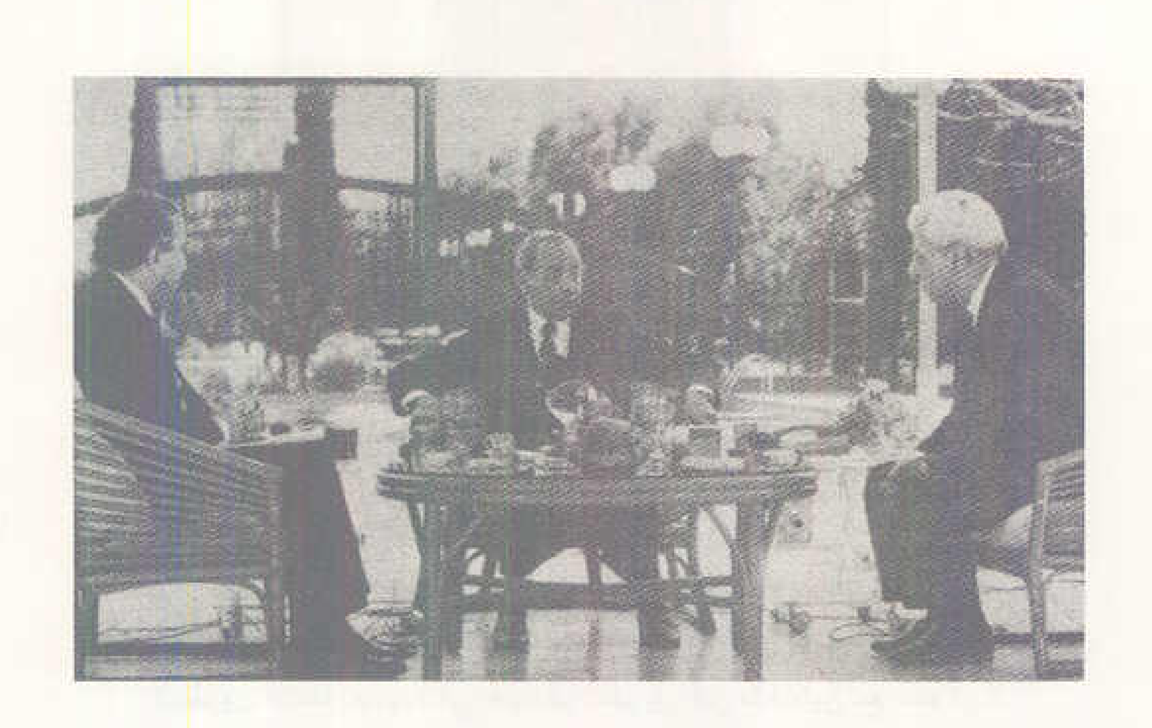
جواب جلالة الملك :

لم يكن هناك حوار بل كان هناك استطلاع فقط، ولا يمكن أن يكون ذلك حوار لأنه ليست لدي لا ناقة ولا جمل في هذا الموضوع ولا أرض محتلة، لهذا فالأمر كان استطلاعاً فقط.

الصحفي :

أذهب أبعد فأقول ان منظمة التحرير الفلسطينية نفسها بدأت حواراً مع مجموعات أو تيارات في إسرائيل.

جلالة الملك : هذا واجبها.



الصحفي :

نحن نقول إن هذه الخطوة إيجابية وفكرة الحوار لم تعد مرفوضة من كل طرف حتى من المنظمة نفسها ولكن رغم هذا نرى عناداً إسرائيلياً حاداً، فكيف يمكن أن يتبلور هذا الحوار وأطرافه تعددت، لقد قلتم جلالتكم إنكم قمتم باستطلاع ومصر حاورت والفلسطينيون يحاورون الآن وما زال العناد على ما عليه، كيف يمكن أن نضع هذا الحوار على طريق سليم وإيجابي ؟

جواب جلالة الملك :

أظن أن مفتاح هذه المشكلة هو إصلاح ذات البين وتسوية المشاكل القائمة بين الدول المعنية بالأمر، فلابد أن تسوي مصر مشاكلها مع سوريا ولابد أن تنمحي أزمة الثقة الموجودة بين المنظمة وسوريا وترجع الأمور إلى مجاريها لا أقول مائة في المائة ولكن لابد من تصفية الأجواء بين المعنيين بالأمر.

« خطبة الجهاد »



فيما يلي نص الخطبة الموحدة التي القيت في جميع مساجد الضفة والقطاع :

«أيها المجاهدون أيها المرابطون يا أهل الثغور يا أهل الأرض المباركة لقد اختاركم الله لأن تكونوا حماة الأقصى المبارك وها أنتم تسطرون صفحة جديدة في جهادكم الطويل غير متكافئين مع عدوكم لا في العدد ولا في السلاح... لكن سلاحه الخوف والذعر وسلاحكم سواعدكم القوية وحجارة أرضكم المباركة فكبروا وهللوا وقوموا قومة رجل واحد فالنصر آت بإذن الله.

إن العدو يبحث عن طريق للخلاص من الورطة التي هو فيها ولن يستطيع فمن ضربت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله لا يمكن أن يتحول إلى شجاع وبطل ولقد خبرتم اليهود عن قرب كيف يرجفون أمامكم والسلاح بأيديهم ويفرون والدبابات تحميهم ويولون الأدبار والحجارة ترميهم.

صدق الله العظيم ﴿**لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر، بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**﴾.

صحيفة السياسة الكويتية:

جلالة الملك الحسن الثاني انتزع أول اعتراف أمريكي بحقوق الشعب الفلسطيني

قالت صحيفة (السياسة) الكويتية أن جلالة الملك انتزع من خلال الرسالة التي تلقاها من الرئيس الأمريكي رونالد ريغن حول قضية الشرق الأوسط أو اعتراف أمريكي رسمي بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

وأشارت الصحيفة في طبعتها الدولية يوم الإثنين 25 من يناير 1988 : أن رسالة الرئيس الأمريكي إلى جلالة الملك انطوت على ثلاث دلالات هامة تتمثل في تأكيده على ضرورة التنصيص على الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني في أي اتفاق يتم التوصل إليه بخصوص قضية الشرق الأوسط وتذكيره بالأفكار البليغة التي عبر عنها جلالة الملك الحسن الثاني خلال اجتماع لجنة القدس بمدينة يفرن ثم إشارة الرئيس ريغن إلى ضرورة الاسراع بحل قضية الشرق الأوسط.

وأوضحت الصحيفة أن رسالة الرئيس الأمريكي التي وصفها أحد الدبلوماسيين العرب بأنها أهم رسالة رئاسية أمريكية لزعيم عربي خلال العشر سنوات الأخيرة بتأكيدها على ضرورة العودة إلى الطرف الفلسطيني في كل مرحلة من مراحل المفاوضات ومن دون أن تشير إلى وجوب استثناء منظمة التحرير الفلسطينية من المفاوضات تضفي على الاعتراف الأمريكي بحقوق الشعب الفلسطيني أهمية خاصة.

كما ذكرت الصحيفة بخطاب صاحب الجلالة أمام لجنة القدس عندما قال : «وهنا لا يمكن لحليفك بالأمس إلا أن يستغرب تنكرك للمبادئ التي من أجلها مات أبناؤك وأبناؤنا ولا سيما أن الجنود المغاربة حينما ذهبوا للحرب الدامية لم يذهبوا كجنود دولة مستعمرة. بفتح الميم. ولم يذهبوا كمرتزقة بل ذهبوا بعد نداءات متكررة من جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه».

وأشارت الصحيفة إلى أن من بين ما تضمنته الرسالة من معان، هي أن الولايات المتحدة تقدر الموقع المتميز للمغرب ملكا وحكومة وشعبا في معادلة العلاقات التاريخية بينها وبين العالم الخارجي.

ولم يفت الصحيفة أن تشير إلى أهمية عامل السرعة في حل مشكلة الشرق الأوسط مؤكدة أن التشديد من جانب الرئيس الأمريكي على ضرورة أن يكون الحل مربوطا بالاسراع لهو مؤشر آخر على أن لجنة القدس عبر رئيسها جلالة الملك الحسن الثاني أوصلت للمدارك الأمريكية أنه لا يكفي فقط أن تكون هناك رغبة لإحلال السلام بل الواجب أن تكون هناك أيضا إرادة للإسراع في بسط هذا الحل.

قرار إسناد رئاسة لجنة القدس إلى جلالة الملك الحسن الثاني

«إن المؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد في فاس بالمملكة المغربية من 11 إلى 15 جمادى الثانية 1399 الموافق 12 مايو 1979.

بعد الاطلاع على قرارات مؤتمري القمة الإسلامية اللذين عقدا في كل من الرباط ولاهور وقرارات مؤتمرات وزراء الخارجية بشأن القدس والحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة وتحريرها، وأخذا في الاعتبار الوضع الحالي لمدينة القدس واطماع العدو السافرة بها وإصراره على تهويدها وتحويلها إلى عاصمة للكيان الصهيوني العدواني.

وإدراكا من أن هذا المنزلق الخطير الذي تواجهه أولى القبلتين وثالث الحرمين فإنه لا مناص من أن يواجه العالم الإسلامي حكومات وشعوبا بمسؤوليات تاريخية مقدسة، قرر :

1 ـ عقد لجنة القدس على مستوى وزراء الخارجية برآسة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية.

2 ـ قيام اللجنة بصورة خاصة بوضع وتنفيذ برنامج سياسي وإعلامي في العالم غير الإسلامي، إضافة إلى مهام اللجنة وطبيعة مسؤولياتها بهدف دعم قرارات هيآت منظمة المؤتمر على مختلف المستويات للمحافظة على عروبة وإسلام المدينة المقدسة وعودتها إلى السيادة العربية الإسلامية.

3 ـ تخول اللجنة الصلاحية اللازمة لأخذ ما تراه من الإجراءات لتنفيذ البرنامج الذي تقره لتحقيق أهدافها، وتقديم تقريرها عن أعمالها وفقا لهذا القرار إلى مؤتمر القمة الإسلامية».

لجنة القدس

أهداف ومنجزات

تأسست لجنة القدس، خلال المؤتمر الإسلامي السادس المنعقد بجدة سنة 1975، وتضم اللجنة التي يرأسها جلالة الملك الحسن الثاني، المملكة العربية السعودية، وبنغلاديش، وغينيا، وأندونسيا، وإيران، والنيجر، والأردن، ولبنان، والمغرب، وباكستان، ومنظمة التحرير الفلسطينية، والسنغال، والعراق، وسوريا، وموريتانيا.

وقد عهد إلى جلالة الملك برئاسة هذه اللجنة، خلال المؤتمر العاشر لوزارة خارجية الدول الإسلامية المجتمع بفاس في ماي 1979، وتحددت هذه الرئاسة منذ ذلك الوقت من طرف مؤتمري الطائف، والكويت، ولا شك أن هذه المسؤولية جسيمة بالنظر إلى وضع القدس والمؤامرات الصهيونية التي تستهدفها...

وتتمثل المهمة الرسمية للبعثة في وضع خطة إسلامية شاملة لتطهير القدس، واتخاذ الإجراءات الضرورية لمواجهة المحاولات الإسرائيلية لطمس الطابع الأصلي للمدينة المقدسة...

وقد عقدت لجنة القدس دورتها الأولى يومي 2 و 3 يوليوز 1970 بفاس برئاسة جلالة الملك لتحدد التحركات الهامة لهذه اللجنة في تلك المرحلة الدقيقة التي تجتازها لجنة القدس الشريف والقضية الفلسطينية، فأوصت على الخصوص بدعوة مجلس الأمن لاتخاذ إجراءات عملية تكفل تحقيق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وتوقف العدوان المستمر على مدينة القدس الشريف، والأراضي الفلسطينية والعربية الأخرى المحتلة كما أوصت بإرسال وفد على مستوى عال لزيارة حاضرة الفاتكان والمواضع الدينية المسيحية الدولية الأخرى ليعرض عليها قضية القدس الشريف والأوضاع الخطيرة في الأراضي الفلسطينية والعربية.

وقد اكتست اجتماعات لجنة القدس أهمية تاريخية خاصة لكونها أتت تعبيرا صادقا على الشعور العميق بالمسؤولية السامية الجماعية وأثبتت أن قدر المغرب ظل ولا يزال مرتبطا بالمقدسات الإسلامية في القدس وفلسطين.

وكرئيس لمؤتمر القمة العربي ولجنة القدس استدعى جلالة الملك لجنة القدس لعقد دورتها الثامنة في نيويورك بتاريخ 30 شتنبر 1983 في الوقت الذي كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة تعقد دورتها الثامنة والثلاثين وذلك حتى يتسنى التعريف أكثر بانشغالات الأمة العربية والإسلامية.

وعقدت لجنة القدس بدعوة من جلالة الملك الحسن الثاني دورة استثنائية، يومي 19 و20 أبريل 1984 ناقشت خلالها المخططات الصهيونية الرامية إلى تهويد مدينة القدس، وإخلاء أهلها العرب من مسلمين ومسيحيين، ومحاولات إسرائيل الضغط على بعض الدول لنقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس...

وقد قررت اللجنة خلال هذا الاجتماع قطع العلاقات الدبلوماسية فورا مع كوستاريكا والسلفادور، كما أوصت بتكثيف الاتصالات مع «حاضرة الفاتيكان» وحثها على اتخاذ موقف صريح ومعلن من الإجراءات الإسرائيلية في القدس...

كما خصصت اللجنة يوم 18 ماي 1984 في جميع الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ليكون يوما للقدس تخصص خطب الجمعة فيه للتنديد بالأعمال العدوانية التي تمارسها إسرائيل ضد القدس الشريف.

واجتمعت لجنة القدس بمراكش في بداية 1986 بعد محاولات التدنيس التي تعرض لها المسجد الأقصى من قبل أعضاء من الكنيست الإسرائيلي لتدين هذه الأعمال وتبحث عن الوسائل الكفيلة بردع الصهاينة.

وتواصلت اجتماعات لجنة القدس بالمغرب لتخطيط سياسة منظمة المؤتمر الإسلامي بخصوص المحافظة على الطابع العربي والإسلامي والمعالم التاريخية والحضارية لمدينة القدس الشريف، وبالتالي العمل على رفع معنويات المواطنين الفلسطينيين المتواجدين بالمدينة المقدسة وحماية مصالحهم.

وهكذا عقدت يومي 11 و12 مارس بمراكش الدورة الثانية للجنة القدس تلتها دورة طارئة في غشت 1980 برئاسة جلالة الملك، حيث دعت هذه الدورة على الخصوص الدول العربية والإسلامية استخدام جميع طاقاتها وإمكانياتها مع جميع الدول التي تتعامل مع قرار إسرائيل بضم القدس أو تؤيده أو تشجعه، أو تساعد على تنفيذه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وتشكيل لجنة تضم الرئيسين الراحلين الغيني، أحمد سيكوتوري، والبنغالي ضياء الرحمن، للعمل إلى جانب جلالة الملك في الاتصالات التي يرى جلالته إجراءها للعمل على مواجهة التطورات المستجدة في قضية القدس الشريف، وطبقا لتوصية تمت المصادقة عليها خلال هذا الاجتماع قام جلالة الملك بزيارة لفرنسا والفاتكان، عرض خلالها وجهة النظر الإسلامية بشأن وضع القدس وناشد المجموعة الأروبية تأييد حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وإقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني...

وخلال الفترة ما بين 18 و20 شتنبر 1980 انعقدت بمدينة فاس دورة طارئة لوزراء خارجية الدول الإسلامية، كلفت لجنة القدس بإعداد استراتيجية شمولية لتعبئة كل طاقات الدول الإسلامية لمواجهة الاعتداء الصهيوني على القدس...

وقد صادق على هذه الاستراتيجية مؤتمر القمة الإسلامي المنعقد في يناير 1981 بالطائف الذي أعاد انتخاب جلالة الملك بالاجماع على رأس لجنة القدس.



جلالة الملك الحسن الثاني يترأس إحدى جلسات لجنة القدس.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

كتب وحضر سنة ١٥ هـ

شهد على ذلك

خالد بن الوليد   عمرو بن العاص   عبد الرحمن بن عوف   معاوية بن أبي سفيان   عمر بن الخطاب



...هـذه الحجـارة أعلى صـوتـاً، وأكبر أثراً من كـل التصريحـات والخطب والمقالات والمؤتمرات...

إن الحجـــارة تكلمت... وستستمر تتكلم، إلى أن ينشـق عمـود الصبح - ويصبح المسجد الأقصى محرراً من العـوديـة، وللفلسـطينيين حق تقرير المصير.

المهم... أن تستمر هذه الحجارة... ولا تتوقف.

فهذا عصر الحجـارة المتكلمـة... ألا تعلم أن الحجـارة صـديقـة المسلمين ؟ وستقاتل معهم ضد اليهود ؟..

وها هي قد بدأت تتحرك بالفعل... ألم يبشرنا رسول الله ﷺ أننـا سنقـاتـل اليهـود في آخر الـزمـان، فنقتلهم حتى تقـول الحجـارة : يا مسلم... ورائي يهودي اقتله...

تلك هي «الحجارة الكريمة» التي تخرج من التراب، وتندس من بين الأصابع اللدنة الصغيرة، ثم تنطلق لتدافع عن اللحظة الماضية، والزمن الحاضر، والمستقبل الواعد الجميل...

إنه شعب جدير بالحياة، وحري بنـا ألا نـدعه يموت، وهـذا مـا صوره الشـاعر الكبير الأستـاذ محمـد الحلـوي... في هـذه الصرخـة المومنة...

— التحرير —

إذا الشعب يـومـــا أراد الحيـــاة ... رمى الطفـل أعـداءه بـالحجر !

ومن كره القيـــــد لم يكترث ... إذا مـــا تحـدى بـوخـز الإبر !

وقـــدم للمـــوت أبنـــاءه ... قرابين تقهر كـــــل خطر

تشـق الفضـــاء حنـــاجرهـــا ... وتـزحف في سيرهـا كـالقـدر !

تلـوح بـــالنصر أعــلامهـــا … مبشرة بـــــالغـــــد المنتظر
يـزلـزل صهيـون إعصـارهـــا … وترجف منــــه إذا مـــا انفجر
فلسطين ! يـــا جرح أمتنـــا … وعلقمهـــا في الـزمـــان الأمر
بكينـــاك حتى رقـــا دمعنـــا … ومـــا كـــان ينفـع يـوم انهمر
شغلنـــا عن القـــدس بـــالأقربين … ومن خـــان مـوثقـــه أو غـــدر !
ومن كـــان مثـل الحمـام الوديع … يردد أسجـــاعـــه في السحر...
تحـــول ليثـــا ! وليس بليث … وإن صـال في غـابـــه أو زأر !
وقـــالـوا تفـــاءل ! ولست أرى … طـلائـع فجر بـــه قـــد أسر
ولا صحـو في الأفـق يحيي المنى … وينعش، إلا انمحى واعتكر
لقـــاء يليــــه فراق يـــدوم … وليس لتـائــه مركبنـــا مستقر !
شغلنـــا عن القـــدس مسرى النبي … ومـولـــد عيسى ومهـــوى البشر
وعن دمـع راسفـــة في القيـــود … وعمن عثـــا في الحمى وفجر

☆ ☆ ☆

فيـــا غربـــة العرب في دارهم … ويـا لبشـاعـــة تلـك الصـور !
ويـــا للطفـولـــة ! كيف تراق … دمـاهـا الـزكيــة فيهـا هـــدر
تحـــدت براءتهـــا كـــل حقـــد … وشعت مـــلاحمهـــا بـــالعبر
وأيقظت الغرب من غفلـــــة … فكــذب مـــا قـــد رآه ـ الخبر !
وقـــد يركب الصعب من لم يجـد … سواه ويخرج عن صبره من صبر !
فمرحى لأطفـالنـــا في النضـــال … ومن سعروا الجمر حتى استعر
ومن رفضـوا القيـد من غـاصبيهم … وأدمـوا بـــه وجهـــه فـــانكسر
ومن أبلغـــوا صـــوت أمتنـــا … صغـارا ـ لمن قعـدوا بـالكبر !
وهـــزوا الضمــــائر وهي خراب … وكـانـوا الفتيـل وكـانـوا الشرر
فمـــذ رفعت يـــدهم حجرا … علا قـدره فوق غـالي الـذرر !
كـــأن الأبـــابيـل ترمي بهـــا … رجـوم عـــذاب وسيـــل مطر !
رأى كـــل حر حجـــارتهـــا … ومـــا صنعتـــه بهـــا فـــانبهر
ومـــا يفعـل القمـع في أمـــة … إذا عبـأت نشـأهـــا في الصغر
فكـــان قـلاعـــا يصـون الحمى … وكـــان شعـــاعـــا ينير الفكر
إذا ذكـر العرب أيـــــــامهم … فـأيـــام أطفـــالهم كـــالغرر !
فمن لي بيـــــــوم أرى أمتي … تعيـــد لأجيـــالنـــا مـــا غبر

☆ ☆ ☆

أيغمض جفن رأى صبيـــة ... مطـــاردة من رعـــاة البقر !
وكيف تلــذ لحر حيـــاة ... ومـلء السجـون ضحـايـا أخر
تعـاني الأسى خلف قضبـانهـا ... وترقب يـوم الخـلاص الأغر
هـو البغي ! مـا احتـد إلا انطفـا ... ولم يعـل إلا هـوى وانحـدر
ولـو زجر الكلب أسيـاده ... عن العيش في أرضنـا لانـزجر !
فـلا تعجبـوا من نهـايـة بـاغ ... إذا مـا تردى غـدا وانقبر
أحيي فلسطين أرض الفـداء ... وآيـاتهـا المعجـزات الكبر
وكـل شهيـد سقى قـدسنـا ... ليغسـل عنـه القـذى والقـذر
غـدا تشرق الشمس في كـل بيت ... وينبت في كـل قبر زهر
وتشـدو القلـوب نشيـد السـلام ... بـألف قصيـد وألف وتر
فلـو بعث اللـه من قبره ... صـلاحـا وعـاد إلينـا عمر
لمـا رضيـا العيش في أمـة ... تنـام على الضيم كـالمحتضر
وقـد يغفر اللـه كـل الـذنـوب ... وذنب فلسطين لا يغتفر !

للشاعر : محمد الحلوي

لو أن معهم أسلحة اليهود

رحم الله عبد العزيز الملك العبقري ابن الصحراء كان رأيه أصح من آراء الزعماء الذين خرجتهم المدارس والجامعات قال لهم : لا ترسلوا الجيوش إلى فلسطين. بل سلحوا أبناءها ودعوهم وهاكم الآن الدليل ترونه أمام أعينكم، الدليل على أن ما قاله الملك عبد العزيز هو الصواب، فكروا لو أن هؤلاء الذين هبوا اليوم، رجالا ونساء، كبارا وصغارا، يقاتلون بالحجارة، لو أن معهم أسلحة اليهود ؟

☆ ☆ ☆

وقال مثل قوله شيخ مجرب عركته الأيام وحنكته الأحداث هو فارس الخوري حين قال قولته المشهورة : إن مشكلة فلسطين لا تحل في أروقة الأمم المتحدة، ولكن على ثرى فلسطين بأيدي أبناء فلسطين.

يوم التضامن الإسلامي مع الشّعب الفلسطيني

للأستاذ
محمّد بن محمّد
العلمي

وفاء للتضامن والنضال،
وهذا الشعر يسعفني مطيعا،
وتأتيني المعاني مشرقات،
فشعب (المغرب الأقصى) دواما،
فمرحى بانتفاضة خير شعب
فلا يرضى، ولن يرضى خنوعا،
تنادي (لجنة القدس) البرايا،
وإن مليكنا (الحسن المثنى)،
يديم السهد في طلب المزايا،
فيدعو للثبات وللتفاني،
وكل المسلمين إليه أصغوا،
إذا (صهيون) أدلج في اعتداء،

تسود بأمتي روح الجلال،
يفيض بكوثر السحر الحلال،
محلاة بتيجان الجمال !
يراعي (القدس) في أسمى مجال !
يقاوم كله أدهى احتلال !
لشرذمة التمزق والضلال
بـ(يفرن) للتكتل والوصال
لروح جهاده أمسى يوالي،
وبالهول المداهم لا يبالي،
لأن البغي يؤذن بالزوال.
وقد فهموا نصائحه الغوالي !
وروع بالأذى كل الأهالي،

فلم يرحم صبيا أو عجوزا، ولا امرأة، وأسرف في التعالي،
فإن الأرض للأحرار كانت، وتبقى، رغم أصناف النكال !
سقاها من دم الشهداء سيل، فأدلوا بالجواب عن السؤال !
على هام الثريا قد أقاموا، وهان خصومهم تحت النعال !
وإن الحق مطلوب بشعب تعزز بالنساء وبالرجال
فلم ترهقه أصناف المآسي، ولم تقعده أحداث الليالي !
وللإرهاب جولته، ولكن، يصول الحق في صبح القتال !
ومن سقطوا فقد رفعوا صروحا من الأمجاد في ساح النزال
على أجسامهم يوم التنادي (تكسرت النصال على النصال) !
وإن (المغرب الأقصى) وفي، يساند أهله في كل حال.
وينزع عنهمو ضيما وهولا، فجوهره همو دون انفصال !
وتلك مذابح الإخوان هالت، فلا نحيا هنا بهدوء بال !
(فلسطين) الحبيبة مهد وحي، تناجت بالدعاء والابتهال
فكم صلى لها قلب نبيل، يحس ـ على النوى ـ وقع النبال !
وهذا (المسجد الأقصى) ينادي لثأر، وهو في شر انفعال !
ولا ينأى محيط عن خليج، فوحدة ديننا سر المعالي !
تصافحت الأيادي، من يمين، على عهد الإله، ومن شمال !
يخاف الخصم ذاك البعث منا، فيصعق بالبوار، وبالوبال !
بخطبة جمعة إنا أقمنا صلاة الغائب، الرمز المثالي !
(شريف الدين) شكرا ثم شكرا، على صدق السرائر والفعال ![1]
فإن الحق منتصر بصبر، جميل، لم يذق طعم المحال !
سعينا للسلام بكل جهد، وضقنا بالشرود والانحلال
ففي (صهيون) مأساة توالت على الدنيا بمكر واحتيال
ستصعقه الحقيقة دون شك، وتنسفه أساليب الخبال
ويصحو بعد نوم في سراب، ويغرق في السفاهة والخيال
فصبرا، دولة الإسلام، صبرا، ودومي في الجهاد وفي النضال :
(فلسطين) السليبة سوف تسمو بدولتها إلى أسمى مثال

١) المقصود شريف الدين بيرزاده، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

وفي (القدس الشريف) لهـا مهـاد حصين، قـد غـدا أزهى مثـال
وفي تلـك (المنظمـة) اعتصـام بشرعيـة المصير، بـلا جـدال[2]

☆ ☆ ☆

(فلسطين) اسمهـا في كـل جيـل ترصـع بـالجـواهر والـلآلي
فـإن سلمت سريرتنـا جميعـا فـإن المجـد ميـسور المنـال
(صـلاح الـدين) في بعث جـديـد يعـالجنـا من الـداء العضـال
ونحن بروحـه نرجو خـلاصـا، ففيـه لكلنـا بـدل اشتمـال
نلبي صـوتـه في كـل حين، بحـزم، وانتظـام، وامتثـال
ونحن فروعـه، منـه، إليـه، تصـون العهـد منـه بـاتصـال
نريـد العـز في الـدنيـا غـلابـا، فنحن بيـأسنـا شم الجبـال !
وهـذي دولـة الأبطـال مـدت إلى غـايـاتهـا أقـوى الجبـال
وهـذي أمـة الإسلام تحيـا، وتمضي في اتحـاد للكمـال !

الرباط : محمد بن محمد العلمي

لماذا تجيئون إلى باكستان ؟

...لما أوفدنا المؤتمر الإسلامي في القدس سنة 1953 م وهو المؤتمر الوحيد الذي حضرته في عمري والذي شرفني فناط بي لجنة الدعاية لقضية فلسطين ورحلنا من أجلها إلى أقصى الشرق، قابلنا غلام محمد رحمه الله، يوم كان الحاكم العام لباكستان، فعاتبنا متألما، يقول، بأننا جعلناها قضية عربية، فلماذا تجيء إلى باكستان، وليس أهلها من العرب. وكان يتكلم بحرقة وألم. فقلت : إن المسجد الأقصى لنا ولكم، لأنه مسرى محمد نبينا ونبيكم، والذي أوجب علينا الدفاع عنه، هو الله ربنا وربكم، فهب ان العرب قصروا، بل لو أنهم، لا سمح الله، ارتدوا، فهل ينجيك عند الله ان تترك الأقصى لأن العرب تركوه ؟ هل تصدقون، إن قلت لكم، إن جوابه كان الدموع تنزل من عينيه، وزال ما كان في نفسه من العتب وأولانا أكثر مما كنا نطلب منه.

علي الطنطاوي

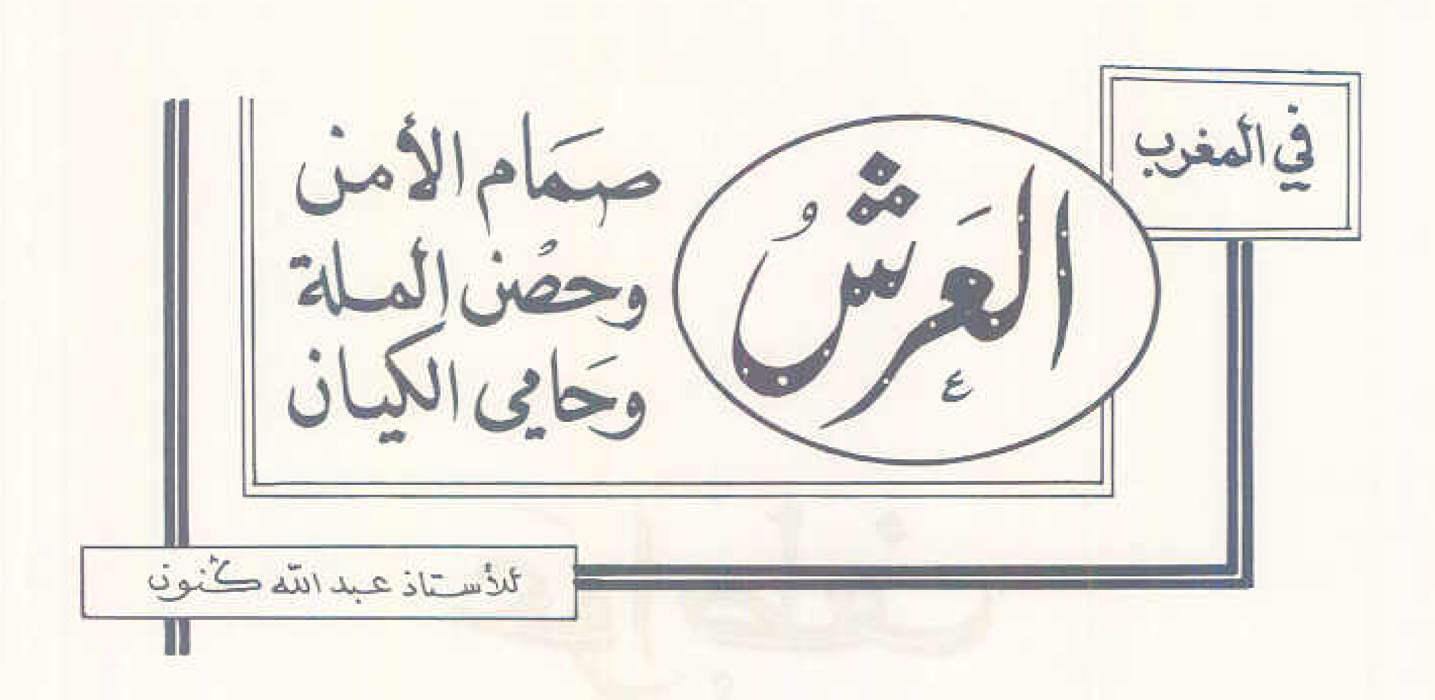
2) يعني أن الشعب الفلسطيني المجاهد البطل يواصل مسيرته الثورية النضالية، حتى ينتزع حقوقه الوطنية الثابتة، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير، وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة، وعاصمتها القدس الشريف، بقيادة منظمة التحرير، ممثله الشرعي الوحيد.

في نطاق إحياء التراث الإسلامي

كتب تحت الطبع

- كتاب "المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز" (لابن عطية الاندلسي)
  (الأجزاء 11 - 12 - 13)
- كتاب "التمهيد لما في الموطا من المعاني والأسانيد" (لابن عبد البر).
  (الجزءان 19 - 20)
- كتاب "إضاءة الراموس"... (لابن الطيب الشركي) - (الجزء الرابع).
- كتاب "أقرب المسالك إلى موطا الامام مالك (للفقيه محمد التهامي كنون).

عَواطِف وَمَشاعِر وَدِراسات



كما كنا ندافع عن العرش في عهد الحماية، للحفاظ على ذاتيتنا المغربية ووجودنا السياسي وكرامتنا الوطنية، وذلك باحتفالنا به وإظهار تعلقنا بالجالس عليه واعتبار يوم جلوسه عيدا قوميا نتبارى فيه بقصائد المدح والمنافحة عن رمز الدولة والمقالات التي تتحدث عن تاريخ المغرب وعظمة دولته، فإننا اليوم وقد مرت على استقلال المغرب قرابة ثلث قرن، نرى من الواجب الوطني أن نتمسك بهذه الذكرى الغالية، ذكرى عيد العرش، ونزيد اهتماما بها ونعتبرها كما هي في الواقع العيد الوطني لنا. ألم تصبح مقترنة بعيد الاستقلال ؟ وذلك من يمن طالع جلالة الملك الحسن الثاني وسعادة نقيبته، فقد وافق جلوسه على العرش تاريخ إبرام وثيقة الاستقلال أوائل مارس 1956 فأصبح العيد عيدين والفرحة فرحتين وحق للسان الحال أن ينشد قول الشاعر الملهم :

لا تقـــل بشرى ولكن بشريـــــــان
غرة الـــــدهر ويـــوم المهرجـــــان

ومن صنع الله لعبده الحسن الثاني أن يسر له القيام بأعمال كبيرة ومهمات عظيمة على الأصعدة الوطنية والعربية والإسلامية، يكفي الواحد منها لتخليد الذكر وانتشار الثناء على مر الأيام والسنين، وهو على مشاغله اليومية الكثيرة المتتابعة التي يتطلبها بناء الاستقلال ومواجهة الأحداث الناجمة عن تسيير مصالح الدولة، لا يفتأ من حين لآخر يطالع شعبه بمبادرات في ميدان التنمية الاجتماعية والاقتصادية تخترق حاجز الرتابة والجمود الذي يسيطر على شعوب العالم الثالث ويحول بينها وبين التطور المنشود كما نشاهد في بلاد كثيرة حصلت على الاستقلال ورضيت أن تنام في ظلاله نومة العروس، وإذا كان لها من تحرك فعلى جبهة الدس والتخريب أو التحرش بمن يقول ربي الله.

وها نحن أولا نتتبع خطواتهم ونرصد تحركاتهم، فمن منهم دعا إلى عقد مؤتمر إسلامي عام، عند إحراق المسجد الأقصى ولم شمل المسلمين في سكرتارية إسلامية تكون مرجعا لدول الإسلام عربيها وعجميها عند الاقتضاء ؟

من منهم سارع إلى جبهة القتال بعدده وعدده، وشارك في صد العدو ومنازلته في الأرض العربية والمصرية، وسالت دماء أبنائه وأبطاله في الجبهتين محققة معنى التضامن الإسلامي، والأخوة العربية ؟

من رأيناه جازف بمصالح بلاده في سبيل مصلحة العرب والمسلمين، بتحديه للثالوث الاستعماري في أكثر من قمة عربية، وفي لجنة القدس الأخيرة على الأخص، في حين تحلف المتبجحين بالرفض عنها وعن كثير من نظيراتها ؟

إن هذه المواقف العظيمة هي التي تجعلنا نتمسك بهذا العرش، ونعلي من شأنه، ونحافظ على وجوده، ونقابل الجالس عليه بمزيد من الإكبار والتعظيم والاحترام.

فقد أصبح العرش رمز وجودنا ومظهر طموحنا وغاية أملنا بصفتنا مسلمين معتزين بالإسلام متطلعين إلى اليوم الذي نراه فيه قد استرجع ماضيه المجيد وعزه التليد، وعلت كلمته على الكلم، مصداقا لقوله تعالى : **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾.**

إننا بمثل هذه المواقف نحمي أنفسنا والناس، نضمن أمننا وأمن العالم الإسلامي، فالأمن لا يأتي من الخارج، ويخطئ كثيرا من يظن أن المستوردات من الأفكار والاديولوجيات تحمي مستورديها وتكفل لهم نصرة أصحابها جاهلا أو متجاهلا أن اضطراب حبل الأمن في بلاد الإسلام إنما نشأ مع الأنظمة التي تبنتها وفرضت سيطرتها على الناس ولعل بعضهم يتهموننا بأننا ممن يحرق البخور ويتملق السلاطين وأصحاب العروش، ولأن نكون من هؤلاء أولى من أن نكون من عملاء المتسلطين دعاة التغريب أو التشريق وفي الحق نحن إنما يهمنا أمر الإسلام وانتصار دعوته، وهي لا تنتصر إلا على يد أبنائها المومنين بها، وطال الزمن أم قصر فالمسلمون لا يستجيبون إلا لدعاتها وحاملي لوائها، ويبقى النافخون في أبواق الدعاية المرفوضة من يمينيين ويساريين تضرب بهم الأمثال في الريادة الخائنة كما تضرب بأبي رغال.

إن صبغة الله، وهي الملة الإسلامية، لا تغيير لها، وكم حاول أصحاب النحل والأهواء قديما وحديثا أن يجدوا لها بديلا ويبغوا عنها حولا، فكانوا إنما يزيدونها بريقا ولمعانا، وثباتا ورسوخا، في حين يذهب الله بباطلهم ويتركهم في ظلمات لا يبصرون :

كل الصباغ يحول لون صباغها
وصباغ هاذي حين طال تجددا

ذلك هو الدين الحنيف، والعروة الوثقى، والنظام الإلهي الذي يجدد في المغرب حصنا حصينا وملاذا منيعا بالعرش العلوي المجيد، دام مجده وعلاه.

وننظر في المغرب، وهو الدائرة الخاصة والمنطلق الطبيعي لنشاط العرش وعمله الدائب، فلا يمكننا في هذه العجالة الضيقة أن نلم بما يقوم به العرش العلوي من مبادرات وما يخططه من مشروعات ترمي كلها إلى تنمية هذا البلد العريق ماديا ومعنويا وتحديه للزمن الذي قعد به حينا عن مسابقة جيرانه ومنافسيه في مضمار الرقي والحضارة، فهو في نضال مستمر وتطلع دائم للوقوف في مصاف الدول المصنعة والمتطورة والعاملة لحماية كيانها وصيانته من كل تسور وتدخل وهيمنة وتطاول لأي كان قريبا أو بعيدا، ولنذكر فقط حدث القرن الذي فاجأ به الغرب والشرق، وهو تنظيم المسيرة الخضراء لاسترجاع الصحراء المغربية التي كانت إسبانيا تسيطر عليها، فبعدما فشلت الجهود السلمية المبذولة بواسطة الأمم المتحدة وتحكيم القضاء الدولي الذي أنصف المغرب باعترافه بحقه في هذا الجزء المغتصب من أرضه، كان ذلك بمثابة الضوء الأخضر لانطلاق 350.000 من المواطنين المتحمسين لوحدة التراب الوطني ونبذ الحكم الأجنبي عن كل شبر من أرض المغرب، معرضين أنفسهم للأخطار في سبيل الوحدة والحرية، مما جعل العالم يقف مستغربا وناظرا ما يسفر عنه هذا التدبير الشجاع، فلم يكن إلا أن خام مجلس الأمن الذي رفع العدو إليه القضية، فنصحه بالتفاهم مع المغرب، وطار مندوب إسبانيا إلى مراكش حيث كان جلالة الملك قائما على قدم وساق يرقب المسيرة ويرعاها بعنايته التامة، وألقت إسبانيا باليد وأنزلت راية الاستعمار ورفعت الراية الوطنية بمقر الحاكم الأجنبي وعزفت الموسيقى النشيد الوطني المغربي وسلم الحد لمحدوده ولم

ينتطح في الأمر عنزان إلا وعلا أجرب جن جنونه فجعل يضرب رأسه يمينا ويسارا بالحالة التي قال فيها الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وهذا الأسلوب الحكيم الذي استنقذ به جلالة الملك الحسن الثاني الصحراء المغربية من براثن الاستعمار الذي كان يعوز المفاوضين على استقلال المغرب فضيعوا الصحراء الشرقية وغيرها مما لا يقل أهمية عن إقليم الصحراء المسترجع، وبذلك عرفت عبقرية الحسن الثاني وحصافته السياسية والقانونية، فكيف لا يكبر الشعب المغربي عاهله المفدى ويعدون يوم جلوسه على عرش آبائه المنعمين عيدا وطنيا ويوما متميزا من أيام السنة، لا سيما مع ما يقترن به من منشآت ومؤسسات يأبى جلالته إلا أن تكون هي مظاهر الفرحة ومعالم البهجة التي تقام في كل إقليم إقليم، ويتسابق المحتفلون من القطاع الرسمي والخاص إلى تدشين ما أنجزوا من أعمال عمرانية وحضارية تسهم في تطور البلاد وتقدمها الاجتماعي والاقتصادي.

إن عيد العرش في المغرب هو باختصار عيد البناء والتشييد وتثبيت أركان الدولة وإبراز هوية المغرب وربط الحاضر بالماضي والتخطيط للمستقبل الزاهر، فليباركه الله وليجعله فرحا دائما وليحفظ الجالس عليه وليبقه رائدا للعز والنصر والفتح المبين في شؤون الدنيا والدين.

كلمات عبد الله كنون

جنود أردياء تحت قيادة رديئة...!

لعل أجمل ما يقرأ عن أطفال غزة والضفة الذي يستخدموه المقلاع لرشق الجيش الإسرائيلي بالحصى، هو ما كتبه، في هذا الشأن «نيل اسكريرسون» في «الأوبزفر» البريطانية، يقول بالحرف :

«...ثمة جيوش عبقرية حقا في خوض الحروب، والأمثلة على ذلك كثيرة : الجيش الألماني قبل هتلر. الجيش الأحمر بعد هزائم 1941. اللواء الثامن في الجيش البري الصيني. الفيتناميون بقيادة الجنرال جياب حين طردوا الفرنسيين ثم الأميركيين. والجيش الإسرائيلي الذي حقق الانتصارات السريعة في العام 1967.

«غير أن «العظمة» في أي جيش هي مسألة عابرة. فالقادة لا يلبثون أن يتبلدوا فوق أكاليل الغار ويبدأ العفن والتآكل. فالصينيون أظهروا عجزا مخزيا أمام الفيتناميين في القتال على الحدود، والفيتناميون بدورهم يبدون عاجزين عن حسم القتال مع «الخمير الحمر» وحلفائهم في كمبوديا. أما بالنسبة إلى الإسرائيليين فان الصور التي يحملها إلينا التلفزيون من غزة والضفة الغربية تترك لدينا الانطباع بأننا هنا أيضا أمام جيش فقد الزمام على أعدائه وعلى نفسه. فنحن عندما نرى الجنود وقد فقدوا بكل وضوح عقلهم وأعصابهم، يطلقون النار بوحشية على المتظاهرين ويلبطون ويرفسون ويتصرفون مرعوبين مثل غوغاء لا مثل جيش... عندها نستطيع أن نسجل أن هؤلاء جنود أردياء تحت قيادة رديئة...».

تحية عاطرة وتهنئة خالصة إلى أمير المومنين

بمناسبة ذكرى جلوسه على عرش أجداده المنعمين

للشيخ محمد المكي الناصري
رئيس المجلس العلمي للعدوتين

مولاي أمير المومنين

لقد حفظت دواوين السنة النبوية كثيرا من حقائق الدين، التي روتها عائشة أم المومنين رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ، فكانت هي مصدرها المباشر، أو مصدرها الوحيد، وامتازت عن غيرها بما نقلته إلينا من صفات رسول الله ﷺ في خلقه وحاله وعمله، وامتازت أكثر من ذلك بالتعبير عن تلك الصفات النبوية الطاهرة، في كلمات خالدة، جامعة مانعة، يمكن إدراجها في «جوامع الكلم»، فقالت في وصف أخلاق رسول الله ﷺ : «كان خلقه القرآن»، وقالت في وصف جهاده المتواصل والدائم، لبناء صرح الإسلام على أمتن الأسس وأقوى الدعائم، هذه الكلمة المعبرة والمصورة في آن واحد : «من رأى رسول الله ﷺ فقد رآه غاديا رائحا، لم يضع لبنة على لبنة، ولكن رفع له علم فشمر إليه»، تشير بذلك إلى ما بذله رسول الله ﷺ من جهود وطاقات، في سبيل غرس شجرة الإيمان وسقيها، وتعميق جذورها، وتقوية فروعها وأغصانها وإلى أنه ﷺ لم يعرف فتورا ولا راحة، ولا هوادة، في تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة، منذ أن بعثه الله، إلى أن لقي الله.

ونحمد الله على أن أمير المومنين الحسن الثاني قد اتخذ من جده المصطفى عليه السلام خير أسوة، وأفضل قدوة، فمنذ رفع له العلم - علم الامامة العظمى في هذا البلد - شمر إليه، لا هم له إلا مواصلة السعي، لتحقيق الهدف النبيل الذي عاهد الله عليه. ألا وهو تحقيق سعادة شعبه وإبلاغه مناه، وقيادته إلى طريق الصلاح والرشاد في دينه ودنياه.

مولاي

يقول الله تعالى : ﴿**كلا والقمر، والليل إذا أدبر، والصبح إذا أسفر، إنها لإحدى الكبر، نذيرا للبشر، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**﴾ سورة المدثر 34 - 37). فلم يشر كتاب الله بشيء إلى من شاء أن يقف في الطريق، إذ في مفهوم الإسلام لا ينبغي أن يقف أحد في الطريق البتة، فالإنسان سائر لا واقف، إن لم يكن في تقدم فهو متأخر لا محالة، وإنما يتخالف السائرون في جهة المسير، وفي السرعة والبطء، وإذا وقف أحدهم فإنما يقف ليجم نفسه، ويعدها لمواصلة السير، ما هي إلا مراحل تطوى أسرع طي، إما إلى الأمام، وإما إلى الوراء.

ونحمد الله على أن أمير المومنين الحسن الثاني لم يعرف منذ حمل لواء الأمانة، واعتلى عرش أجداده المنعمين، إلا السير بامته قدما، على ضوء التوجيه السليم، الذي جاء به الذكر الحكيم، فلا وقوف في منتصف

الطريق، ولا تراجع إلى الوراء، وإنما هو السير المتواصل إلى الأمام، على بصيرة وهدى، وفي عزم ومضاء، وإذا كانت هناك وقفة قصيرة فإنما هي وقفة تحفز واستجمام، يعقبها الزحف من جديد إلى الأمام، على بينة واستعداد لتحمل أكبر المسؤوليات وأثقل الأعباء.

مولاي

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم بمعاذ بن جبل، فقال له عمر : «ما قوام هذه الأمة يا معاذ ؟ «فأجابه معاذ قائلا : «قوام هذه الأمة ثلاث، وهن المنجيات 1) الإخلاص، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها 2) والصلاة، وهي الملة 3) والطاعة، وهي العصمة» فقال عمر : «صدقت يا معاذ. وسئل أحد حكماء الإسلام عن «الحكمة» ما هي ؟ فقال : «الحكمة هي فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي».

فليهن أمير المومنين ما يتمتع به من حكمة وشجاعة وإقدام، وما يلقاه على الدوام من «استجابة شعبه الهمام» الذي لا يعرف معنى للتأخر والاحجام، ولا يزداد إلا ثقة بحكمة رائده وقائده «الإمام»، وليدم الله على جلالتكم نعمة السداد والتوفيق، حتى يظل عرشكم حارسا أمينا لمقدسات شعبكم، ورافعا راية العروبة والإسلام.

مولاي

زاد الله في معناكم، وسدد خطاكم، وأبقى شجرتكم العلوية وارفة الظلال، وسلسلتكم الذهبية موصولة الحلقات عبر القرون والأجيال، وحفظنا فيكم وفي سمو ولي عهدكم المحبوب سيدي محمد وصنوه السعيد مولاي رشيد، وانبت ذريتكم نباتا حسنا، في عافية وسلامة وعمر مديد، ورحم الله بطل العروبة والإسلام، والدكم المقدس، محمدا الخامس أب المغاربة أجمعين، وجعل مقامه ومقام شقيقكم المرحوم بكرم الله سمو الأمير مولاي عبد الله في أعلى عليين، وأبقى بركة والدكم ورضاه سارية فيكم وفي عقبكم إلى يوم الدين آمين.

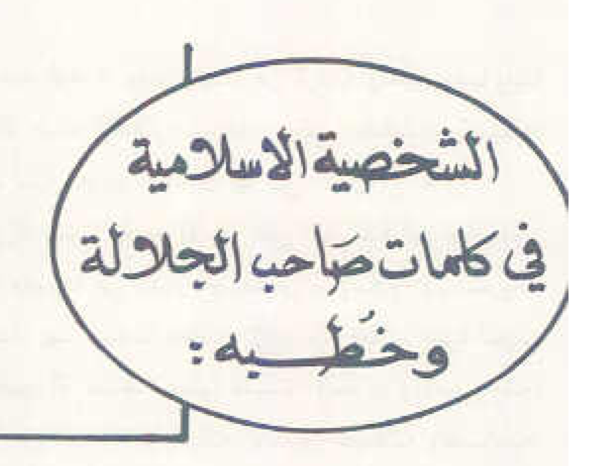
الرباط : محمد المكي الناصري

سلاح الحجارة

في تاريخ فرنسا حرب كان سلاحها الحجارة يرمونها من المقلاع. لما تسلم «مازاران» الكاردينال الإيطالي رياسة الوزراء في فرنسا، وكان هو الحاكم فيها بعد «ريشيليو» في أواسط القرن السابع عشر قبل الثورة الفرنسية على عهد لويس الخامس عشر، ثار عليه الشعب حربا كان سلاحها الحجارة والمقاليع.

إن اليهود لم يعودوا يخيفون أحدا، وهؤلاء أطفال فلسطين يقابلون أسلحتهم بالحجارة...

ومتى كان اليهود أهل قتال ؟ أيوم قال لهم رسولهم : قاتلوا ـ فقالوا : (اذهب أنت وربك فقاتلا) ؟ أم يوم دعاهم إلى دخول البلد فاتحين، فارتجفوا كالشياه المذعورة وقالوا : «إن فيها قوما جبارين، وإنا لن ندخلها ما داموا فيها»....



الإسلام

حضارة وفضيلة وأخلاق ومنهج

للأستاذ أحمد أفزاز
رئيس المجلس العلمي بوجدة

إن رؤية أمير المومنين جلالة الحسن الثاني أعزه الله للإسلام عميقة في أصوله وأحكامه، بعيدة في اكتشاف أسراره وأنواره، شاملة لتاريخه وأطواره، نجد ذلك في كل خطاب تعرض فيه حفظه الله لنظرة من نظرات الإسلام أو لجانب من جوانبه الأصلية أو الفرعية.

وكمثال على هذا العمق في الرؤية الإسلامية نقرأ حديثه أيده الله لصحيفة كويتية نشر منذ عهد غير بعيد[1]

في إحدى الفقرات يقول نصره الله : «**هذه هي كلمتي كمسلم وكعربي لأنه كيفما كان الحال وخلافاً لما يعتقده البعض من أن الإنسان يمكن أن يكون عربياً دون أن يكون مسلماً**».

إن الإسلام قضى الله عز وجل أن يكون الدين الذي ينظم حياة الناس منذ بداية الإنسانية في الوجود، فكل الأنبياء والرسل كانوا يرفعون شعار الإسلام، ويعتبرون رسالاتهم خطوة في تعبيد الطريق، وتمهيداً للرسالة الخاتمة التي جاءت بالقرآن مع بعثة رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

والمسلم يحكم ارتباطه بهذا الدين عقيدة وسلوكاً، لم يبق له شعار آخر غير الإسلام، يرفعه في بداية تصور وتحديد محيطه، ثم تأتي بعده الانتماءات الجغرافية الأخرى في مرتبة لاحقة.

وهذا التمسك بالانتماء الإسلامي، قبل كل شيء، نجده واضحاً وبارزاً في الفقرة التي قرأناها لأمير المؤمنين وفي مقدمتها هذه الجملة «**هذه كلمتي كمسلم وكعربي**».

إننا نعلم أن الإسلام هو الذي كرم العرب ورفع من شأنهم عندما ربطهم بهذا الدين، فاختار الله خاتم النبئين منهم، وأنزل عليه الكتاب بلغتهم وجاءت السنة بلسانهم، وكل التدوينات والمؤلفات التي نشأت في إطار العقيدة الإسلامية في المرحلة الأولى كانت باللغة العربية، فغاص الفقهاء والعلماء بواسطتها في فهم أسرار القرآن والسنة، واستنباط الأحكام منهما، ورسم معالم الطريق على هديهما، ولكن مع ذلك كانت عالمية الإسلام وشمولية رسالته للناس كافة الأصل الذي يقوم عليه هذا الدين، ولذلك جاءت الشعوبية والقبلية بهدف التمييز فقط، وللتعرف على هذا

1) جريدة العلم 1987/11/5.

الإنسان المسلم ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾[2]. إن وجود العرب كشعب لـه جذور عميقة أمر مسجل في التاريخ الإنساني، إلا أن الهيمنة الإسلامية عليهم عقيدة وشريعة صنعت منهم جنود هذا الدين، وحماته، والمبشرين به، والحاملين لرايته، في الاتجاهات الأربع، حتى إذا بلغ أقصى الشرق والغرب صار كل حامل للعقيدة جندياً مدافعاً عنه، ينشره وهو يحميه بالسلاح، ويدعو إليه وهو يتجر في الأسواق، ويتصاهر في القبيلة، فيحول سلوكه الإسلامي أفرادها إلى عقيدة التوحيد، ومنهج الإسلام، وتبقى قاعدة الانتماء إلى الإسلام، أولاً هي أساس كل تطور وارتقاء، فإذا تحدث من التاريخ فللإسلام، وإذا عرض مجد الأباء فبالإسلام، وإذا سجل معركة فمن أجل الإسلام وحماية الإسلام والدعوة إلى الإسلام.

هذا المنهج في تصور الشخصية الإسلامية هو ما نلاحظه في خطاب أمير المومنين كلما تحدث عن الإنسان المسلم فيصافحه أو لا، بواسطة عقيدته ليسمو به فوق الجهوية والإقليمية الأرضية، «هذه كلمتي كمسلم،...».

ولزيادة ترسيخ هذا التصور يجعل حفظه الله الأسرة الإسلامية هي أسرة العرب الأولى.

الأسرة الإسلامية بمعناها الخاص القائم على مفهوم النظام المحدد لأحكام الأسرة في الفقه الإسلامي، تكون بداية حقيقية لأسرة العرب، التي أعطيت الوزن الكامل في نظام الحياة، فنظام الأسرة العربي عندما بنى قواعده وأصوله وأحكامه على هدى القرآن والسنة بعد بعثة المصطفى ﷺ صار النموذج المقتدى به، فبداية العلاقة الاجتماعية لتكوين الأسرة تنطلق أصلاً من التصور الإسلامي فموقع المرأة في الأسرة العربية حدده الإسلام، وحماية حقوق الطفل لدى العربي وضع الإسلام لها المنهج الذي يجب أن تسير عليه بداية باختيار الأم المتمسكة بدينها «فاظفر بذات الدين تربت يداك»[3] وانتهاء بحفظ قيمته بعد الوفاة. وما بينهما من تربية وتعليم ومسؤولية كل ذلك حدد الإسلام مسيرته، ووضع مخططه وتصميمه، فصارت أسرة العرب المقتدى بها هي الأسرة الإسلامية.

وإذا عممنا مفهوم الأسرة على الجماعة العربية، فإن أهميتها ودورها في التاريخ يلتصق بالإسلام، وبالشريعة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ، ولا تعطى ميزة للعرب ولتاريخهم، إلا عندما حملوا عقيدة الإسلام، ورفعوا رايته، ودافعوا عن حدوده وأركانه، ونشروا عقيدته ونظامه، وأصبحت أغلب الشعوب التي تعتنق الدين الإسلامي، وتومن بعقيدته ودعوته، عربية اللسان والنظام في حياتها الخاصة والعامة، فارتقت النظرة إلى الأسرة العربية كجماعة بحملها لرسالة الإسلام، ونشرها لأصوله وأحكامه، وأظهارها الإسلام «**حضارة وفضيلة وأخلاقاً ومنهجاً**» كما جاء في حديث جلالة الملك.

1) الإسلام حضارة :

إن رسالة الإسلام دعوة إلى الإيمان بالله، إيمان يقوم على العلم لا على الجهل، فأول آياته نزلت اعتمدت على العلم كوسيلة للبناء الإسلامي ﴿**إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾[4] ومؤدى العلم استعمال العقل والفكر والنظر للخلق والإبداع، وذلك بداية الطريق لخلق الحضارة الإسلامية.

ولو تتبعنا النصوص الإسلامية في الكتاب والسنة وما جاءت به في الحث على العلم والتعلم والتعليم، وما تضعه من مرتبة عالية للعلماء، لوجدناها تضيق بها الصفحات والمجلدات، ويمكن أن نقول بأن موقع العلم والعلماء في الشريعة الإسلامية كان الانطلاقة الأساسية في بناء حضارتها، ويأتي بعد ذلك كعنصر من حضارة الإسلام موقع الإنسان في نظامه وأحكامه.

لقد خلق الله الإنسان وكرمه، وجعله في أحسن تقويم، وهيأة ليتحمل مسؤولية الأمانة، وجاء الإسلام فجعل

---

2) الآية 13 من سورة الحجرات.

3) نهاية حديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الرضاع باب استيجاب نكاح ذات الدين.

4) الآيات 3 و4 و5 من سورة العلق.

تقدير هذا التكريم، والنظر فيه، والاهتمام به، جزء من عقيدة المسلم وفكره، ولم يميز الإسلام بين انتماءات المسلم الجغرافية أو العرقية أو السلالية، وجعل أساس هذا قول الله عز وجل : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.(5)

وهكذا جاء تصور الإسلام للإنسان، وعلى أركان هذا التصور بنى حضارته.

ثم يأتي بعد التصور الفردي للإنسان في الإسلام التصور الجماعي أي حياة الإنسان ضمن الجماعة الإسلامية وداخل النظام الإسلامي.

فالعلاقة بين الفرد والمجتمع في الإسلام علاقة قائمة على الأخوة ﴿إنما المومنون إخوة﴾.(6)

وتأمين سلامة المسلم في ماله ودمه وعرضه أمر واجب على المسلم، فردا كان أو جماعة، حاكماً أو محكوماً «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله، وعرضه».(7)

ويبلغ الإسلام درجة عالية في نظامه الاجتماعي عندما يضع للفقير حقاً في مال الغني، لا يكمل إسلامه وإيمانه إلا بأدائه، فيربط العلاقة المادية والتصرف في المال وهو من أحب الأشياء إلى النفس، بالعلاقة الروحية الإيمانية فيكون بذلك زاوية هامة من زوايا حضارته.

وإذا عرجنا على حضارة الإسلام في نظام الحكم نجده يضم الأسس والأصول والإطار الذي يجب أن تقوم عليه أركان الدولة والأمة، وهما البيعة والشورى.

فالبيعة تضع للأمة القائد الرائد الذي يحكم أمورها ويسير بها نحو أهدافها العليا، والشورى تنظم الجهاز الذي يساعد الخليفة الإمام في القيام بمسؤولياته الدينية والدنيوية، ونحمد الله في هذا الجزء الغربي من العالم الإسلامي على أن جمع أهله على التمسك بهذا المنهج الإسلامي منذ دخول المولى ادريس الأول (4 رمضان 172 هـ) إلى اليوم وهو دليل على تمسك المغاربة بهذا الرباط الحضاري مع الإسلام.

وللحضارة الإسلامية، موقف في كل الفروع الإدارية لتسير الدولة في تنظيم جيشها وعمل ولاتها، وحكم قضاتها وتعلم أبنائها، وحركة المحتسبين فيها، وغير هؤلاء ممن يباشرون سلطة التنفيذ أو القضاء، ولا داعي لبسط الكلام في ذلك.

2) السلام فضيلة :

الصيغة الثانية التي لفتت الانتباه في حديث أمير المومنين هي «الفضيلة» فالإسلام دين حضارة وفضيلة.

الفضيلة صفة للسلوك على المستوى العالي في الجماعة الإنسانية، وإذا بحثنا عن موقع الفضيلة في الإسلام نجدها هدفا في كل تعامل بشري.

ففضيلة الصدق، والحث عليه، ورفع درجة التعامل به، نجد نصوص الإسلام مليئة بإبراز أهميته، وقيمته، يقول الله تعالى : ﴿**والذي جاء بالصدق وصدق به أولائك هم المتقون**﴾.(8)

ويقول : ﴿**ليجزي الله الصادقين بصدقهم**﴾.(9)

النصوص التي تحث على الصدق وتبين أهميته في العلاقات العامة كثيرة في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله ﷺ.

وفضيلة الأمانة نجد مكانتها بارزة في التربية الإسلامية، فهي علامة من علامات الإيمان، فإذا حلت محلها الخيانة كان ذلك من علامات النفاق، واعتبر صاحبها خائنا لله ولرسوله ولجماعة المسلمين، «**ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون**﴾.(10)

وفضيلة الإحسان والبر، أخذت في التوجهات الإسلامية الحيز الكبير، ابتداء من الإحسان بالوالدين «وبالوالدين إحساناً».(11) التي تكررت في القرآن خمس

5) الآية 13 من سورة الحجرات.
6) الآية 10 من سورة الحجرات.
7) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب.
8) الآية 33 من سورة الزمر.

9) الآية 24 من سورة الأحزاب.
10) الآية 27 من سورة الأنفال.
11) الآية 83 من سورة البقرة.

مرات مقرونة أحياناً بتخصيص العبادة لله، إلى الإحسان والبر في التعامل البشري، «واداء إليه بإحسان».[12]

وفضيلة صلة الرحم، وتحريم قطيعتها، دلت عليها آيات وأحاديث متعددة، تكتفي منها بقول الله تعالى : **﴿وأولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين﴾**،[13] وروت سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «الرحم معلقة بالعرش، تقول : من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».[14] فأين هذا من (فضائل) أهل الغرب الذين شرعوا يخرجون أباءهم من بيوتهم، ويرمونهم في الشوارع ليحملوا بعد ذلك لدور العجزة والشيوخ.

ويحث الإسلام على صلة أصدقاء الأب والأم، وعلى عيادة المريض وإزالة الأذى من الطريق، والمشي مع الجنازة، والرفق في التعامل مع الإنسان والحيوان، كما يحث على التعاطف، والتعاضد، والتراحم، بين المومنين بصفة عامة، وقد لا يسع المقال لعد كل أوجه الفضيلة في الإسلام.

3) الإسلام خلق :

ونصل إلى الصفة الثالثة للإسلام في حديث أمير المومنين وهي أن الإسلام دين الأخلاق.

إن حضارة الإسلام الأخلاقية وضعت كل القواعد والأصول التي يقوم عليها هذا الجانب من التربية الإسلامية، حتى أصبحت تكون الموسوعة الأخلاقية للإسلام، ولنا في رسول الله ﷺ النموذج الأعلى للخلق الإسلامي، فقد شهد له بذلك الله عز وجل فقال : **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**.[15] وروى عن سيدنا أنس رضي الله عنه أنه قال : «كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً»،[16] وروى مالك في الموطأ أنه ﷺ قال : «بعثت لأتمم حسن الأخلاق»،[17] وحسن الأخلاق يدخل فيها الخير كله : الدين والفضل والمروءة والإحسان والكرم والعدل وصلة الرحم، والصدقة وإفشاء السلام، والرد عليه بأحسن منه، والاذن قبل الدخول للمكان، والحب في الله وغير ذلك من محاسن الأفعال.

وإذا لبس الإنسان مكارم الأخلاق ومحاسنها وتحلى بها، فإنه يكون في نفس الوقت متخليا عن السيء منها، متجنباً إياها فيعفو ولا يغضب، وييسر ولا يعسر، ويصل ولا يقطع، ويبتعد عن سوء الظن والتحاسد والتباغض..

«إن مكارم الأخلاق هي التي تصنع الرجال وتنهض بالأمم وتصل بها إلى أبعد الغايات، في العلم والعمل، وترقى بها إلى الذروة في الصناعة والزراعة والتجارة وسائر شؤون العمران».[18]

4) الإسلام منهج :

والكلمة الرابعة الجامعة لكل أصول الشريعة وأحكامها هي اعتبار الإسلام منهجاً ينظم حياة الفرد والجماعة في كل المجالات وفي جميع أنواع العلاقات.

وأصول المنهج الإسلامي وينابيعه هما الكتاب والسنة، وإعمال الرأي الصحيح في نصوصهما لاستخراج الحكم المطابق لمقاصد الشريعة، ومصالح الأمة الإسلامية، إن المنهج الإسلامي لايترك الإنسان ليسير نفسه تبعاً لهواه، ولكنه يخطط له طريق المسار، ويحيطه بالبيان والتوضيح، والإرشاد والتوجيه ويقول له في الأخير : **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾**.[19]

إفعل هذا، ولا تفعل هذا، هو جامع منهج الإسلام، هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، وهذه سبل وشعب على اليمين واليسار، فلا تتبعوها، لأنها تفرق، هذا هو الإسلام وهذا هو الدين **﴿قل انني هداني ربي إلى صراط مستقيم، ديناً قيما ملة إبراهيم حنيفاً﴾**.[20] والطريق

12) الآية 178 من سورة البقرة.
13) الآية 6 من سورة الأحزاب.
14) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب.
15) الآية 4 من سورة القلم.
16) أخرجه البخاري في كتاب الآداب.
17) أخرجه مالك في الموطأ في باب ما جاء في حسن الخلق.
18) دعوة الإسلام للسيد سابق.
19) الآية 153 من سورة الأنعام.
20) الآية 161 من سورة الأنعام.

المستقيم هو أقرب الطرق للوصول إلى الهدف كما هو مقرر عند أصحاب التخطيط.

وروى النسائي في سننه عن عبد الله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ثم قرأ: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾** الآية.

وللإسلام منهج في كل ما يتعلق بسلوك الإنسان، ففي العقيدة يعتمد المنهج الإسلامي على التوحيد، بمعنى الشهادة بأن الله واحد منفرد في ذاته وصفاته، لا نظير له ولا شبيه، بيده الملك والتدبير وهو على كل شيء قدير.

وفي العبادة يأمر الله عز وجل بعبادته وحده وعدم الإشراك معه، **﴿واعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً﴾**،[21] وتخصيص الله بالعبادة يقتضي تنفيذ منهجه في هذا الميدان بالطريقة التي أمر بها، وشرعها لعباده، ويرتبط بذلك الالتجاء إليه وحده لطلب منفعة، أو دفع مضرة، أو التوبة عن معصية.

والعبادة شرعت لتربية الإنسان المسلم وتهذيب نفسه، وغرس الجوانب الإيجابية في سلوكه لصالحه ولمصلحة أمته، وانتهائه عن السلبيات والمنكرات.

والمنهج الإسلامي في البيت قيامه على علاقة شرعية بين الرجل والمرأة، قائمة على التساكن والمودة والرحمة **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾**.[22]

وهدفه تكوين أسرة تحفظ النوع الإنساني، وتكثير سواد الأمة، وعلو الغايات الإنسانية، والقيام بالتكاليف البيتية، ويتدخل المنهج الإسلامي في بناء البيت فيحث على الظفر بذات الدين، كسبب رئيسي في الاختيار، وإذا توفرت معه الأسباب الأخرى فلا بأس به.

وإذا كانت الزوجة من ذوات الدين، والزوج ملتزم مع الله في إسلامه وإيمانه، تربى الأولاد تربية صالحة، وظهرت آثار المنهج الإسلامي في الأسرة، وقام البيت بإعداد الإنسان المسلم إعداداً كاملاً وشاملاً لمواجهة الحياة الاجتماعية الإسلامية.

ومنهج الإسلام في التعامل مع المال قائم على أساس السعي من أجل الحصول عليه من طرقه المشروعة، وإنفاقه فيما يرضي الله ورسوله.

ويكفي لبيان قيمة المال في الإسلام، أن الله جعل من أصول الإسلام الزكاة، وتحقيق هذا الركن لا يتم إلا بالاستغناء، والحصول على قدر من المال، سواء كان ممثلاً في عروض تجارية، أو نقود سائلة، أو ثروة حيوانية أو زراعية.

وجعل الإسلام حفظ الأموال من كليات قواعد الشريعة وضرورياتها الخمس، واعتبر الجماعة الإسلامية مسؤولة عن حماية أموال أفرادها، إذا لم يحسنوا التصرف فيه **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾**.[23]

ومنهج الإسلام في علاج المشاكل الاجتماعية يقوم على أساس علاج الأسباب التي تؤدي إليها، فالقرآن عندما يأمر بغض البصر، يحمي نفس الإنسان من الوقوع في المعصية، وهو يأمر من جهة ثانية المرأة بعدم الكشف عن مفاتنها وعوراتها حتى تحمي الرجل من النظرة الأولى، ونوعية هذا العلاج في التخطيط الإسلامي يحفظ أعراض المسلمين وأنسابهم من السوء، وللإسلام تخطيط محكم في التربية ومعاملة الطفل، وفي التكافل الاجتماعي وفي الاقتصاد وغير ذلك من وسائل الحياة الإنسانية.

وإذا خرجنا عن المحيط الإقليمي إلى المحيط الدولي نجد للإسلام منهجاً في التعامل الدولي سواء في وقت السلم أو في وقت الحرب.

---

21) الآية 36 من سورة النساء.
22) الآية 161 من سورة الأنعام.
23) الآية 5 من صورة النساء.

فالمنهج الإسلامي يدعو أصلا إلى السلم ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾،[24] ويقول تعالى : ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين**﴾.[25]

ولكن الإسلام في نفس الوقت يضع الأحكام والقواعد التي تضمن حرية الدعوة، وحماية الدعاة، اعتماداً على أن رسالة الإسلام رسالة عالمية، وعرض الإسلام على الناس كافة أمراً واجب، والاعتراض على ذلك بالعنف يكون اعتداء يفرض الرد عليه بالمثل، حتى تفتح الطريق أمام دين الله، ودعوة الناس إلى الحق والخير والعدل والإحسان.

ويأمر الرسول ﷺ المحاربين المسلمين بعدم التعرض للشيوخ، والنساء، والأطفال، وعدم إتلاف الزروع، والنخيل، إلا لضرورة وترك من حبسوا أنفسهم في الصوامع مادامو مسالمين.

وبعد، فهذه بعض التصورات التي نستنتجها من فكر الحسن الثاني في الإسلام عندما نسمعه يقول : «**إن الإسلام حضارة وفضيلة وأخلاق ومنهج**» نتذكرها في هذه المناسبة، داعين الله أن يحمي به الإسلام، ويعلي به رايته، ويجعل منهجه شرعة للناس كافة إنه سميع مجيب.

وجدة : أحمد أفزاز

● ● تاريخ المغرب كله يظهر لكم تعلق المغاربة بحرية الفكر، وذلك ما يجعلنا نحترم تفكيرهم واتجاهاتهم على شرط أن لا تمس مقدسات الدين ونظام الدولة. أما ما عدا ذلك من اراد مثلا التحدث عن التاميم فليتحدث ويكتب ما يشاء، وعندما تجتمع آراء الأمة كلها على أن التأميم هو الصالح نقول له طيب يد الله مع الجماعة. لنجرب التأميم وإذا كان آخرون يقولون ويكتبون بأن الحرية الاقتصادية هي النظام الأحسن واللائق وشعرنا بأن الأغلبية مجوعة على ذلك فإننا نؤيد الاجماع، والملاحظ أنه منذ الاستقلال إلى يومنا هذا لم تأت في الالقاب الوزارية، وزارة باسم الإرشاد القومي أو التوجيه، لأن المغاربة يعتقدون أنهم في غنى عن المرشد ليختاروا هذا المذهب أو ذاك، وهم يعيشون التجربة بأنفسهم ليقرروا الخطأ أو الصواب ● ●

جلالة الملك الحسن الثاني

---

24) الآية 208 من سورة البقرة.

25) الآية 8 من سورة الممتحنة.



للأستاذ مقدم بوزيان
رئيس المجلس العلمي الاقليمي للناظور والحسيمة

1 ـ مقدمة :

سأنطلق في أول كلمتي هذه بمعالم الطريق والآفاق المستقبلية التي حددها مولانا أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله للنهوض بالمغرب وتوطيد أركان الاستقلال والسيادة في أول خطاب للعرش ألقاه جلالته يوم أن ودعت الأمة المغربية رائدها العظيم بطل الحرية والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

لقد قال حفظه الله مخاطبا شعبه الوفي : «إني أعاهد الله وأعاهدكم على أن أدافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته وأحرص على وحدته وإعلاء شأنه بين الدول».

أجل، لقد كانت هذه الدرر الغالية التي سجلها حامي حمى الوطن والدين في أول خطاب لجلالته يوم جلوسه على أريكة أسلافه المطهرين إلتزاما للقيم والمبادئ ووفاء بعهد البيعة تجاه رعيته فكان نصره الله صادقا في عهده ووعده وفى عهده مع ربه وأنجز وعده مع أمته فكان بذلك نعم الحامي لدينه ووطنه الشيء الذي جعل جلالته يتمتع برضى ربه وثقة أمته تلك الثقة التي شمخت برأس هذا المغرب عاليا كمملكة عريقة ضاربة جذورها في أعماق التاريخ، فجزاه الله خيرا من قائد عظيم ومصلح أمين بادل شعبه حبا بحب ووفاء بوفاء فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجعلها خير أمة أخرجت للناس روحيا وأخلاقيا بالمساجد وبمقدسات الإسلام وبالمسيرات القرآنية الحسنية وبمؤتمرات القمم العربية والإسلامية التي تنعقد في بلدنا الكريم.

وماديا واقتصاديا بالمشاريع العمرانية والانمائية والمصانع والمعامل والموانئ والسدود التي تلقاك في كل مكان من طول البلاد وعرضها وحتى في صحرائنا المسترجعة الحبيبة.

2 ـ رسالة العرش رسالة نبيلة :

ولا غرو ولا عجب، فرسالة العرش رسالة وفاء للقيم والتزام بالمبادئ كما أسلفنا وكم خاض قائدنا الملهم من معامع ومعارك وكم تصدى للعظائم والملمات وتحدى الصعاب والمعوقات فلم تنكس له راية ولم ينهزم له جيش وكما قيل : «والعظائم كفؤها العظماء».

وكان نصره الله القائد المخطط والظافر المنتصر في البناء والتشييد والوحدة والتحرير والتثقيف والتهذيب والتنمية والتصنيع والعدالة وصون المقدسات، والتنظيم

والتسيير، والحرية والمساواة المستمدة أساسا من المبادئ الإسلامية الداعية إلى الاخاء والتعاون والشورى والعدالة الاجتماعية التي هي مسيرة التقدم والازدهار التي تعد معلمة حضارية رائدة في العهد الحسني الزاهر.

ففي عيد العرش المجيد، عيد جلوس جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله على عرش أسلافه الميامين يتذكر كل مغربي ومغربية الأعمال المجيدة والمنجزات الكبيرة التي حققتها عبقرية الحسن الثاني، كما يتذكر المظاهر الحضارية والمفاخر والمكاسب التي تغطي كافة الميادين الحيوية في ربوع مغربنا العظيم، في الشمال والجنوب والشرق والغرب.

هذه المظاهر والمفاخر التي خرجت بنا من عصر التخلف إلى عصر التقدم والازدهار وجعلتنا أمة عظيمة يشار لها بالتمجيد والإكبار والتقدير والاحترام كما أراد لها قائدها المحنك.

وإذا كان لنا من فخر واعتزاز، فلنفخر ولنعتز بملكنا المقدس مبدع المسيرة الخضراء ومحرر الصحراء ورمز البطولة والوفاء وحامي حمى هذا الوطن والدين الذي رفع رأس المغرب عاليا وجعل صداه يرن في أنحاء المعمور، الشيء الذي جعل الوفود من مختلف الأنحاء تعقد اجتماعاتها ومؤتمراتها في هذا البلد الأمين وأصبح عاهلنا المفدي رئيسا للجنة تحرير القدس الشريف ثقة من إخوانه ملوك ورؤساء العرب والمسلمين أن النصر والتحرير سيكونان على يد سبط رسول رب العالمين جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله تطبيقا لقول جده المصطفى الكريم : «إن لله رجالا لو أقسموا على الله لابرهم».

فالحسن الثاني حفظه الله يعتقد فيه إخوانه ملوك ورؤساء العرب والمسلمين أنه من أولئك الرجال الأفذاذ الذين إذا أقسموا على الله أبرهم.

3 ـ من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر :

فبفضل التحام الشعب والعرش والتجاوب التلقائي بين القمة والقاعدة كان الكفاح المظفر والنصر المؤزر، وبفضل هذا الانسجام المتبادل بين الراعي والرعية، انتقلنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر من أجل عظمة المغرب تحت القيادة الرشيدة والتوجيهات الرائدة لحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك الحسن الثاني أعزه الله فكانت الإنجازات الهائلة، والتحديات العظيمة.

جلاء القوات الأجنبية، الصراع ضد التخلف، سقي مليون هكتار، بناء السدود، استرجاع أراضي المعمرين، الإصلاح الزراعي، التخطيط العلمي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، المعامل الصناعية، معمل الصلب والحديد، المواصلات البرية والبحرية، مطارات، موانئ.

نهضة التعليم المباركة : مدارس، إعداديات، ثانويات، جامعات معاهد، كليات، دار الحديث الحسنية.

الاهتمام بشؤون القضاء، تقريب الإدارة من المواطنين، المنشآت الصحية العديدة، المسيرات القرآنية والانمائية، استكمال الوحدة الترابية.

وهكذا تم والحمد لله بفضل الجهاد الأكبر والتحام الشعب والعرش تحقيق هذه المفاخر العظيمة والمكتسبات الثمينة الجديرة بالاعتبار في بناء المغرب المتطور الجديد الذي أصبح والحمد لله في عهد الحسن الثاني المؤيد بالله مغرب النماء والازدهار ومغرب التحدي والمعجزات.

فكان كتاب التحدي الذي ألفه حامي حمى الوطن والدين وباني المغرب العظيم جلالة الملك الحسن الثاني المنصور بالله.

وكان كتاب «المعجزة المغربية» لمؤلفه أحمد عسة الذي استهل مقدمته بقوله (وهو صادق) سميت الكتاب «المعجزة المغربية» لأن حياة المغرب ماضيا وحاضرا تطفح بالمعجزات.

شعب أشرق نور الهدى الإسلامي في قلبه منذ البداية فحمل الراية مجتازا مضيق جبل طارق إلى أوروبا لينشر الهدى والإيمان، وأقام إمبراطورية اتسعت حدودها من طرابلس الغرب شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا، إلى نهري النيجر والسنغال جنوبا.

وفعل الكثير للإنسان والمعرفة والفن عندما حمل مشعل الحضارة الإنسانية.

وهكذا راح مؤلف «المعجزة المغربية» يعدد الخصال الحميدة والمكاسب العظيمة للأمة المغربية ولقائدها العظيم جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره حتى قال : شعب تلاحقت ثوراته في الجبال والمدن والقرى فخلق ثورة نموذجية عرفت في التاريخ الحديث باسم «ثورة الملك والشعب».

ربح فيه معركة تصفية التركة الاستعمارية ومعركة التحرر الاقتصادي ومعركة التحرير السياسي ومعركة الحياد الإيجابي، ومعركة التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ومعركة الانتقال إلى عهد الملكية الدستورية المتطورة، دوما مع تطور الشعب في مختلف الميادين.

وأخيرا ختم المؤلف مقدمته بقوله : «فإذا لم تكن هذه الحقائق بعض المعجزة المغربية، فماذا تراها تكون المعجزة ؟

وهكذا أصبحت عبقرية الحسن الثاني حفظه الله مضرب الأمثال وصارت شخصيته المثالية قدوة ونموذجا يحتذى في الأقوال والأفعال.

فهنيئا لناولجلالته بمرور سبع وعشرين سنة على جلوسه على أريكة أسلافه المنعمين، راجين من الله العلي القدير أن يدعم خطواة الشعب المغربي في مسيرته الظافرة في طريق البناء والنمو والرقي والتقدم، ويطيل عمر مولانا الإمام ويبقيه ذخرا للعباد والبلاد ويحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم ويقر عينه بسمو ولي عهده الأمير المحبوب سيدي محمد وصنوه المبجل المولى الرشيد وباقي أفراد الأسرة الملكية الكريمة إنه سميع الدعاء.

الناظور : مقدم بوزيان

وعرش بلادك شعبي العزيز شأنه وشأن تاجها سيان لا يختلفان، فهذا العرش العريق الثابت على تبدل الظروف والأزمان لا يحمله غير القلوب، ولا يحرص عليه ويحميه بعد الله سوى ما يكتنز في رحاب وجدان الأمة المغربية من أعلاق المحبة وذخائر الوفاء والولاء.

وإذا كانت البلاد تستمد مآثرها وأمجادها من عرشها الذي أضاء وما زال يضيء بحمد الله فصول تاريخها، فإن هذا العرش قوي مكين بما أمده الله به من قوة، وبما أودعه الله وغرسه في قلوب الشعب من حب مقصور على العرش لا يتناقص ولا يتضاءل.

جلالة الملك الحسن الثاني

الحسن الثاني

رائد البعث الإسلامي والإصلاح الديني

للدكتور إدريس العلوي العبدلاوي
رئيس جامعة القرويين

في هذا اليوم بالذات، يوم ثالث مارس الربيعي الأخضر الزاهر الانضر، المشرق بالبشرى، المعطر بأزكى النفحات والبسمات، الساطع بأحلى الآمال والأمنيات، المبشر بأجمل الأيام وحلول أغلى وأعز الذكريات، في هذا اليوم بالذات يستحضر المغاربة قاطبة أروع وأخلد ذكرى من ذكريات تاريخهم الحافل بالأمجاد والمكرمات، الزاخر بالعطاءات والخيرات ففي مثل هذا اليوم بويع جلالة الملك الحسن الثاني المحبوب، من لدن الأمة جمعاء ملكا على المغرب معتليا بالتجلة والاكبار عرشه الخالد وعرش القلوب. فاختاره الشعب قائداً لمسيراته، ورائداً لملاحمه وبطولاته، وساهرا على مقدساته وحرماته، وراعيا لسيادته وعزته وكرامته، وحافظا لمقوماته وأصالته وبذلك كله كان جلالته الرمز الحي والآية الباهرة، والمعجزة الخالدة التي تجسدت فيها عبقريات المغرب وبطولاته العظيمة في شتى مجالي الحياة وحقب التاريخ.

ولئن كان احتفال المغرب بذكرى تربع جلالة الحسن الثاني على عرش أسلافه الأبرار في مثل هذا اليوم من كل عام يشخص دائما وعلى مر الحقب والأزمان عرى التلاحم الوثيق بين العرش والشعب ويعرب عن المحبة الصادقة، والولاء الدائم، والوفاء المستمر الذي يكنه شعب المغرب لعاهله العظيم جلالة الحسن الثاني الذي يمثل روح الشعب المغربي لأنه حياته ونبض قلبه ووجوده وفيض وجدانه واستمراره ورمز عزته وكيانه. وما الاحتفال العظيم، والاعتزاز الكبير بهذه الذكرى الوطنية المجيدة الخالدة التي تأتي كل عام جديدة في مغزاها، جديدة فيما تسعى وتهدف إليه من مقاصد نبيلة، وغايات شريفة، ما هذا الاحتفال العظيم في الواقع إلا «تكريم وتتويج لحياة ملك عظيم عبقري يتفانى في محبة شعبه، ويؤثره بالتضحية تلو الأخرى وينزله من قلبه منزلة رفيعة يترجمها قول جلالته في إحدى خطبه : «إن العادة جرت بأن يقال أن الشعوب على دين ملوكها، وأنا أقول إن ملك المغرب على دين شعبه».

إن الله سبحانه وتعالى حينما أراد لهذا الشعب العزة والكرامة، والوحدة والسيادة، والاطمئنان والأمان، والاستمرارية في الاستقرار والتقدم والازدهار أنعم عليه بوجود هذا الملك العظيم جوهرة الدولة العلوية المنيفة، وسلالة الدوحة النبوية الشريفة، ومنحه الحكمة والتبصر، وصدق المنطق ورجاحة العقل وأقدره سبحانه وتعالى على

القيام بالرسالة والاضطلاع بالأمانة وتأدية المسؤولية، والنهوض بأعبائها، ضاربا حفظه الله في ذلك كله مثلا ينبض بالحياة في سبيل رقي شعبه، وتقدم أمته وعزة وطنه، بحيث يمكن القول أن عمل جلالته في هذا المجال مع ما يتسم به ذلك العمل من تضحية وتفان وجهاد مخلص لبلوغ الغايات المأمولة هو عمل لانعدو الحقيقة إذا قلنا أنه عمل عديم النظير على مستوى الزعامة والريادة وقيادة الأمم صوب أهدافها في عالمنا المعاصر.

وجدير بأمتنا وهي من طنجة إلى الكويرة تتبارى في الاعراب عن مشاعر فرحتها وابتهاجها بهذا الحدث التاريخي العظيم، أن تعتز أيما اعتزاز، وتفتخر كامل الافتخار بهذه الذكرى المجيدة الغالية، وما ترمز إليه من أمجاد وبطولات صنعها ملوك الدولة العلوية الأماجد، وحافظ على أصالتها وأبرع في تجديد معالمها جلالة الحسن الثاني مسايرة لروح العصر، وما يتطلبه تبعا لذلك بناء المغرب الحديث.

وهكذا أوجد جلالته بإيمانه الراسخ، وعبقريته الفذة وتضحيته الصامدة، وعمله الصالح، وقيادته الرشيدة شعبا جديدا ومغربا جديدا هو شعب ومغرب الحسن الثاني في عهده الفاخر الزاهر وكلاهما شاهد بنفسه عن سر تلك المحبة العميقة المتبادلة، وذلك الرباط الوثيق الذي يجعله ملتحما بالعرش ومتعلقا به أقوى ما يكون التعلق والالتحام والوفاء، ومؤمنا به أشد ما يكون الإيمان.

«وكيف لا نحتفل بهذه الذكرى التي تعد بحق تعبيرا صادقا على الحب والوفاء لقائد المسيرة وموحد التراب الوطني جلالة الملك الشهم الحسن الثاني الجالس على عشر الأفئدة والقلوب، أن الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة كلما شرفت دين في عنق الشعب الوفي، للعرش الوفي، الشعب الذي يقرر الخدمات المثلى والنهضات الفكرية والأدبية والعلمية والصحية والاقتصادية والسياسية الحكيمة التي تتوالى وتتصل حلقاتها بجهود هذا الملك المفدى رمز السيادة المغربية والسلطان القائد للشرف والسمو والعزة والكرامة».

كيف لا نحتفل بعيد العرش وبصاحب العرش.

«وللعرش في المغرب قوة رسوخ وتمكن في القلوب والعقول ذلك أن المغاربة منذ أن وعوا الحياة السياسية واهتدوا إلى نظام لكيانهم اقتنعوا أن الملكية الدستورية هي الأصلح والأقوى والأبقى، وكانت ملكيتنا دستورية حتى قبل أن يظهر النظام الدستوري في العالم لأن الإسلام ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم بشكل يجعل النظام السياسي متوازنا ومنضبطا وقائما على أساس راسخ لا يتزعزع، فمنذ قرون عديدة وبالضبط منذ منتصف القرن الثاني للهجرة أدرك المغاربة أن النظام الملكي هو الملائم لطبيعتهم والمناسب لمناخهم الاجتماعي والحضاري، والمتفق وأهواءهم وأمزجتهم وطبائعهم، والمستجيب لرغباتهم ومطامحهم وآمالهم لذلك وجد شعبنا في الملكية ذاتيته واطمأن إلى صلاحية الاختيار، واستقامة الطريق، ونجاعة النظام وقوته وقدرته على تحقيق تطلعاتهم في الحياة الحرة الكريمة.

للعرش قوة رسوخ وتمكن من القلوب والعقول فالمغاربة آمنوا وأدركوا ووعوا وتعاطفوا وتجابوا وانسجموا مع النظام الملكي من عهد الأدارسة، ومرورا بالمرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والوطاسيين وانتهاء بعهد الدولة العلوية التي مضى اليوم على إنشائها زهاء ثلاثة قرون ونصف القرن، وقد سعى الشعب إليها وشجعها وأقامها هو بنفسه نظاما وكيانا له.

العرش في المغرب عقيدة واتجاه، ويقين والتزام وتعاقد اجتماعي موصول الأسباب راسخ الجذور ضارب في أعماق الواقع لقد تعلق المغاربة بالعرش تعلقا روحيا ووجدانيا وفكريا وجاءت البيعة الشعبية الشاملة لهذا العرش لتثبت حقيقة النظام وطبيعة العلاقة بينه وبين الشعب. هذه القاعدة المتميزة المطبوعة بطابع البقاء والاستمرار والتواصل تجعل الملكية المغربية نظاما عزيز المنال بل عديمه على الإطلاق لذلك كانت ملكية المغرب نسيج وحدها بخصوصياتها ومميزاتها وانفرادها بين أنظمة الحكم في العالم كله».

«فتاريخ بلادنا عبارة عن أسر حاكمة تنسجم مع الشعب وتتقدم لقيادته، والدفاع عن الدين وعن الوطن وحماية استقلالهما وما دام الملك والأسرة قائمين بواجبهما

سائرين في صفوف الشعب لتحقيق أهدافه، والذب عن كيانه، فإن الشعب يخلص لهما ويخوض معهما كل المعارك التي يخوضونها، ذلك ما كان عليه حالنا منذ العصور الأولى للتاريخ، ويكفي أن نستحضر الدول الإسلامية الواحدة بعد الأخرى لنعلم صحة ما نقول».

ويعطي جلالة الملك لرابطة البيعة بعدها الديني فيقول : «إن روابطنا وأسس تعاملنا ليست تلك الأسس المصطنعة التي خلقها التاريخ صدفة بل هي قبل كل شيء ترابط وتعامل مبنى على أعز ما هو في أنفسنا، وأقدس ما في أرواحنا وهو الإيمان بالله وبرسوله».

وإذا كان أساس البيعة ديني، فإن الدين أهم عنصر من عناصره.

«ولاشك أن البيعة راجعة إلى أهمية نصب الخليفة الذي يتحقق بوجوده المحافظة على مقاصد الشريعة الضرورية.

ونظرا لما للسلطان من مقام كبير في حفظ النظام، واستقرار الأحوال، وإشاعة الأمن والطمأنينة حض علماء أهل السنة على لزوم الطاعة على العامة، وعلى حظر الخروج عن الإمام ولو زاغ».

«فالبيعة رباط بين الحاكمين والمحكومين تجعل الطرفين معا يتعاونان على البر والتقوى، ومنع الإثم والعدوان وهذا هو المراد من استخلاف الله للإنسان في الأرض فكل عمل يهدف إلى هذه الغاية هو عمل لله، وما يكون لله يدوم ويتصل.

ويضيف المقال قائلا : ونحن إذ نستقبل هذه المناسبة السعيدة نرى كيف استقام هذا الأمر وتمهد وتوطد وطوى مرحلة ربع قرن كامل مليئ بالأعمال والانجازات التي جعلت من المغرب دولة عصرية عريقة... قديمة حديثة، تبني مستقبلها بإيمان وطموح وتعزز مركزها الدولي على الصعيد العالمي بسياستها الرشيدة، ونظرتها البعيدة، فنعلم أن ذلك من بركة البيعة الشرعية وتلاحم القاعدة والقمة بحكم الرباط القوي المتين على العمل النافع، والسعي الناجع، والقول الذي يعضده الفعل والنية الحسنة التي لا يثمر شيء بدونها وبذلك الرباط المبارك أمكن للطرفين تحقيق مستلزمات البيعة في الماضي وبه سيتمكنان من تحقيق هذه المستلزمات في المستقبل بحول الله».

وهكذا فكلنا نعيش بيعتنا لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني بارك الله في عمره، فعلينا أن نبقى أوفياء للعهد بصدق. وأن نشد من أزره ونلتف من حوله ونتصر حكمه بما أوتينا من قوة وجهد، فإطاعته ونصرته من إطاعة الله ورسوله ونصرتها. وذلك لأنه حامي الوطن والدين، ورافع لواء الإسلام والمدافع الأمين عن حقوق العرب والمسلمين، فهو ينهج نهج جده رسول الله ﷺ في سياسته الداخلية والخارجية في مبادئ واضحة مبنية على الحق والعدل والسلام.

تعانق فينا العرش والشعب دائما
على البر والتقوى ومعجزة العصر
إذا ذكر المجد الأصيل بأهله
فنحن بفضل العرش أجدر بالذكر
كفاني اعتزازا بالمليك ومجده
فقد رفع الله العزيز به قدري
مدحتك حبا في علاك مبايعا
على الصدق والإخلاص في السر والجهر

فإذا كان أساس البيعة ديني، وإذا كان العرش العلوي المجيد ميثاق ديني وروحي وعقائدي. وإذا كان هذا العرش العظيم مطبوع بطابع الخلافة الإسلامية القائمة على رباط البيعة المقدس وإذا كان الاحتفال بعيد العرش كما يقول جلالة الملك حفظه الله وقوله خير من يجسد ذلك المغزى العميق لمفهوم الاحتفال بعيد العرش. «إن عيدنا الوطني الذي نحتفل به، ليس عيد ذكرى جلوسنا على عرش أسلافنا المقدسين فحسب، وإنما هو عيد نحيى باحتفالنا له أصدق وأخلص تحية تلك القيم السامية الثابتة المستقرة في أعماق كياننا، ونخلد ذكريات وأمجاد تلاحقت على امتداد ماضينا وتألفت صفحاتها في عرض تاريخنا الطويل».

وإذا كان هذا الاحتفال العظيم بالعرش يأتي كل ذكرى عيد العرش قويا جديدا رائعا. فإنما هو في الحقيقة احتفال وتمجيد بصاحب العرش جلالة الملك الحسن الثاني المجدد حفظه الله ونصره الذي أسدى لهذه الأمة كل خير في دينها ودنياها وبوأها مقاما كريما بين الأمم والشعوب. وتمجيد للتاريخ الحافل بالمفاخر والمكارم تاريخ دولة ملوكنا العلويين الأشاوس الأماجد الذين بذلوا الجهود المضنية في سبيل تحقيق وحدة البلاد والحفاظ على سيادتها، وتجديد ما رث من حبل الدين وحماية الكيان وضمان الاستقرار والأمان، يقول جلالة الملك حفظه الله :

«إذا كان سلفنا الصالح قد قاموا بالدور الحضاري الذي ألقاه الإسلام على عواتقهم أحسن قيام حسبما أدركوه وتصوروه وعلى النحو الرائع الذي أبدعوه وابتكروه، فإن ذلك يدفعنا إلى مواصلة نفس الدور لكن على نحو جديد، ونمط فريد يتناسب مع معيطات هذا العصر».

لقد كتب الله للعرش العلوي المجيد الرسوخ والتمكين والاستقرار والاستمرار، لأنه عرش قائم على أساس البيعة والبيعة ميثاق ديني وروحي وعقائدي لذلك كان من مقومات ثبوت هذا العرش التمسك بالكتاب والسنة ومن أهداف رسالته الخالدة المحافظة على الشريعة الإسلامية وتثبيت دعائمها، ونشر تعاليمها وقيمها السامية على مر الحقب والعصور.

ويكفي دليلا على ذلك، عناية ملوك الدولة العلوية المباركة ورجالتها بالكتاب والسنة تعلما وتعليما وعملا حيث لم يكتب لدولة من دول المغرب غيرها من طول العمر واذعان أهل المغرب وتعلقهم وإخلاصهم مثل ما كتب لها.

«فقد قام ملوكها العظماء بجمع الكلمة، وضم الشمل والاجتماع على كلمة واحدة، وعنايتهم بالعلم وخصوصا علوم الكتاب والسنة كنار على علم، ولم يكن ذلك فيهم خاصا بالملوك وحدهم بل كان رؤساؤهم وفضلاؤهم يتنافسون فيه، ويعمرون به مجالسهم، ولضيق المقام وعدم الخروج عن الموضوع كثيرا أخص بالذكر منهم أربعة، سيدي محمد بن عبد الله، ومولاي سليمان بن محمد، والإمام المنقذ محرر المغرب ومخلصه محمد الخامس، وخليفته جلالة الملك الحسن الثاني رحم الله سلفه وبارك في عمره وبلغه الآمال، ووفقه لصالح الأعمال، وأقر عينه بولي عهده سيدي محمد».

☆ ☆ ☆

لذلك يلاحظ الدارس لحياة هذه الملك العظيم أن عبقريته تستمد مددها وسندها وقوتها من الوحي الكتاب والسنة، ولذلك تراه يتجه في كل ما يصدر عنه من قول أو عمل أو تخطيط إلى غاية واحدة ومقصد واحد هو توحيد القلوب، وتنوير العقول وتوحيد السبل للبعث الإسلامي المحترم، إيمانا منه بأن الثقافة العربية والحضارة الإسلامية التي درجت عليها أمتنا ما هي إلا تعبير عن أسلوب حياتنا ونوع اختيارنا وتنظيم لقوة وحدتنا وشدة ارتباطنا، وتمكين لحاضرنا وتخطيط لمستقبلنا على أساس الإيمان والعلم والعقل والتدبير.

من هذا المنطلق الواضح الراجح يتبين الباحث الدارس لمراحل حياة جلالة الملك الحسن الثاني منذ نشأته وتطوره إلى بداية تحمل مسؤولياته كولي للعهد، وكأمير للمؤمنين الذي تقلد الأمانة كخير خلف لخير سلف بعد وفاة والده رحمه الله وقدس روحه، يتبين الخط المستقيم والنهج الواضح الذي تابع جلالته السير فيه، والذي اختطه قادة المغرب وملوكه منذ البدء وأحياه وجدد معالمه أجداده الكرام منذ عهد المولى إسماعيل إلى عهد محمد الخامس رحمه الله.

يقول جلالته في أول خطاب وجهه إلى شعبه الوفي إثر توليته الملك في 3 مارس 1961.

«وإنني أعاهد الله وأعاهدكم على أن اضطلع بمسؤولياتي وأؤدي واجبي طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية وتقاليدنا القومية العريقة، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا، كما أعاهد الله وأعاهدكم على أن أدافع عن حوزة

الوطن واستقلاله وسيادته، وأحرص على وحدته وإعلاء شأنه بين الدول».

لذلك نجد جلالته حفظه الله وأمد في عمره بصفته أمير المؤمنين وحامي الملة والدين، منذ أن قلده الله أمر هذه الأمة واستخلفه على أرضه وهو لا يألو جهداً في تدعيم وإرساء قواعد الدين الحنيف بين طبقات رعيته، وذلك بإنشاء المدارس والمعاهد والكتاتيب القرآنية وتعميمها في المدن والقرى والعمل على نشر الدعوة السلفية في ربوع مملكته السعيدة وإحياء سيرة السلف الصالح، وإحياء التراث الفكري والإسلامي وتطبيق الهدي النبوي، ولم يكن ليقبل الانحرافات والاجتهادات المريبة بل يعمل على محاربة ما شاع من أفكار خارجة عن الدين وجعل الدين أساس كل تربية وعدة كل عمل، ولهذا رأيناه حفظه الله يبني المساجد ويكثر منها ويحض على توفير الوعاظ الذين يبصرون الناس بأمور دينهم ويبلغونهم أحكام شريعة الله كما يأمر حفظه الله بتجديد المجالس العلمية وانتشارها وترؤسها. وتوجيه أعضائها عند تعيينهم وكذا رؤسائها إلى ما ينبغي لهم عمله وفق الخطة السديدة المحكمة التي أمر جلالته بالتزامها. وقد كان حفظه الله في توجيهاته وتنبيهاته مجددا ورائدا يدعو إلى اشعار الرؤساء والأعضاء إلى أنه ينبغي لهم أن يبادروا إلى القيام بما أسند إليهم من عمل ومهام ولكن بأسلوب العصر وحركته وتطوره وظروفه حتى لا تصاب المجالس بالجمود والركود يقول جلالته :

«فعلى مجالسنا العلمية أن لا تبقى منحصرة في نواقض الوضوء وموجبات الغسل، عليها أن تواجه الغزو الخارجي والغزو المادي وحتى تعرف بالإسلام وخصاله وفضائله وتساهله أقول : تساهله لأن الدين يسر وليس بعسر ولن يشاد أحدكم هذا الدين إلا غلبه، فبشروا ولا تنفروا، وافتحوا قلوبكم لكل سائل وافتحوا أدمغتكم حتى تجلسوا معه على مستواه الاجتماعي والفكري والسني».

☆ ☆ ☆

كما نرى جلالته يحث على التشبث بقيم الإسلام والدعوة إليها في كل مجال ومقال. فلا تكاد تخلو خطبة من خطبه أو تدخل من تدخلاته، أو حديث من أحاديثه أو تصريح من تصريحاته من توجيه إلهي من القرآن الكريم أو تذكير بسنة من سنن رسول الله ﷺ، وذلك بالاستدلال بحديث نبوي، أو أثر من آثار الخلفاء والعلماء تذكيرا بها وبعثا للعزائم للعمل بما جاء فيها، كما يحرص حفظه الله على أن يبدأ كلامه بالحمد لله والصلاة على رسول الله الأكرم، ويختمه بآية أو آيات من كتاب الله الحكيم.

وتتجلى أيضا أعماله الجليلة الخالدة التي تبعث على الفخر والاعتزاز، في تحصين الإسلام والذود عن حياضه ورفع رايته وإعلاء شأنه، وفي الحفاظ على مكانة القرآن الكريم بين المغاربة تلك المكانة المتجلية الواضحة في طبع المصحف الحسني الشريف طباعة رائعة، وتقديمه هدية إلى كل مسلم برسالة ملكية يطالعها القارئ في بداية المصحف الكريم. كما أمر حفظه الله بالإكثار من الكتاتيب القرآنية في مدن المغرب وقراه، وتأسيس دار لتجويد القرآن والقراءات السبع، وتخصيص جائزة كبرى سنوية تحمل اسمه الكريم لتشجيع الشباب والأطفال على حفظ كتاب الله العزيز، «وإحياء مدارس تحفيظ القرآن بالروايات في دار زهير قرب طنجة وزاوية سيدي الزوين قرب مراكش وغيرهما، تلك المدارس التي كانت لولا همته وعنايته مشرفة على الدثور والاضمحلال» «وكذا إرساله المئين من الحجاج كل سنة على نفقته إلى الديار المقدسة، وكسوة أضرحة الرجال المشهورين بالعلم والصلاح والجهاد، ونفحة اليتامى والأيامى والمقلين من ذوي البيوت النبيهة بالهبات والعطايا بالحرمين الشريفين، وبيت المقدس والعتبات المقدسة بالعراق وأمثال ذلك شرقا وغربا».

☆ ☆ ☆

وتعزيزا لاهتمام جلالته الدائم بكتاب الله احتفاله رسميا بذكرى نزول القرآن، ومرور أربعة عشر قرنا على نزوله بحضور علماء من المغرب والمشرق (1387) (1967)، وترؤسه رسميا لهذا الاحتفال العظيم في تاريخ المسلمين (وما يرمي إليه من وصل الحاضر بالماضي، والإعلان لشعوب الأرض أن المغاربة والمسلمين يصرون على أن تبقى هذه

الصلة وتتحكم وإن تتمكن العقيدة الإسلامية، والقيم المثلى من نفوس المسلمين وتنبيههم إلى عظمة الحدث الذي فرق بين عهدين وفصل بين عصرين وأقام بنيان الدنيا على أساس جديد). وقد أكد جلالته في خطابه الكريم بتلك المناسبة، حقيقة رسالة الإسلام وما حققت، من نتائج رائعة لأمته، وليست هناك دولة في العالم الإسلامي تهتم بشؤون القرآن الكريم وحفظه وترتيله كما هو الحال في المملكة المغربية وهذه وراثة الأبناء عن الآباء عن الأجداد، وهي عادة يحبها الله ورسوله والمؤمنون.

☆ ☆ ☆

وتبعا لذلك اعتنى جلالته بميدان التعليم الإسلامي الأصيل، مجددا ما إندثر منه، ونظم جامعة القرويين التي تعد حصنا للغة العربية والحضارة الإسلامية، وأنشأ دار الحديث الحسنية على تقوى من الله ورضوان وشرفها باسمه الكريم شعورا من جلالته بالدور العظيم والرائد الذي يجب أن تقوم به كمثيلتها جامعة القرويين لتكون عاملا من عوامل التقدم العلمي في بلادنا ومنارا يهتدي به المسلمون في كافة أرجاء العالم الإسلامي مما جعلها وجه المغرب المشرق وعنوان حضارته ومظهر كماله.

☆ ☆ ☆

ومن أعماله الإسلامية الجليلة الخالدة قراره التاريخي العظيم بتنظيم مسيرة خضراء سلمية قوامها ثلاثمائة وخمسون ألف متطوع ومتطوعة تتوجه إلى صحرائنا السليبة لتلغي الحدود الوهمية ولتصلي صلاة الشكر والحمد لله على ما أنعم ومنح ولتربط الماضي بالحاضر، مسيرة سلمية لا تحمل سلاحا ولا عتادا ولا تريد ظلما ولا عدوانا وإنما سلاحها كتاب الله الكريم، وهدفها وحدة المغرب، وجمع الشمل، وصلة الرحم.

وإن مسيرة سلمية روحها الإيمان، وسلاحها القرآن، وهدفها توحيد الصف والكلمة وجمع شمل الأقارب والأحبة وإرجاع الحق إلى نصابه، يخطط لها ويقودها ملك رائد عظيم، وقائد محنك حكيم، ويحوطها شعب مؤمن قوي صامد لكفيل أن ينصرها الله ويحميها، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

لقد كانت المسيرة الخضراء هجرة إلى الله ورسوله، وكانت أروع خطوات الحسن الثاني وأنجحها، طلع بها على الدنيا بأسلوب جديد في التعامل والتحرير اقتبسه من الكتاب والسنة وحقق به ما لم تستطعه الجيوش، وكان في هذا رائدا وموجها ومنقذا. وكان قراره هذا اختيارا فريدا وسلاحا جديدا، وخطة حكيمة.

☆ ☆ ☆

والمتتبع لجهود مولانا أمير المؤمنين في هذا السبيل باعتباره الرجل المؤمن، ورائد الإصلاح الديني يقف مندهشا عاجزا عن الحصر والتعداد. «ومع ذلك تبقى الدروس الحسنية التي اخترعها وأطرها تأطيرا خاصا في مقدمة السمات التي تبرز دوره كمصلح ديني حيث يستقطب لها خيرة العلماء من كل حدب وصوب، ويختار الموضوعات الدقيقة والجيدة التي تترك أحسن الانطباعات في نفسية المواطنين عموما، ورجال الفكر والمعرفة بوجه خاص. وهذه الدروس لا يكتفي بها في جوانب القصر، بل يعم نفعها الكل سواء عن طريق الإذاعة أو التلفاز أو عن طريق النشر في كتب أو مجلات. وستبقى من مفاخر جلالته التي لا يمكن للدارس أن يغفل عنها حين يدرس شخصيته العظيمة».

«وقد تتوج هذه الدروس الحسنية بالدرر الغالية التي يلقيها جلالته عند شرحه لحديث من الأحاديث النبوية أو تفسيره لآية من الآيات القرآنية فيبدع حفظه الله غاية الابداع ويشهد له العلماء الأجلاء من المشرق والمغرب بغزارة علمه وسمو إدراكه، وتضلعه في تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على ضوء أحداث العصر».

كما يحرص جلالته على إحياء الليالي الدينية كليلة القدر المباركة وليلة عيد المولد النبوي الشريف، وكلما حلت مناسبة كريمة تدعو إلى ذلك.

☆ ☆ ☆

وسعيا من جلالته حفظه الله في تكثيف هذه الجهود الإسلامية وإحياء التراث والفكر الإسلاميين، وتطويرا للحياة الفكرية وإغناء للبحث والاستقصاء، والدراسة في

ميادين الفقه والعلوم والفكر والثقافة والمعرفة. تم تأسيس «أكاديمية المملكة المغربية» تحت شعار «حمل الأمانة الربانية الملقاة على عاتق الإنسان».

☆ ☆ ☆

وعقد ندوة «الإمام مالك» وندوة «القاضي عياض» وندوة «البيعة والخلافة في الإسلام» وندوة «الطرق الصوفية» وتأتي أول ندوة للطرق الصوفية بالمغرب.«دورة التجانية» ليضيف الملك المصلح في خضم الصراع بين السلفية الحق والتصوف موقفا يشير فيه بكل وضوح إلى جانب جديد وهو الحكم الواعي في الخطاب الذي بعث به للندوة بتاريخ 23 دجنبر 1985. ويقول جلالته من خلاله في درره الخالدة : «إن التصوف الإسلامي بنقائه وصفائه واقتباسه من مشكاة النبوة وجذوتها كفيل إذا سلك به أهله العارفون المسالك الصحيحة السليمة أن يسهم الإسهام الكبير في إصلاح أحوال المسلمين بإرساخ الإيمان بالله في قلوبهم، وتعميق الشعور بالوحدة وتمتين عرى الأخاء والمودة في نفوسهم ودفعهم إلى التعاون على البر والتقوى والتناصر والتآزر على الحق لتبقى كلمة الله هي العليا ولتكون العزة لله ولرسوله. وتستعيد الأمة الإسلامية سالف مجدها، وسابق سؤددها وتقوم بدورها في إصلاح أحوال العالم وإسعاد البشرية».

☆ ☆ ☆

ومن جهوده الطيبة المباركة أعزه الله في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية أنه لم يعمل ويخطط للبعث الإسلامي في وطنه الصغير فحسب، بل دعا له وطبقه وحدد معالمه كوسيلة وطريق لإحياء أمته الإسلامية، وبعث وجودها وكيانها. ولقد سجل التاريخ بمزيد الفخر والإعجاب دعوته الكريمة لعقد أول مؤتمر للقمة الإسلامية بمدينة الرباط إثر العدوان الصهيوني على المسجد الأقصى.

«هذا المؤتمر الذي كان أول لبنة لقيام صحوة إسلامية تعيد للمسلمين قوة رباطهم، ويشتغلون في إطار التعاون والتنسيق والتشاور، والذي نشأت على إثره المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، لتكون ذلك الجدار الذي طلب جلالة الملك تشييده ليجتمع حوله المسلمون، يحتمون به، ويمدون بعده جسور التعاون والتفاهم، وعلاقات المودة والصفاء. يقول جلالته حفظه الله «انني أرى ولله الحمد أن تلك الشعلة التي شارك في نشرها كل أعضاء المؤتمر ابتداء من سنة 1969، لم تنطفئ بل زادت قوة وانتشارا في العالم ولنا اليقين بأن هذه السنة ستكون إن شاء الله سنة فتح وسلام وبركة على الأسرة الإسلامية وعلى الأسرة العربية، ويقينا أن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما يحتويان عليه من أخلاق للمدنية، وأخلاق للدولة وللجماعة البشرية وللمواطنين. وأن السنة المحمدية هي الإصلاح الطبيعي لحياتنا وتعايشنا مع العالم لأن الإسلام دين الجميع وعالمي، ولأن الدعوة المحمدية لكل الشعوب في الحياة ولكل الأحيان...».

☆ ☆ ☆

ونحن نستعرض جهود جلالة الملك الحسن الثاني في سبيل الدعوة إلى توحيد المسلمين، وجمع شملهم، وتذكيرهم بتاريخهم المجيد، وبحضارتهم العظيمة التي كانت رحمة للعالمين. تتذكر رسالته الملكية الإسلامية التاريخية الكريمة التي وجهها جلالته إلى شعبه الوفي... وإلى عموم المسلمين بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري. والتي يمكن أن نسميها رسالة القرن. لما احتوت عليه من نصائح وإرشادات في صميم الحياة الإسلامية العملية، اعتبارا بالحالة المتدهورة للمسلمين. وانطلاقا من حديث «الدين النصيحة». مهيبا بهم أن يواجهوا بحزم وعزم التحديات والأزمات، وأن يبذلوا في سبيل نصر ملتهم والدفاع عن أمتهم أكبر الجهود وأعظم التضحيات.

(والتي أجمع الملاحظون في الداخل والخارج على أهميتها القصوى باعتبارها منهج عمل طرحه العاهل الكريم في الوقت المناسب إسهاما منه حفظه الله في إيجاد حلول لمشاكل العصر وتقديم دلائل للأمة لتكون لها عونا للخروج من طور التخلف والتيه والضياع).

ونتذكر الرسالة الملكية السامية الموجهة إلى المؤتمر العالمي للإعلام الإسلامي.

ونتذكر الرسالة الملكية السامية الموجهة إلى المؤتمر الدولي الرابع للسيرة النبوية المنعقد «بإسلام أباد بباكستان» يوم 23 نونبر 1985 «ويرى جلالة الملك أن نجعل في مقدمة المهام التي يجب أن نبذل من أجلها الجهود، إعطاء مدلول البعث الإسلامي صورته الحقيقية بترشيد الصحوة وتوجيهها ورعايتها وفق ما تقتضيه مصالح الأمة، وفي إطار مقاصد الشريعة التي يتعين الاستمساك بها والخضوع لمنابعها الصافية التي هي الكتاب والسنة النبوية» ويقول جلالته : «لقد كان المسلمون سادة هذا العالم يوم كانوا يدركون حقيقة الإسلام، ويتبعون سنة رسولهم المصطفى عليه السلام وينهجون في حياتهم كلها نفح سيرته، فازدهرت دنياهم، وامتد سلطان دينهم إلى آفاق المعمور إشعاعا وإرشادا وتعميما لمبادئ الخير والحق والسلام».

☆ ☆ ☆

ونشير أيضا إلى التظاهرة التي حدثت أخيرا والتي كانت فريدة في تاريخ عالمنا الإسلامي وفي السجل الذهبي لمآثر جلالة الحسن الثاني المدهشة، وعبقريته المستنيرة المنيرة وهي مبادرة دعوة جلالته لتنظيم أول ملتقى إسلامي عالمي هام لخطباء الجمعة، شارك فيه الخطباء والعلماء من كل أطراف المعمور هذا الملتقى الذي كلل الله سبحانه وتعالى أعماله بالنجاح والتوفيق لأن كل لقاء لصالح الإسلام والمسلمين وللصالح العام لا تكون نتيجته إلا خيراً وخيراً عميماً. ولأن كل ما يدعو إليه جلالة الحسن الثاني نصره الله وما يأمر به لا تكون ثمرته إلا محمودة طيبة.

☆ ☆ ☆

إن جلالة الملك الحسن الثاني نادرة زمنه في الدفاع عن رسالة جده محمد سيد المرسلين صلوات الله عليه (ولا غرابة في ذلك فإن ما أعطاه الله من علم وعبقرية وذكاء خارق، وإطلاع واسع، وتوفيق من الله في كل أمر يقدم عليه كل هذه النعوث وغيرها مما يتحلى به جلالته من صفات العظمة والكمال، أهله أعزه الله لمواجهة ما عانى ويعاني منه الإسلام والمسلمون فكان دام علاه المنقذ الأكبر، والمثل الأعلى).

ومهما قيل ويقال : فيبقى جلالة الملك الحسن الثاني أحد القادة العظماء، والوجوه اللامعة يشرف التاريخ الفكري والحضاري والديني والسياسي بالحديث عنه. ولماذا لا يخلد في التاريخ وهو الشخصية المتميزة في كل ميدان بشهادة كل المفكرين من سائر أقطار الدنيا.

لقد ورث عن أجداده حفظه الله العبقرية والبطولة والشهامة وعهده الزاهر مليئ بالأعمال الجليلة والمنجزات العظيمة والمشاريع المثمرة، والمبادرات الأصيلة.

وإن الشعب المغربي وهو يومن بأن مجد ملكه مجد لشعبه جدير بتاريخه في الماضي، وخليق بتاريخه في المستقبل.

وإنني لسعيد كل السعادة، فخور كل الافتخار، أن أتشرف وأكون من بين المهنئين والمفصحين عن الولاء والإخلاص لمولانا أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني، رائد البعث الإسلامي والإصلاح الديني.

وخير ما أريد أن أجعله مسك الختام، درة من درره الغالية حفظه الله إذ يقول جلالته : «هنيئا لنا جميعا شعبي العزيز بهذا العيد السعيد الذي أصبح علما بارزا في مرابع أفراحنا ومسراتنا، وهيأ الله لبلادنا بتوفيقه وتيسيره أسباب التقلب المتواصل في نعماء رخاء العيش، وطمأنينة القلوب».

فاس : د. ادريس العلوي العبدلاوي



عادت لشعبك بهجة الذكرى ... فاختال في أمجادها فخرا
ما كان حلما ما رأى في عهد من ... شاد السدود وحرر الصحرا
وأحالها من بعد جدب جنة ... ومطارفا موشية خضرا
من بعد ليل طال وهي مهيضة ... في القيد تأمل أن ترى الفجرا
لبيت صرختها وكان لها الفدا ... شعب تعود نجدة الأسرى
ما كان حلما ما رأى من نهضة ... تعلي قواعد مجدنا الكبرى
من كل معلمة تضيء ومعهد ... يحيي ويخصب فيضه الفكرا
ما زلت تقتحم الخطوب بعزمة ... وإرادة تستسهل الوعرا
لم ترق في درج المعالي قمة ... إلا وتقت لقمة أخرى
عودت شعبك أن تناضل مخلصا ... كمجاهد لا تبتغي الأجرا
شيم رضعت لبانها من دوحة ... طابت ففحت بروضها عطرا

* * *

علمت شعبك كيف يبني مجده ... بسواعد تستأصل الفقرا
ويذود عنه ذئاب سوء لم تزل ... تخفي العداء وتضر الغدرا
إن تمش فيها للسلام مسيرة ... من أجل مغربنا مشت شبرا !
عبأت حولك وحدة مرصوصة ... لا يستطيع لها العدى كسرا
عصفت بأحلام الدخيل وسطرت ... بدمائها أيامنا الغرا
فهم القلاع الشامخات وهم همو ... من قاوموا الطغيان والحجرا.
ورثوا ولاءك كابرا عن كابر ... وتقلدوه عقيدة كبرى.
شعب يراك ظهيره وضميره ... يومي إليك فتفهم السرا

وإذا اشتكى كنت الطبيب لـدائـه ... والمستطيـــــــع ليكشف الضرا
يهنيــه أنــك مسلم ومنــاضـل ... تسعى لتسعــد شعبــك الحرا

* * *

أكبرت فيــك مــواقفــا عربيــة ... ومبــادئــا تسمو بهــا قــدرا
مـا ضاق صدرك عن فجائع أهلنـا ... في قــدسنــا وخطـوبــه النكرا
أعطيتهــا من نـور قلبــك شعلــة ... لا تنطفي ووهبتهـــا العمرا
لم تغف عينــك عن مــآسي أهلنــا ... في القــدس في لبنــان في مصرا
آليت إلا أن تــوحــد صفهــا ... وتشــد من إخـوانــك الأزرا
لم تشـك من ملـل عراك ولم تضـق ... بهمــومهــا فكرا ولا صــدرا
وأرى جهــودك أثمرت أغراسهــا ... ويــدت تطـل مــواكب البشرى
هــذي البراعم من بنيــه تفجرت ... حمما تـذيـق عـدوهـا المرا !
غضبى يـدمـدم في الفضا إعصارهـا ... قـد أرخصت أحجــارهـا الـدرا !
أقمت قبـل على الصـلاة بقـدسنـا ... ولأنت أوفى مقسم برا
لم تــدخر جهــدا لنجــدتــه ولم ... تفتــأ تــواصــل نحــوه السيرا
فغــدا يصلي المسلمـون وراءكم ... ويكبرون لربهم شكرا
ويعيش شعب القـدس سيد أرضــه ... وتعــود دولتنــا إلى المسرى
فــاسلم لأمتــك التي لا ترتجي ... بسـواك في آمــالهــا نصرا
ولأمــة الضــاد التي سهرت لهــا ... عينــاك وهي تصـارع الـدهرا
واقمـع دعــاة الشر والإلحــاد في ... شعب يرى تضليلـــــه كفرا
نخشى عليــه حضــارة غربيــة ... لا نستشف لمــدهــا جـزرا !
واضرب على أيـدي الفساد فلا بقـا ... ء لأمــة في جسمهــا استشرى !
وانهض بــه وأضيء دروب حيــاتــه ... واسلــك إلى غــده. بــه اليسرى
فعلى يـديـك يحقق الأمـل الـذي ... يسعى إليـــه ويبلـــغ الشعرى

* * *

لم أمتـدحـك فـأنت دنيـا لم تـزل ... وكمــا عهــدتــك تعجـز الشعرا !
مـا كنت إلا قــاطفــاً من روضكم ... زهرا أضم لمثلـــــــه زهرا
أني اتجهت رأيت مــالا يحتـوي ... فكري ومـــــالا ينتهي حصرا
ورأيت آفــاقــاً تبشر بــالمنى ... وغــدا لشعبي مشرقــا نضرا
فـاسعـد بهـذا العيـد موفـور الرضى ... ذكرى تعــانـق بعـدهــا ذكرى

تطوان : محمد الحلوي

اهتمام المغاربة بالحفاظ على تراثهم الفكري وعمل الملوك العلويين على نشره

للأستاذ محمد الفاسي

إن من أهم مميزات الشعب المغربي في ما يتعلق بشؤون الفكر، اهتمامهم بالحفاظ على التراث المتمثل في المخطوطات والوثائق، وبفضل هذا الاهتمام، تزخر الخزانات العامة والخاصة، بالمؤلفات في سائر العلوم، ومن مظاهر الغيرة على هذا التراث والسعي في الحفاظ عليه، قصة مخطوطات الزاوية الناصرية بتامكروت بدرعة في جنوب المغرب الشرقي، وذلك أن أهمية هذه الخزانة كانت معروفة عند العلماء المغاربة وعند المستشرقين، فلما فرضت الحماية الفرنسية على المغرب، وعندما احتلت ناحية درعة توجه وفد من المستشرقين الفرنسيين إلى تامكروت قصد الاطلاع على الخزانة الشهيرة، فاستقبلهم مقدم الزاوية الناصرية، وقدم لهم عدة مخطوطات من المصاحف وكتب الحديث والفقه والعلوم الإسلامية والشروح للمتون المشهورة، والكل في مجلدات مسفرة، وبخطوط جميلة، فلما اضطلع المستعربون على تلك المجموعة الضخمة، سالوا عن كتب العلوم البحتة من رياضيات وفلك وعلوم الطبيعية والفلسفة والأدب والتاريخ والرحلات والجغرافيا، فقال لهم المسؤولون عن الخزانة : «ليس في هذه الخزانة سوى ما قدمنا لكم، وما على الرفوف كله من هذا القبيل»، فرجع الفرنسيون وهم يقولون : «إن خزانة تامكروت خرافة» روجها أصحابها للدعاية لزاويتهم، وكنت شخصيا متيقنا من أن الأمر فيه سر، لأنه لا يعقل أن تجتمع كلمة علمائنا على التنويه بالخزانة المذكورة من دون أن تحتوي على نفائس من العلوم التي لم يقدم محافظ الخزانة للفرنسيين نسخا منها...

فلما عينت في وزارة التعليم في أول الاستقلال (دجنبر 1955) كان أول ما عمدت إلى عمله أن كلفت الأستاذ إبراهيم الكتاني من علماء جامعة القرويين بالتوجه إلى تامكروت وزودته برسالة رسمية وبرسالة من وزير الداخلية وذلك ليضطلع على حقيقة الأمر في الخزانة الناصرية، ويضع تقريرا شاملا عنها، فكان أن وصل إلى تامكروت بالليل فاستقبل بترحيب من المسؤولين ولما أطلعوا على الغاية من مأموريته، قالوا له إننا نلبي بكل ارتياح طلب حكومة صاحب الجلالة، ولكننا لا نستطيع الآن أن نطلعك على نفائس خزانتنا، لأنه يجب أولا أن نهدم هذا السور الذي توجد وراءه صناديق المخطوطات الثمينة، لأننا عندما وصل الجيش الفرنسي إلى قريب منا وعرفنا أن الفرنسين سيريدون الاطلاع على خزانتنا، قررنا حفاظا عليها أن نختار كل ما تشتمل عليه من نفائس ونجعلها في صناديق، نضعها في قاعة مجاورة للخزانة، ونبني حائطا يفصلها عن الباقي، وذلك في سرية تامة».

«وفي الغد جاء بناء وهدم السور ووجد الشيخ إبراهيم الكتاني بالفعل صناديق مملوءة بنفائس المخطوطات، وبعث لي بتقريره الأول بعد مكالمة هاتفية أبدى لي فيها سروره بما اطلع عليه من نفائس المخطوطات...

هذا مثال من اهتمام الشعب المغربي بتراثه، ومن هذا القبيل على الصعيد الأعلى، ذلك أنه لما بويع صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله، عمد إلى تفقد القصور الملكية، وأخبرني جلالته يوما بمراكش أنه لما وقف على معالم دار المخزن بفاس، وجد قاعة مقفلة، فأمر أن تفتح فقيل له : لا يمكننا أن نفتحها، لأن مفتاحها كان دائما يحمله معه والدكم المنعم، فأمر بنجار لفتحها فلما تم ذلك دخل جلالته فوجد قاعة كبرى، فيها عدة صناديق فتحت فإذا بها مخطوطات تعد بالآلاف قال لي جلالته : «فأمرت بنقلها إلى الرباط، وهي الآن، في دار بالمشور وهي في عنقك فيجب البحث فيها وتسجيلها والعمل على فهرستها»...

وقد كنت إذ ذاك رئيس جامعة محمد الخامس، والخزانة العامة من اختصاصها، فكلفت المسؤولين عنها بالشروع في العمل، وهي الآن من محتويات الخزانة الحسنية التي يشرف عليها البحاثة الموفق الأستاذ محمد العربي الخطابي.

ومعنى هذا الحادث الهام، أن ملوك الدولة العلوية كانوا يحرصون على جمع التراث الفكري العربي، وعلى الحفاظ عليه إلى أن وصل ليد المولى عبد الحفيظ رحمه الله، فلما قرر التنازل عن العرش، أوصى على ما يظهر، أحد ثقاته بدفع المفتاح إلى من يتولى بعده الملك وجعل كتب الخزانة في صناديق وضعها في قاعة داخل القصر، ولا شك أن المولى يوسف رحمه الله أوصى كذلك بدفع المفتاح لخلفه، وهكذا لما فاجأت الموت محرر المغرب المولى العظيم محمد الخامس تغمده الله برحمته، لم يستطع أن يوصي ولي عهده بما أوصى به والده وعمه وكل هذه التدابير تدل على العناية القصوى التي يوليها الشعب المغربي وملوكه للتراث الفكري...

ثم إن قضية النشر سواء للتراث، أو للتأليف الحديثة، مسألة ذات أهمية كبرى، وبلادنا لم تتوقف بعد إلى دراستها دراسة معمقة، لأن العمل في هذا الميدان، مبعثر تتوزعه الوزارات والجمعيات وهيئات مختلفة... وعسى أن تنجم عن هذا الاجتماع نتائج عملية لتوحيد الجهود، وتنظيمها، بأن تؤسس دور للنشر مجهزة، فكريا وماديا، بكل ما يتوقف عليه العمل في هذا المجال...

ولقد قام ملوك الدولة العلوية بمجهودات محمودة منذ أيام الحسن الأول في نشر التراث الإسلامي ومؤلفات المعاصرين وذلك في المطابع الحجرية بفاس ونشروا فيها مؤلفات قيمة، كشرح الإحياء للزبيدي على سبيل المثال وكنوازل الونشريسي، وكسلوة الأنفاس للكتاني، وهذه المطبوعات الفاسية تعتبر ثروة ثقافية قيمة وقد قامت «جامعة هارفارد» بأمريكا بجمعها وفهرستها، والكتابة عنها، والخزانة العامة بالرباط تحتوي على كمية وافرة منها، وأكاديمية المملكة المغربية مشروع يهدف لجمع هذه المطبوعات الحجرية في قائمة ستتولى نشرها بمعاونة مع الخزانة العامة...

وطبع المولى عبد الحفيظ بالقاهرة مؤلفات كثيرة، وقد أوفد إلى القاهرة تاجرا من أهل فاس من عائلة ابن شقرون، مكلفا بالسهر على طبع الكتب التي ألفها المولى عبد الحفيظ نفسه، رحمه الله، في طبعة فاسية ديوانه في شعر الملحون.

وفي عصرنا أسس المغفور له محمد الخامس المطبعة الملكية، التي أخرجت عددا من كتب التاريخ وغيره، وسار على سننه وارث سره مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله، كما أمر وزارة الأحباس والشؤون الإسلامية بالعمل على نشر نفائس من كتب الحديث والعلوم الإسلامية الأخرى.

هذا وإن نشر التراث الإسلامي تقوم به كل الدول الإسلامية، ولكنني أرى أن هناك أمرا من الأهمية بمكان، لا تستطيع أن تضطلع به دولة وحدها، وهذا الأمر هو القيام بوضع «البيبلوغرافية» الإسلامية على غرار ما تفعله كل دولة من دول العالم المتحضر، ومعنى هذا، أن كل دولة تعمد

إلى حصر ثروتها من الإنتاج الفكري التي تحتوي عليه خزاناتها في فهارس عامة، تستوعب كل ما تضم هذه الخزانات في كل مدينة وكل قرية من مخطوطات ووثائق ومطبوعات من الكتب والدوريات، لذلك يتعين أن تشرف على هذا المشروع الضخم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الأسيسكو) بتعاون مع «صندوق التضامن الإسلامي»، وذلك للتنسيق بين الدول الإسلامية وأداء المعونة التقنية لها...

وكما قدمنا حيث إن هذا المشروع الذي اقترحه، لا يمكن أن يضطلع به إلا مؤسسة دولية كالأسيسكو، وحيث إن ميدان العمل فسيح.

إذ يشمل العالم كله ينبغي أن يوزع العمل على لجان خمس تختص بالبلاد العربية، والبلاد الإسلامية وبلاد آسيا، وبلاد إفريقيا، وبلاد أوروبا والأمريكتين. وعندما يتم هذا المسح يشرع في أعمال الفهرسة حسب قواعد هذا العلم وترتيباته، ومن العلوم أن أكثر خزانات العالم الكبرى لها فهارس خاصة بمخطوطاتها العربية أو الشرقية عموما، وهذا مما يسهل العمل على الخبراء الذين سيتولون القيام به من قبل الهيئة العليا، إن هناك خزانات مهمة في مختلف أقطار العالم، ليست لها فهارس مطبوعة وفي هذه الصورة يتعين إيفاد خبراء لهذه الأقطار يكلفون بوضع الفهارس للمخطوطات الإسلامية الموجودة بها باتفاق مع المسؤولين الوطنيين...

إننا نعلم أن معهد المخطوطات التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يقوم منذ سنين عديدة بتصوير نخبة من المخطوطات العربية الموجودة في عدة بلاد خصوصا العربية منها ثم يضع فهارس لهذه المؤلفات المصورة، وهذا عمل يشكر عليه، وقد أفاد، جدا، الباحثين والعاملين على نشر التراث الإسلامي، إلا أن تلك الفهارس، هي أقرب إلى أن تكون مجرد قوائم وعناوين للكتب، ثم إن ميدان نشاط هذا المعهد محدود، وحتى الخزانات التي زارها خبراؤه لم يصوروا منها إلا أقل القليل...

هذا وإننا عندما نقول «التراث الإسلامي» فإننا نعني أولا، كل ما كتب بالعربية في بلاد الحضارة الإسلامية، سواء كتبه مسلمون أو غيرهم، لأن الثقافة الإسلامية العربية هي التي كانت سائدة. ثم إن هناك تراثا إسلاميا كتب في لغات أخرى، كالفارسية والتركية والأوردو، واللغة السواحلية، وغيرها من اللغات الإسلامية. فينبغي الاهتمام به أيضا ووضع فهارس له...

وهذه الفهارس كلها ينبغي أن تحتوي في آخر كل واحد منها على قائمة بأرقام المؤلفات التي لا زالت لم تطبع إلى حد الآن، وهذا ما يفيد القائمين على نشر التراث حتى لا تضيع الجهود بطبع ما هو مطبوع، في حين أن الحاجة إلى نشر أكثر ما يمكن من المخطوطات هي أحسن من تكرار الطبع لما سبق طبعه، وقد كنت وضعت فهرسا لنوادر الخزانة الملكية بالرباط، نبهت فيه بالنسبة لكل كتاب على أنه طبع أو لم يطبع.

ومن البديهي أن هذا المشروع لا يمكن أن ينجز إلا في زمن طويل، يمكن أن يقدر بعشرين أو ثلاثين سنة إذا رصدت له كل ما يتوقف عليه من مال ورجال. وعلى سبيل المثال فإن الفهرس العام لمخطوطات الخزانة الفرنسية تطلب أكثر من عشر سنوات. ومثل هذا الفهرس ونحوه من الفهارس العالمية سيفيد في إنجاز هذه البيبليوغرافية. وإليكم الآن قائمة موجزة بهذه الفهارس :

- المخطوطات العربية بخزانة «الأسكوريال». لمؤلفه : درمبور.
- المخطوطات العربية بخزانة غوطة. لمؤلفه : برتش.
- فهرس الكتب العربية بخزانة مكتب «الهند». بلندن.
- فهرس المخطوطات العربية بخزانة «برلين». لمؤلفه أهلورات.
- الخزانة «البودلانية» بأكسفورد.
- فهرس المخطوطات بالمتحف البريطاني بلندن القسم الثاني - المخطوطات العربية.
- فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية بكلية تالوت بكامبريدج.
- فهرس الكتب العربية المحفوظة في الخزانة الخديوية المصرية.

- فهرس المخطوطات بخزانة كوبرولو زادة محمد باشا بأسطنبول.
- فهرس خزانة أياصوفيا بأسطنبول.
- فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية بأكاديمية فيينا.
- فهرس المخطوطات العربية بالخزانة الوطنية بمدريد.
- فهرس خزانة نور عثمانية بأسطنبول.
- فهرس الخزانة الوطنية بباريس (قسم المخطوطات العربية).
- فهرس المخطوطات الشرقية بخزانة لنين كراد (بطروكراد).
- فهرس خزانة راجب باشا بأسطنبول.
- فهارس الخزانة الحسنية بالرباط.
- فهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط.
- فهرس خزانة يني جامع بأسطنبول.
- فهرس المخطوطات العربية والفارسية والأوردو بالجامعة الإسلامية بعلى كارة.
- فهارس الكتب في دمش وضواحيها.
- فهرس مخطوطات خزانة لالي بأسطنبول.
- فهارس خزانة جامعة القرويين بفاس.
- فهرس المخطوطات العربية بجامعة ليدن بهولاندا.
- فهرس كتب الخزانة السليمية بأسطنبول.
- دفتر المكتبة الصادقية بتونس.
- فهرس المخطوطات الفارسية والعربية بخزانة المجلس بطهران.
- فهرس كتبخانة أسعد أفندي بأسطنبول.
- فهرس الكتب العربية والمخطوطات في خزانة الجمعية الأسيوية بالبنغال.
- فهرس خزانة الصبيحي بسلا.
- فهرس مخطوطات خزانة بايزيد بأسطنبول.
- فهرس المخطوطات العربية والفارسية في خزانة مدرسة كالكوتة.
- فهرس المخطوطات الإسلامية بكامبردج.
- فهرس كتب خزانة حامدية تربة بأسطنبول.
- فهرس المخطوطات الإسلامية والمسيحية الشرقية الخ بجامعة لايبتسيك بألمانيا الديمقراطية.

ومع وجود هذه الفهارس وغيرها حيث إن ما ذكرته منها إنما هو على سبيل المثال لا الاستقصاء يتعين الرجوع في كل خزانة إلى الجذاذات المخطوطة التي تضم ما دخل تلك الخزانات بعد وضع فهارسها. والجذاذات القديمة تحتوي كذلك على تصحيحات وتحقيقات يضعها عادة المشرفون على خزانات المخطوطات.

وينبغي التنبيه هنا على ما يسمى بالمجاميع وذلك أن من عادة العلماء أصحاب الخزانات التي تؤول في النهاية إلى اقتنائها من قبل الخزانات العامة والخزانات الوطنية وخزانات الجامعات. أقول هؤلاء العلماء من عادتهم أن يضموا مؤلفات صغيرة ورسائل ومنظومات في مجلد واحد يطلق عليه في الاصطلاح اسم مجموع وكثيرا ما يلتبس الأمر على واضعي الفهارس فيضعون للسفر المحتوى على مجموع اسم أول كتاب فيه ظانين أن الكتاب كله هو ذلك الذي كتب اسمه في أول المجموع فتبقى هكذا مؤلفات كاملة مجهولة حتى يقيض الله لها من يفحص المجموع فيستخرجها. فالتحري التام هنا من لوازم عمل الفهرسة بكيفية علمية مدققة.

وبالنسبة للوثائق ينبغي أن يهتم كذلك بما تحتوي عليه عدة خزانات في المشرق والمغرب كخزانات أسطنبول والقاهرة والرباط وغيرها من العواصم الإسلامية وكذلك بسجلات الأحباس بالمغرب وهو المساة «الحوالات» إلى غير ذلك مما خلفه سلفنا من «الكناشات» والتقاييد.

هذا وإن القيام بهذا العمل لا يتنافى مع الشروع من الآن في نشر المؤلفات القيمة مما لم ينشر بعد أو إعادة نشر ما طبع على الحجر بفاس لأن قراءته صارت صعبة على الذين لم يعتادوا قراءة الحرف. المخطوط.

وذلك لأن العمل في البيبلوغرافية والنشر نشاطان يكمل أحدهما الآخر.

أما عن الأولويات في نشر كتب التراث ينبغي بالنسبة للتراث المغربي أن تدرس هذه القضية دراسة مستفيضة حتى لا يبقى الأمر فوضى فيجب أن توضع

مقاييس متفق عليها لمعرفة هل الأولوية لكتب علوم الإنسان من أدب نثري وشعري ومن تاريخ وجغرافية ورحلات ومن فقه بكل فروعه ومن أصول وفلسفة ومن علوم الآلة : النحو والصرف والبلاغة ومن العلوم الإسلامية من تفسير وقراءات وتجويد وغيرها من علوم القرآن ومن توحيد وكلام وفلسفة إسلامية ومن حديث وعلومه إلى غير ذلك من هذه العلوم النقلية أم تكون الأولوية للعلوم البحثة من رياضيات وفلك وطبيعيات كعلوم النبات والحيوان والمعادن والطب والصيدلية إلى غير ذلك من كل أنواع هذه العلوم والفنون التي برع فيها المسلمون ووضعوا فيها المؤلفات القيمة التي لا تزال إلى الآن تفيد في تقديم المعارف الإنسانية.

ويمكن اختيار ثالث وهو المزج بين الأولويتين المذكورتين بحيث تقوم جهة حكومية بطبع ما يتعلق مثلا بالعلوم الإسلامية كما تفعل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

وجهة أخرى كالأكاديمية الملكية بطبع كتب العلوم البحثة وجهة ثالثة كوزارة الشؤون الثقافية بنشر كتب العلوم الإنسانية ويبقى للقطاع الخاص أن ينشر كتبا من كل هذه الأنواع ولكن بتنسيق مع الجهات الرسمية حتى لا يقع تكرار.

الرباط : محمد الفاسي

هذه الذكرى توجب علينا أن نعتز بما مضى، ونعتز كذلك بما سنلاقي في المستقبل، علما منا أن المغرب لا يمكنه أن يخطيء، ولا يمكنه أن يتنكر للأسباب التي جعلت منه بلدا شامخا في التاريخ.

إن ذكرى كهذه شعبي العزيز، ذكرى مليئة بالتاريخ والأمجاد والدروس والحكم، فكيفما كانت قيمتها في نفسي، وكيفما كانت قوة نفسي، لا أستطيع أن أفي تماما بما تخلده فينا جميعا من إحساسات؛

جلالة الملك الحسن الثاني



«المجال رحب الحدود، ذو سعة يغري بالكتابة في جلالة الحسن الثاني نصره الله» كما جاء في خطاب لسيادة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية طالباً الإسهام في العدد الخاص من مجلة «دعوة الحق» الغراء بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لاعتلاء جلالته عرش أسلافه الأكرمين. فعلاً، لأن المجال رحب متسع، فهو صعب المأخذ والمعالجة ومن صنف السهل الممتنع عن الكاتب الذي يعجز عن احتوائه. ذلك أن شخصية العاهل الكريم شخصية متعددة الجوانب، كل جانب منها يبلغ الذروة في التألق بحيث يعسر إيثار بعضها عن بعض.

إن العهد بالملوك المغاربة من أقدم العصور يملكون ويحكمون، ويعقدون ويبرمون في كل القضايا الأساسية التي تعود إلى الحياة العامة؛ وهو شأن ملوك الدولة العلوية أيضاً. إلا أن كل واحد يتميز عن الآخر : فهذا باني ومؤسس الدولة، والثاني موطد دعائمها، والآخر مصلح مجدد، وذاك عالم ورع، والخامس مدافع عن حوزة الوطن ووحدته. من المولى الرشيد والمولى اسماعيل إلى المولى الحسن مرورا بسيدي محمد الثالث والمولى سليمان، كل واحد من هؤلاء الملوك كان ينفرد بخصائص تميزه عن الآخر إلى أن جاء سيدي محمد الخامس رحمه الله فكان نسيج وحده في المكارم، ومع ذلك اشتهر ببطل التحرير.

وها نحن أولاء ننعم اليوم بولاية وارث افضاله جلالة الحسن الثاني أدام الله بقاءه. و«من حسن حظ المغرب أن توالى على عرشه ملكان ذكيان. فالملك الحسن الثاني يعد من الملوك الأذكياء ـ كما قال السيد فرانسوا ميتران ـ وذكاء الحسن الثاني فريد في نوعيته. فهو رجل قادر على مواجهة جميع الحالات. يحكم بلاده منذ فترة طويلة في ظروف لم تكن سهلة على الدوام».

يحدونا حب الاستطلاع أن نتساءل، وجلالته متعه الله بدوام العافية في ذروة النشاط والعز، بماذا يمتاز العهد الحسني وبماذا سيخلد محاولين أن نستشف المستقبل. نشاهد أعمال جلالته بارزة في كل مجال، ممتازة في كل ميدان، لا يخلو من بصماته مرفق من مرافق الحياة الوطنية، لقد درجنا على وصف جلالته بموحد البلاد ومحرر ما تبقى من أقاليمها المغتصبة ومخطط المسيرة الخضراء. لكن له إلى هذا وذاك جولات في كل حلبة. براعته تتجلى أوضح ما تتجلى في السياسة والحكم اللذين يمسكهما بحنكة الربان الحصيف، ويوجههما توجيه النوتي المحنك. ذكر موريس دريون السكرتير الدائم للأكاديمية الفرنسية أن اليونانيين القدامى كانوا يطلقون أهم «الفن الملكي» على تسيير دفة السياسة والحكم، وأكد أنه لم يشاهد من بين

رؤساء الدول الذين عرف الكثير منهم في حياته الطويلة كجلالة الحسن الثاني مصداقاً لهذه الحقيقة.

سبع وعشرون سنة وسنوات قبلها في عهد والده قضاها جلالته في بناء أركان الدولة وتعمير البلاد والنهوض بالشعب أدبياً واجتماعياً لاستدراك ما فات واللحاق بركب الأمم العصرية. فأسس نظاما يستند إلى ملكية دستورية ترعى تعددية الاتجاهات والتيارات السياسية وتفرق بين السلطات وتضمن الحريات العامة وحقوق الفرد والجماعة، وأرسى قواعد الحكومة على أسس ثابتة محددا مسؤولياتها بكامل الدقة.

وانكب جلالة الحسن الثاني على تنظيم الإدارة من أعلى الهرم إلى أسفل القاعدة فسن قوانين تكفل سير أجهزتها بمرونة وانسجام محددا اختصاصات أعوان السلطة على اختلاف درجاتهم والجماعات على اختلاف مستوياتها فأصبح كل يعرف حدود مسؤولياته وواجباته. وفي نفس الحين نظم القضاء ووحده وفق المطامح التي طالما أعرب عنها الشعب في عهد الحماية حين كان يضم من اختلاط السلطات وما كان يترتب عنه من جور وعسف وهضم للحقوق. فغدا الجهاز القضائي متكاملا مستوفي الشروط.

أما توجهات البلاد في الميدان الخارجي، فقد حرص جلالة الملك على أن يكون الدستور متضمنا لانتماءاتها العربية والإسلامية والإفريقية، مع النص على أنها جزء من المغرب العربي الكبير وتأكيد إرادتها في السعي لصيانة السلم والأمن العالميين على الدوام، وحقق جلالته ما يضمن استمرار هذه الانتماءات بصيانة الكيان الوطني والسعي لتحرير ما تبقى من أجزائه وإنشاء جيش قوي يحرس الثغور ويذود عن الحمى ويرد غارات الخصوم والمتربصين، جيش عتيد كامل العدة والعدد تحت قيادته العليا ورعايته المباشرة.

ومع حرص جلالته على اتباع سياسة عدم الانحياز بمديد الصداقة والتعاون لكل الدول على اختلاف أنظمتها السياسية والاجتماعية، لا يدخر جلالته وسعا في التفتح على الدول الديمقراطية والسعي للتعاون معها في شتى المجالات، كما يفتح نوافذ بلاده لجميع التيارات متيحا لها الاستفادة مما تحمله.

وفي الميدان الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة، تحققته في عهد جلالة الحسن الثاني منجزات مهمة على طريق النماء والازدهار وفي مقدمتها السدود التي تجلب الماء والخضرة والرواء، وواكبتها من جهة أخرى منشآت اجتماعية لا سيما في ميدان التعليم وتكوين الأطر والمتخرجين في جميع التخصصات من المعاهد والجامعات المنتشرة في كافة أنحاء المملكة.

في جميع هذه المجالات وفي غيرها تبرز أعمال جلالة العاهل الكريم جلية واضحة «مما أتاح له أن يقوم على رأس بلاده بدور المحرك والدافع في جميع المجالات الاقتصادية والعلمية والثقافية... وأتاح له أن يقوم بدور الموائم بين التراث والمعاصرة... وباختصار فإن الحسن الثاني عكس أشعة دماغه المتمرس على شتى المعارف والمتجه نحو الوحدة المتعالية عكسها على كل هذه المجالات» على حد تعبير السيد موريس دريون، أو بعبارة أخرى فإن مغرب اليوم يحمل بصمات الحسن الثاني في كل ميدان من الميادين، وقد حلل هذا الكاتب شخصية الحسن الثاني في كلمة جامعة نقتطف منها الفقرات الآتية :

«القانون العام والقانون الخاص والقانون المقارن، التاريخ الوطني والتاريخ العام، علم اللاهوت لا الإسلام وحسب وإنما ديانات أهل الكتاب الأخرى، الشعر والآداب والفلسفة، فن الحرب والجغرافية استراتيجية، الطب بجميع مظاهره، الموسيقى والفن التصويري، علم الزراعة، علم طبقات الأرض، الهندسة، الصناعة، استكشافات التكنولوجيا وتطبيقاتها : لا يوجد نشاط إنساني أو إنتاج أو عمل من أعمال الفكر لا يثير في الملك الحسن الثاني حب الاستطلاع، أو يستطيع فكره المرن أن يستوعب مبادئه، بل كثيرا ما يستوعب تفاصيله.

«وذلك ما يتيح له أن يكون على قدم المساواة مع العلماء والفلاسفة والفنانين والخبراء، وأن تكون له معهم مساجلات في العمق.

«وما يسمح له كذلك أن يقود دبلوماسية رائعة، دبلوماسية على مستوى عالمي تعتمد على صادق الحدس والتأمل، والإبداع والحكمة، وتتميز بالكلمة والإشارة والنفس الطويل في الوقت، مما لم تأخذ به كثير من الأمم، وسوف يكون نموذجاً يدرس في المستقبل».

هذه شهادة من مئات الشهادات التي أدلى بها عن دراية ومعرفة وطول اختبار كبار مفكري وساسة العالم في حق جلالة الحسن الثاني مما يجعل احتواء شخصيته الفذة في إطار محدد من الصعوبة بمكان، فلقد اجتمع في جلالته ما تفرق في غيره من أكابر ملوك الدولة العلوية، ومن حسن طالع المغرب أن يكون زمام أمره في هذه الظروف العصيبة في العالم وخاصة في العالم العربي بيد عاهل عظيم يرجع له الفضل فيما تتمتع به البلاد من أمن واستقرار، أطال الله بقاءه ومتعه بالعافية والهناء والتوفيق.

الرباط : قاسم الزهيري

• • اقتضت حكمة الله أن يضع على عاتق خلفاء المسلمين وأمرائهم أمانة خلافته في الأرض فجعل بذلك على رأس مهامهم مسؤولية الذود عن الشريعة والحفاظ على الدين وحماية المجتمع الإسلامي من كل زيغ أو ضلال مبين وقد امتاز المغرب الإسلامي بتعاقب ملوك بررة جعلوا الحفاظ على الإسلام والدفاع عنه فيما وراء البحار، ونشره فيما جاوره من الأقطار مهمتهم الأولى، وتثبيت تعاليمه في النفوس غايتهم المثلى، ومن بينهم ملوك شرفاء من آل البيت الكرام، في طليعتهم أسلافنا الملوك العلويون المنعمون في دار السلام • •

•

جلالة الملك الحسن الثاني

مدرسة محمد الخامس في سياق الفكر السياسي المغربي من خلال ظاهرة الجنوح للسلم *

للدكتور عباس الجراري

بحث يتناول بالدرس والتحليل ظاهرة الجنوح للسلم، كما تبلورها مدرسة محمد الخامس. وهو يطرح الموضوع في مقدمة وأربعة أقسام وخاتمة :

المقدمة : تثير إشكالية المصطلح والمنهج.

القسم الأول : يعرض الظاهرة في سياق الفكر السياسي المغربي.

القسم الثاني : يرصدها من خلال تمثل رائد المدرسة جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

القسم الثالث : يتابع أثر المدرسة وتجليها على مستوى التنظير والممارسة في عهد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

القسم الرابع : يفسر الظاهرة ويناقش بعض القضايا التي يثيرها هذا التفسير وهو يرتكز على ثلاثة عناصر :

1 - طبيعة الشخصية المغربية.

2 - التمسك بالإسلام والتأثر به.

3 - السلوك الخلقي.

الخاتمة : تستخلص مجموعة من الاستنتاجات.

نبادر إلى القول بأننا نعطي «المدرسة» مفهوم الاتجاه الذي تكون أسسه ومبادئه واضحة وملامحه متميزة؛ وغالباً ما يتولد عن إحساس وتفكير جماعيين، وإن صدرا عن إبداع فردي فإنهما يكونان قابلين ليتبناهما الآخرون، في خط ينتسبون إليه ويسيرون على هديه ويتمسكون بأهدابه ويدافعون عنه.

---

*) بحث مقدم لندوة محمد الخامس الدولية التي نظمتها جمعية «رباط الفتح» بمدينة الرباط خلال الفترة من 24 إلى 28 ربيع الأول 1408 هـ - 16 - 20 - نونبر 1987.

والمدرسة التي نتحدث عنها روضة فيحاء غرس بذورها بطل الحرية والاستقلال جلالة الملك المغفور له محمد الخامس[1] قدس الله روحه، وتعهدها وما أينعت من أزهار وثمار وارث سره قائد مسيرة التحرير والتوحيد جلالة الملك الحسن الثاني[2] أيده الله ونصره. وما زالت أياديه البيضاء وأفضاله الجلى تترى، منبثقة من نبع هذه المدرسة الفياض، لا يستقصيها حد ولا يحصيها عد، تنعم الأمة في رحابها المترامية الأفياء، متطلعة إلى آفاق الرقي والتقدم التي خطط - دام علاه - لبلوغها برؤية مستقبلية أصيلة ومتفتحة، تنطلق من الوعي المتبصر الصحيح إلى الهدف المحدد الواضح، ويحفزها الإيمان المستند إلى العقيدة والعلم، وتحثها الثقة في الذات وفي قوة الوطن وقدرات أبنائه.

و«الفكر» يعني إنتاج العقل وإبداعه في حال تأمله وتدبره. وهو «سياسي» لارتباطه بالجماعة العامة في حال تنظيم كيانها، انطلاقاً من الفرد المدرك لواجباته وحقوقه، والممارس لها في حرية وانضباط؛ إذ السياسة في اللغة مصدر فعل «ساس» الذي يفيد القيام على الشيء بما يصلحه.[3] ويقصد منها في الاصطلاح الإسلامي تولي الأمور وتدبير الشؤون، على حد ما يفعل الأمراء والولاة بالرعية، انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف الذي أوله : «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء».[4] وهي إما شرعية تستمد أحكامها من الدين، أو مدنية ترتبط بالحكمة العملية. وعلى الرغم من أن العلماء ميزوا بين النمطين، فإنهم لم يغفلوا التقاءهما في المنظور الإسلامي الجامع بين العقيدة والحياة.

وقد تكون السياسة في كلتا الحالتين نظرية مرتبطة بدراسة الظواهر والقضايا السياسية، أو عملية تنصب على البحث في الممارسات وأساليبها المختلفة. كما أنها قد تكون صالحة عادلة أو ظالمة جائرة. وقد ترتبط بجملة أوصاف تضيف بُعداً ما إلى لفظها أو تحدده، كنعتها بالوطنية والدولية والتنموية والتعليمية، أو بالمثالية والواقعية والخيالية وما إلى ذلك.

وهي كما عرفها معجم ليتري (Littré) في أواخر القرن الماضي «علم حكم الدول»، في حين عرفها معجم روبير (Robert) في منتصف القرن الحالي بأنها «فن حكم المجتمعات الإنسانية»؛ مما يجعلها في النهاية وحسب الشائع عنها «علم السلطة». وهذه كلها مفاهيم نسبية «تُعرَف على أساس مذاهب تقييمية معينة» حسب قول موريس دوفرجيه (Duverger Mourice)[5] الذي يرى أن وراء هذه المذاهب مواقف. وعنده أن «الناس منذ أن فكروا في السياسة يترجحون بين تأويلين متعارضين تعارضاً تاماً. فبعضهم يرى أن السياسة صراع وكفاح، فالسلطة تتيح للأفراد والفئات التي تملكها ان تؤمن سيطرتها على المجتمع وأن تستفيد من هذه السيطرة. وبعضهم يرى أن السياسة جهد يبذل في سبيل إقرار الأمن والعدالة، فالسلطة تؤمن المصلحة العامة والخير المشترك وتحميهما من ضغط المطامع الخاصة. الأولون يرون أن وظيفة السياسة هي الإبقاء على امتيازات تتمتع بها أقلية، وتحرم منها الأكثرية... والآخرون يرون أن السياسة وسيلة لتحقيق تكامل جميع الأفراد في الجماعة وخلق المدينة العادلة التي سبق أن تحدث عنها أرسطو».

---

1) ولد محمد الخامس بفاس عام 1329 هـ (1911م)، وبويع يوم الجمعة 23 جمادى الأولى 1346 هـ (18 نونبر 1927م). نفي مع أسرته الشريفة إلى كورسيكا ومدغشقر يوم 9 ذي الحجة 1372 هـ (20 غشت 1953م)، وعاد إلى الوطن يحمل بشرى الحرية والاستقلال يوم الأربعاء فاتح ربيع الثاني 1375 هـ (16 نونبر 1955م). توفي بالرباط إثر عملية جراحية يوم الأحد 10 رمضان 1380 هـ (26 فبراير 1961م)، ودفن يوم الثلاثاء الموالي بضريح جده المنعم مولاي الحسن الأول، ثم نقل إلى الضريح الذي أقامه بحث مقدم لندوة محمد الخامس الدولية التي نظمتها جمعية «رباط الفتح» بمدينة الرباط خلال الفترة من 24 إلى 28، ربيع الأول 1408 هـ 16 - 20 / نوفمبر 1987. له بحسّان جلالة الحسن الثاني أطال الله بقاءه؛ وتم ذلك بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لوفاته، يوم عاشر رمضان 1391 هـ (30 أكتوبر 1971).

2) ولد الحسن الثاني بالرباط يوم الثلاثاء فاتح صفر 1348 هـ (9 يوليوز 1929م)، ونصب رسمياً في ولاية العهد يوم الثلاثاء 10 ذي الحجة 1376 هـ (9 يوليوز 1957م)، وبويع يوم الجمعة 15 رمضان 1380 هـ (3 مارس 1961م).

3) كما في معجم (لسان العرب) لابن منظور.

4) أورده مسلم برواية أبي هريرة، وبقية الحديث : «كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لانبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر. قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم».
انظر صحيح مسلم في كتاب الإمارة ج 6 ص 17 (ط دار الفكر - بيروت). والحديث وارد في صحيح البخاري (أنبياء)، وفي سنن ابن ماجة (جهاد)، وكذا في مسند الإمام أحمد.

5) في مقدمة كتابه (مدخل إلى علم السياسة) ص 10 - 11، ترجمة د. جمال الدين الأتاسي ود. سامي الدروبي (ط دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع).

كل زمان ومكان، ولكنه أيضاً موضوع المواطنين في هذه الدول، وهو لذلك قديم قدم وجود الحياة المنظمة، وعزيز كذلك ومتنوع ومتعدد؛ يساهم في إغنائه الحكام والساسة والفلاسفة والمفكرون. وعلى الرغم من طغيان الذاتية الفردية أحياناً عليه، وكذا طغيان الاعتبارية الجماعية - مذهبية أو غيرها - أحياناً أخرى، فإنه لم يخل من أصول معرفية قربته إلى مجال العلم وأبعدته عن مجال الظن.

أما «الظاهرة»، فعلى الرغم من كل الأبعاد الفلسفية والأدبية التي تكتنف مصطلحها، فإنها لا تعني عندنا في هذا البحث إلا الموضوع الذي نتج عن ظروف وشروط مضبوطة، والذي تحددت ملامحه واتضحت سماته وشاع أمره وأدركه الناس خاصة وعامة؛ وربما ارتبط بزمان ومكان معينين، مما يجعله ألصق بالواقع والحياة، حتى وإن كمنت خلفه بعض الغيبيات أو التصورات التجريدية.

وأما «الجنوح» فهو الميل الناشئ عن حال الرغبة الصادقة والاقتناع الحق، في حين يدل «السلم» على الصلح والسلامة وضد الحرب. وهو بفتح السين وكسرها حسب القراآت التي وردت عليها آيات القرآن الكريم،[6] وإن ذهب بعض العلماء إلى أن من قرأ بالفتح - كنافع وابن كثير - قصد معنى الصلح، ومن قرأ بالكسر - كأبي عمرو بن العلاء - عنى الإسلام، حملاً على قول الراجز :[7]

في جاهليات مضت أو سلم

ولكن الحقيقة أن عمق معناهما واحد، سواء في مدلول الصلح أو الإسلام. واللفظ في الحالتين بتسكين اللام،[8] ويذكر ويؤنث، وإن قيل إنه إنما أنث حملاً على ضده الذي هو الحرب. ويطلق السلم (بالكسر) كذلك على المسالم، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنين والجمع وعلى المذكر والمؤنث.

وقد بقي - بعد هذا التوضيح الذي زال به كل إشكال يمس المصطلح - أن نذكر أن الدلالات التي يحملها في طيات تلقي بظلال على تناوله، بدءاً من «الظاهرة» التي

جوانبها من خلال التاريخ والواقع، وإن في غير تتبع كامل أو استقصاء شامل، لأن البحث بطبيعته لا يعتمد استحضار كثرة التواريخ والوقائع والأحداث، بقدر ما يهدف إلى الوقوف عند «ظاهرة» متميزة هي «الجنوح للسلم» كما تمثلتها «مدرسة محمد الخامس» داخل «سياق الفكر السياسي المغربي»، في تذكير بأبرز المعطيات التوثيقية ومحاولة الوقوف عندها للتفسير والتحليل والاستنتاج.

ولعلنا أن نؤكد منذ البدء أن المدرسة تؤطر من حيث مرتكزها التنظيري والتطبيقي في الاتجاه الإيجابي للعمل السياسي الذي لا يتوسل بالصراع لتحقيق السيطرة، ولكن يسعى جاهداً إلى إقرار الأمن والنظام والاندماج والتكامل، في تنسيق بين ما هو ديني وما هو دنيوي، على أساس قيم سلوكية ومقومات عقلية توجه نحو الصالح الخاص والعام، بما يحقق المصلحة العاجلة في الدنيا ويضمن المصير الآجل في الآخرة.

والفكر السياسي المغربي بهذا - وفي سياقه المدرسة - ينطلق من النص، أي من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ليلتحم بالتجربة بل بالتجارب التي ولدها الاجتهاد المواكب للتاريخ، قبل أن يصاغ في نظريات غدت النسق والنموذج، مع كل ما تتعرض له من تطور وتجديد تغنيهما الممارسة.

ومن ثم، فالمنهج يسعى إلى التوفيق بين مثالية مرتبطة بنظرة ما ورائية متأثرة بموقف الإسلام ومبادئه، تراعي شروطاً أقرب ما تكون إلى الحتمية على ما فيها من مرونة وقابلية، وبين واقعية مادية تخضع بحكم اجتماعية الظاهرة وتاريخيتها لتكييف هذه النظرة مع متطلبات العرض وكل عصر، وتطويعها لمختلف عوامل التطور والتغير. وهي في هذا التوفيق تبتعد عن الآلية التي لايكون المنهج الخاضع لها إلا متمماً بالجمود والسكون وعدم الفاعلية.

☆ ☆ ☆

6) وهي : أ - ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ (البقرة 206).
ب - ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ (الأنفال 62).
ج - ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم﴾ (محمد 36).

7) انظر الحجة في القراآت السبع) لابن خالويه ص 95 (ت.د.عبد العالي سالم مكرم) ط الثانية - دار الشروق 1399 هـ - 1979م.

8) إذ السلم بفتح السين واللام معناه الاستسلام، ومنه قوله تعالى في الآيتين 89 و90 من سورة النساء : ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً... فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ وقوله عز وجل في الآية 28 من سورة النحل : ﴿فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء﴾. ويطلق السلم (بفتح اللام) كذلك على الخاضع المستسلم الذي خلصت ملكيته، فردا كان أو جماعة مذكراً أو مؤنثاً. ومنه قول الله تعالى في الآية 28 من سورة الزمر : ﴿ضرب الله رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل﴾.

وليس يخفى أنه وجد في المشرق علماء كتبوا في السياسة وشؤون الدولة الإسلامية وعلاقاتها مع غيرها، اعتماداً على القرآن والسنة والفقه وتجربة هذه الدولة وما صدر عنها من رسائل وعقود ومواثيق، يُذكر من بينهم :

1 - عبد الله بن المقفع (تـ 143 هـ) في «الأدب الكبير» و«الأدب الصغير».[9]
2 - القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصاري (تـ 182 هـ) في «كتاب الخراج».[10]
3 - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (تـ 255 هـ) في «التاج في أخلاق الملوك».[11]
4 - أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (تـ 450 هـ) في ثلاثة كتب هي :
   أ - كتاب الأحكام السلطانية.[12]
   ب - كتاب أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك.[13]
   ج - كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة المُلك.[14]
5 - أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (تـ 458 هـ) في كتاب «الأحكام السلطانية».[15]

أما المغاربة، فبحكم حنكتهم الطويلة التي عمقتها تجارب الحرب والسلم المتعاقبة على مر العصور، وبحكم وعيهم بالظواهر الاجتماعية والتاريخية، وفهمهم لحقيقة العمران البشري، وإدراكهم للعناصر الفاعلة فيه والمؤثرة عليه، وملاحظتهم ما يجري في الواقع - أي واقع الحياة والمجتمع وواقع الحكم والسياسة - أبدعوا في مجال الفكر السياسي بما يرتبط به من تاريخ وإجتماع وفلسفتهما، مما أعطى لإبداعهم مجموعة من الملامح تبرزها هذه النقط :

أولاً : أصالة الخطاب من حيث ارتباطه بالواقع.
ثانياً : فلسفة الاتجاه وخلقيته.
ثالثاً : التحرك داخل إطار الإسلام.
رابعاً : التفتح على النظريات الأخرى والرجوع فيها إلى الأصول، واليونانية منها خاصة.

ولا عجب أن يرقى التأليف في هذا النمط من الفكر، إذ الدولة مستقرة وكذلك الفكر؛ والتجربة غنية في نطاق العلاقات الخارجية. هذا في الوقت الذي تعرضت فيه الدولة الإسلامية بالمشرق للتصدع والتفتت، وغدت عاجزة عن التحرك والمواجهة، لا سيما منذ الغزو المغولي لبغداد في منتصف القرن السابع الهجري؛ في حين كانت الأندلس منذ القرن الخامس تلتقط أنفاسها اللاهثة. ولولا التدخل المغربي الذي جدد على يد المرابطين روح الفتح الأول ووحد العدوتين، لما تسنى لها أن تعيش أربعة قرون أخرى، وإن بين مد وجزر قبل أن تلفظ هذه الأنفاس.

ومن تتبعنا لتاريخ الفكر السياسي وما أنتج المغاربة في مرحلة ازدهاره، نستطيع أن نقف على كتب كثيرة نكتفي منها بذكر هذه الأسماء :

1 - كتاب الإشارة إلى أدب الإمارة[16] لأبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي أحد قضاة المرابطين في الصحراء المغربية، ولا سيما في أزكي حيث توفي عام 489 هـ.
2 - سراج الملوك[17] لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي المتوفى سنة 520 هـ.
3 - الشهب اللامعة في السياسة النافعة[18] لأحد كتاب الدولة المرينية، هو أبو القاسم ابن رضوان المالقي المتوفى بأنفا (الدار البيضاء) عام 783 هـ وكان ألفه للسلطان أبي سالم إبراهيم ابن أبي الحسن المريني.
4 - واسطة السلوك في سياسة الملوك[19] للأمير أبي حمو الزياني المتوفى سنة 791 هـ.

---

9) الأول طبع في الأسكندرية بتحقيق أحمد زكي باشا عام 1330 هـ وأعيد نشره ضمن مجموعة (جواهر الحكماء) بعناية محمد حسن المرصفي، وهي مطبوعة بمصر عام 1331 هـ ثم نشر مع (رسائل البلغاء) بتحقيق محمد كرد علي في القاهرة سنة 1954م. والثاني طبع في الأسكندرية بتحقيق أحمد زكي باشا عام 1329 هـ وكذا مع (رسائل البلغاء) السالفة الذكر.
10) مطبوع بمصر سنة 1302 هـ
11) مطبوع بتحقيق أحمد زكي (المطبعة الأميرية - القاهرة 1914م).
12) ظهرت طبعته الأولى في مصر عام 1327 هـ - 1909م بعناية محمد بدر الدين النعساني الحلبي.
13) نشر في بيروت عام 1979م بتحقيق د. رضوان السيد.
14) نشرت طبعته الأولى في بيروت سنة 1981م بتحقيق محيي هلال السرحان ومراجعة د. حسن الساعاتي.
15) طبع في بيروت عام 1403 هـ - 1983م بتحقيق محمد حامد الفقي.
16) نشر في بيروت عام 1981م بتحقيق د. رضوان السيد.
17) طبع في القاهرة سنة 1289 هـ وفي الأسكندرية عام 1299 هـ.
18) نشر في المغرب (الدار البيضاء) سنة 1404 هـ - 1984م بتحقيق د. علي سامي النشار.
19) طبع في تونس 1279 هـ.

5 - بدائع السلك في طبائع الملك[20] لأبي عبد الله ابن الأزرق المتوفى عام 896 هـ.

ولعلنا أن نذكر كذلك مقدمة ابن خلدون، وكانت وفاته سنة 808 هـ.

ويكفينا في هذا السياق أن نقف على كتاب المرادي، لسبقه وأهميته، وكذلك لاستفادة من جاء بعده منه. فقد انطلق فيه من الواقع - واقع التجربة المرابطية والظروف المحيطة بها - وأغناها بالنظريات السابقة الإسلامية واليونانية، وخاصة ما نقل عن أفلاطون وأرسطو فيما يتعلق بالإنسان والمجتمع والسلطة والدولة والسياسة وتدبير الرياسة.

فبعد أن تحدث عن أدب النفس، انتقل إلى سياسة الملك ثم إلى أخلاق الملك الشخصية وتأثيرها على السلوك السياسي. وفيها تعرض لكيفية التعامل مع العدو. ونقتطف منها قوله يحث على السلم مالم تدع الضرورة إلى الحرب، ويدعو إلى الحذر والحيطة في جميع الأحوال :

«ينبغي للملك أن يبدأ عدوه باللين والمسالمة والبذل وطلب المواصلة والسكون، فإن لم يفعل أو كان في الحال ما يقتضي خلاف ذلك رجع معه إلى الكيد والحيلة وتشتيت الأصحاب... وأخذ الأمور بما يتفق فيه القول دون الفعل. ولا يصل معه إلى الحرب حتى تعوزه الحيل كلها. وإن الحكماء قالوا : أكيس القوم من لم يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى ذلك سبيلا، فإن الحرب ينفق فيها من الأعمار، وغيرها ينفق فيها من الأموال. وقد قالت الحكماء إن العدو مثل الخراج الذي يبتدأ في علاجه بالترطيب والتحليل والتسكين، فإن لم ينجح بذلك رجع فيه إلى الإنضاج والبط، فإن لم ينجح بذلك رجع فيه إلى الكي وهو آخر العلاج. والحرب آخر ما يجب استعماله. واعلم أن العاقل وإن وثق بقوته ومنعته وفضله لا يجب أن يحمله ذلك على أن يجني عداوة وبغضة هو عنها في غنى، اتكالاً على ما عنده من الرأي، وثقة بما لديه من القوة. فإنه في ذلك بمثابة الطبيب الماهر الذي عنده الترياق الفائق، لا يحسن منه أن يشرب السم القاتل اتكالاً على ما عنده من الدواء النافع. واعلم أن الصلح أحد الحروب التي تدفع بها الأعداء عن المضرة، فإذا كثر أعداءك فصالح بعضهم، واطمع بعضهم في صلحك، واستقبل بعضهم بحربك. وإذا ابتليت بحرب فلا تأمن عدوك وإن كان حقيرا، فإن العدو كالنار التي تتربى من الشرارة، والنخلة التي تنبت من النواة. وربما نال العدو بصغره ما يعجز عنه عدوه مع كثرة كالسيف الذي يقد الهامة ويعجز عن فعل الإبرة. ويجب على العاقل إذا بعد عدوه أن لا يأمن معاودته، وإذا انهزم أن لا يأمن كرته، وإذا قرب لم يأمن مواثبته، وإذا رآه وحيداً لم يأمن مكره، وإذا رأى عسكره قليلاً لم يأمن كمينه. ويجب على العاقل أن يكون متأهبا للحرب في حال سلمه، خائفاً من العدو في حال صلحه؛ فإن العدو الذي يصالحك لأمر تضطر إليه لا يخرج بالصلح عن طبعه، وإنما مثلته الحكماء بالماء الحار الذي تضطره النار إلى حرارته، فإذا زايلته رجع إلى طبعه وما كان عليه من برده»[21].

ولا يظهر الجنوح للسلم في مثل هذه المؤلفات فحسب، ولكنه يتجلى كذلك في الخطب والرسائل وما إليها من الوثائق السياسية التي صدرت عن ملوك المغرب أو من يمثلهم من العلماء ورجال الدولة المسؤولين، سواء تعلق أمرها بقضايا الداخل أو الخارج. وفي طليعتها الاتفاقيات التي عقدها المغرب مع الدول الأجنبية، والتي غالباً ما كان يطلق عليها «عقد الصلح» أو «عقد المهادنة».

وحتى لا نتحدث إلا عن فترة تميزت بقوة الشخصية والسيادة، دون الإشارة إلى ما صدر عن ملوك المغرب في مختلف الدول، يكفينا أن نمثل بما أبرمه السلطان المنعم سيدي محمد بن عبد الله[22] من معاهدات[23] مع كثير من الدول، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والدولة العثمانية وعدد من الدول الأروبية.

---

20) طبع في جزءين بتحقيق د. علي سامي النشار، ضمن منشورات وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية : الأول عام 1977م والثاني عام 1978م.

21) كتاب الإشارة للمرادي ص 217 - 218، وقد وردت بعض عبارات هذا النص في الشهب اللامعة ص 402 - 403 وفي بدائع السلك ج 1 ص 163.

22) ولد سنة 1134 هـ وبويع سنة 1171 هـ وتوفي عام 1204 هـ ودفن في إحدى قباب قصره (بالرباط) حيث الضريح الذي نسب فيما بعد للسلطان المولى الحسن الأول إذ تم دفنه فيه كذلك.

23) انظر في العلاقات السياسية لسيدي محمد بن عبد الله وبعض معاهداته :

أ - إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لعبد الرحمن بن زيدان ج 3 ص 265 إلى 330 (ط الأولى - الرباط 1349 - 1931).

ب - Jacques Caillé :

Les accords internationaux du Sultan Sidi Mohammed ben Abdellah (Faculté de droit du Maroc, Librairie générale de droit et de Jurisprudence, éditions Marocaines et internationales – Tanger 1960)

على أن التأليف في هذا الميدان قد نشط حتى أثناء فترات التأزم والضعف وجمود الثقافة، على حد ما نلاحظ طوال القرن الماضي في الكتابات الإصلاحية التي حاول العلماء فيها تصحيح الأوضاع وإيجاد حلول للمشكلات التي واجهت المغرب منذ احتلال فرنسا للجزائر عام 1830 م، كتنظيم الجيش والإدارة، ومواجهة الامتيازات والحمايات الأجنبية.

ومن أبرز هذه الكتابات نشير إلى ما يلي :

أولا : أجوبة العلماء المغاربة على أسئلة الأمير عبد القادر الجزائري، وهي أسئلة تستفسر عن رأي الشرع في عدد من القضايا المتعلقة بالجهاد. وفي طليعة هذه الأجوبة ما كتب القاضي أبو الحسن علي التسولي المدعو مديدش (ت 1258 هـ ـ 1842 م)[24]، والقاضي عبد الهادي العلوي (ت 1272 هـ ـ 1856 م)[25].

ثانيا : كتابات حول تنظيم الجيش المغربي، لا سيما بعد وقعة إيسلي[26] وحرب تطوان[27]، منها :

1 ـ كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة[28] لمحمد بن عبد القادر الكلالي الكردودي (ت 1268 هـ ـ 1851 م)، وهي رسالة وضعت للسلطان المولى عبد الرحمن بن هشام[29].

2 ـ مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام[30] للغالي بن محمد العمراني اللجائي (ت 1289 هـ ـ 1873 م).

3 ـ رسالة العبد الضعيف إلى السلطان الشريف[31] لابن عزوز، ألفها لنفس الملك.

4 ـ تاج الملك المبتكر ومدده من خراج وعسكر[32] لمحمد بن محمد الفلاق الفيلاتي العبدلاوي (ت 1312 هـ ـ 1895 م)، وكان ألفه للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن[33].

ثالثا : كتابات لانتقاد الامتيازات والحمايات الأجنبية، منها :

1 ـ الرسالة في أهل باصبور الحثالة[34] للعربي المشرفي (ت 1313 هـ ـ 1893 م).

2 ـ الدواهي المدهية للفرق المحمية[35] لجعفر بن إدريس الكتاني (ت 1323 هـ ـ 1905 م).

3 ـ كشف النور (الستور) عن حقيقة كفر أهل باصبور[36] لمحمد ابن إبراهيم السباعي (ت 1332 هـ ـ 1914 م).

وعلى الرغم من طغيان الروح الوطني الجهادي على هذه الكتابات، بحكم طبيعة الظروف يومئذ وما كانت تستدعي من استعداد وتعبئة لمواجهة كل خطر يهدد بالاحتلال، فإن مؤلفيها لم يغفلوا موضوع السلم، وطرحوه بما يتفق مع أحكام الشريعة والواقع الذي كانوا يعانون شدائده.

وفي هذا المضار نكتفي بما ساقه التسولي في جوابه المشار إليه حيث خصص فصلا في «جواز صلح العدو». وفيه تناول حالتين : الأولى أن يكون العدو مطلوباً، والثانية أن يكون طالباً. أما إن كان مطلوباً «فالجهاد فرض كفاية باتفاق العلماء... على قادر عليه لم ينزل به عدو الدين ولم يبلغه نزوله بمن عجز عن دفعه من مسلم أو ذمي... و...تجوز المهادنة مع كون الجهاد فرض كفاية بأن يكون العدو مطلوباً في أرضه. ومع ذلك تجوز لمصلحة من استعداد وإقامة جيش ونحو ذلك مما يراه الإمام من المصالح التي يحتال فيها لعدوه...»[37]. وأما إن كان العدو طالباً فإنه ـ وفق آراء الفقهاء كذلك ـ «لا يجوز الصلح والهدنة بحال وإن وقع وجب نقضه لأن العدو حيث نزل أو قارب النزول فالجهاد متعين، وترك الجهاد المتعين ممتنع. فالصلح المذكور ممتنع لأنه تعود على العدو... مصلحته وعلى المفسدين مفسدته. وإن تخيلت فيه مصلحة فهي للعدو أعظم من وجوه مكملة، فإنه يتمحض في تلك المدة

---

24) كتب جوابه في مستويين : الأول بسيط طبع على الحجر، والثاني وجيز نقله المهدي الوزاني في موضعين من (المعيار الجديد) ج 3 ص 42 ـ 46، ج 10 ص 207 ـ 212 (ط. حجرية)، وبالخزانة العباسية نسخة مخطوطة من الجواب البسيط رقمها 3135.

25) أورد جوابه صاحب (المعيار الجديد) ج 10 ص 205 ـ 207.

26) عام 1260 هـ ـ 1844م.

27) احتلت فيها تطوان عام 1276 هـ ـ 1859م، واستمر الاحتلال الاحتلال زهاء سنتين.

28) مطبوع على الحجر.

29) بويع عام 1238 هـ ـ 1822م وتوفي سنة 1275 هـ ـ 1853م.

30) يوجد مخطوطاً في الخزانة الحسنية بالرباط تحت أرقام 965 ـ 1030 ـ 1443.

31) مخطوط بخزانة الرباط العامة ورقمه 1623 D.

32) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 2502.

33) بويع سنة 1270 هـ ـ 1853م وتوفي عام 1290 هـ ـ 1873م.

34) مخطوطة خاصة.

35) يوجد مخطوطاً عند أسرة المؤلف.

36) مخطوط بخزانة الرباط العامة رقم 1326 D.

37) ص 70 ـ 72 (مخطوطة الخزانة العباسية).

ويكثر من آلات الحرب والعدة فيتعذر على المسلمين الاستنقاذ ويصعب عليهم تحصيل المراد. فالصلح المذكور إن وقع مصلحة للعدو ومفسدة على الإسلام، فلا يكون له في نفس الأمر انبرام، فيجب نقضه، لأنه بمقتضى الشرع غير منبرم، فحكمه غير لازم عند كل من حقق أصول الشريعة»[38].

☆ ☆ ☆

في هذا السياق المتم بعمق النظر وشدة الحذر يتجلى إبداع الفكر السياسي المغربي المعاصر، منطلقاً من الممارسات التي أملاها الجنوح الواعي للسلم، والتي أكدت أن هذا الجنوح هو الذي أسعف الوطن في التغلب على المشكلات العويصة الناتجة عن فترة الاستعمار في أشكاله المتعددة وأساليبه المتنوعة، وأنه هو الذي أتاح للمغرب أن يجعل من أرضه مركز اتصال وملتقى حضارات وثقافات. وهو الذي هيأه لينهض بالدور الإيجابي الذي تحمل القيام به على الصعيد العربي والإسلامي والإفريقي والإنساني عامة.

وقد تبلورت من خلال التجربة المغربية المعاصرة، الجامعة بين النظرية والتطبيق مدرسة سياسية أرسى دعائمها جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، فإن تاريخ حياته الحافل بمواقف البطولة والجهاد لأكبر دليل على ما كان له من توسل بالطرق الحكيمة المتزنة والأساليب السلمية الرزينة في مواجهة أعنف التحديات التي كانت تصدر من الاستعمار، إذ كان يدعو دائماً في خطبه إلى التزام الهدوء والسكينة، والتحلي بالصبر والمثابرة، مع الثبات على المبدأ والرأي.

فقد قال رحمه الله في خطاب العرش لعام 1941 : «وغاية ما نوصيكم به هو الارتداء بجلباب الصبر فإنه مفتاح الفرج»[39]. وقال في خطاب السنة الموالية : «فما عليكم إلا ملازمة الهدوء والسكينة والحذر كل الحذر من اتباع أسباب الفتنة والضغينة»[40].

ومن تجليات هذا الجنوح السلمي ما ظهر به أثناء حوادث المطالبة بالاستقلال، إذ كان لدا استقبال الوفود المتدفقة في حماس على القصر الملكي من عموم المغرب، يلح على التمسك بهاته الصفات، في الوقت الذي كان يؤكد المطالب دون تهاون أو تقاعس. فقد خاطب تلك الوفود يوم الإثنين 30 محرم 1363 هـ (17 يناير 1944 م) بكلمة ترحيب يملأها الأمل والتفاؤل، ولكن مع التنبيه إلى عدم ركوب متن الهرج والفتنة، فقال قدس الله روحه : «...هذا شيء يجدر بحركتنا التحريرية أن تبتعد عنه وتسعى في تلطيف الجو وإنجاح المطالب بطريقة السلم والمفاهمة راجين المولى جلت قدرته العون على ما نروم من وصول ونصبو إليه من حرية واستقلال»[41].

بل إنه لم يحد عن هذه الطريقة حتى حين تأزم الوضع يوم التاسع والعشرين من نفس الشهر، فقد جاءه المقيم العام الجنرال كابرييل پيو (Gabriel Puaux) إلى القصر يهدد ويتوعد، وسأله :

«ـ هل أنتم مع فرنسا أم ضدها ؟

وأجاب الملك عن هذا السؤال بهدوء زائد قائلاً :

ـ أنا لست ضد فرنسا كما تعرف أنت ذلك، ولكني أقف مع حرية شعبي واستقلال بلدي»[42].

وقد بلغ هذا النوع من السلوك السياسي السلمي الهادف درجة بلورها التعبير البليغ الذي صدر عن جلالته في محفل رسمي أقيم في نفس العام، حين ضرب لأحد رجالات فرنسا المسؤولين مثلا بقول : «إن الحماية مثلها كمثل قميص جعل لطفل صغير فكبر الطفل ونما وترعرع وبقي القميص على حاله». وكان ـ رضي الله عنه ـ قد ذكر بهذا الموقف في خطاب العيد الفضي[43]. والوضع يومئذ مع فرنسا يشتد تأزمه، في مقابل حماس الجماهير الملتهب المتصاعد، وفيه خاطبها بهذه الكلمات التوجيهية : «اعلموا أن النجاح رهن بالمثابرة والصبر والمصابرة... وتحلوا بتلك الصفات الحميدة التي لانفتأ ندعوكم إليها، فاجعلوا رائدكم

38) ص 74.

39) من سلطان المغرب إلى شعبه الوفي ص 10، وهي مجموعة تضم الخطب التي ألقاها جلالة الملك المغفور له محمد الخامس من 1359 هـ إلى 1371 هـ (1940 ـ 1951م)، وقد صدرت عن المطبعة المحمدية بالرباط، عام 1372 هـ (1952م) بمناسبة عيد العرش الفضي، علماً بأن كل خطاب كان يطبع في كراسة ويوزع بالمناسبة.

40) نفس المصدر ص 11 ـ 12.

41) صفحة من صفحات الكتلة الوطنية وتجليها في المطالبة بالاستقلال لوالدنا رحمه الله عبد الله بن العباس الجراري ص 28 (ط دار السلمي ـ الدار البيضاء 1956م).

42) التحدي لملك المغرب جلالة الحسن الثاني نصره الله ص 54 (الطبعة الثانية ـ المطبعة الملكية ـ الرباط 1403 هـ ـ 1983م.

43) ألقي يوم 18 نونبر 1952، وهو منشور في كراسة (المطبعة المحمدية بالرباط 1372 هـ ـ 1952م) والنص المشار إليه وارد فيها ص 11.

الحكمة والتبصر والرزانة، وقائدكم الإخلاص والاستقامة، وليكن لكم من قوة الإيمان بالله والثقة بأنفسكم ما يذلل العقبات ويحقق الرغبات»[44].

وسعيا إلى تحقيق الاستقلال بالطرق السلمية، رحل إلى باريز عام 1950 م، وقدم مذكرتين في هذا الشأن، ثم مذكرة ثالثة في مارس 1952 م؛ وكان قد قال في خطاب العرش لعام واحد وخمسين : «ومنذ ذلك الحين ونحن نأمل أن تجري مفاوضات في ذلك الشأن، ومازلنا ننتظر لحد الآن ثابتين على المبدأ الأسمى وغايتنا المثلى. وإن النجاح في مثل هذه الأعمال الجليلة منوط بمثابرة لا يعوقها كلل، وصبر لا يشوبه ملل»[45].

وبنفس الروح واجه اشتداد الأزمة والاعتداء على العرش ونفيه وأسرته الطاهرة. وقد وصف جلالة الملك الحسن الثاني أعزه الله لقاء اللحظة الحرجة التي سبقت الخروج إلى المنفى بعد ظهر يوم تاسع ذي الحجة عام 1372 هـ (20 غشت 1953 م)، فكتب بدقة متناهية : «...كانت الساعة الواحدة والنصف من بعد الظهر عندما أخبر الملك وهو يفرغ للتو من تناول غدائه أن الجنرال كَيوم يرغب أن يستقبله رسميا بعد نصف ساعة. القصر الملكي مطوق، والدبابات والسيارات المصفحة توجه مدافعها ورشاشاتها إلى الباب الكبير في القصر، ويصل الجنرال كَيوم محاطا بالقوات الخاصة الفرنسية المسلحة بالرشاشات، حرسنا الملكي جرد من سلاحه وأمر أفراده أن يستديروا بوجوههم إلى الحائط وأن يرفعوا أذرعهم عالياً في الهواء. يدخل المقيم العام إلى صالون الاستقبال يرافقه كل من الجنرال دوڤال Duval القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالمغرب، والمسيو دوتهيل Dutheil مدير الأمن، ومعهم بضعة موظفين آخرين؛ ولم يكن أمام والدي من الوقت أكثر مما يلزمه لارتداء جلابة فوق ثياب نومه. الحر خانق والمقيم العام يتوجه إلى الملك قائلاً له باختصار :

ـ إن الحكومة الفرنسية لدواعي الأمن تطلب منكم التنازل عن العرش، فإذا قبلتم ذلك عن طيبة خاطر استطعتم أنتم وأسرتكم أن تقيموا في فرنسا أحراراً معززين مكرمين.

وأجاب والدي بهدوء زائد بالرفض، وقال :

ـ ما من شيء في أعمالي وأقوالي يبرر أن أتخلى عن أمانة أضطلع بأعبائها بصفة مشروعة. وإذا كانت الحكومة الفرنسية تعتبر أن الدفاع عن الحرية والشعب بمثابة جريمة يعاقب عليها، فإني أعتبرها فضيلة يفاخر بها وتورث صاحبها المجد.

ورجا الجنرال من السيد محمد المعمري الذي كان اتصالنا به شديدا أن يترجم إلى العربية كلماته بدقة، وقال :

ـ إذا لم تتنازلوا حالاً عن العرش بالرضى، فإني مكلف بإبعادكم عن البلاد صيانة للأمن.

ولكي يستطيع السيد المعمري أن يترجم بأمانة، أجاب الملك بكلمات متمهلة قائلاً :

ـ إني ملك المغرب الشرعي، ولن أخون أبداً الأمانة التي ائتمنني عليها شعبي الوفي المخلص. إن فرنسا قوية فلتفعل ما تشاء»[46].

ولم تكن هذه المحنة لتفت في عضده أو تفل من عزمه، إذ ظل حريصاً على مبادئه، ملحاً على التمسك بها في صبر وثبات، مع الحث على الصمود ومواصلة الكفاح، على حد ما يكشف الخطاب الذي ألقاه من المنفى بمدغشقر في نوفمبر سنة 1953 م بمناسبة الذكرى السادسة والعشرين؛ وفيه قال : «أيها الشعب الوفي إن شعورنا بالواجب وبقداسة الرسالة الملقاة على عاتقنا نحو الوطن العزيز وما ألهمنا الله به من ثبات ومصابرة، كل ذلك جعلنا نستهين بالصعاب ونتحمل الشدائد ونضحي بكل شيء في سبيل تحقيق ما تصبو إليه البلاد من عزة وكرامة وحرية. إننا بمناسبة هذه الذكرى العزيزة عليك، التي تعرب فيها دائماً عن الولاء والإخلاص والمحبة نحونا، لنهيب بك أن تواصل الكفاح وتضاعف الجهود وتتمسك بحبل الله المتين في سبيل تحقيق ما تصبو إليه من عزة وكرامة وحرية. فإن ذلك وحده يخفف عنا آلام البعد عن الوطن ووحشة الغربة في هذه الجزيرة المنعزلة التي تحول بيننا وبين مشاركتك شرف الجهاد في سبيل تحرير البلاد»[47].

ولم يتخل الملك الرائد عن التحلي بالصبر والثبات والدعوة إلى السكينة والوقار، حتى بعد أن عاد ظافراً

44) نفسه ص 17 ـ 18.

45) المجموعة المنشورة بمناسبة العيد الفضي (المشار إليها) ص 103.

46) التحدي ص 83 ـ 84.

47) بطل التحرير لوالدنا رحمه الله ص 147 (نسخة مرقونة).

منتصراً من منفـاه. فبمجرد وصولـه إلى أرض الـوطن يـوم فاتح ربيع الثاني عام 1375 هـ (16 نوفمبر 1955 م) يحمل بشرى بزوغ فجر الحرية والاستقلال، خـاطب الجمـاهير المحتشدة في ساحة القصر الملكي بـالربـاط بكلمـة وجيزة معبرة قال فيها : «حمداً لله أن جمع شملنا وأذهب حزننا ولم يضع جهودنا. أيها الشعب الوفي مهما تمسكتم بالعروة الوثقى ما كان شيء ليضركم كيفما كانت شدته، إذ لا شدة تدوم في الحياة الـدنيـا. أيهـا الشعب العـزيـز، وعـدت بالإخلاص ووفيت أحسن الوفاء وكنت من الصابرين، فكان لك مـا وعد الله بـه، إنمـا يـوفى الصـابرون أجرهم بغير حساب. أيها الشعب العزيز قد أخلصت الوفاء كما أخلصته، وأديت الواجب كما أديت، وها أنا بينكم كما تعهدونني : حب البلاد رائدنا وخدمتها غايتنا. الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور. أيها النـاس، انصرفوا في هدوء ونظام، صاحبتكم السلامة»[48].

ويمثل هـذه العبـارات «ألقى كلمـة تـوجيهيـة لشعبـه يأمره فيها بـالهـدوء والرزانـة وضبط الأعصاب، داعيـا لـه وطـالبـاً منـه الانصراف بـسـلام»[49]، وكـان ذلـك في غمرة أحداث انقضاض المواطنين على بعض الخونة الـذين انـدسوا في جموع الوافـدين على القصر الملكي يوم السبت 4 ربيع الثاني 1375 هـ (19 نوفمبر 1955 م).

وإثر حوادث مماثلة جرت في بعض أنحاء المغرب، ألقى العاهل الحكيم خطاباً بالرباط يوم الإثنين الموالي قال فيه : «إن المهمة التي تنتظرنا لنبيلة ولا يتـأتى نجـاحهـا التام إلا في دائرة المحافظة على النظـام وملازمـة السكينـة وحسن الامتثال. ولذلك كله يجب في المغرب الجـديـد أن تتطهر القلوب من الأضغان والانتقام»[50].

وليس من شك في أن مثل هـذه التـوجيهات تنبعث من نفس الرؤيـة العميقة التي كـانت تصـدر عنهـا نصـائح الملك المجاهـد في عهـد الحمـايـة، وإن اختلفت الظروف والملابسات، وهي رؤيـة نـابعـة من الجنوح للسلم في أوسع معانيه.

على أن مدلول هذا الجنوح سيتخذ بعداً آخر في ظل الاستقـلال، يتنـاسـب والمشـاكـل الكبرى التي طرحتهـا المرحلـة الجـديـدة، وفي طليعتهـا استكمـال وحـدة التراب الوطني. وهو مطلب ظل جلالـة الملك الراحل يسعى إلى تحقيقه بالطرق السلمية، والـدعوة إلى المفـاوضـة من أجلـه، سواء مع الحكومة الفرنسية أو الإسبانية.

فقـد ذكر بـه في الخطـاب الـذي ألقـاه في بـاريـز بمناسبة تدشين المفـاوضـات المغربيـة الفرنسيـة أمـام رئيس الجمهـوريـة الفرنسيــة السيــد روني كـوتي (René Coty) يـوم الأربعاء 3 رجب 1375 هـ (15 فبراير 1956 م). وفي ذلك قال : «...وهناك مشكلة من نوع آخر، وأملنا أن يوجـد لهـا في المستقبل القريب الحل العـادل الموافق للقـانـون الـذي تقتضيـه، ألا وهي وحـدة التراب المغربي. ونريـد أن نصرح علانية أنه لا توجد بالنسبـة إلينـا أيـة حريتـه جـديرة بهـذا الإسم ومقبـولــة من النفــوس إلا في دائرة وحـــدة التراب القـومي وعـدم قبـول أي تجـزئـة فيـه. وإن فرنسـا والـدول الموقعـة على عقـد الجزيرة وعلى غيره من المعـاهـدات الـدوليـة لتضمن هـذه الـوحـدة ضمانـاً صريحـاً. وإننـا نـوقن مقتنعين أن قضيتنـا العــادلــة ستحظى لــدا جميـع الـدول الصديقة بالقبول الحسن التي هي جديرة به»[51].

كذلك كان افتتـاح المفـاوضـات المغربيـة الإسبـانيـة بمـدريـد يـوم الخميس 23 شعبـان 1375 هـ (5 أبريـل 1956 م) مناسبة ليثير الملك المنعم قضية الوحدة الترابية، مؤكداً أنه «غني عن البيان أن علاقتنا الجديـدة ستبنى على أمتن الأسس، إذا مـا تحققت مطـامـح الأمـة المغربيـة في الوحدة، تلك الوحدة التي تضمنها المعاهدات ضماناً صريحاً. وغير خاف مـا خلفتـه تجزئـة الأرض المغربيـة إلى منـاطق من المصـاعب والمشـاكل المـاديـة والمعنـويـة في حيـاتنـا السيـاسيـة والاقتصـاديـة. ونحن متيقنون بـأن إسبـانيـا التي وقفت بجـانب المغرب في أحرج الأوقــات ستلبي هـــذه الرغبة، لما عهـدنـاه فيهـا من أريحيـة وشمم. وإن المغـاربـة لينتظرون بتلهف من هذا الاجتماع التـاريخي أن يزيل من داخل أرضهم تلك الحدود والفواصل التي هي رمز لعهـد قـد تصرم، عهد الحجر والحمـايـة. وإن الاعتراف بوحـدة التراب المغربي في دائرة الاستقـلال لا يتنـافى مطلقـاً مـع احترام مصـالح إسبـانيـا والاسبـانيين المستوطنين بـالمغرب؛ فنحن

48) المصدر السابق ص 193.

49) نفس المصدر ص 204.

50) انبعاث أمة ج 1 ص 21 (الرباط ـ المطبعة الملكية 1375 هـ ـ 76 = 1955م ـ 56).

51) المصدر السابق ص 54.

حريصون على رعايتها، مستعدون لتقديم الضمانات اللازمة للإسبانيين القاطنين ببلادنا، وعلى صيانة أرواحهم وأموالهم وحرياتهم، مستهدفين من وراء ذلك إلى إقرار تساكن ودي لا يمس بسيادتنا الوطنية»[52].

وفي الخطاب الذي ألقاه ـ أكرم الله مثواه ـ في محاميد الغزلان يوم الثلاثاء 6 شعبان 1377 هـ (25 فبراير 1958 م)، قال : «ونؤكد... أننا سنواصل العمل بكل ما في وسعنا لاسترجاع صحرائنا وكل ما هو ثابت لمملكتنا بحكم التاريخ ورغبات السكان. وهكذا نحافظ على الأمانة التي أخذنا أنفسنا بتأديتها كاملة غير ناقصة، ألا وهي ربط حاضرنا بماضينا، وتشييد صرح مستقبل مزدهر ينعم فيه جميع رعايانا بالسعادة والرفاهية والهناء...»[53]

ولتأكيد هذه الحقيقة، ألح في خطابه الذي ألقاه بالرباط يوم الخميس 20 رمضان 1377 هـ (10 أبريل 1958 م) بمناسبة تسليم السلطة بإقليم طرفاية : «لقد أكدنا مرات ومازلنا نؤكد أن المغرب ليست له مقاصد في التوسع والسيطرة، وإنما يتطلع إلى الأجزاء التي ظلت منه وإليه قروناً طوالاً ثم انتزعت منه في أحوال استثنائية أو بمقتضى أوفاق دبرت في الخفاء. وإن في رحيل أعيانها إلى الجزء المحرر من بلادنا وإبدائهم فروض الولاء لجنابنا لحجة بالغة على تعلقها بالقومية المغربية والافتخار بالانتماء إليها. إن تسليم مقاليد الأمور بطرفاية إلى السلطة الشرعية بطرق سلمية نامل أن يكون سابقة حسنة لفصل ما بقي من المشاكل بيننا وبين إسبانيا وفرنسا، وأن يفسح المجال لتعاون صادق معهما في الميادين الاقتصادية على أساس احترام السيادة المغربية»[54].

وفي رسالة إلى الجنرال فرانكو، مؤرخة بيوم الأربعاء 23 صفر 1380 هـ (17 غشت 1960 م)، أكد الملك المكافح رضي الله عنه «أن إيفني جزء لا يتجزأ من التراب المغربي، وحججنا في مغربيتها بالغة لا تقبل الجدل. فلا غرابة أن تستأثر باهتمامنا وتبقى من مشاغل الرأي العام في بلدنا حتى تعود إلى حظيرة الوطن المغربي... ومن جهة أخرى، فنحن نعتقد أن شعبينا ـ اللذين شاءت الأقدار الإلهية أن تجعلهما جارين قريبين يتأثر كلاهما بما يجري في تراب الآخر ـ ينبغي لهما ـ لخير أجيالهما القادمة ولخير الاستقرار في غرب البحر المتوسط ـ أن يحلا مشاكلهما بروح من الواقعية والعزيمة الصادقة، ويتعاملا على أساس المساواة والاحترام المتبادل، وينبذا كل الأفكار التي لم تعد متلائمة مع العصر، ويتخليا عن جميع الامتيازات والحقوق الممنوحة بمقتضى أوفاق عتيقة عقدت في أحوال استثنائية»[55].

وبنفس الرؤية الجانحة دوماً إلى السلم، كان الملك الرائد ينظر إلى القضايا الخارجية المتعلقة بالدول الشقيقة والصديقة، وفي طليعتها يومئذ حرب التحرير الجزائرية التي قال عنها في الخطاب الذي ألقاه بطنجة يوم الثلاثاء 21 صفر 1377 هـ (17 شتنبر 1957 م) : «وإذ تستوقفنا في هذا المقام حالة الحرب الراهنة في القطر الجزائري على الخصوص، لما تجمعنا به من الروابط العديدة المتنوعة، نرى أن نجدد المطالبة بالعمل على حقن الدماء. والتاريخ يشهد أن شعباً ما لم يقبل سيطرة الغير عليه. على أن حق الشعوب في الحرية والتمتع بالاستقلال حق طبيعي، وقد أكد ذلك ميثاق الأمم المتحدة وجعله مبدأ من مبادئه الأساسية. والاعتراف به هو الحل الوحيد الذي على أساسه تتبنى علائق الود والتعاون. والشعب الجزائري هو في طليعة الشعوب التي تطالب بحقها في الحرية والاستقلال. وإننا لنعتبر السير في طريق العنف والقوة غلطاً لأن المشكل الجزائري الفرنسي مشكل سياسي لا يحل إلا بالوسائل السياسية وعن طريق المفاوضة. ولا نعتقد في نجاح الحلول التي توضع من غير استشارة الشعوب المغلوبة على أمرها وتطبق بدون رضاها»[56].

☆ ☆ ☆

إن الجنوح للسلم هو الملمح المميز لفكر محمد الخامس، والسمة التي تطبع سياسته في جميع الظروف والأحوال، إذ توسل رحمه الله بأساليبه في السعي إلى استكمال تحرير الوطن وتوحيد ترابه، كما توصل بها من قبل في إلغاء عقد الحماية واسترجاع الاستقلال. ومن ثم، لم يكن بدعاً، وقد اتضحت معالم هذا المنحى في التفكير السياسي لمحرر الوطن ومنقذه وتأكدت جدواه، أن يسير على هديه خلفه ووارث سره، باني المغرب وموحده جلالة

52) نفس المصدر ص 95 ـ 96.
53) انبعاث أمة ج 3 ص 150 (المطبعة الملكية 1377 ـ 78 هـ = 1957 ـ 58م).
54) نفسه ص 174 ـ 175.
55) انبعاث أمة ج 5 ص 176 (الرباط ـ المطبعة الملكية 1379 ـ 80 هـ = 1959 ـ 60م).
56) نفس المصدر ج 2 ص 186 ـ 187 (المطبعة الملكية بالرباط 1376 ـ 77 هـ = 1956 ـ 57م).

الحسن الثاني دام علاه، منذ أن تحمل مسؤولية خلافة والده أكرم الله مثواه.

لقد كان لسير الخلف على نهج السلف أكبر الأثر على بلورة هذا النهج وإبراز خصائصه، لتتحدد وتتجدد من خلال كل ذلك مبادئ «مدرسة» عميقة الأسس قوية الدعائم، أفضى الالتزام بها والانطلاق من قواعدها المتينة إلى إبراز الإبداع المغربي في الفكر السياسي المعاصر، بعد أن تأكد تحقيق الأهداف التي تطمح الأمة إليها في العهد الحسني المتسم بالتنمية والبناء والتوحيد واستكمال الحرية واسترجاع الأراضي المغتصبة.

فقد استهل العهد الجديد بالجلاء السلمي لجميع القوات الأجنبية عن المغرب، فكان جلاء آخر جندي فرنسي يوم الخميس 14 رمضان 1380 هـ (2 مارس 1961)، وهو اليوم الذي صادف تتويج جلالة الحسن ملكاً على البلاد. وكان رحيل القوات الإسبانية عن المنطقة الشمالية في منتصف ربيع الأول 1381 هـ (نهاية غشت 1961 م)، كما كان إجلاء القواعد الأمريكية في شوال 1382 هـ (مارس 1963 م).

وعن طريق نفس الأساليب السلمية القائمة على المباحثة والمفاوضة، تم استرجاع إقليم سيدي إيفني باتفاقية وقعت مع إسبانيا يوم السبت 15 شوال 1388 هـ (4 يناير 1969 م).

أما استعادة الصحراء فقد اقترنت بالمسيرة الخضراء التي اعتبرها العالم بحق معجزة العصر والتاريخ. وهي أكبر رمز للجنوح إلى السلم، بدءاً من تشكيلها وتنظيمها إلى طبيعتها السلمية المعتمدة على كتاب الله، دون نسيان المراحل التي سبقتها في المحافل الدولية، والتي يمكن التذكير بأهمها في النقط الآتية :

أولا : قرار الأمم المتحدة عام 1965 م بإنهاء احتلال إيفني والصحراء وتنظيم استفتاء بهذا الشأن.

ثانياً : قرار الأمم المتحدة عام 1974 م بوجود نزاع قانوني بين المغرب وإسبانيا، وإحالة هذا النزاع إلى محكمة العدل الدولية بلاهاي لمعرفة نوع العلاقات التي كانت تربط بين الصحراء والمملكة المغربية.

ثالثاً : تصريح الحكومة الإسبانية في 12 جمادى الأولى 1395 هـ (24 مايو 1975 م) بعدم رغبتها في تمديد وجودها في الصحراء، وبعزمها على التعجيل بنقل السلط ووضع حد بصورة نهائية لهذا الوجود.

رابعاً : بلاغ مغربي موريطاني مؤرخ في فاتح جمادى الثانية 1395 هـ (12 يونيو 1975 م) بتأييد مسطرة الأمم المتحدة.

خامسا : بلاغ مشترك مغربي جزائري بتاريخ 24 جمادى الثانية 1395 هـ (4 يوليوز 1975 م) تؤكد فيه الجزائر أنه لا مطمح لها في الصحراء الغربية، وتسجل بكامل الارتياح التفاهم الحاصل بين المغرب وموريطانيا في شأن المنطقة.

سادساً : خطاب ملكي يوم الخميس 10 شوال 1395 هـ (16 أكتوبر 1975 م) يخبر بجواب محكمة العدل على السؤالين المطروحين :

1 - ان الصحراء لم تكن أرضاً مواتاً.

2 - أنه توجد بين المغرب والصحراء صلات قانونية وروابط بيعة، وإن أدبيات المسيرة - وفي طليعتها خطب جلالة الملك واستجواباته العديدة ومختلف كتاباته وأماليه - لخير برهان على ما أبدع في مجال الفكر السياسي المغربي والجنوح للسلم.

فقد صرح - حفظه الله - في الاستجواب الذي أجرته معه هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) وجريدتا تايمز وصانداي تايمز، والذي أذيع يوم الأحد 15 ذي القعدة 1407 هـ (12 يوليوز 1987 م) قبيل زيارته الرسمية لإنجلترا «أن الحرب هي من بين كافة وسائل تسوية المشكل الأبعد عن القدرة على التوصل إلى ذلك. ففي اعتقادي فإن الحرب كما يقول كلاوسويتز - هي آخر مرحلة في المعركة لما تفشل جميع السبل الأخرى. والسبل الأخرى هي الدبلوماسية والاتصالات والإقناع وكيفية إقناع المخاطب بأنه على خطأ تام أو جزئي».

وكان قد كتب - أعز الله أمره - : «أن الذي يزج اليوم بشعبه في نزاع مسلح، عليه أن يدرك أن أي حرب لا يمكن أن تكون مغامرة قابلة للحساب المسبق. ولهذا، فقد فعلنا كل شيء لتجنب الحرب، وهذا هو سبب المسيرة الخضراء»[57].

---

57) التحدي ص 293.

وفي الخطاب الذي ألقاه يوم عاشر شوال 1395 هـ (16 اكتوبر 1975 م)، بمناسبة صدور حكم محكمة العدل الدولية، كان أيده الله قد قال : «مسيرتنا ستذهب فيها بدون سلاح. يجب أن تتفق على أننا لا نحارب إسبانيا. كذلك أنه لا يمكننا أن نحارب إسبانيا لأنها لم يعد لها دخل في المسألة، ونطلب من إسبانيا من الآن أن تسجل علينا أننا لن نحاربها ولن نشهر عليها الحرب، لأنه إذا ماتت روح مغربية أو هلك مغربي واحد فإنها ستكون مسؤولة عن ذلك أمام الرأي العام داخل إسبانيا والرأي العام المغربي والرأي العام العالمي. وأقول لإسبانيا إن 350 ألف مغربي ومغربية سيدخلون الصحراء. ليست لنا حرب مع إسبانيا أو أي مشكل آخر، مع العلم أن إسبانيا قررت الخروج من الصحراء، فلتخرج وتترك الأرض لأصحابها. ولكن مقابل هذا أقول إن المغرب مستعد، بل من الواجب عليه أن يقوم بواجب الدفاع عن النفس وحفظ الكرامة وصيانة الأرواح، فيما إذا وجد في طريقه حاجزاً غير حاجز إسباني. إن كل حاجز إسباني اعترض طريقنا لن نحاربه. فإذن ليس هناك ما يدفع إسبانيا لمحاربتنا. أما إذا كان هناك عنصر أجنبي عن الإسبانيين فلن نتهاون في الدفاع، بل لن نتردد في الزحف، وإذ ذاك سيكون الزحف صداً للعدوان ودفاعاً عن النفس»[58].

وبمناسبة إعطاء إشارة انطلاق المسيرة، ألقى جلالته من أكادير يوم الأربعاء فاتح ذي القعدة 1395 هـ (5 نوفمبر 1975 م) خطاباً توجيهياً أكد فيه الخطة السلمية التي ستنهجها المسيرة، مالم يطرأ عنصر يقتضي الخروج عنها : «شعبي العزيز، كما قلت لك في خطابي الأول، إذا ما لقيت إسبانياً كيفما كان ذلك الإسباني عسكرياً أو مدنياً فصافحه وعانقه واقتسم معه مأكلك ومشربك وأدخله مخيمك، فليس بيننا وبين الإسبان غل ولا حقد. فلو أردنا أن نحارب الإسبان لما أرسلنا الناس عزلاً، بل لأرسلنا جيشاً باسلاً، ولكننا لا نريد أبداً أن نطغى ولا أن نقتل ولا أن نسفك الدماء، بل نريد أن نسير على هدى وبركة من الله في مسيرة سلمية. فعانق إخوانك وأصدقاءك الإسبانيين عسكريين ومدنيين، وإن أطلقوا عليك ناراً فتسلح بإيمانك وتسلح بقوتك وزد في مسيرتك، فلن ترى في آخر الأمر إلا ما يرضيك ويرضي راحتك وراحة ضيرك. وفيما إذا اعتدى عليك المعتدون من غير الإسبان ـ شعبي العزيز ـ في مسيرتك، فاعلم أن جيشك الباسل هو موجود مستعد لحمايتك ووقايتك ضد كل من أراد بك السوء»[59].

وتقديراً للموقف السلمي الذي ظهر به المغرب فريداً في بابه، «وتجنباً لأي حادث، أعطت الحكومة الإسبانية في النهاية الأوامر لجيوشها بالانسحاب زهاء أربعين كيلومتراً إلى جنوب ما كان لايزال يعتبر حدوداً»[60].

وكان لابد لهذا الموقف أن يراعي جميع الظروف والملابسات ومختلف الآفاق والأبعاد التي نتجت أو قد تنتج عن المسيرة. لهذا، ما أن نجحت خطة الدخول السلمي للصحراء، حتى دعا جلالة الملك إلى العودة للمنطلق الأول بطرفاية، هدفه إلغاء فكرة الغلبة بالنسبة لأي من الطرفين المغربي والإسباني، والرغبة في بناء علاقات مستقبلية بين البلدين، تتلاءم وما بينهما من جوار وصداقة وتاريخ واحترام. وفي ذلك قال ـ دام نصره ـ يوم الأحد 5 ذي القعدة 1395 هـ (9 نوفمبر 1975 م) : «إنك تعلم شعبي العزيز أنني قلت لك دائماً إن إسبانيا ليست صديقة فقط، بل هي جارة وشقيقة. فعلينا إذن أن نبني مستقبل علاقتنا معها على أساس الاحترام المتبادل والكرامة المصونة. ولا يتأتى هذا إلا إذا جرت المناكرات والمفاوضات في جو تخيم عليه روح الصداقة وبعيد عن كل ضغط لا من هنا ولا من هناك. فلترجع إذن إلى منطلقنا حتى يمكننا أن نبني تلك العلاقات بيننا وبين إسبانيا التي نريدها طويلة المدى وعميقة المفعول، أن نبنيها انطلاقاً من أساس مهم جداً، وهو أنه ليس هناك غالب ومغلوب. هناك فقط أصدقاء أرادوا بعد فترة من الزمن خيم عليهم فيها سوء التفاهم أن يفتحوا صفحة جديدة لهم الآن وللأجيال المقبلة»[61].

وإذا كانت المسيرة قد اكتست سلميتها في مختلف الأشواط التي قطعتها، فإنها على الرغم من نجاحها الباهر المقرون باسترجاع الصحراء والاستقرار فيها وتنميتها، لم تحل دون قبول تنظيم الاستفتاء تحت إشراف الأمم المتحدة، تأكيداً لهذا النجاح، وثقة في الذات والحق،

58) انبعاث أمة ج 20 ص 142 ـ 143 (المطبعة الملكية ـ الرباط 1394 ـ 95 هـ) = 1975م).

59) المصدر السابق ص 184.

60) التحدي ص 275.

61) انبعاث أمة ج 20 ص 190.

وتشبثاً من المغرب بالحلول السلمية، وحرصاً منه على إنقاذ المجموعة الافريقية ومنظمتها من كل تصدع. وقد جاء هذا القرار - الذي مازال للأسف أمر تنفيذه يتعثر - على لسان صاحب الجلالة الذي ألقى خطاباً في مؤتمر القمة الإفريقي بنيروبي يوم الجمعة 23 شعبان 1401 هـ (26 يونيو 1981 م). وفيه قال : «...واعتباراً لهذا كله، ومن أجل أننا نريد بكل ما لإرادتنا من قوة إنقاذ مجموعتنا الإفريقية من كل ما من شأنه أن يهددها بالانفجار والتمزق، ومن أجل أننا نريد دون كلل أو سأم أن نحافظ لفائدة منظمة الوحدة الإفريقية وهي تقابل العالم كله على صورتها كمنظمة متماسكة واعية ومسؤولة، فإننا قررنا أن نأخذ بعين الاعتبار مسطرة استفتاء مراقب تراعى شروطه التطبيقية في آن واحد أهداف التوصيات الأخيرة الصادرة عن اللجنة الخاصة، لجنة الحكماء، وما للمغرب من اقتناع بحقوقه المشروعة»[62].

وانطلاقاً من ثقة بالنفس والحق لاحد لها، يفترض جلالة الملك لهذا الاستفتاء نتائج السلب والإيجاب، حسب الحديث الذي أدلى به في الرباط لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) وجريدتي تايمز وصانداي تايمز[63]. وفيه قال : «فإما أن الصحراويين سيقولون إننا نريد أن نكون جزءاً من المغرب فمرحباً بهم في هذه الحالة، وإما أن يقولوا لا، إننا نريد أن يكون لنا كيان خاص. فهل للمغرب مصلحة في أن يكون له مواطنون رغم أنوفهم». وهل من المصلحة بالنسبة لاستقرار هذا الجزء من بلدي، وهو الجزء الشمالي، أن يثقل كاهل أجياله القادمة بانفصاليين يعرف الناس في بريطانيا أعمالاً لأمثالهم التي لا تكون دائماً شرعية ومقبولة. إنني لا أرغب في أن يكون لي مشكل شبيه بالمشكل الباسكي أو المشكل الإيرلندي. فإما أن يكون المغرب في حالة سلم على أرضه، وإما أن يكون في حالة سلم مع جاره».

وبنفس الروح النابع من الجنوح الواعي للسلم، واستمراراً في الخط الرائد الذي رسمه المغفور له محمد الخامس لمدرسته، سعى جلالة الحسن الثاني ويسعى إلى تحرير بقية الجيوب المستعمرة. بل إنه قبل المسيرة إلى الصحراء بنحو ثلاثة أشهر، وبالضبط يوم الإثنين 20 جمادى 1395 هـ (30 يونيو 1975 م)، وعلى إثر الاعتقالات والأعمال التعسفية التي تعرض لها سكان سبتة ومليلية والجزر الشمالية المحتلة، صدر نداء من حكومة صاحب الجلالة «يهيب بهم أن يتمسكوا بالثبات ويتحلوا بالصبر، في هذا الوقت الذي تخوض فيه الأمة جمعاء معركة تحرير ما بقي من أجزاء الوطن مغتصباً واستكمال وحدة البلاد الترابية. وجلالة الملك الراعي الأمين لحقوق جميع المواطنين أينما كانوا لن يدخر وسعاً في المحافظة على مصالح المواطنين ومكتسباتهم مهما كانت الظروف، وكيفما كانت الضغوط التي يتعرضون لها. هذا وقد قدمت الحكومة المغربية احتجاجاً شديد اللهجة إلى الحكومة الإسبانية بخصوص التدابير التعسفية التي تتخذها ضد مئات المواطنين المغاربة القاطنين بالأجزاء المحتلة بشمال المملكة... وأبلغت نص ذلك الاحتجاج إلى كل من الأمين العالم لهيئة الأمم المتحدة والأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية والأمين العام لجامعة الدول العربية»[64].

وبفكر مبتكر خلاق يستقي من القانون والسياسة، اقترح جلالة الملك على السيد خوسي باريونويفو وزير الداخلية في الحكومة الإسبانية، لدا استقباله يوم الأربعاء 20 جمادى الأولى 1407 هـ (21 يناير 1987 م) تشكيل «خلية للتفكير» تنكب على بحث مشكل الجيوب الذي يجب إيجاد حل له في إطار الحفاظ على الحقوق الثابتة للمغرب وعلى المصالح الحيوية لإسبانيا في المنطقة.

وقد أكد جلالته هذا الاقتراح في خطاب العرش لنفس العام، مذكراً بمدرسة والده المنعم، فقال : «واستمداداً من مدرسة جلالة والدنا المرحوم بكرم الله، واستلهاماً لرؤاه السياسية التي كانت توثر الحوار بالاختيار والتفضيل، فإننا غير غافلين عن رعايانا الأوفياء القاطنين في مدينتينا سبتة ومليلية وما جاورهما من جزر. ولذا اقترحنا على حكومة إسبانيا جارتنا وصديقتنا تشكيل خلية للتفكير تنكب على بحث مشكل الجيوب الذي يجب إيجاد حل له في إطار الحفاظ على حقوق المغرب التي لا تقبل التفويت، وعلى المصالح الحيوية لإسبانيا في المنطقة».

وإذا كان هذا الاقتراح يبلور جنوحاً واضحاً للسلم، فإنه يعني كذلك مواجهة المشكل وتأمله بتعقل ووعي

62) انبعاث أمة ج 26 ص 232 (المطبعة الملكية - الرباط 1401 - 1402 هـ = 1981م).

63) سبقت الإشارة إلى تاريخ إذاعته.
64) انبعاث أمة ج 20 ص 94.

وتبصر، بدلاً من تجاهله أو تركه يستفحل في غياب أي توقع لما قد يحدث من جراء كل تصرف غير سليم. ومن ثم جاء طرحه، أو بالأحرى إعادة طرحه على هذا النحو، في سياق ينقله من وضع التأزم المنذر بالتفجير إلى وضع التعقل المستند إلى المشروعية والقانون، بغية إيجاد الصيغة المناسبة لحله.

وإذ جاء هذا الاقتراح ينم عن فكر سياسي عميق وأفق متفتح، وحرص على صيانة السيادة الوطنية والوحدة الترابية، والمحافظة على المصالح المشتركة، واستمرار العلاقات بين المملكتين ودورهما في المنطقة، فإنه لم يكن غريباً أن يلقى إجماع الرأي العام المغربي، وأن يصادف قبولاً لدا العلماء والمفكرين وعموم المثقفين الإسبان المستقلين الذين أعربوا عن رغبتهم في المشاركة في «الخلية» إلى جانب إخوانهم المغاربة.

إن المحلل لمثل هذا المنحى في التفكير السياسي لجلالة الملك ينتهي إلى أنه يجنح للسلم، ولكن ليس بدافع الضعف أو الاستسلام، وإنما عن رغبة واقتناع وبعد نظر، مما يجعل السلم في منظوره اختيارا لا يعدل عنه إلى غيره إلا عند الاضطرار، كما سنرى بعد، مع الاستعداد لمواجهة أي موقف كيفما كان.

وحرص جلالته على اختيار السلام هو الذي جعله يومن بالحوار ويرفع شعاره، وهو ما أكده لدا تقبل أوراق اعتماد السفير الإسباني السيد خواكين أورتيغا ساليناس يوم 28 رجب 1407 هـ (29 مارس 1987 م)، حين قال له : «إننا نومن وسنظل نومن بالحوار، ولنا اليقين أننا سنجد لدا الحكومة الإسبانية والعاهل الإسباني نفس المشاعر والمبادئ».

وقد ألح ـ حفظه الله ـ بإصرار على مبدأ الحوار في الندوة الصحافية التي عقدها بمراكش مساء الجمعة 11 شعبان 1407 هـ (10 أبريل 1987 م)، والتي خص بها نادي الصحافة لإذاعة أوروبا رقم 1، إذ قال : «سنحاول الدفاع عن حقوقنا، ولكن عن طريق الحوار، والحوار دائماً. ولا أفكر في وسيلة أخرى غير الحوار مع إسبانيا».

وليس مع إسبانيا فحسب، ولكن مع أي طرف يثير نزاعاً ما، يلجأ جلالته إلى الحوار ويدعو له، بغية إحلال السلم. ولا أدل على هذا الجنوح من اللقاء الذي اجتمع فيه ـ أعزه الله ـ مع فخامة الرئيس الجزائري السيد الشاذلي بن جديد ببلدة العقيد لطفي على الحدود المغربية الجزائرية يوم السبت 12 جمادى الأولى 1403 هـ (26 فبراير 1983 م). ومثله القمة الثلاثية التي التأمت في نفس المكان يوم الإثنين 5 رمضان 1407 هـ (6 مايو 1987 م)، والتي اجتمع فيها مع الرئيس الجزائري بمحضر الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية.

وكان من النتائج الأولى لهذا اللقاء إطلاق الحكومة المغربية سراح مائة واثنين من العسكريين الجزائريين الذين كانوا أسروا سنة 1976 م في منطقة أمغالا بالصحراء المغربية، وكذا إفراج الحكومة الجزائرية عن خمسين ومائة جندي مغربي. وتمت هذه الخطوة الإيجابية بعد بلاغ صدر في العاصمتين المغربية والجزائرية يوم السبت 24 رمضان 1407 هـ (23 مايو 1987 م).

وبهذا يثبت جلالة الحسن الثاني ـ إن كان النهار يحتاج إلى دليل ـ رغبته الصادقة في تحريك الأمور، بغية وضع حد للتوتر المصطنع في المنطقة، ويثبت كذلك سعيه الحثيث لبناء المغرب الكبير على أسس قوية ومتينة.

وإذا كان مجال بحث محدود كالذي نحن بصدده لا يتسع لاستعراض جميع ما صدر عن جلالته في هذا المضمار الوطني[65]، فإنه لا يتسع كذلك لتتبع كل خطوات السلام التي قطعها ـ رعاه الله ـ لإيجاد الحلول الناجعة لمختلف القضايا العربية والإفريقية والإسلامية، وعلى رأسها قضية فلسطين، مما يتمثل في العديد من مؤتمرات القمة التي احتضنها المغرب، والتي تكفي الإشارة منها إلى مؤتمر القمة العربي السابع الذي انعقد بالرباط في شوال 1394 هـ

65) وهو مضمار متعدد الآفاق والأبعاد، يتعدى المفهوم السياسي للسلم إلى مفاهيم أخرى تربطه بمختلف قضايا المجتمع، على نحو ما أبدع جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله حين دعا إلى «السلم الاجتماعي» مما يفتح مجالات أخرى للبحث قد تبتعد بنا عن السياق الذي التزمنا بتناوله.

(اكتوبر 1974 م)، والذي أكد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطيني كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وكذا مؤتمر القمة العربي الثاني عشر بفاس في ذي القعدة 1402 هـ (سبتمبر 1982 م)، وهو المؤتمر الذي انتهى إلى مخطط السلام المنسوب لهذه المدينة، والذي انبثقت عنه اللجنة العربية السباعية التي ترأس جلالة الملك مجموعتها الأولى، وكان اللسان المعبر عنها في الأمم المتحدة.

ولعله لا تذكر هذه الخطوات دون أن يشار إلى لجنة القدس التي ترأسها جلالته، وإلى مبادرته السلمية التي أعلن عنها يوم الإثنين 9 جمادى الثانية 1407 هـ (9 فبراير 1987 م) لإنقاذ الفلسطينيين المحاصرين في برج البراجنة، واقتراحه إرسال طائرة مدنية تحمل المواد الغذائية والطبية. وقد شرح في ندوته الصحافية مع نادي إذاعة أوربا رقم 1[66] أنه كان يرمي من مبادرته إلى تحليق أخضر (Vol vert) على غرار المسيرة الخضراء. وفي ذلك قال ـ دام علاه ـ : «في الحقيقة، فإن ما كنت أنتظره من ندائي هو أن تقوم فوراً، ليس بمسيرة خضراء، ولكن برحلات جوية خضراء تتمثل في قيام كل الدول العربية بإرسال طائرة. في نفس الوقت إلى بيروت».

إن الباحث لا يستطيع إلقاء الضوء على معظم جوانب إبداع الفكر السياسي للملك الحسن الثاني، فضلاً عن جميعها، مما يكشفه ما كتب في (التحدي) وما أملاه في كتاب (تحت أرز إيفران)[67]، ثم ما ألقاه من خطب ومحاضرات واستجوابات أغنى بها ويغني الفكر السياسي المغربي باستمرار، بل الفكر السياسي على وجه العموم. وما إخال المعجم السياسي المعاصر إلا متحدث عن المصطلحات التي لم يكن له بها عهد، والتي أبدعها جلالته، ك : «المسيرة الخضراء» و«خلية للتفكير» و«رحلات جوية خضراء» وغيرها مما أصبح معروفاً ومتداولاً لدا الجميع.

يتبع   **الرباط : د. عباس الجراري**

> **وإذا كان سلفنا الصالح قد قاموا بالدور الحضاري الذي ألقاه الإسلام على عواتقهم أحسن قيام، حسبما أدركوه وتصوروه، وعلى النحو الرائع الذي أبدعوه وابتكروه، فإن ذلك يدفعنا إلى مواصلة نفس الدور، لكن على نحو جديد ونمط فريد، يتناسب مع معطيات هذا العصر.**
>
> جلالة الملك الحسن الثاني

66) سبقت الإشارة إليها.

67) Sous les Cèdres d'Ifrane : جمعه وأصدره Georges Vaucher عام 1962م.

جلالة الحسن الثاني
ملك القيم والأخلاق

للأستاذ أحمد مجيد بن جلون

من مؤهلات جلالة الحسن الثاني، وما أوفرها، ومن خصائصه، وما أبدعها وأجملها، تشبثه بالمبادئ والقيم، وتعلقه بالأخلاق النبيلة والصفات الرفيعة.

وأن من تتبع مراحل حياته وأشواط جهاده ليجد فيها، أقوى دليل وأنصع حجة على طموح جلالته الوثاب الذي يرمي إلى أن يبوئ شعبه الشكور المكانة التي يستحقها إيمانه القوي وانقياده إلى الله وعزمه على أن يسير في طريق الخير، امتثالا لما يأمر به ديننا الحنيف.

لقد منح جلالته شعبه، بمجرد اعتلائه عرش أسلافه المنعمين، دستورا... دستورا مثاليا امتحنته الممارسة فأبرزت صلاحية مبادئه وجدوى اختياراته وانسجام مؤساته وتأهيله لتحقيق رغبات الأمة وحفاظه على الحقوق الفردية والكرامة البشرية.

ولم يتكلم الدستور على ما يسمى بلغة العصر بحقوق الإنسان لأن تلك الحقوق من صلب القواعد الإسلامية، ولكنه آثر أن يحدد المبادئ التي تقوم عليها الدولة المغربية، وكلها مبادئ شريفة، تشكل ثورة عارمة على التسلط والطغيان، وتعزز وضعية المواطن المغربي كشخص حر في وطن حر.

وأن الدستور يؤكد مبدأ المساواة بين أفراد الأمة، عملا بقول الرسول الأكرم : «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى». وتتجلى هذه المساواة من المبادئ الآتية :

- ينص الفصل الرابع على أن القانون هو أسمى تعبير عن إرادة الأمة، ويجب على الجميع الامتثال له. وليس للقانون أثر رجعي.

- وينص الفصل الخامس على أن جميع المغاربة سواء أمام القانون.

- وينص الفصل الثامن على أن الرجل والمرأة متساويان في التمتع بالحقوق السياسية.

- وينص الفصل الثاني عشر على أنه يمكن جميع المواطنين أن يتقلدوا الوظائف والمناصب العمومية. وهم سواء فيما يرجع للشروط المطلوبة لنيلها.

- وينص الفصل الثالث عشر على أن التربية والشغل حق للمواطنين على السواء.

والدستور يؤكد مبدأ التضامن في السراء والضراء، كما تنص على ذلك الفصول الآتية :

- ينص الفصل السادس عشر على أن المواطنين جميعهم مطالبون بالمساهمة في الدفاع عن الوطن.

- وينص الفصل السابع عشر على أنه يجب على الجميع أن يتحملوا، كل على قدر استطاعته، التكاليف العمومية التي للقانون وحده الصلاحية لإحداثها وتوزيعها حسب الإجراءات المنصوص عليها في الدستور.

- وينص الفصل الثامن عشر على أنه يجب على الجميع أن يتحملوا متضامنين التكاليف الناتجة عن الكوارث التي تصيب البلاد.

والدستور يفرض مبدأ الحرية في اسمى معانيها، وذلك في الفصول الآتية :

- ينص الفصل التاسع على أن الدستور يضمن لجميع المواطنين :

- حرية التجول وحرية الاستقرار بجميع أنحاء المملكة.

- حرية الرأي وحرية التعبير بجميع أشكاله وحرية الاجتماع.

- حرية تأسيس الجمعيات وحرية الانخراط في أية منظمة نقابية وسياسية حسب اختيارهم.

ولا يمكن أن يوضع حد لممارسة هذه الحريات إلا بمقتضى القانون.

- وينص الفصل العاشر على أن لا يلقى القبض على أحد ولا يعتقل ولا يعاقب إلا في الأحوال وحسب الإجراءات المنصوص عليها في القانون. والمنزل لا تنتهك حرمته ولا تفتيش ولا تحقيق إلا طبق الشروط والإجراءات المنصوص عليها في القانون.

وطبعا، فإن جميع هذه المبادئ جاءت منسجمة مع القوانين التي تحدد كيفية تطبيقها والمساطر التي يتعين احترامها والإجراءات المطلوب تطبيقها.

ففيما يتعلق بالحريات الفردية والجماعية جاءت ظهائر 15 نونبر 1958 لتنسق حقوق المواطن في هذا الميدان وتعزز إمكاناته بضمانات يطول شرحها في هذه العجالة، تلك الضمانات التي تعطيه افسح مجال للعمل النافع والمبادرات الإيجابية. وعلى سبيل المثال، فإن مما يثلج الصدر ان المغرب من بين البلدان القلائل عبر العالم الذين يمكن فيهم للمواطن أن ينشر مجلة أو جريدة جديدة لمجرد تقديم تصريح بذلك للنيابة العامة : فلا يحتاج إلى سابق إذن ولا إلى تقديم كفالة مالية قبل النشر. وإذا صدرت جريدة جديدة فلا يمكن منعها إلا عن طريق القضاء.

أما فيما يخص الحريات الفردية والعائلية، فهي مصانة بكيفية دقيقة. وقد جاء قانون المسطرة الجنائية ليحافظ على هذه الحريات ضد كل مساس محتمل. وهذه بعض الأمثلة عن ذلك :

فلا يمكن متابعة أي شخص إلا استنادا إلى مسطرة خاصة تحتاط بكيفية وجيهة حتى لا تتعرض كرامة المواطنين إلى ما يمس بها. ولا يمكن اعتقاله إلا طبق شروط تخضع كل إجراء قضائي إلى مراقبة صارمة من طرف الهيئات القضائية العليا. ولا يمكن محاكمته إلا باتباع إجراءات يؤدى الاخلال بها إلى بطلان المحاكمة. أما تفتيش المنازل فهو منظم بكيفية لا تترك إمكانية لأي تعسف. ويمنع بتاتا دخول منزل الغير، ولو من طرف الشرطة، ما بين التاسعة ليلا والسادسة صباحا.

هذا من حيث الشكل. أما من حيث الجوهر، فإن القانون يفرض أن يعتبر كل متهم بريئا إلى أن تثبت أدانته. وطبعا، فإن هذه القاعدة تفرض حقوقا أخرى يطول شرحها.

ومنذ أن تقلد جلالة الحسن الثاني مقاليد الحكم، ومنذ أن منح شعبه الوفي الدستور المثالي الذي نعيش تحت ظله واتباعا لمقتضياته ما فتئ جلالته حفظه الله يخطط ويوجه استنادا إلى تقاليدنا العريقة وعملا بالأوامر والنواهي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله.

في كل واجهة من الواجهات وعلى كل المستويات عاش المغرب تلك الملحمة الخالدة التي عززت أركانه ونسجت خيوط نظامه وأوعزت بالعمل الدؤوب خدمة للصالح العام وتوثيقا للروابط المتينة المكونة لتضامن الأفراد فيما بينهم وللعروة الوثقى الموجودة بين الأمة وعاهلها تلك العروة التي لا تزداد إلا متانة لأنها تجد سر قوتها في مجهود دؤوب ومترسل لملك صالح وفي تعلق مثالي لشعب ملكي بغريزته مسلم بمعتقداته متشبث بعرشه استنادا إلى طبيعته وتقاليده وإيمانه الراسخ وشغفه بملكه.

إن منجزات جلالة الملك الحسن الثاني أثناء أكثر من ربع قرن تكون تحديا لكل تعداد وكنزا استفاد منه جميع أفراد الأمة المغربية في تكوينهم وصحتهم ومستوى حياتهم وضمان مستقبلهم. وقد يكاد يكون العرض مستحيلا لو حاول المرء أن يتصدى إلى كل القوانين التي وضعت والمشاريع التي أنجزت والمنشآت التي أسست وأبدعت والهياكل التي نصبت والمبادرات الوجيهة التي اتخذت والحقيقة التي أصبح المغرب يتوفر عليها بفضل الجهاد المقدس الذي خاضه جلالة الحسن الثاني بإباء وغيرة وتجرد.

إلا أن القاسم المشترك بين جميع ما خطط وأنجز هو التزام الفضيلة في كل مبادرة ودعوة جلالة الحسن الثاني إلى التشبث بالقيم والعمل طبق ما تقتضيه الأخلاق وتقره المبادئ، فكلما أقدم جلالته على تحقيق أي هدف الا ووضع الفكرة والإنجاز في إطار خلقي لا يقبل بالمروءة بديلا، وكلما دعا إلى اتخاذ موقف إلا وعلله بما يفرضه الضمير النقي وتوحي به الأوامر الإلهية.

وهكذا فعندما أمر أدام الله نصره بانطلاق المسيرة الخضراء كان سلاح المشاركين هو القرآن، وكلما ألقى خطابا أمام مجلس النواب إلا وركزه على آية قرآنية وكلما خاطب شعبه الوفي إلا وكانت خاتمة خطابه آية من كتاب الله العزيز.

وكلما صدر قانون في أي ميدان أو اتجاه إلا وكانت أسبابه ودوافعه خلقية. ولم يسبق أن صودق على مشروع لمجرد المصالح المادية الظرفية. وكلما أبدى جلالة الحسن الثاني رأيا على المستوى الدولي إلا وطبعته تلك الروح الحسنية المسلمة.

وبفضل هذا الاتجاه القويم الذي أعطاه عاهل المغرب المفدى للوجهة التي اختارها لشعبه أصبح المغرب قبلة الباحثين على الحلول الرشيدة ومرفأ ذوي النيات القويمة ومنطلق الانتفاضات الخلقية السليمة.

فلا غرابة في أن تينع الثقافة وتزدهر ولا غرابة في أن يتهافت الشباب على الخزانات والمساجد ولا غرابة في أن يكون المغرب منطلق (مخطط فاس) ولا غرابة كذلك في أن يكون جلالة الحسن الثاني رئيس لجنة القدس.

لقد قام الرئيس حسني مبارك أخيرا بزيارة للمغرب وألقى خطابا بحضرة أمير المؤمنين أكد فيه على الخصوص : «شكري لك أخي، صاحب الجلالة، حبي وتقديري لك وللشعب المغربي العظيم، وأتمنى لنا في الأمة العربية والإفريقية، وبزعامتك أيها الأخ والصديق العزيز، أن يوفقنا الله دائما إلى ما فيه خير هذه الأمة».

وقبل ذلك اجتمعت لجنة القدس (بيفرن)، وألقى أثناء اجتماعها جلالة الحسن الثاني ذلك الخطاب القيم الذي أكد فيه، حفظه الله، متوجها إلى الولايات المتحدة «استشهد جنودنا وجنودكم بالآلاف وبمئات الآلاف لتحرير البشرية. وهنا لا يمكن لحليفك بالأمس إلا أن يستغرب تنكرك للمبادئ التي من أجلها مات أبناؤك وأبناؤنا ولا سيما أن الجنود المغاربة حينما ذهبوا للحرب الدامية لم يذهبوا كجنود دولة مستعمرة لم يذهبوا كمرتزقة أبدا بل ذهبوا بعد نداءات متكررة من جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه. والذي كان آنذاك السلطان سيدي محمد ابن يوسف الذي أمر أن تقرأ على المنابر رسالة ملكية يأمر فيها الرجال المغاربة أن يحاربوا بجانب الحلفاء للدفاع عن الحرية وللدفاع عن الكرامة البشرية...».

وقد رد الرئيس ريجان على هذا الخطاب الملكي السامي برسالة شفوية جاء فيها على الخصوص : «لقد عبرتم أثناء الخطاب الذي ألقيتموه في اجتماع لجنة القدس المنعقد في الخامس من يناير عن أفكار بليغة تذكر بالتعاون التاريخي المغربي الأمريكي في ميدان الدفاع عن الحرية والكرامة البشرية. وأن هذه المبادئ السامية ستنير دوما طريقنا في البحث عن السلم والاستقرار».

إن جلالة الملك الحسن الثاني، وهو ملك الحوار والمناقشة البناءة والبحث عن أنجع السبل لجعل حد للمشاكل مهما كانت مستعصية، يتصدى دوما إلى جميع المشاكل استنادا إلى أسمى المبادئ وأغلى القيم والسلام ختام.

الرباط : أحمد مجيد بن جلون

لعل أجمع وأنفع وصية يوصي بها كل مسلم أخاه في بداية القرن الجديد هي أن نطبع فكرنا وحياتنا وسلوكنا الخاص والعام بالطابع المميز لحضارتنا الإسلامية الذي ارتضاه الله لنا، ألا وهو طابع الاعتدال والوسط، المنافي لكل إسراف وشطط، والمترفع عن كل تهريج ولغط، ففي نطاق المبدإ الإسلامي «الوسط» والحد الفطري «الوسط» لا كبت ولا إباحية، وإنما علاقات شرعية أخلاقية.

جلالة الملك الحسن الثاني



كنت نشرت في مقال سابق[1] ـ منذ سنوات ـ بعض ظهائر السلطان المولى محمد بن عبد الله، يأمر فيها بتحرير قبيلة بني بوزرة ـ إحدى قبائل غمارة ـ من الوظائف الحكومية، والكلف المخزنية؛ ويجعل مهمتها المرابطة على ثغر مرسى تاركا، وحراستها من العدو الباغت، وشرحت دور هذا الحصن في الدفاع عن حوزة البلاد، ورد عادية المعتدي؛ ثم اطلعت أخيراً على ظهائر أخرى عند أسرة بني مرزوق[2] الذين تولوا القيادة بهذه الجهات ـ قرابة قرن ونصف أو يزيد، وهذه الظهائر تحدد مراسي أخرى للحراسة بقبائل غمارة على طول البحر الأبيض المتوسط ـ كحزام أمني على مسافة نحو (120 كلم)، وهي مراس سبعة كما يلي :

مرسى قاع أسرس، موسى ترغة، ـ مرسى تيجيساس، ـ مرسى تاركا، ـ مرسى أمشار، مرسى تغسة، ـ مرسى الجبهة.

الظهير الأول : للسلطان مولاي عبد الله ابن المولى اسماعيل مؤرخ بـ 8 شوال عام (1170 ـ 1756).

ونصه : الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

إلى كافة قبيلة غمارة، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فها نحن كبرنا[3] عليكم خديمنا أخاكم الشيخ علي بن قاسم بن مرزوق،[4] وولیناه أمركم، وأسندنا إليه النظر في جميع مصالحكم، وسائر منافعكم ومناجحكم، وبسطنا يده عليكم : منكم إليه، ومنه إليكم؛ فنأمركم أن تكونوا عند أمره ونهيه، وتعملوا بقوله وتسمعوا لرأيه؛ ومن خالفه منكم، يخف على نفسه؛ وتهلاوا[5] وشدوا أرواحكم في العسة في مراسيكم المعروفة لكم : مرسى تارغة،[6]

1) انظر مجلة دعوة الحق س 13 ع 3 ص 121 ـ 124 ـ يناير فبراير 1970.
2) أطلعني عليها ـ مشكورا ـ أحد حفدتهم ـ وهو الأخ الفاضل المحترم السيد المختار بن مرزوق.
3) أي جعلناه كبيركم.
4) أسرة بني مرزوق عريقة في المجد والرياسة بقبائل غمارة، ينتسبون إلى عمر بن ادريس الذي ولي على تيجيساس ونواحيها حسبما بأيديهم من شجرة النسب، ولهم أبناء عمومة بتلمسان ـ كما تفصح بذلك عباة أبي محمد السكيرج في كتابه تحفة الإخوان (مخطوطة خاصة). وانظر عمدة الراوين في تاريخ تطاوين للرهوني ج 178/6 وممن تولى القيادة على غمارة من بني مرزوق : علي بن قاسم هذا، والعباس، وأحمد، ومحمد، وعبد الرحمان، وعبد القادر ـ حسبما بأيدي حفدتهم من ظهائر ووثائق.
5) تهلاوا : بمعنى تهيأوا واستعدوا.
6) لم يرتبها الظهير حسب مراحلها، فقاع أسرس ـ هو أول هذه المراسي، يليها مرسى ترغة، ثم تيجيساس، فتركا، فأمشار، ثم تغسة، فالجبهة. وترغة : مدينة قديمة من بناء القوط ـ كما يذكر الوزان عن بعض المؤلفين، بينها وبين المضيق نحو (50 ميلا) ـ 47 كلم. وبها آثار تاريخية : أمثال مسجد عقبة بن نافع، وحجرة لا إله إلا الله، وروضة المديني ـ شيخ ابن مشيش، وزاوية الغزال، والجامع العتيق، وسواها، ـ وقد احتلها البرتغاليون في حدود (907 ـ 1502) ثم هاجمها الإسبان بعد ذلك بنحو (90) سنة فأحرقوا نحو (25) مركبا ما بين صغير وكبير، وقبضوا بها على أكثر من (300) أسير.
انظر وصف إفريقيا 324/1 ـ 325، وعمدة الراوين 134/1.

وقاع اسرس،[7] وتيجيساس[8] تاركا،[9] وأمشار،[10] وتغسة،[11] والجبهة،[12] وإياكم أن تفرطوا فيها، أو تأخذكم غرة في العدو الكافر؛ وفوضا لكبيركم القائد الشيخ علي بن مرزوق المذكور، وأمرناه أن يتعهدها ويستنهضكم إليها - والسلام.

وأ. ثمله الطابع الشريف

الظهير الثاني : للسلطان المولى محمد بن عبد الله مؤرخ بـ 25 جمادى الأولى عام (1172 - 1758).

ونصه : الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

الطابع الشريف

خديمنا الشيخ علي بن مرزوق وكافة غمارة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فإنا أخرجناكم من زمرة القبائل الجبلية، وأسقطنا عنكم جميع ما هو موظف عليهم[13]، وأبقيناكم قبالة العسة وقطع العود لمراكبنا الجهادية؛[14] فالزموا ذلك، وقفوا عنده؛ ولا تدخلوا في زمرة القبائل الذين صاحبهم الضلال، وأعمى الله بصائرهم؛ ولا تتبعوهم في رأيهم الفاسد، فهم على وعد من العقوبة - إن شاء الله، ويقع بهم أكثر مما وقع في تلك المرة - وذلك أقرب ما يكون - بحول الله وقوته - والسلام[15].

الظهير الثالث : للسلطان المولى محمد بن عبد الله أيضاً، مؤرخ بـ 5 محرم (1174 - 1730).

ونصه : الحمد لله وحده صلى الله على مولانا محمد وآله.

---

7) وقاع أسرس - كلمة مركبة تركيباً مزجياً، فقاع : المكان المنخفض، وأسرس : نبت له أغصان طويلة ينبت في الوديان والمستنقعات، ولكثرته هناك، سمي به هذا الموضع والمرسى يعرف إلى الآن بتيزكان، ولعله هو الذي يسميه الشريف الإدريسي بأنزلان، ويقول : إنه مرسى عامر، وهو أول بلاد غمارة، يبتعد عن تطوان بنحو (15 ميلا) - نحو 47 كلم. - الحلل السندسية لشكيب أرسلان 68/1.

8) تيجيساس : مدينة قديمة وتعرف الآن بـ(سطيحة)، وتذكر كتب التاريخ أنها كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي، وكانت خاضعة لحكومة يوليان الغماري بسبتة، وعند الفتح الإسلامي أصبحت تابعة لإمارة صالح بن منصور الحميري، وفي عهد الأدارسة ولي عليها عمر بن ادريس، ثم اختارها عاصمة له، فاتسع بنيانها وكثر عمرانها، ووليها بعده أبناؤه وحفدته؛ وظلت عامرة إلى أواخر القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي، فجلا عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي أحد عمال المرينيين.

انظر تاريخ ابن خلدون 447/6 - 448، ومرآة المحاسن للفاسي ص 165، والحلل السندسية 68/1.

9) مرسى تاركا يبعد عن قيادة بوحمد بنحو (20 .كلم)، وهو حصن قديم ذكره الشريف الإدريسي في نزهة المشتاق وسماه قصر تاركا، وبه آثار ضاع أكثرها بالبناء العشوائي الموجود هناك؛ وأشرت في مقال سابق إلى أنه لا تزال ثمة معالم تاريخية حية، منها : نوالة العسة، وقصبة سيدي يحيى، ومقبرة المجاهدين.

10) هذا المرسى ليس له ذكر في كتب التاريخ، وأمشار : سهل منبسط يشقه واد على جانبيه مزارع وأغراس وجنات؛ وهناك مكان يعرف بتفزت به آثار، وجامع قديم يتبرك به.

وأحدث بهذا المرسى بناء جديد، وبه حركة تجارية لا بأس بها، ويسكنه جماعتان إحداهما من قبيلة بني بوزرة، والأخرى من قبيلة بني جرير - وكانت لهم عزالب هناك.

11) تغسة : يصفها الوزان بأنها مدينة صغيرة كثيرة السكان، تقع على نهر صغير على بعد ميلين من البحر، ويذكر أن أهلها كلهم صيادون وفلاحون، والمدينة على حالة رديئة. وصف إفريقيا 327/1 - 328.

12) الجبهة : وصفها الوزان بأنها مدينة صغيرة ذات أسوار جيدة أسسها الأفارقة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، يسكنها الناس تارة ويهجرونها أخرى - بحسب الموارد المتوفرة لدى المكلفين بحكمها وحراستها، ويحيط بها إقليم وعر - ويعني به الجانب الغربي من بني سميح - تكثر فيه العيون والغلات، وفي الضواحي بعض الكروم والأشجار المثمرة. - وصف إفريقيا 128/1.

ويصلها الآن بتطوان طريق معبد على مسافة نحو (160 كلم) وبالمرسى ميناء صغير ترسو به بعض المراكب الصغيرة المعدة للصيد.

13) يعني من الكلف المخزنية وما يفرض عليهم من أموال لخزينة الدولة.

14) يبدو أن هذه الجهات كانت غنية بالثروات الخشبية فكانت تمول بعض المدن التي تصنع بها السفن الحربية كسلا وغيرها.

15) ومما ينبغي الإشارة إليه أن قبائل غمارة كانت منذ القدم معروفة بالتمرد على السلطة الحاكمة، فإذا ألقينا نظرة على الدول المتعاقبة على الحكم منذ الأدارسة إلى عهد العلويين، نجدها كلها لم تسلم من هزات أثارتها قبائل غمارة، ومن مواجهات قد تطول وقد تقصر؛ بل كانت وكرا للطغاة المتمردين، وملجأ للثوار الطامعين؛ باستثناء دولة الأشراف العلويين، فإنه لم يثبت تاريخيا أنهم شقوا عصا الطاعة في يوم من الأيام، أو خالفوا أمرا من الأوامر السلطانية - مهما كان شأنه؛ حتى إنه لما خرج المولى يزيد على والده والتجأ إلى ضريح ابن مشيش، التف حوله عدة قبائل من شمال المغرب، إلا غمارة فإنها بقيت في الحياد متشبثة بطاعة السلطان المولى محمد بن عبد الله الذي بادلها حباً بحب، وأصدر عدة ظهائر بتحريرها من الكلف المخزنية، وزارها في عقر دارها، وامتن عليها بمزايا لم تكن لغيرها من القبائل، وحافظ عليها باقي الملوك العلويين إلى يوم الناس هذا.

ومن الخصائص التي تمتاز بها هذه القبائل - ولا نعرفها لسواها - : أنهم لم يولوا عليهم أحداً من سواهم / بينما القبائل المجاورة لهم كانت تأتيهم العمال من جهات أخرى في غالب الأحيان، وكذلك كانت الدولة العلوية تستعين بهم في تهدئة الأوضاع، والقضاء على الفتن التي كانت تقوم في بعض الجهات، وبين يدي وثائق في هذا الصدد.

الطابع الشريف

خديمنا الشيخ ابن مرزوق سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فبوصول كتابنا إليك، وجه المعلمين الثلاثة : محمد بوخريص، والعربي الهرار، ومحمد الهرار[16] ـ لسلا[17] يخدمون بمركب الرايس سالم[18] ـ والسلام.

الظهير الرابع : للسلطان المولى يزيد بن محمد بن عبد الله مؤرخ بـ 27 شوال (1204 ـ 1789).

ونصه : الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله.

الطابع الشريف

كافة خدامنا أغمارة، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد : نأمركم أن تدفعوا لخديمنا القائد أحمد بن مرزوق ـ ألفي مثقال التي[19] هي بذمتكم،[20] وهو يدفعها لخديمنا القائد عبد الملك؛ ونحن أمرناه يقوم العسة بالمرسات السبعة التي عندها الحبس[21] ـ ينفذها على أيديه للعسة، والتي لم تكن عندها أحباس يقوم لها العسة ـ كما كانت في القديم أولا؛ وكل واحد منكم يبقى على حالته المعروفة له، وعند قدومنا لسبتة بنية الجهاد[22] ـ إن شاء الله، يقوم الفريضة[23] ويقدم علينا ـ إن شاء الله ـ لسبتة والسلام.

الظهير الخامس : للسلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام ـ يستنفر[24] فيه قبائل غمارة للجهاد، ويهيب بهم للدفاع عن حوزة البلاد؛ وهو مؤرخ بـ 13 رجب (1260 ـ 1844).

ونصه : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه.

الطابع الشريف

خديمنا الأرضى أحمد بن مرزوق، السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

---

16) اولاد الهرار : عائلة معروفة بعدة جهات من غمارة، وانتقل بعضهم إلى تطوان، ولا يزال أفراد منهم بها إلى الآن.

17) كانت سلا من أهم المراكز لصناعة السفن، وبها كثير من الرياس وكانت القرصنة تلعب دورها الخطير في كل من المحيط والمتوسط، وكان الرياس يفدون على السلطان بمراكش من حين لآخر بالنصارى الأسارى، وبالسفن التي يغنمونها ! فقوى لهذا العهد الأسطول المغربي، وتكاثرت سفنه، وأصبح مرهوب الجانب يخطب وده كثير من الدول.
انظر في هذا الصدد تاريخ الضعيف ص 169 ـ 170.

18) كان الرايس سالم من أمهر الصناع في بناء السفن بمدينة سلا، فأمره السلطان المولى محمد بن عبد الله بإنشاء سفينة كبيرة ذات طابقين، واستعان بالصناع المهرة من كل الجهات، وكان منهم المعلمون الثلاثة بوخريص وولدا الهرار اللذين سبق ذكرهم. ويذكر الضعيف أن السلطان أنفق على هذه السفينة مالاً كثيراً يقدر بنحو 40 قنطار أو تزيد.
انظر المصدر السابق.

19) في الأصل (ألفان مثقالان الذي) ـ وهو خطأ واضح يدل على مدى ضعف الكاتب في اللغة العربية.

20) هذا نظام لم يكن في عهد والده، ولعل فقر الخزينة هو الذي دفعه إلى ذلك.

21) يبدو أن بعض هذه المراسي كانت لها أحباس خاصة ـ وهي غير أحباس المساجد والزوايا.

22) حاول السلطان المولى يزيد أن يتبع خطة والده في الرباط على الثغور ـ وفي مقدمتها سبتة، فزحف إليها بكل قواه، واستنفر الناس من كل الجهات؛ واستصحب معه آلات الحرب من مدافع ومهارس، ونصب عليها سبعة أشبارات ـ على حد تعبير بعضهم؛ وهرعت إليه المتطوعة من حاضر وباد، وتسللوا إليه من كل حدب وواد؛ وأقام على حصارها مدة حتى أشرف على فتحها ـ لولا طعنة جاءته من خلف من بعض الخونة بقبائل حوز مراكش بتدبير من العدو، فاضطر إلى الإقلاع عنها، وعقد صلحاً مع الإسبان ليتفرغ لخصومه؛ فالتحق بمراكش ودخل في حرب مع أخيه هشام، فأصابته رصاصة في خده فتوفي منها أواخر جمادى الثانية عام (1206 ـ 1791).

23) يلاحظ أن المستوى الثقافي تقلص بعد موت السلطان المولى محمد بن عبد الله، فالفرق واضح بين الظهائر السابقة والظهير هذا والذي بعده ـ في قوة الأسلوب وسلامة التعبير؛ ويمكن أن يقال مثل ذلك ـ في سياسة الداخل والخارج؛ فالسلطان المولى يزيد ـ رغم كونه شجاعاً كريماً، فإنه لم يكن ليسد مسد والده العظيم مولاي محمد بن عبد الله.
انظر الاستقصا 72/8 تاريخ المغرب للوزان 136/2.

24) لما استولت فرنسا على الجزائر سنة (1259 ـ 1843) ـ وبدأت مناوشاتها للمغرب ـ تارة على بني يزناسن، وأخرى على وجدة؛ ثم دخلت وجدة على حين غفلة من أهلها؛ شعر السلطان المولى عبد الرحمان بالخطر، فوجه رسائله إلى عدة جهات من المغرب، كان منها هذا الظهير الموجه إلى قبائل غمارة قبل وقعة إيسلي بنحو شهر، وفي هذا الصدد يقول الشاعر الوزير ابن ادريس :

يا أهل مغربنا حق النفير لكم
إلى الجهاد فما في الحق من غلط
فالشرك من جنبات الشرق جاوركم
من بعد ما سام أهل الدين بالشطط

انظر الاستقصا 49/9 ـ 50 والإتحاف 56/5.

وبعد : فإن أفضل الأعمال ـ بعد الإيمان ـ الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله؛ وهو سنة النبيئين، وحرفة سيد المرسلين، وسبيل الخلفاء الراشدين، وغنيمة المقتدين المهتدين؛ وقد ورد في فضله من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ما لا يأتي عليه حد، ولا يحصره إحصاء ولا عد؛ وجعله الله لهذه الأمة المحمدية كرامة، وأعطى المجاهدين في سبيل من الأجر ما لا يحصى دنيا وأخرى؛ وجعل الشهادة حياة أبدية، وسعادة سرمدية، ووسيلة لرفع الدرجات، ونماء الحسنات؛ ونقل الخطوات، سببا لمحو الخطيئات؛ وإخلاص النيات، سلما لنيل الأمنيات... وأنتم ديار علم وخير وصلاح ـ قديماً وحديثاً،[25] معلومون بالحزم والنجدة، والغلظة على الأعداء والشدة؛[26] فبوصول كتابنا هذا إليكم، تأهبوا لإجابة دعوة خديمنا القائد محمد أشعاش[27] ـ مهما دعاكم لمعونته، والرباط معه،[28] والظن بكم جميل، والسلام.

ولنعد إلى المراسي السبعة التي تؤكد هذه الظهائر على حراستها، لنرى : لماذا هذه المراسي بالذات ؟ وكيف كان نظامها ؟

أما كون هذه المراسي بالذات، فلأنها تشكل حزاماً أمنياً لساحل البحر الأبيض المتوسط، والخطر الذي يتهددها : أنها مسامتة للشاطيء الإسباني الذي ينتظم مالقة وسواها من المدن الساحلية، وهي مسافة تقطعها السفن البخارية في ساعات معدودة.[29]

وأما من حيث تنظيمها، فكانت كل قبيلة تحرس مرساها بحسب التناوب (ليدالا)، وكان أكثر مواردها من اصطياد السمك، وتصدره إلى جهات أخرى ـ داخل البلاد ـ كما يذكر الوزان.[30]

وربما كانت هناك بعض أحباس لهذه المراسي ـ كما تشير إلى ذلك بعض هذه الظهائر، وكان إلى جانب كل مرسى برج على ربوة عالية، وكانت العادة أنه إذا دهمهم أمر، أوقدوا النار بها فيتصل بعضها ببعض وترى على مسافة بعيدة، فكانت بمثابة اللاسلكي اليوم، في سرعة الإعلام؛ وكل من رآها أو وصله خبرها، يهب للنجدة، وسواء في ذلك القريب والبعيد؛ ومن المعلوم أنه كان لهذه الأبراج أحباس ونظام خاص أيضا؛ والإعلام عن طريق الأبراج كان معروفاً قديماً عند الأندلسيين، ولعل المغاربة أخذوه عنهم.

ومن الاحتياطات التي اتخذها أهل هذه المراسي : أنه كانت لهم مساكن بالجبل ـ يترددون عليها من حين لآخر، وكانت لهم بها مزارع وجنات، كما كانت لهم مساكن بالساحل ـ وتعرف بالعزايب؛ وغالبا ما ينزلون إليها أيام الشتاء وزمن المصيف، وكانوا إذا شعروا بالخطر من البحر، سهل عليهم إبعاد أموالهم وأولادهم، وفي حروبهم مع عدوهم تأتيهم من الجبل المؤن والتعزيزات، وكل ما يحتاجون إليه، وسرعان ما تضعف قوى العدو فينقلب مدحوراً.

وتذكر بعض الروايات الأجنبية عن أحد المحاربين أنه كان يقول : لولا المقاومة التي نلقاها من هذه الشواطئ، لكنا بفاس منذ زمان.

على أن ابن البادية لم يكن بعيداً عن الأحداث، وما يجري في الداخل والخارج؛ فهذا الشاعر القروي محمد

---

25) يذكر المولى عبد الرحمان في هذا الظهير ما كان لغمارة من سابقة علم وفضل وصلاح، فمن الأسر العلمية الشهيرة بهذه القبيلة : أبناء عرضون ببني زجل، والتاليون ببني خالد، وأولاد مهدي، والكعريريون ـ ببني زيات، وأولاد ابن صالح ببني رزين، وغيرهم كثير.

ومن أهل الفضل والصلاح : الشيخ عبد الرحيم الترغي المعروف بمصر بالقنائي، وعلي بن ميمون الشهير بالشام، والغزال، والعطار، والفلالي، ويحيى الورداني، واليوزيدي، وسواهم.

26) ومن هنا نجد الوزان ينعتهم بالشجاعة والإقدام، ويقول إنهم أعداء النصارى.

وصف إفريقيا 314/1، 320، 329، 330.

27) يعني به قائد تطوان الذي يضرب به المثل في الصرامة والصلابة في الحق، وكانت له فراسة خاصة في معرفة الجاني واستخراج حقوق المظلومين، ولا تزال ألسنة الناس رطبة بذكره ـ إلى اليوم، وكم من قصص تروى عنه في هذا الصدد ؟!

28) وقد أسند إليه السلطان المولى عبد الرحمان رئاسة المحلة عندما بلغه أن الأسطول الفرنسي سيهاجم مدينة طنجة وغيرها من المدن الساحلية، وفعلا لم يمض على تاريخ هذا المرسوم إلا بضعة أيام، حتى هاجم طنجة ورماها بخمسة آلاف قنبلة ـ في نحو ست ساعات، فهدم كثيراً من مبانيها؛ ولم يلتحق القائد أشعاش بها إلا بعد أن وقعت الواقعة، فرابط عليها مع المحلة مدة ثم عاد إلى مقر عمله بتطوان. انظر الإتحاف 56/5 وتاريخ تطوان 391/8 ـ 293.

29) وحدثني بعضهم أن البواخر العادية تقطعها في نحو (24) ساعة.

30) انظر وصف إفريقيا 326/1.

الطيب بن صالح الغماري[31] ـ يمدح بقصيدة طويلة[32] ـ السلطان المولى محمد بن عبد الله ـ عندما قضى على رؤوس الفتنة بالشمال والجنوب، واندحر الأسطول الفرنسي في هجومه على العرائش، يقول فيها :

سرى ـ والنجوم ضالع وحسير[33]
له البرق حاد والسماك سمير

تناوحه نكباء صفر[34] وتارة
يناجيه من سجع الهديل هدير[35]

بجانحتيه[36] لوعة تستحثه
لها بين أجناد الضلوع سعير

ومن لوعة البين القذوف برحله
له كل آن أنة وزفير

☆ ☆ ☆

إذا لفحت نار الهجير ثنيتها
بوجه عليه للحياء جهير[37]

ولما وقفنا وقفة البين باللوى
وداعيه يهفو والركاب تسير

وزرت عليه للكواكب حلية
فنم عليها في الظلام عبير

تساقط في أثناء ما دار بيننا
فريد[38] ومن سلك الدموع نثير

فلولا اعتماض كان في موقف النوى
لواكف دمعي روضة وغدير

تناشدني أن لا أريم ـ وقد نبا
جناح النوى بي واستمر مرير

إلى أن تجلت صبغة الليل وانجلى
بفوديه من ضوء الصباح نثير

فقلت لها كفي خيالك طالما
أنا في وثاق من هواك أسير

فكم خطرت لي نية حال دونها
هوى لك من غلو الوداد خطير

وقد آن من غي التصابي انتباهة
وهل فيه إذ شاب العذار عذير

سأركب أعناق المخاطر مهربي
ركوب رقاب المكرمات سفير

وأعتسف الفلاة ـ علماً بأنني
بعطف أمير المومنين جدير

لعل الذي يثني عنان ركائبي
ويأتي بإقبال النجاح بشير

فتمسي وقد أفضى الفضاء بها إلى
بسيط به ماء السماح نمير

بحيث التقى بحر السماحة والعلى
وقام بأمر المومنين أمير

إمام طوى ذكرى الملوك حديثه
فليس لهم قبل النشور نشور

---

31) هو أبو عبد الله محمد الطيب بن الطيب بن ابراهيم بن صالح، وأصل بني صالح من الساقية الحمراء بالصحراء المغربية، انتقلوا إلى شمال المغرب فاستوطنوا قبيلة بني يطفت ـ قرب بادس مدة / ثم رحلوا إلى قبيلة بني رزين، إحدى قبائل غمارة، وكان سكناهم بمدشر أزاغر على مراحل من الجبهة؛ وهناك ولد شاعرنا في حدود منتصف القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي. تعلم ببلده، ثم رحل إلى فاس فأخذ عن كبار مشايخها، واتصل برجال الفكر والأدب، وله قصيدة يرثي بها شيخه التاودي بن سودة ـ وهي من عيون شعره.
انظر ترجمته في صحيفة الميثاق ـ بحث لكاتب هذه السطور ـ س أعداد : 22، 24، 25، 26.

32) فيها تحريف كثير أصلحت بعضه.

33) الضالع : المعوج، والحسير : الكليل الضعيف؛ وكتب بهامش هذه القصيدة : أن الشاعر لما أنشد هذه القصيدة بين يدي الطلبة ـ قبل أن ينشدها الملك، عاب عليه افتتاحها بهذا المطلع، فجعل بدل الأبيات الستة الأولى ـ ما يلي :

سرى ـ وله برق السماح بشير
ومن سوقه حاد له وسمير

تصافحه ريح الصبابة كلما
تضوع من نشر العرار عبير

تساجله ورقاء طوراً وتارة
يناجيه من سجع الهديل هدير

قال صاحب التعليق : ولا يخفى على من له ذوق أن لا عيب فيه، بل هو أوقع وأسجع، نعم الثاني أليق بمخاطبة الملوك وأرفع. ولا ننسى أن الشاعر يغلب عليه الطابع البدوي.

34) النكباء : الريح الهوجاء التي لا يستقيم لها اتجاه، والصفر : المكان الخالي.

35) الهديل : فرخ الحمام، والهدير : تكرير صوته في حنجرته.

36) تثنية جانحة والجمع جوانح ـ وهي الأضلاع.

37) يعني بالهجير ـ : شدة الحر، وبهجير : الحسن والبهاء ولا يخفى ما بينهما من جناس وتقابل.

38) الفريد : الجوهر واللؤلؤ.

أقام قناة الدين سلطان عدله
فإنسان طرف الدين منه قرير
وقد زانت الدنيا به فكأنما
على الأرض منه ريضة وحبير[39]
يشايعه عزم كأن مضاءه
شهاب بأقطار السماء منير
وحزم إذا راض الصعاب كأنه
حسام بكف الهاشمي طرير[40]
وحلم رسا في المجد طود وقاره
فليس يزول أو يزول ثبير[41]
تحلى به جيد الخلافة فازدهت
كواكب شعري للعبور غبور
فلو رام يوماً شأوه البدر غاله[42]
سرار[43] وهل للبدر منه خفير
تبوأ من أوج الخلافة مقعدا
به الشمس تاج والهلال وزير
صحائف حمد لم تزل آي فضله
له في سماء الخافقين هدير
قصارى البليغ إذ يحاول حصرها
قصور له والمتطيل قصير
ففي كل عضو منه ليث (هزابر)[44]
به البغي في عقر البيوت عقير
إذا استنجدت زور الرماح علت له
بناحيتيها صولة وزئير
أيعصمهم مأوى العقاب وفوقه
لعقبان رايات الإمام خفير

ولما انجلى ليل العجاجة عنهم
بدء فيه رقرق الدماء يمور[45]
ففي كل صدر منهم وخز عامل
وفي كل شلو للحسام جفير[46]
أشار عليهم بالهوادة حازم
لرأي رآه لو يطاع قصير[47]

☆ ☆ ☆

إمام الهدى المنصور بالله إنني
رهين وفي نادي المزار شطير[48]
فلو تسأل الأيام عني لأطرقت
ويمسك عن رد الجواب خبير
أقمت لقى في كسر بيت كما انثنى
على ريشه طاوي الجناح كسير
إلى أن رمت قوس النوى بي فطوحت
وقوس النوى بالمعترين طحور[49]
فقرطست أغراض المفاوز عالما
بأنك من جور الزمان مجير
ولست أخاف الدهر سطوة ثائر
وأنت بعون الله منه نصير[50]

ولعله أنشدها بين يديه عندما زار بلاد غمارة في رحلته الاستطلاعية على الشواطئ المغربية سنة (1179 - 1765)؛[51] وتذكر بعض الوثائق أنه ولاه قضاء هذه البلاد.[52]

---

39) الريضة : الروضة الغناء، والحبير : الثياب الموشاة.
40) طر السكين : حددها فالطرير بمعنى حاد.
41) ثبير : جبل بمكة. انظر معجم البلدان 72/2 - 73.
42) غاله : محقه
43) السرار - بفتح السين : آخر ليلة من الشهر التي يغيب فيها ولا يظهر.
44) بياض في الأصل.
45) مار الدم : جرى على الأرض.
46) جفر الشيء : اتسع.
47) شطير : بعيد.
48) طهرت العين قذاها : رمت به.
49) وهناك قصائد أخرى في مدح السلطانين : المولى محمد بن عبد الله، ومولاي سليمان، أوردت طائفة منها في البحث المنشور بصحيفة «الميثاق» س 1 ع 24 ص 5 وع 25 ص 25.
50) الاستقصا 25/8.
51) انظر نص ظهير تعيينه بصحيفة الميثاق ص 1 ع 24 ص 5.
52) أما الفاتحون، فدخلها عقبة بن نافع، وموسى بن نصير، ويوسف بن تاشفين، وعبد المومن بن علي؛ ولعل أقسى الحروب التي مارستها قبائل غمارة مع هؤلاء الملوك، هي ما دار بينها وبين القوات الموحدية.
انظر في هذا الصدد أخبار المهدي بن تومرت للبيدق. ص 24، 54، 71، والمن بالإمامة لابن صاحب الصلاة ص 312 - 321.

والمولى محمد بن عبد الله هو الملك الوحيد الذي دخل بلاد غمارة زائراً[53] يتفقد أحوالها، وينظر مصالحها؛ وقد رحب به أهلها وأخلصوا له الطاعة، فأنعم عليهم ـ بما لم تحظ به أية قبيلة من قبائل المغرب؛ ومنذ مائة سنة خلت كتب إليهم لملاقاته والاستعداد لاستقباله ـ السلطان المقدس المولى الحسن الأول ـ في ظهير شريف مؤرخ بفاتح جمادى الأولى عام (1305 ـ 1887)، ومما جاء فيه : تأمركم أن تتهيئوا للحركة مع ركابنا السعيد ـ بجميع رماتكم،[54] وذوي الحزم من إخوانكم، بزيكم المعروف من الإتيان مع الحركة بالمزامير والطبول ونشر أعلام الفرح في ذلك الموئل، ـ إظهاراً لضخامة الإلمام، ومنافسة في الاستعداد كما هو شأن القبائل العظام... ولكون هذه الرحلة الميمونة بالقرب من دياركم، وخلال بيوتكم؛ وليس المقصود بها الطول، وإنما هي مجرد مرور وقفول؛ والله المستعان، والسلام.

فكان اللقاء، وكانت الفرحة الكبرى التي لا تزال منقوشة في ذاكرة التاريخ، يرويها الأجداد للأحفاد، وستبقى خالدة إلى الأبد؛ والأعناق مشرئبة، والأفئدة متطلعة ـ لزيارة حفيده العظيم، جلالة الملك الحسن الثاني؛ ليجدد بها سنة أسلافه الكرام، فتكمل فرحة أبناء هذا الشعب، وتتجدد أواصر الولاء والمحبة، وما هي بأولى بركاتكم يا آل أبي بكر.

تطوان : سعيد أعراب

● ● إنني من المدرسة الإسلامية، مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام التي تفضل الحوار على كل شيء وتجعل من الحرب آخر مرحلة للحوار ● ●

جلالة الملك الحسن الثاني

53) معروفة غمارة من قديم برماتها وكانت هناك مدارس لتعليم الرماية يتعلمها الشباب كما يتعلمون القراءة والكتابة، ولا تزال أسماء لامعة لشيوخ هذا الفن في ذاكرة الناس إلى اليوم، وما أجدر هذا الموضوع بالبحث والدراسة، وهناك منظومات ورسائل كتبت في هذا الباب.

54) وقفت على هذا الظهير من بين ظهائر بني مرزوق التي يحتفظ بها حفدتهم ونص الطليعة منه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

الطابع الشريف

خديمنا الأرضى القائد عبد القادر بن مرزوق وجميع إيالته أغمارة، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد...).



بمناسبة الذكرى
السابعة والعشرين
لتربع صاحب الجلالة
الحسن الثاني
على عرش أسلافه
المنعمين

للأستاذ الشاعر: عبد الكريم التواتي

العيش رفهـــان رغيـــد   في ظـل عرشكم المجيـــد
يـــا أيهـــا الحسن المفـــدى   أنت لي نعم القصيـــد
المجـــد راود ســـوحكم   بـــارى الطريف بهـــا التليـــد
والعـــز ألقى رحلـــه   نشـــوان هفهـــاف البرود
وترعرت أدواحـــه الغيـــداء ســـامقـــة البنـــود
يـــزهـــو الربيـــع بهـــا يعـــانـــق زهره ثغر الـــورود
فيهـــا المرابـــع روضـــة   غنـــاء بـــالبشرى تميـــد
مـــاست بهـــا الأطيـــار سكرى، والنسيم بهـــا برود

☆ ☆ ☆

ســـوح المليـــك، مليكنـــا الحسن المثنى في الـــوجـــود
جنـــات عـــدن، مـــالهـــا   مثـــل، وليس لهـــا حـــدود
نبـــع الحيـــاة بهـــا استطيب، ومنـــه قـــد لـــذ الـــورود
دنيـــا : مغـــانيهـــا مروقـــة النعـــائم لا تبيـــد
وازينت بـــوطيـــد ملـــك، بـــالعظـــائم لا يـــؤود
ملـــك حنيفـــة أحمـــد   أهـــدافـــه، وهي الحـــدود
يحمي البـــلاد يصـــونهـــا   يبني المـــدائن والســـدود
والعلم ينشر، والعـــدالـــة أســـه الراسي العتيـــد
آلاؤه، الأغـــوار قـــد   غمرت، واغـــدقت النجـــود
آبـــاء صـــدق اتلـــوه على هـــدى، فرســـا مشيـــد

☆ ☆ ☆

آل النبي كـــــــــواكب   قـــد رصعت جيـــد الــوجـود
ومليكنـــــا الحسن المفـــــدى نجمهــــا الـــزاهي السعيـــد
أبنـــــــــاؤه الأبرار في   أفيـــائـــه الـــدر النضيـــد
ومحمـــــد بـــــدر تـــلألأ، زانـــــه النجم الرشيـــــد

☆ ☆ ☆

يـــا أيهـــا السبـــاق للخيرات، يـــا سعـــد السعـــود
أنت المــؤمـــل في الرخـــا   المرجو في اليـوم الشـديـــد
ولقـــــد سما آبـــاؤكم   شرفـــا، وقـــد كرم الجـــدود
بـــوئت أفئـــدة الأنـــــام، وأنت في الحسنى فريـــد
ولقـــد رأيتـــك للملـوك سنـــامهـــا الفـــذ الـــوحيـــد
ألقـــوا إليـــك زمـــامهم   ولقـــد رأوك لـــه الأكيـــد
ولأنت ـ يـــا حسن ـ حكيم، صـــادق الرؤيـــا حـــديـــد

☆ ☆ ☆

يـــا من تـــواتر فضلـــه   عن بـــاب قصرك لا أحيـــد
الجـــود قيـــــدني إليـــــك، وأنت أكرم من يجـــود
مـــا خـــاب من يرجـوك يـــا   أوفى المراحم والجـــــدود
الطيب الأعراق والأرحـــــام والجـــــذم الحميـــــد
واللــــه ـ يـــا حسن ـ يحقــق مـــا تروم ومـــا تريـــد
وينيلـــــك التـــوفيـــق والإرشـــــاد، والرأي الســـديـــد
ويـــديم عرشـــك مـــاجـــدا   للعـــز والأمجـــاد جيـــد
ويـــديم شعبـــك، من بفضلـــك، مـــا يني يبـــدي، يعيـــد

☆ ☆ ☆

أبقـــاك ربي للمبرات الخـــوالـــد تستـــزيـــد
ولعترة الأشراف والشعب الـــــوفي أجـــــل عيـــــد
ويقر عينـــــك بـــــالأبر : ولي عهـــــدك، والرشيـــــد

فاس : عبد الكريم التواتي

القصبات والقلاع الإسماعيلية

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

كل قلعة كانت أشبه ـ حسب طيراس[1] ـ بواحة من واحات الصحراء التي اقتبس منها المولى إسماعيل نظامه العسكري وعددها حسب الزياني ست وسبعون قلعة جديدة بالإضافة إلى قلاع محصنة في الحواضر وخارجها وهذه القصبات ثلاثة أنواع حسب طيراس (التاريخ ج 2 ص 249) : لسلسلة أولى في بني يزناس بتادلا الأطلس الأوسط وسلسلة ثانية على طول طرق المملكة لحماية المراحل والنزلات والبريد والشرطة من تازة إلى وجدة ومن مكناس إلى فاس ومن فاس ومراكش إلى تافلالت ومن مكناس إلى مراكش ومن هذه إلى تارودانت وسلسلة ثالثة قرب بعض المدن لإقامة العبيد حول مكناس مثلا وقصبة كناوة لحماية مدينة سلا.

وتعززت مواصلات هذه الحاميات بجسور وقناطر.

وهذه القصبات هي :

ـ قصبة أبي فكران فيها قصر السلطان.

مولاي عبد الله بن المولى اسماعيل حيث كان يرابط استعدادا لمحاربة العبيد وكان له أيضا مقر بالحاجب.

ـ قصبة الأوداية بناها تاشفين المرابطي (ابن عذارى ج 3 ص 20 طبعة الرباط / الحلل الموشية (112) تاريخ تطوان ج 1 ص 217.

ـ قصر بني تاودة في مصب أبي رقراق وهو قصبة الأوداية.

(كتاب الجغرافية لمحمد بن أبي بكر الزهري (دمشق 1968) (ص 192).

وكان يوجد في محل المهدية برج الأوداية ولعله عتيق من عهد الرومان أو هو قصبة تاشفين المرابطي.

(قصبة الأوداية لأبي جندار خع[2] 1047 / مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح لبوجندار (الرباط 1345 ص 39).

والمهدية المجاورة لمدينة سلا (المن بالأمامة ص 444) هي (قصبة الودايا) وقد سماها عبد المؤمن (مهدية متاع بن مليح) وبها دار الخليفة (ص 446).

(معجم البلدان / صبح الأعشى ج 5 ص 169 / الحلل الموشية ص 112).

---

1) (تاريخ المغرب) في مجلدين ـ القسم الخاص بالمولى اسماعيل

2 : خع ـ الخزانة العامة بالرباط.

وقد كان أبو حفص عمر المرتضى واليا من قبل السعيد علي بن المامون بن المنصور على قصبة رباط الفتح فبويع خليفة بعد وفاة السعيد عام 646 هـ (الاستقصا ج 1 ص 205) وأحمد الريفي قائد العدوتين هو باني سور مولاي الرشيد بالأوداية بالرباط. تاريخ الرباط Caillé (ص 377).

وابن الكعاب محمد الأودي هو أحد أفراد البعثة العلمية إلى فرنسا في عهد الحسن الأول عام 1292 هـ/1875 م «وابن وجاد الإشبيلي بن أحمد بن أحمد الأزدي أبو الحسن لعله حفيد ابن وجاد الذي أشار إليه ابن صاحب الصلاة كمالك لما حوالي قصبة الودايا (صلة الصلة لابن الزبير - الرباط 1938 ص 335 / المن بالأمامة ص 447 / التكملة لابن الآبار).

والأوداية جمع واد وكذلك أوداء وأودية أو أوداه (لغة طيء في قلب همزة هاء في أوداء) وقد صحفت إلى أوداية ونبه ابن سيده على ذلك وذكر ان صوابه الأوداة.

وقد قال الشاعر :

أما تريني رجلا دعكاية

اقطع الأبحر والأوداية

وهم ثلاثة أرحاء : رحى أهل السوس ورحى المغافرة ورحى الودايا التي يطلق اسمها تغليبا على الجميع وسبب إثبات الودايا في ديوان الجندية ما وقع للمولى اسماعيل مع أبي الشفرة وكان فريق منهم في الجيش الاسماعيلي يرابط في أرباض فاس وبعد ثورتهم عام 1832 م نقلوا إلى العرائش وتسلفات وعلي أبو شفرة هو قائد الأوداية أيام المولى اسماعيل وهو صحراوي من النازحين إلى حوز مراكش حيث نقله السلطان إلى مكناس على رأس إحدى فرق الحاميتين بفاس ومكناس.

- جيش الأوداية في عهد المولى عبد الرحمن (الاستقصا ج 4 ص 187).

- «إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولانا عبد الرحمن» لعبد الحفيظ الفاسي بالخزانة الفاسية.

الإعلام للمراكشي ج 6 ص 65 (خ) / الوثائق المغربية ج 10 ص 141).

- قصبة تطوان

بنيت عام 685 هـ / 1286 م في عهد يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني في مكان لم يعرف فهل هو الموضع الحالي للقصبة أو حومة جامع القصبة ؟ الظاهر أنه في المكان الأخير (تاريخ تطوان ج 1 ص 76).

- القصبة الجديدة بديار لمتون بفاس

حشد فيها المولى الرشيد من نزح إليه من عرب (أنكاد) كأشجع وبني عامر ومن البربر كمديونة وهوارة وبني سنوس وبذل لأصحابه وقواده ألف مثقال لبناء سورها وسمح لهم ببناء الدور فيها وأعطى شراقة هؤلاء ألف دينار لبناء **قصبة الخميس** بعد أن كان أنزلهم بأحواز فاس فتشكى أهلها من عيشهم فنقلهم إلى مدينة وفشتالة بين نهري سبو وورغة وأقطعهم تلك الأرض وأمر العزاب ببناء بيوتهم على حدة (الاستقصا ج 4 ص 20).

- قصبة الشراردة أسسها المولى الرشيد عام 1081 هـ 1670 م حيث رابط جيش شراقة أي الجنود الواردون من المغرب الشرقي من عرب أشجع وبني عامر وبربر مديونة وهوارة وبني سنوس (تاريخ المغرب للمؤلف ج 2 ص 8).

- قصبة الصخيرات

بنى منها المولى عبد الرحمن قصبة الصخيرات **وقصبة بوزنيقة** لتأمين الطرق (الاستقصا ج 4 ص 210).

- قصبة الطالعة بفاس نزل بها جند شراقة عندما عبأهم السلطان السعدي عبد الله بن الشيخ المامون.

- قصبة العيون (بين وجدة وتاوريرت).

بنيت عام 1090 هـ (1679 م) من طرف مولاي اسماعيل (الترجمان المعرب - طبعة هوداس ص 18).

- **قصبة كريران الحريزي** : تسمى **مرجانة** هدمها الشريف سيدي محمد بن الطيب بن محمد بن عبد الله العلوي عندما كان عاملا على تامسنا ودكالة (الاستقصا ج 4 ص 176).

- **قصبة كناوة** قرب سيدي موسى بلا هبريس 1955 (1 - 2).

- **قصبة مراكش** في عهد أحمد المنصور السعدي مراكش De Verdun ص 384 - 210.

- **قصبة مكناس** : بناها المولى اسماعيل وجهزها بالجامع قرب **قصر النصر** الذي سبق أن أقامه أيام كان خليفة لأخيه الرشيد وأضاف إليه **الجامع الأخضر** عندما ضاق مسجد القصبة وجعل للقصبة عشرين بابا مقبوة من أعلى **وفوق كل باب برج مجهز بالمدافع والمهاريس** وفي القصبة بركة لفلك وزوارق النزهة وهريا لاختزان الطعام مقبو القنانيط يسع زرع أهل المغرب وبجواره سواقي للماء مقبوا عليها وفي أعلاها **برج مستدير لوضع المدافع** موجهة نحو الجهات الأربع واصطبلا لربط خيله وبغاله مسيرة فرسخ في مثله مسقف الجوانب بالبرشلة على أساطين وأقواس كل قوس مربط فرس وبين الفرس والفرس عشرون شبرا قد ربط في الجميع 12.000 فرس كل بسائسه وخادم من أسرى النصارى وفي الاصطبل سانية من الماء مقبوة الظهر منها ثقب أمام كل فرس وفي وسط الاصطبل قباب لوضع سروج الخيل مربع الشكل للسلاح وفوقه قصر يقال له المنصور ثم بستان طوله فرسخ وعرضه ميلان ويتخلل الكل شوارع ورحاب لعمارة المشور (الاستقصا ج 4 ص 25).

- **قصبة النوار بفاس** : بناها محمد الناصر الموحدي عام 600 هـ / 1203 م (روض القرطاس ص 1165 الجذوة ص 129 / الدوحة المشتبكة / زهرة الأس ص 32).

القلاع :

القلعة ليست هي القصبة وإن كان تجمعهما غاية واحدة هي التحصين ضد العدو إلا أن القلاع تمتاز بطابع خاص يجعلها أقرب إلى جهاز للدولة منها إلى جهاز للقبيلة أو الجماعة بعكس القصبة ومن جملة هذه الاستحكامات (قلعة إد خسان) في الشعاب الشمالية للأطلس و(أكوراي) وهي التي احتفظت أكثر من غيرها بهندامها الأصلي) التي تراقب الأطلس الأوسط وقلاع تادلا وحميدوش (على مسافة ثلاثين كلم من آسفي) و(بو الاعوان) على بعد 60 كلم من آزمور (مديونة) على مسافة 20 كلم من الدار البيضاء وإذا كانت القصبة حصنا مسورا (ومجهزا بأبراج مربعة الشكل أو مستطيلة في أحد جوانبها وتتضمن مسكن القائد والمسجد ومستودع المؤن) فالغالب أن القلعة لم يكن لها أكثر من سور واحد عدا قلعتي حميدوش وتادلة اللتين كانت لهما حظيرة مزدوجة وكان في كل قلعة من القلاع التي بناها المولى إسماعيل فندق لمبيت القوافل وأبناء السبيل مع حامية لا تقل عن مائة فارس وقد عينت لكل قبيلة قلعتها التي تدفع بها زكواتها وأعشارها لمؤنة عبيد البخاري بها وعلف خيلهم وهم حراس الطريق فمن وقع في أرضه شيء عوقب عليه قائد تلك القلعة (الاستقصا ج 4 ص 29) وقد عدد أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق ما يقرب من عشرين حصنا مرابطيا منبثا في أرجاء المغرب (كتاب أخبار المهدي بن تومرت ص 120) وأقام المولى يزيد ست عشرة قلعة في نقط استراتيجية جهز كل واحدة بعشرين مدفعا (راجع القصبات) وقد ذكر حسن حسني عبد الوهاب في بساط العقيق (ص 31) أن ولاية الثغور يتولاها قائد خبير تخوله النظر في عموم المحارس والقلاع المنشأة على ساحل البحر تخوما منيعة للبلاد وأول من ابتدأ بوضع هاته المعاقل الأمراء من آل المهلب وتبعهم الأغالبة خصوصا منهم الأمير إبراهيم ابن أحمد الذي كان مغرما بالعمارة فإنه بنى بإفريقية على ما رواه ثقات المؤرخين أكثر من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد وكانت تتخابر بوسائل بسيطة هي إيقاد النار من أعلى قلعة فيعلم حرس القلعة المجاورة إلى آخر حدود المملكة في بضع ساعات يصل النذير من سبتة إلى الإسكندرية (32) ولا شك أن

الموحدين والحفصيين ساروا على هذا النهج - J. Meunié
sites et Forteresses de l'Atlas - 1951 (121)

- قلعة ابن أحمد قرب فاس ولد فيها إسحاق بن يعقوب اليهودي الملقب بالفاسي عام 404 هـ / 1013 م وتوفي بالوسينة عام 497 هـ / 1103 م وهو شارح التلمود في عشرين مجلدا باللغة العربية.

- قلعة ابن خروب : مدينة كبيرة بينها وبين طنجة مرحلة (المغرب للبكري ص 109 - طبعة الجزائر 1911).

- قلعة امكونة وهي اليوم إحدى جماعات دائرة بومالن دادس (اقليم ورزازات).

- قلعة إيسابيل بسبتة (تاريخ تطوان ج 4 ص 360).

- قلعة رباح Calatrava la vieja جنوبي طليطلة على وادي آنة استردها يعقوب بعد وقعة الأرى (الروض المعطار ص 163).

- قلعة زاكورة المرابطية.

هسبريس 1956 (3 - 4).

- قلعة فازاز.

فتحها يوسف بن تاشفين عام 454 هـ / 1062 م وبها آنذاك مهدي بن تولى اليحفشي وبنو يحفش بطن من زناتة وكان أبوه تولي - كما قال ابن خلدون - صاحب تلك القلعة ثم ثارت القلعة فحاصرها يوسف تسع سنين إلى أن دخلها صلحا عام 465 هـ / 1072 م (الاستقصا ج 1 ص 108).

ويسكن قنته آيت ومالو وآيت يف المال وآيت يسرى وهي التي غزاها المولى اسماعيل عام 1104 هـ / 1692 م بجيش كثيف مجهز بالمدافع والمهاريس والمجانيق وآلات الحصار (الاستقصا ج 4 ص 27).

- قلعة القصابي

بناها المولى اسماعيل عام 1096 هـ / 1684 م عندما هب لقمع ثوار ملوية وشحنها بأربعمائة فارس (الاستقصا ج 4 ص 32).

- قلعة قصر بني مطير

بناها المولى اسماعيل عام 1096 هـ / 1684 عندما هب لقمع تولى ملوية وجهزها بأربعمائة فارس (الاستقصا ج 4 ص 32). - قلعة كور

بناها المولى اسماعيل عام 1091 هـ / 1680 م وأنزل بها مائة فارس (الاستقصا ج 4 ص 29).

- قلعة كيكو :

بناها المولى اسماعيل على وادي كيكو عام 1096 هـ / 1684 م عندما هب لقمع الثوار بملوية وزودها بأربعمائة فارس (الاستقصا ج 4 ص 32).

- قلعة الماشية بمراكش

أحيا المولى محمد بن عبد الرحمن منطقة عيسى أبي عكاز خارج باب الطبول بمراكش ففجر عينا أجراها إليها وأقام مزارع حولها قلعة يأوى إليها الأكرة والحراثون بأنعامهم ومواشيهم واتخذ من إناث الخيل للنتاج (الاستقصا ج 4 ص 234).

- قلعة مرتيل (أو برجها) بناه الباشا أحمد بن علي بن عبد الله عام 1132 هـ / 1719 م. بإذن المولى اسماعيل (تاريخ تطوان ج 2 ص 49).

- قلعة مسون

بناها المولى اسماعيل عام 1091 هـ / 1680 م بوادي مسون بجوار القلعة القديمة وأنزل بها مائة فارس (الاستقصا ج 4 ص 29).

- قلعة النسر : حصن بناه محمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس حاول موسى بن العافية هدمه فصده عن ذلك أكابر دولته من البربر احتراما لآلي البيت (الاستقصا ج 1 ص 81 / البيان المعرب ج 2 ص 369 (راجع النسر).

- قلعة وطواط

بناها المولى اسماعيل عام 1096 هـ / 1684 م عندما هب لقمع ثوار ملوية وجهزها بأربعمائة فارس (الاستقصا ج 4 ص 32).

خطوات مظفرة للدبلوماسية المغربية

قمة بروكسيل ورسالة ريغان

للأستاذ عبد اللطيف أحمد خالص

اعتاد الشعب المغربي، كلما أهل عيد العرش المجيد، أن يقف وقفة تأمل وتمعن ينظر خلالها إلى ما وضعه من لبنات في سبيل نهضته الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وما حققه من إنجازات في طريق التقدم والازدهار، وما خطاه من خطوات لإرساء دعائم حياته السياسية والديبلوماسية على أسس قويمة ورواس ثابتة. وإذا كان صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، قد عودنا على تقديم عرض قيم عن التطورات التي طرأت على بلادنا في خطاب العرش الذي تهفو قلوب المواطنين إلى الاستماع به، والالتذاذ بالتقاط الدرر الغالية التي يتحلى بها هذا الخطاب الملكي السامي في وقت معلوم وموسوم ومرسوم، فإن المغاربة، بدورهم، يسعون إلى تسجيل الوثبات الكبرى التي حققتها بلادهم في طريق الرقي والنماء معتزين بعرضها في أعداد خاصة بالجرائد والمجلات والاذاعات والتلفزات وفي نشرات ومطبوعات تصدر بمناسبة عيد العرش المجيد كما دأبت على ذلك مجلة «دعوة الحق» الفيحاء.

ويطيب لي أن أتعرض في هذا العدد الخاص إلى الخطوات الوئيدة المظفرة التي سارت عليها الديبلوماسية المغربية خلال هذه السنة، والتي تميزت بالزيارات الكريمة التي قام بها إلى بلادنا عدد من الملوك ورؤساء الدول، وبمشاركة المملكة المغربية في عدد من المؤتمرات واللقاءات الدولية والإقليمية، وبالاتصالات التي ربطت بلادنا بعدد من الدول الشقيقة والصديقة والتي تجلت، بصفة خاصة، في التقارب المغربي مع كثير من الدول الإفريقية، وشعوب أميركا اللاتينية. وقد نتج عن هذه العلاقات الدولية تفهم كبير لقضية وحدتنا الترابية حتى إن بعض المعلقين الأجانب لم يترددوا في الجهر بأن المغرب أصبح اليوم، بفضل ديبلوماسيته المتحركة النشيطة، أقرب إلى الدول الإفريقية أكثر مما كان عليه الأمر يوم كان المغرب عضوا في منظمة الوحدة الإفريقية.

وبالفعل فقد توصلت بلادنا في صمت واتئاد إلى توطيد علاقاتها الدولية مع عدد من الدول الإفريقية التي تمكنت من الوقوف على حقيقة الوضع في الصحراء المغربية، والتمعن في وجهة النظر المغربية، ودراسة الملف المغربي بكل امعان وتدبر بعد المآزق الديبلوماسية والسياسية التي وضعتها فيها الدعاية الجزائرية الهوجاء المبنية على الادعاء الكاذب والبهتان المقيت.

ولكن أعظم ما حققته الديبلوماسية المغربية، في نظري، من نجاح هو أمران إثنان، قل نظيرهما في الأعراف

- الحصون

الحصن هو القلعة أو البرج والكلمة مستعملة خاصة بالأندلس وقد بنى ملوك المغرب بعضها كما توجد حصون بالمغرب تحمل نفس الاسم ومن هذه وتلك.

- حصن ذكوان قرب مالقة.

(في عهد بني مرين).

- حصن الفتح :

حصن بناه المنصور السعدي بثغر العرائش وهو ثاني حصن بناه في هذه المدينة (الاستقصا ج 3 ص 96).

- حصن الفرج Asnalfarache

هو غير الحصن الذي جدده يعقوب على ضفة الوادي الكبير بعد عودته من غزاة شلب والذي خوله نفس الاسم.

(المراكشي ج 280 / ابن عذاري (البيان).

- حصن القبيبات :

قرب العرائش اعتصم به الإسبان عام 1100 هـ بضعة أشهر ثم أسر منهم الفان ونقلوا إلى مكناس أول عام 1101 هـ / 1689 م.

(الاستقصا ج 4 ص 34).

الرباط : عبد العزيز بنعبد الله

ولو كلمة حق..!!

(اكسروا سيقانهم وأذرعهم ! هذه هي الرسالة الرسمية التي وجهها اسحق رابين إلى الجنود الذين تقول «هآرتس» انهم «تحولوا إلى اشباه شرطة» ! كيف، اذن، يمكن للرأي العام العالمي أن يظل صامتا، والعرب الذين يتساءلون الآن عن سبب هذا التحول يمكنهم العثور عليه في تصرفات الجيش الإسرائيلي. فهذه الصحف الغربية لا تستطيع أن تقف طوال عقدين إلى جانب المتظاهرين في «ربيع براغ» أو في حركة «تضامن» البولندية من دون أن تهرق ولو كلمة حق واحدة إلى جانب أهل فلسطين).

البرج :

حصن مربع الشكل داخل سور أو منعزل عنه وهنالك أنواع مثل برج المنار وبرج الحمام (لإطلاق حمام الزاجل).

ويسمى حصن مانزاغان أو الجديدة بالبريجة ويظهر أن البرج في هندسته الأندلسية قد أثر في تصميمات البرج المغربي منذ عهد المرابطين مع آثار محلية أطلسية وقد استعمل المرابطون الحجارة الطبيعية العادية في بناء الأبراج أو القلاع ثم أضاف الموحدون الحجارة المنحوتة والأسمنت المسلح وهو الخرسانة أو الطابيا التي لا تزال ماثلة في أبراج وحصون الرباط (راجع كتابنا «الفن المغربي» باللغتين العربية والفرنسية وكتاب تاريخ الرباط في مجلدين).

وقد احتفظ المغرب في تحصيناته بضخامة الهيكل ومتانة المادة كما كانت في عهد الموحدين ثم دخل فن جديد مع التحصينات التي أقامها البرتغاليون على مراكز الساحل مثل الجديدة وأزمور وآسفي والصويرة مع اقتباسات جانبية في عهد الشرفاء بأكادير والصويرة.

أما في الأطلس والواحات المحاذية للصحراء فإن القرى والأجديرات والإيغرمات والقصور لا تضم أبراجا خارجة عن البنايات وهي بدائية في هيكلها وهندستها تسودها غالبا الطابية والآجر.

وللواحات هندسة وفن تشكيلي خاصان بها فالقصور قرى محصنة في السهول الصحراوية أو ما قبل الصحراوية تتسم ببنية منتظمة على وثيرة واحدة تندرج ضمن حصن له أبواب ضخمة واستحكامات ركنية أي قائمة في زوايا القصور ولم تتخذ هذه القصور شكليتها النهائية إلا تحت تأثير الفن المعماري الأندلسي المغربي وتيغرمت الأطلسية عبارة عن قصر منعزل في شكل قلعة بأربعة أبراج أو برجين وتتسم أبواب وجدران هذه القصور في الواحات الصحراوية بمجموعة من الآجر النيء المقتبس من العناصر الهندسية الأندلسية المغربية.

- G. Marçais, L'Architecture musulmane d'Occident Paris 1934.

- H. Terrasse, l'art hispano - mauresque des origines au XIII^e siècle, Paris-1932.

- H. Basset et H. Terrasses, Sanctuaires et forteresses almhades, Paris 1932.

- برج الخنزيرة :

هو برج صقالة بالرباط.

- برج الدار :

جدد بناءه بقصبة الأوداية المولى عبد الرحمن ابن هشام عام 1239 هـ / 1824 م ولعله كان يسمى قبل صقالة ابن عائشة (تاريخ الرباط ص 429).

ويوجد برج الدار أيضا بآسفي.

- برج الذهب :

مقعد الملك في ساحة البلد بفاس الجديد حيث يشرف على عرض واستركاب الجند وكذلك استقبال الوفود كوفد مالي الذي وصل إليها عام 762 هـ / 1360 م.

(الاستقصا ج 2 ص 119).

- برج سينار :

في القصر الصغير في عهد البرتغاليين (دوكاستر الوثائق الغمية 1 السعديون - البرتغال م 4 ص 338 و381 (الهامش).

صورة له ص 388.

- برج الشيخ :

اسم قديم للبريجة.

- برج الصراط بالرباط.

بني عام 1189 هـ / 1876 م على يد العلج أحمد الإنجليزي.

(تو يريخ الرباط Caillé (ص 425).

- برج القلالين بتطوان.

(تاريخ تطوان ج 4 ص 347).

- برج مرتيل.

(تاريخ تطوان لمحمد داود ج 4 ص 187).

- برج النجمة (بتطوان).

(تاريخ تطوان 4 ص 197).

الدولية، بل لم يسبق لمثلهما أن تحقق على ساحة الدبلوماسية الدولية، ويرجع الفضل الأول والأخير في هذا النجاح إلى حنكة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، وإلى دهائه السياسي الذي استطاع، بفضله، أن يحقق لمملكته انتصارين باهرين أولهما، يهم علاقات المغرب الاقتصادية مع السوق الأوربية المشتركة، وثانيهما يخص مصير قضية العرب والمسلمين الأولى، ألا وهي قضية فلسطين.

☆ ☆ ☆

أما فيما يتعلق بالسوق الأوربية المشتركة فقد كان للمملكة المغربية، كما هو معلوم، علاقات ممتازة مع غالبية الأقطار الأوربية، بصفة عامة، ومع فرنسا واسبانيا، بصفة خاصة.

وقد طرأ على هذه العلاقات الاقتصادية والتجارية المغربية الأوربية نوع من الاضطراب والتقلص منذ إنشاء السوق الأوربية المشتركة التي جمعت هذه الأقطار داخل حدود معلومة، وصوى مرسومة، وفرضت على دولها قيودا ومعايير يجب أن لا تخرج عن إطارها كل دولة تسعى لربط علاقات اقتصادية وتجارية وجمركية مع دول أخرى غير دول السوق.

وقد سعى المغرب ونجح منذ ما يقرب من عشرين سنة في ربط علاقات خاصة مع مجموع دول السوق الأوربية المشتركة وذلك بالترخيص لبضائعه وصادراته للدخول إلى هذه السوق في إطار شروط معلومة، ومقاييس معينة لم تترك الباب مفتوحا كما كان عليه الأمر فيما سبق، ولم تغلقه بإحكام تام أمام المنتوجات المغربية في الوقت الذي ظلت فيه هي في مجموعها أو فيما يخص بعضها تصدر موادها المصنوعة وما إلى ذلك من تجهيزات وأدوات صناعية بكامل الحرية إلى بلادنا.

وقد ازداد الموقف اضطرابا وصعوبة عند ما دخلت على التوالي اليونان في مرحلة أولى والمملكة الإسبانية والجمهورية البرتغالية في مرحلة ثانية إلى السوق الأوربية المشتركة. ذلك أن نظام هذه السوق يقضي بفتح أسواق جميع الدول الأعضاء لترويج بضاعتها ومنتوجاتها داخل السوق طبقا لاتفاقيات مهنية خاصة، تجدد، تقريبا، كل سنة، خلال اجتماعات متوالية يعقدها وزراء الاقتصاد والمالية والفلاحة وغيرهم فيما بينهم، ويتم فيها الاتفاق الجماعي على المواد والأثمان والتعريفات الجمركية إذا كانت هناك تعريفات جمركية تخص بعض المواد، ويقضي هذا النظام، أيضا، بالسماح لدول السوق الأوربية المشتركة بربط صلات اقتصادية وتجارية ذات طابع خاص مع عدد من الدول يتم الاتفاق معها داخل المجموعة وتسمى هذه المجموعة الأخرى «الدول المرتبطة» « Etats Associés » كان من بينها إسرائيل ! وكيف لا ؟

☆ ☆ ☆

أما بلادنا فكانت تحظى منذ ما يزيد على عشرين سنة بما يسمى بـ «نظام ممتاز» لحقبة معينة نظرا لما لها من علاقات اقتصادية وتجارية وطيدة مع عدد من دول السوق كفرنسا التي تعد أكبر زبون لبلادنا في العالم، بصفة عامة، وفي القارة الأوربية، بصفة خاصة، وفي السوق الأوربية المشتركة بوجه أخص. وقد كان المغرب يرى دائما في هذا الاتفاق الموقت والذي كان المغرب يطالب بتجديده كلما مرت السنوات الأولى من تطبيق بنود هذا الاتفاق غبنا وحيفا يلحقان أضرارا بمصالح بلادنا الاقتصادية والتجارية والصناعية.

وقد نجح المغرب، حتى الآن، في تجديد هذا الاتفاق الموسوم بطابع الامتياز مرتين أو ثلاث دون أن يصل مع السوق الأوربية المشتركة إلى ما كان يرجو أن تكون عليه العلاقات بين الطرفين خصوصا بعد أن أصبحت اسبانيا والبرتغال عضوين كاملي العضوية داخل السوق. ومما زاد الطين بلة أن اسبانيا التي لها بدورها علاقات ممتازة مع بلادنا في الميادين الاقتصادي والتجاري خصوصا منه ميدان الصيد البحري تشكل ممرا طبيعيا للصادرات المغربية إلى دول السوق ويتكون غالب إنتاجها الفلاحي مما يتكون منه إنتاجنا الوطني الشيء الذي ينتج عنه، بطبيعة الحال، منافسة ضيقة حادة بين الانتاجين المغربي

والاسباني لن يكتب فيها النجاح داخل السوق إلا أن الإنتاج الإسباني نظرا لكون اسبانيا أصبحت إحدى دول مجموعة السوق الأوربية المشتركة. وفي هذا الشأن كان من اللازم على هذه الدول الأعضاء أن تأخذ بعين الاعتبار الموقف المغربي المتشدد والمنطلق من تخوف بلادنا من الأضرار التي قد تصيب الاقتصاد الوطني المغربي. ولكن دول المجموعة الأوربية ظلت تتلكأ في اتخاذ موقف حازم يتناسب ومصالح بلادنا العليا، وتتأرجح بين مصالحها المشتركة التي تفرض عليها الاكتفاء بالإنتاج الأوربي وبين مصالح كل منها مع بعض الدول الصديقة أو المجاورة لها خصوصا بالنسبة لفرنسا وإسبانيا. ومن حسن حظ المغرب أن تجديد اتفاق الصيد البحري مع إسبانيا توافق هذه السنة مع ضرورة تجديد اتفاقنا مع مجموعة دول السوق الأوربية، وهو الاتفاق الذي لم يبق المغرب يكتفي به كإطار للعلاقات الاقتصادية والتجارية بيننا وبين دول المجموعة ولا يرضى به كشكل من أشكال التعاون الاقتصادي والتجاري بيننا وبينها سواء كانت مجموعة أم متفرقة.

وقد أبى بعد نظر جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، وتبصره إلا أن يغتنم فرصة نهاية آجال الأوفاق المبرمة مع السوق الأوربية المشتركة ومع إسبانيا خاصة في ميدان الصيد البحري ليتقدم، بصفة رسمية، بطلب انضمام المملكة المغربية إلى المجموعة الأوربية معتمدا في ذلك :

أولا : على تشابه الأوضاع السياسية في بلادنا وفي أقطار المجموعة كتعدد الأحزاب والنقابات، والممارسات الديمقراطية، والحريات العامة.

وثانيا : على الجوار القائم بيننا وبين دول المجموعة التي لا يفصلنا عنها إلا فاصل طبيعي هو البحر الأبيض المتوسط.

وثالثا : على التكامل الضروري في الحاجات والإمكانات بين المغرب والدول الأوربية نظرا لاعتبار جنوب البحر الأبيض المتوسط امتدادا طبيعيا لشماله.

وقد كان لهذه الخطوة الملكية السامية أثر عظيم في العالم الغربي والعالم الثالث تجلى في الاندهاش الكبير الذي استولى على المسؤولين الأوربيين الذين وجدوا أنفسهم أمام وضعية عجيبة كانت تراود أحلام بعض الأوربيين منذ القدم، وتخيف آخرين كثرا منهم عرفوا بتعلقهم بمبادئ وقيم ومقدسات قد لا نعدو الحقيقة والواقع إذا قلنا بأنها مبادئ وقيم ومقدسات لا تخلو من نوع من الميز العنصري والديني والارثي.

وكيف ما كان جواب الأوروبيين - وقد كان ! - فإنه يعبر أصدق تعبير على أن أوربا الغربية لا تفكر إلا في مصالحها السياسية والاقتصادية أولا وقبل كل شيء، وأنها، حتى في الوقت الذي تبدي فيه استعدادها لمساعدة دول العالم الثالث، لا ترى ذلك إلا من باب المصالح الذاتية للمجموعة، وأن هذا الاستعداد لا يتعدى حدود التبرع أو الصدقة التي لا يمكن أن يتولد عنها تعاون اقتصادي وتكنولوجي مثمر يساعد دول العالم الثالث على مواجهة أدنى حاجاتها الملحة والضرورية لا ذلك التعاون المرجو بين الشمال والجنوب والذي قد يؤدي إلى إقلاع اقتصادي حقيقي يخرج بدول الجنوب من وهدة التخلف الاقتصادي والاجتماعي ويدفع بعجلات حياتها إلى التطور المنشود، والتقدم المأمول الكفيلين، وحدهما، بجعل هذه الدول تعتمد على نفسها.

☆ ☆ ☆

وإذا كانت المجموعة الأوروبية قد استعملت الأساليب الديبلوماسية اللائقة لتبليغ رفضها إلى المغرب وذلك بإرسال رئيسها السيد جاك دولور الفرنسي الجنسية إلى بلادنا، وتكليفه بإبلاغ صاحب الجلالة، بكل ما يليق بجلالته من الاحترام والتقدير، أن المجموعة الأوربية لا تضم بين أعضائها إلا دول القارة الأوربية، وأنها، مع تفهمها للمسعى المغربي، فإنها، حسب قوانينها الداخلية، ودساتيرها التشريعية، لا تستطيع قبول هذا الطلب الذي يمكن أن يلبى عندما يحصل تغيير أو تعديل لهذه القوانين مدعية أنها لا ترفض الطلب المغربي وإنما تؤجل البث فيه إلى ظرف آخر، فإن هذا الرفض يدل في حد ذاته على أن السوق الأوربية لا يهمها من تعاونها مع دول العالم الثالث،

ومع جيرانها بالخصوص، الا ما هو متطابق مع مصالحها الذاتية وستراتيجيتها التي تدل على أنانية محضة وعنجهية تنمان عن روح استغلالية يمليها الاستعمار الجديد.

☆ ☆ ☆

وإنه، والله، لمن الغريب أن تتعامل دول المجموعة الأوربية مثل هذا التعامل المثير مع بعض شعوب العالم الثالث وهي التي استنزفت خيرات هذه الشعوب، ومصت دماء أبنائها بعدما أجبرتهم على المشاركة في الحربين العالميتين التي كانتا تهددان وجود غالبية دول هذه المجموعة كما تجد من أعجب العجب أن تقف هذه الدول منا هذا الموقف وهي التي تعالت صيحاتها في كل مكان عندما قررت القوتان العظيمتان : الولايات المتحدة الأميريكية والاتحاد السوفياتي تخفيض قواتهما النووية في أوربا الشرقية منها والغربية. فقد خشيت أوربا على نفسها بعد خروج القوات الأميريكية من أرض أوربا ومغادرتها للتراب الأوربي من أن تصبح عرضة لأي هجوم نووي يريد إهلاكها ويؤدي إلى القضاء عليها. فما الفرق - يا ترى - بين الهجوم النووي الذي تخاف منه أوربا ومن هجوم كابوس التخلف ونير التأخر الذين تخشاهما دول العالم الثالث ؟

☆ ☆ ☆

والحقيقة أن المملكة المغربية التي حباها الله ملكا هماما لم تفتأ أن استغلت أزمة الصيد البحري في مفاوضاتها مع اسبانيا والمجموعة الأوربية فاتخذت موقفا حازما شجاعا أيدته جميع الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية والهيآت المهنية؛ وقد تجلت هذه الصرامة في عدم تمديد اتفاقية الصيد البحري التي كان العمل جاريا بها ولو أدى ذلك إلى عدم الوصول إلى أي اتفاق، وأصبح المغرب حرا في تصرفاته منذ غرة السنة الميلادية الجديدة 1988 كما أصبح ممنوعا على سفن الصيد الأوربية عموما، والإسبانية، خصوصا، أن تمخر عباب المياه الإقليمية المغربية من الناضور إلى طنجة ومن طنجة إلى الكويرة مما اضطر بعضا من هؤلاء الصيادين الأوربيين إلى الانغمار في أعالي المحيط الأطلسي بعيدة عن الحدود الأوربية وإلى النزول إلى سواحل وموانئ بعض الأقطار الإفريقية النائية.

أمام هذه الصرامة التي أظهرها المتفاوضون المغاربة بأمر من جلالة الملك، وإجماع من الأمة المغربية، وصعوبة الوصول إلى حل يرضي الجانبين، اضطرت لجنة المجموعة الأوربية، بعد استشارات بين الدول أعضائها، إلى الرضوخ إلى الأمر الواقع الذي يفرض عليها مفاوضة جلالة الملك في القمة الأوربية المنتظر عقدها خلال الأسبوع الثاني من شهر يبراير 1988 بمقر اللجنة في بروكسيل.

☆ ☆ ☆

وهكذا وجهت لجنة المجموعة الأوربية دعوة رسمية إلى جلالة الملك للمشاركة في جزء من أعمال قمتها المشار إليها أعلاه أملا من أعضائها في أن يستجيب جلالة الملك حفظه الله لهذه الدعوة فتكون مناسبة لفتح ملف العلاقات المغربية الأوربية بأجمعها عسى أن يتوصل الفريقان المغربي والأوربي إلى اتفاق يضع حدا للأزمة الحالية، ويفتح آفاقا للتعاون بيننا وبين المجموعة في المستقبل.

يتضح من هذا أن التسلح بالصبر، ومجابهة العناد بالعناد، ومفاوضات الند للند، وعدم الإفراط أو التفريط في أي جزء من المصلحة الوطنية، وجعل هذه الأخيرة فوق كل اعتبار، كل هذه الأشياء أجبرت المجموعة الأوربية على الخضوع إلى الأمر الواقع، والتسليم بأن المغرب، بفضل ملكه الحسن الثاني الوفي لوطنه وشعبه، لا يمكن أن تتعامل معه المجموعة كما تتعامل مع بعض الأقطار الديكتاتورية والتوسعية، وأن لا مناص من إعطاء المغرب المكانة اللائقة به، وبقائده الهمام، فكانت الدعوة الموجهة إلى جلالة الملك للمشاركة في القمة الأوربية المنتظرة والتفاوض معه في مؤتمر علني لا أتذكر شخصيا أنه سبق لرئيس دولة ما خارج المجموعة أن استدعي من طرف المجموعة للمشاركة فيه.

وسواء حضر صاحب الجلالة بنفسه هذه القمة، أو لم يحضر، فإن القصد من مشاركة صاحب الجلالة هو الوصول إلى اتفاق مع بلادنا يحدث توازنا في العلاقات الاقتصادية والتجارية بين دول المجموعة الأوربية والمملكة المغربية، ويعطي لبلادنا المكانة اللائقة بها، ويستجيب للمطالب

المغربية حتى لا تبقى هذه العلاقات بين المد والجزر لا يعرف لها مستقبل ولا آفاق، ولا تسير على نهج دائم واضح المعالم والصوى يعرف كل من الطرفين حدوده وأبعاده.

ويكفي المغاربة فخرا واعتزازا أن تكون بلادهم أول بلاد خارج أقطار المجموعة تدعى للقمة الأوروبية لأن هذه الدعوة تدل على التقدير والاعتبار الذين تحظى بهما بلادنا بفضل السياسة الحكيمة التي ينهجها صاحب الجلالة لصالح المغرب ورعاياه.

ومما لا إشكال فيه أن مشاركة بلادنا في هذه القمة سيعطي لعلاقات بلادنا مع هذه الأقطار إطارا جديدا، إذا لم يكن هو انضمامنا إلى المجموعة الذي يسعى إليه صاحب الجلالة، فسيكون من نتائجها الإيجابية، على الأقل، اعتبار مصالحنا الوطنية، وبذل مجهود أكبر ما سبق، لقبول بضائعنا ومنتوجاتنا، والمساهمة الفعالة في معركة الاقلاع الاقتصادي الذي عزم المغرب على خوضها للوصول إلى ازدهار اقتصادي، ورقي اجتماعي طالما جد المغرب واجتهد للوصول إليهما، وإمداد المغرب بالمساعدات المالية والتقنية التي يتوقف عليها نجاحه في مراحل نموه وتطوره. وأننا لا نتصور أن تكون الدعوة إلى جلالة الملك تهدف إلى غير هذا، وإلا فما المعنى من توجيه هذه الدعوة إلى بلادنا في شخص صاحب الجلالة نصره الله ؟

وإن كل ما نتمناه في هذه المرحلة الحرجة من علاقاتنا مع السوق الأوربية المشتركة هو أن يتحسن مستوى هذه العلاقات، وأن يسفر لقاء القمة المنتظر عن تحول جذري في العقلية الأوربية نحو بلادنا وغيرها من أقطار العالم الثالث. فالخطوة الوثابة الأولى التي خطتها الديبلوماسية المغربية هي، إذن، خطوة وطنية كبرى تهم الوطن والمواطنين المغاربة، أولا، وتهم علاقات المغرب بأوربا الغربية، ثانيا، وتتناول الجانب الاقتصادي والتجاري من هذه العلاقات ثالثا وأخيرا. فعسى أن تتحقق بفضل هذه الخطوة الجريئة الإيجابية آمال وأماني الأمة المغربية وأن ينتج عنها، بحول الله، تطور عملي يستفيد منه بالتبعية دول المغرب العربي، وبقية أقطار العالم الثالث كما كان الشأن في كل خطوة خطاها المغرب منذ حركته التحريرية، وحصوله على الاستقلال السياسي إلى انبثاق عهد جديد في العلاقات الاقتصادية، وتحقيق استقلال اقتصادي لنا ولغيرنا من دول العالم الثالث.

☆ ☆ ☆

أما الخطوة الجبارة الثانية التي خطتها ديبلوماسيتنا المتحركة فهي خطوة تهم المغرب أولا لأنها تدل على المكانة التي تتمتع بها المملكة المغربية في النطاق العالمي، كما تهم هذه الخطوة جميع العرب والمسلمين ثانيا، لأنها تتعلق بقضية مقدسة طالما عمل العرب والمسلمون على إيجاد حل عادل لها، ولكنهم كانوا دائماً يجدون في مواجهتهم خصوماً أشداء يتوفرون على قوة كبرى، ونفوذ قوي، يعترض كل المحاولات العربية والإسلامية في سبيل نصرة حق من حقوقهم المشروعة، وأداء واجباً من واجباتهم القومية. وكيف لا يكون الأمر كذلك وخطوتنا هذه تتعلق بقضية فلسطين السليبة التي تكالبت قوى الشر العالمية، والعنصرية والصهيونية لتسلب هذا الشعب العربي حقه في ترابه الوطني، وتعرضه للطرد والتشريد منذ أزيد من أربعين سنة ؟

حقاً ! لقد كان العرب والمسلمون، منذ وضعت قضية فلسطين على بساط الدرس في المسرح الدولي، يجدون في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الكبرى كالاتحاد السوفياتي - وإن طرأ نوع من التطور على موقفه منذ الحرب العربية الإسرائيلية التي وقعت في سنة 1967 - وبريطانيا العظمى وفرنسا ومعظم الدول الأوربية - أقول - كان العرب يجدون هذه الدول تواجه كل مسعى يقومون به لإحلال السلام محل الحرب، وإعطاء الحق لأهله، ورد المهاجرين من أبناء فلسطين إلى ديارهم. كانت آذان المسؤولين الأمريكيين وغيرهم من قادة الدول العظمى صماء أمام كل مطلب تقدم به العرب سواء في المنتظم الدولي أو في المؤتمرات والمنتديات الدولية والإقليمية أو في اللقاءات والاتصالات الثنائية أو الجماعية التي تعرض فيها قضية فلسطين بل أن الجواب التلقائي الذي كان يحصل عليه العرب والمسلمون بعد كل محاولة ترمي إلى السلام

هو التعنت الأميريكي الذي كان لا يقضي برفض كل مسعى سلمي عربي إسلامي فحسب بل كان رد الفعل الأميريكي على كل مسعى هو تأييد علني عالمي لإسرائيل، وزيادة مدهشة في تزويدها بالسلاح الفتاك على مختلف أشكاله وأنواعه، والإعلان على أن لإسرائيل الحق في الوجود ولو على حساب حقوق الشعب الفلسطيني. ومن أغرب ما كان يلاحظ في مواقف الولايات المتحدة الأميريكية أنه كلما تقدم العرب أو المسلمون بمشروع سلام في الشرق الأوسط يعتقدون أنه يحتوي على ما يرضي هذه الدولة العظمى إلا وتصلبت هذه الأخيرة في موقفها المعادي لكل محاولة سلمية، أو كل مشروع خوفاً من أن تمس إسرائيل في حدود لم يكن لها أن تكتسبها في أي عصر من عصور التاريخ البشري المعروف لولا تأييد الولايات المتحدة الأميريكية لإسرائيل.

كان هذا هو موقف الولايات المتحدة من قضية فلسطين : مساندة تامة لإسرائيل، تعزيز إسرائيل بالمال والعتاد، رفض لكل مسعى سواء كان عربياً أو إسلامياً أو إفريقياً أو من مجموعة من المجموعات الدولية المشهورة كمجموعة دول عدم الانحياز من شأنه أن يخفف من شرور الإبادة التي يصطلي بنارها شعب فلسطين خوفاً من أن يؤدي هذا المسعى إلى تضعضع الكيان الصهيوني بل خوفاً من انهياره واضمحلاله وهو أخشى ما تخشاه الولايات المتحدة الأميريكية.

ونحن إذا تتبعنا سياسة الولايات المتحدة الأميريكية في الشرق الأوسط نجدها ـ مع كامل الأسف ـ تسعى منذ نشوء دولة إسرائيل إلى تقويتها وتعزيزها سواء كانت ظالمة أو متعدية أو جاءت شاكية باكية لأن هم أميريكا هو إرساء هذا الكيان الصهيوني المصطنع في قلب الأمة العربية والإسلامية حتى يتم بواسطته تحقيق وجود أميريكي قار في المنطقة، من جهة، وبث بذور الشقاق والخلاف والنزاع بين الأقطار العربية، وشغلها بمواجهة إسرائيل عن مواجهة قضايا التطور والتقدم والنماء التي تعرفها هذه الأقطار من جهة أخرى.

وسواء كان الحاكمون في أميريكا جمهوريين أو ديمقراطيين وسواء كانت الغالبية لهذا الحزب أو ذاك فإن السياسة واحدة والاتجاه واحد هو تقوية إسرائيل وإضعاف الدول العربية والإسلامية حتى لا تتقوى في يوم من الأيام؛ ورغم ما بذلته هذه الدول من مساع نحو الولايات المتحدة الأميريكية حتى تتفهم الموقف العربي، وتأخذ بعين الاعتبار الحقوق المهضومة للشعب الفلسطيني، وتقبل القرارات الدولية، والتوصيات الأممية التي تنص على ضرورة إعادة الفلسطينيين إلى ديارهم، وإيجاد تسوية سلمية للقضية الفلسطينية، وتردد القادة العرب فرادى وجماعات على البيت الأبيض لإبلاغ مختلف المسؤولين القرارات المعتدلة التي اتخذتها القمم العربية في هذا الشأن، فإن قادة الولايات المتحدة الأميريكية على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم لم يعيروا اهتماماً للتطور الذي طرأ على الموقف العربي، والليونة الدبلوماسية التي تكتسيها قراراتهم الأخيرة لحل النزع العربي الإسرائيلي بطرق سلمية تتسم بالاعتدال والواقعية.

وجاء مؤتمر القمة العربي المنعقد بفاس سنة 1982 فإذا بالقادة العرب يتفقون على مشروع فاس لحل قضية فلسطين نوه العالم كله بما ورد فيه من اقتراحات معتدلة، وحلول واقعية؛ وتوجهت لجنة المتابعة المكونة من عدد من رؤساء الدول برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني إلى واشنطن لإبلاغ الولايات المتحدة فحوى مشروع فاس، وإطلاع قادتها على الجو العربي الملائم لوضع خطوات حكيمة لإيجاد حل سلمي للقضية الفلسطينية وذلك بإحقاق الحقوق المتعلقة بضمان مصالح الطرفين المتنازعين ولكن الولايات المتحدة ظلت متشبثة بمواقفها المتعنتة بل انها عززت المواقف المتحيزة بإغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن، وحاولت بكل ما تتوفر عليه من وسائل، إغلاق المكتب الذي فتحته منظمة التحرير في نيويورك لمتابعة النشاط الدولي شأنها في ذلك شأن سائر المنظمات التحريرية في إفريقيا وآسيا وأميريكا التي ما زالت تطالب بحقوقها المشروعة.

وهكذا ظل الموقف الأميريكي متشددا، متعنتا ومتحيزا لإسرائيل إلى أن جاءت الثورة العارمة الأخيرة التي اندلعت في الأراضي العربية المحتلة بغزة والضفة الغربية والقدس الشريف. والتي أضرمها أطفال عزل لا سلاح لهم إلا الحجارة يلقون بها على جنود الاحتلال الصهيوني البغيض، ويرمون بها في وجوه الجيش الإسرايلي العنيد الذي واجه هؤلاء الأطفال بالأسلحة الفتاكة، والمعاملات الوحشية، والضربات القاتلة دون مراعاة لسنهم، ولا اعتبار لمطالبهم ولا تقدير للأسباب التي دفعت هؤلاء الأطفال إلى الثأر لأنفسهم التي خيم عليها اليأس، وسيطر عليها البؤس، وكاد يحطمها الاضطهاد.

وقد شاء القدر أن يلهم الله صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، لدعوة لجنة القدس التي توقفت أعمالها وتعطل اجتماعها منذ مدة لأسباب عربية عربية؛ فاجتمعت لجنة القدس في إيفران في الأيام الأولى من السنة الجارية وترأس اجتماعها صاحب الجلالة الذي أبى الله إلا أن يوفقه لإلقاء خطاب جامع محكم أنحى فيه باللائمة على العالم أجمع الذي يتتبع المآسي التي تجري في الأراضي المحتلة دون أن يحرك ساكناً.

وقد خص صاحب الجلالة الولايات المتحدة الأميريكية في هذا الخطاب بفقرات مؤثرة ممتعة منها إلى أن العرب سئموا من الحرب وويلاتها، وضجروا من أعمال التعذيب والتقتيل والإبادة التي تقوم بها العصابات الصهيونية ضد سكان آمنين ومدنيين عزل من نساء وأطفال وشيوخ؛ وأشار صاحب الجلالة في هذا الخطاب إلى الدور الذي لعبه المغرب بجانب الحلفاء في الحربين العالميتين الأولى والثانية للدفاع عن الحرية والكرامة البشرية وضد النازية. والفاسيشتية وقال حفظه الله للولايات المتحدة : «وهذه هي علة تدخلي بالنسبة للولايات المتحدة التي هي صديقة لنا منذ القدم... فهي صديقة قريبة وصديقة وفية ولكن أقول لها : لا...» وزاد جلالته موجها الخطاب للولايات المتحدة :

«استشهد جنودنا وجنودكم بالآلاف وبمئات الآلاف لتحرير البشرية، وهنا لا يمكن لحليفك بالأمس إلا أن يستغرب تنكرك للمبادئ التي من أجلها مات أبناؤك وأبناؤنا لماذا مات باطون ؟ لماذا مات ضباطنا ؟ لماذا متنا جميعا في كاليكَليانو ؟ لماذا متنا جميعا في ألمانيا ؟ لماذا متنا جميعا في ليزاردين ؟ متنا للدفاع عن الكرامة، وهذا هو الذي يعطيني حقي كمغربي لأقول هذا الكلام وبكل صراحة هو كلام غير موجه للحكومة وللشعب الأميريكيين هو كلام موجه لعدم الإنصاف والصديق من صادقك لا من صدقك...».

وهكذا وضع جلالة الملك الحسن الثاني المجمع الدولي بصفة عامة، والولايات المتحدة الأميريكية، بصفة خاصة، والرئيس الأميريكي بصفة أخص أمام مسؤولياتهم وواجباتهم مذكرا الجميع بالمبادىء، والمواثيق والعهود والاتفاقيات التي تضمن حقوق الشعوب المضطهدة، وسكان الأراضي المستعمرة، ومشروعية مقاومة كل شعب تنتهك حرماته، وتستعمر أراضيه.

وقد كان للخطاب صدى واسع داخل الوطن العربي والإسلامي وخارجه، كما كان له تأثير بالغ في نفوس أعضاء لجنة القدس. والمجتمع الدولي لأنه خطاب حلل بكل موضوعية العوامل الخفية التي تدفع بالصهاينة إلى العدوان على الكرامة الإنسانية، والاستهتار بحقوق الإنسان، والازدراء بالقوانين والأعراف الدولية.

وقد كان المفهوم من الخطاب الملكي السامي أمام لجنة القدس أن إسرائيل ما كان لها أن ترتكب هذه الجرائم والاعتداءات ضد الشعب الفلسطيني لولا حماية الولايات المتحدة الأميريكية التي أضحت مظلة تفزع إليها إسرائيل منذ أربعين سنة دون اعتبار للمنتظم الدولي الذي حاول مرارا إيقاف هذه الانتهاكات والاعتداءات، واتخاذ القرارات اللازمة لوضع حد لها، والذي كان يجد دائما في طريقه اعتراض الولايات المتحدة باستعمال حق الفيتو، تارة، وبالتهديد والوعيد، تارة أخرى، مع مواصلة التأييد المادي

والمعنوي والعسكري والمالي والديبلوماسي لإسرائيل في كل وقت وحين.

وإذا كانت الدول الكبرى الأخرى كالاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى وفرنسا وغيرها التي كانت، في أول الأمر، لا تفتأ عن مساندة إسرائيل، بعدما عملت مع الولايات المتحدة الأميريكية على خلق إسرائيل والوقوف بجانبها فإن هذه الدول ماعتمت أن تراجعت عن مواقفها لما رأت أن إسرائيل تجاوزت الحدود المتفق عليها، وأخذت تعتدي على السكان الآمنين، وتطردهم لتحل محلهم الأجانب والواردين عليها من شذاذ الآفاق، وتمعن في شن الحروب الضارية على الدول المجاورة لها، وتحتل أراضيها وتضمها إليها، وتؤسس فوق تراب هذه الدول المستعمرات.

وقد رأينا كيف أن الاتحاد السوفياتي استنكر الهجوم الثلاثي على مصر في معركة السويس وأخذ، منذ 1956، يقف بجانب الحق العربي الأمر الذي اضطره إلى قطع العلاقات الديبلوماسية مع إسرائيل منذ أزيد من عشرين سنة، كما شاهدنا فرنسا تثير زوبعة في العالم عن إثر الهجوم الإسرائيلي على الدول العربية في سنة 1967، فقد قام الجنرال دوكول رئيس الجمهورية الفرنسية آنذاك بحملة عارمة وغضب غضبته المشهورة طالباً من إسرائيل وضع حد لهجوماتها المتكررة، وإرجاع الأراضي العربية التي استولت عليها إسرائيل إلى أربابها. أما أنكلترا فقد اتخذت موقفا أقل ما يقال عنه إنه موقف دول مسؤولة لايمكنها أن تسمح بأن تقع مثل هذه الاعتداءات المتكررة أمام مرأى ومسمع من العالم أجمع دون أن تجد إسرائيل من يصدها عن عدوانها، ويحد من نواياها التوسعية خصوصاً وأن آنجلترا هي التي كانت تحتل المنطقة قبل خروج إسرائيل إلى الوجود بعد عملية التقسيم الشنيعة التي أقرتها منظمة الأمم المتحدة سنة 1948.

ولم تبق من هذه الدول في موقف المناصرة والتأييد الأعمى لإسرائيل إلا الولايات المتحدة الأميريكية رغم ما لها من صداقات وعلاقات قديمة بقدم وجود أميريكا مع بعض الدول العربية كالمملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية اللتين تجمعهما بالولايات المتحدة مصالح مشتركة، والمملكة المغربية التي كانت أول دولة في العالم تعترف باستقلال أميريكا، وغيرها من الدول العربية كالسودان والجمهورية التونسية.

☆ ☆ ☆

وإذا كانت الانتفاضة التي عرفتها الأراضي المحتلة منذ أزيد من شهرين قد حركت الضمير العالمي، وأذكت الشعور الدولي بضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من الاعتداءات الصهيونية على العرب والمسلمين وغيرهم من سكان فلسطين، وتقتيل النساء والأطفال والشيوخ، وتدمير المدن والقرى والأحياء، التي يسكنها الفلسطينيون إلى درجة أن بعض اليهود الإسرائيليين استنكروا بأنفسهم الهجومات اللاإنسانية وأعمال العدوان التي يقوم بها جيشهم ضد السكان العرب والمسلمين فإن اجتماع لجنة القدس ونداء جلالة الملك إلى الضمير العالمي، بصفة عامة، وإلى الولايات المتحدة، بصفة خاصة، قد أثر تأثيراً كبيراً في الرأي العام الأميريكي بما فيه المحافل السياسية والأجهزة الإعلامية، ومصادر القرارات حتى بادر الرئيس الأميريكي رونالد ريجان إلى الاعتراف لأول مرة بأن الأحداث الأليمة التي تعيشها الضفة الغربية وغزة والقدس الشريف تدعو إلى الاستعجال في البحث عن حل للنزاع العربي الإسرائيلي.

وقد جاء هذا الاعتراف الرسمي الأميريكي في الرسالة التي وجهها رئيس الولايات المتحدة الأميريكية إلى جلالة الملك رونالد ريجان بعد أيام قلائل من النداء الملكي السامي الذي وجهه جلالة الملك إلى الشعب الأميريكي، وإلى الضمير العالمي عسى أن يستيقظ كل منهما من غفوته، ويفيق من سباته لمواجهة الموقف بحزم وعزم. فقد نوه الرئيس الأميريكي في هذه الرسالة بالشعب المغربي معترفاً بتضحياته التاريخية، ومذكراً بالصداقة الدائمة القائمة بين الشعبين المغربي والأميريكي وتعاونهما، منذ القدم، من أجل نصرة الحق، والذود عن الحرية والكرامة الإنسانية؛ وألح الرئيس الأميريكي على الدور النبيل الذي يلعبه المغرب في سبيل القضايا العربية، عموماً، والقضية

الفلسطينية، خصوصاً، مؤكداً، بصفة رسمية وعلنية، ضرورة الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني في كل مرحلة من مراحل المفاوضات التي يتعين إجراؤها لإيجاد حل مرض لجميع الأطراف، ووضع نظام نهائي للأراضي العربية المحتلة.

يتبين من هذه الرسالة، بكل وضوح، أن الرأي العام الأميريكي، وفي مقدمته رئيس الولايات المتحدة الأميريكية، شعر بأن الوقت قد حان «للاستعجال في البحث عن حل للنزاع العربي الإسرائيلي» كما يتضح، من هذا الخطاب أن الضرورة تقضي «بمشاركة الفلسطينيين في كل مرحلة من مراحل المفاوضات» التي ستؤدي، بحول الله، إلى هذا الحل. وأهم ما يمكن أن يستخلص من هذا الخطاب هو اعتراف الولايات المتحدة الأميريكية، على لسان رئيسها، بحقوق الشعب الفلسطيني في السيادة والكرامة والحرية. إنها، والحق يقال، وثبة كبرى في الموقف الأميريكي انتزعها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بفضل حنكته المعترف بها من الجميع، وحكمته النبيلة، ومعرفته الكبيرة في معالجة الأمور المستعصية بتؤدة ورزانة وتريث دون أن يستشيط غيظ أحد سواء كان صديقاً حميماً، أو خصماً لدوداً.

إننا لا نريد هنا أن ندخل في تحليل دقيق لخطاب الرئيس الأميريكي، ولكننا نقر بأنه يشكل خطوة جبارة في طريق الحل المنشود للقضية العربية الكبرى؛ وان من واجب العرب والمسلمين أن يعتبروا هذا التطور الذي طرأ على الموقف الأميريكي ليواصلوا الحوار مع الولايات المتحدة للتوصل إلى الكيفية التي يتعين اللجوء إليها لإدخال هذا الاعتراف الأميريكي الرسمي في مسلسل من الخطوات الوئيدة المتزنة الكفيلة بإدراجه في حيز التطبيق. لقد اتخذ الرئيس الأميريكي قراره العظيم مقتنعاً بالآراء والأفكار والنظريات التي طالما عبرت عنها الأمة العربية والأمة الإسلامية على حد سواء، وقد كان خطاب جلالة الملك أمام لجنة القدس وسيلة لانتزاع هذا القرار، فما علينا الآن إلا أن نستغل الظرف المواتي خلال مراحل من الاتصالات والتفاوض لنعرف ماذا سيكون لهذا القرار من نتائج إيجابية محمودة، وعواقب طيبة منشودة.

وقد جاء هذا القرار الأمريكي العظيم لينضاف إلى الأيادي البيضاء التي أسداها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، نصره الله، لشعبه الوفي، ولشعب فلسطين المجاهد، إلى الأمتين العربية والإسلامية.

ومن الاعتراف بالجميل أن نذكر بأن جميع الخطوات التي خطاها جلالة الملك في سبيل القضية الفلسطينية كانت خطوات إيجابية وموفقة انتهت كلها بأكمل النتائج وأطيب الرغائب، كما كانت خطوات عملية ملموسة تركت آثارها في المسار الذي قطعته قضية فلسطين. فإرسال الجنود المغاربة للمشاركة في الحروب العربية الإسرائيلية كانت خطوة فعالة من جلالة الملك إذ وقف الجيش المغربي في سنة 1967 وسنة 1973 بجانب الجيوش العربية مجاهداً، ومضحياً بالنفس والنفيس لإعلاء راية الحق، والقضاء على المعتدين؛ وقد ترك جيشنا الباسل في سيناء والجولان ضحايا استشهدوا من أجل إخوانهم العرب والمسلمين ومن أجل الحقوق المقدسة للعرب والمسلمين.

وإن دعوة جلالة الملك لعقد أول قمة إسلامية بربوع مملكته كانت خطوة إيجابية موفقة انتهت، والحمد لله، بتأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي التي أضحت أكبر عضد للعرب والمسلمين في طريق البناء والتشييد، ولم شعثهم، وضم صفوفهم، كما كانت خير مدافع عن قضايا العرب والمسلمين عموماً، وقضية فلسطين وقضية أفغانستان خصوصاً.

أما القمم العربية المتعددة التي عقدت في الرباط، فإنها كانت كلها خطوات عملية موفقة في توحيد صفوف العرب وجمع كلمتهم؛ وقد تكللت كلها بنتائج إيجابية ليس إلى نكرانها من سبيل.

ففي قمة الرباط سنة 1974، على سبيل المثال لا الحصر، تقرر اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الوحيد والشرعي لشعب فلسطين، وهو قرار يسر على الأباعد والأقارب سبل الاتصال بسكان فلسطين، والمناضلين

عنها في الداخل والخارج، كما سمح للمنظمة بالتحدث باسم الشعب الفلسطيني في مختلف المحافل الدولية والعواصم العالمية، وهي على كل حال خطوة إيجابية ما كان أحوج العرب والمسلمين في تلك السنة أن يقطعوها لصالح الدفاع عن الحقوق العربية والإسلامية في فلسطين.

وإن الأمل لوطيد أن تتلو هذه الخطوة خطوات أخرى تتمثل في تشكيل حكومة فلسطينية تتحدد داخلها المسؤوليات في كل قطاع، ولا يبقى الكلام عن المنظمة بالأرقام الأول والثاني والثالث... الخ لمعرفة المسؤوليات والتبعات وقدر من يتحملونها.

وفي القمة العربية التي اجتمعت بفاس سنة 1982 خطت القضية الفلسطينية، بفضل مساعي صاحب الجلالة الدؤوبة، خطوة إيجابية أخرى تجلت في وضع مشروع عربي متكامل يتضمن الحل العربي لقضية النزاع العربي الإسرائيلي.

وقد أصبح هذا المشروع يعرف اليوم بمشروع فاس. وهو يشكل لحد الساعة الإطار العملي لكل محاولة عربية أو أجنبية تريد الوصول إلى حل سلمي ونهائي لهذا النزاع بعدما يئس الكل من تصور عملي لأي إطار عمل يمكن أن يجمع نظريات العرب، وتخيلاتهم لحل المشكل الفلسطيني.

وسوف لا أطيل في الكلام إذا ما ذكرت القرارات العملية التي اتخذها صاحب الجلالة لمساعدة الفلسطينيين، ودعمهم بما يحتاجون إليه من مال وعتاد، دعوة المغاربة أجمعين للتعبئة والمساهمة للدفاع عن القضية الفلسطينية كفرض بعض الضرائب على بعض المواد الكمالية المستهلكة، وتخصيصها لمساعدة الفلسطينيين، وتشجيع الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني التي تضم في صفوفها خيرة العناصر المغربية وطنيةً وثقافةً وجهاداً ومركزاً وجاهاً للعمل على تعبئة الجماهير المغربية، وتوعيتها بمناصرة المجاهدين الفلسطينيين.

☆ ☆ ☆

لقد تعرضت في هذا البحث، إلى أهم الوثبات المظفرة التي وثبتها الديبلوماسية المغربية خلال هذه السنة، وهي كلها سلسلة من الانتصارات المعنوية التي حققتها بلادنا بفضل قيادة جلالة الملك الواعية الحكيمة، وبفضل السياسة الرشيدة الحازمة التي ينهجها جلالته لصالح أمته وشعبه تدل كلها على أن المملكة المغربية سائرة، بخطى ثابتة ورزينة، نحو الهدف المنشود ألا وهو إحلال بلادنا في المكان اللائق بها بين الأمم حتى يشع نورها البراق كما كان في القرون الماضية، وحتى يتحقق ازدهارها المأمول في العصور الحالية، وحتى تتمكن في المستقبل القريب من أن تصبح دار سلام وأمن واطمئنان لجميع من يتفيأ ظلالها من الأهالي والسكان، ومن يأوى إليها من أقاصي البلدان. وما ذلك على همة جلالة الملك بعزيز ولا على عزيمة رعاياه بعسير.

الرباط : عبد اللطيف أحمد خالص

رسالة مهدي السودان إلى السلطان مولاي الحسن

الدكتور عبد الهادي التازي

لقد شعرت جماعة من السودان كان على رأسها محمد أحمد بن عبد الله الذي أصبح معروفا بالمهدي - منذ غرة شعبان 1297 = 9 يوليه 1880 - شعرت بتردي الوضع في بلادها حيث رأيناها تخوض معارك ضد الإدارة التركية المصرية التي استعانت في بعض الحملات بالضباط البريطانيين...[1].

والذي يهمنا في هذا العرض الموجز هو الحديث عن مسار الدعوة المهدية خارج السودان وخاصة بيلاد المغرب الأقصى[2].

لم يقتصر المهدي على اتصالاته مع أقاليم بلاد السودان ولكنه حاول أن يربط له علاقات مع المغرب عن طريق بعض المواطنين ممن صادفتهم ظروفهم يتعاطون التجارة بين مصر والسودان حيث صودرت أموالهم وقبض على مساعديهم من أحرار ومعاتيق على ما يفهم من الرسالة التي رفعها بتاريخ 5 رجب 1302 هـ 20 أبريل 1885 :

«الطيب البناني من المغرب الأقصى من مدينة فاس إلى خليفة أفضل خلق الله سيدي الإمام محمد المهدي» الذي يخبره البناني بأنه لما حضر مدينة «بربر» - شمال الخرطوم - بتجارة، غنم سائر ما بيده لبيت المال، ومن ضمن ذلك خال أولاده الذي يتأهل البناني بأخته والذي حجز مع زوجته التي هي كانت من معاتيق بربر !!

وهكذا فقد وصل «المهدي» مع البناني إلى «تسوية» حيث نقف على الإذن في إرجاع «خال أولاده»...!

ويبدو أنه في الأثناء قام بعض بعض التجار المغاربة المعروفين في المنطقة قبل ظهور المهدي، قاموا بدافع أو آخر بترشيح المسمّى محمد الغالي بن عبد السلام للقيام في مراكش بنشر الدعوة المهدية، الأمر الذي وافق عليه المهدي الذي وجدناه يحرر رسالة بتاريخ 25 رجب 1302 = 10 مايه 1885 إلى من ينعته خطاب المهدي بوالي فاس السيد

1) ألفت حول حركة المهدي طائفة من الرسائل الجامعية، وحرر عدد من الكتب والمقالات بكلّ لسان بل وعقدت ندوات أكاديمية تناولت مختلف المواضيع التي تتصل بفكرة «المهدية» على العموم وبحركة المهدي في السودان على الخصوص، ولابدّ لمن يتتبع هذا الموضوع أن يرجع إلى جامعة الخرطوم ومعهد الدراسات الإفريقية والاسيوية التابع للجامعة وما صدر عن هاتين المؤسستين من وثائق وحقائق... المؤتمر العالمي لتاريخ المهدية - الخرطوم - 29 نونبر 2 دجنبر 1981.
مطبوعات قسم التاريخ، العدد 1 / جامعة الخرطوم.

2) كان المهدي بعث برسالة بتاريخ 5 رجب 1300 - 12 مايه 1883 إلى الشيخ محمد المهدي السنوسي رئيس الطريقة السنوسية حول الموضوع...
على صالح كراز : السنوسية والمهدية. مجلة الدراسات السودانية، العدد 2 مجلد 5 يوليه 1979.

الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الذي لم يكن في الواقع غير العاهل المغربي السلطان مولاي الحسن (الأول) !

وقد أجمل المهدي في هذه الرسالة الظروف التي أدت إلى ترشيح السيد محمد الغالي عاملا على فاس (كذا !)... «ونحن... حررنا للمذكور بالإمارة على تلك الجهة ولكن فوضنا الأمر لأهلها... وأن اتفقت كلمة أهل البلد على توليتك عليهم من طرفنا (كذا !) فقد وليناك عليهم ولكن تكون مع السيد الغالي يدا واحدة... فإن المقصود واحد هو إقامة دين الله».

وهذا نص الرسالة الأولى كاملا :

الرسالة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم، وبعد، فمن العبد المعتصم بالله محمد أحمد المهدي بن عبد الله إلى حبيبه في الله السيد الحسن بن عبد الرحمن والى فاس ونواحيها وفقه الله، أيها الحبيب مني إليك جزيل السلام ومزيد الاحترام.

ثم اعلم وفقني الله تعالى وإياك إلى ما يحبه ويرضاه وغمسني وإياك في بحار محبته ورضاه، أن الدين خير لامرء من نفسه وماله وهو الرفيق الذي ينفعه عند هول المحشر. قال تعالى : «لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم» الآية. والعاقل لا يرى سلامته يوم تزل الأقدام، ولا ينظر لمتاع الدنيا الذي مآله العدم. وإنما يكون مطمح نظره إلى ما عند الله في دار كرامته وانه من النعم. فإن هذه الدنيا لو كانت ذهبا يفنى والآخرة خزفا لاختار الخزف الباقي على الذهب... فكيف إذا كان الأمر بالعكس وكيف لا وقد أعد الله فيها لعباده المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من النعيم الدائم الذي لا يشوبه فناء ولا كدر.

وهذا النعيم الأخروي إنما يتوصل إليه بالزهد في الفانيات والتمسك بسنة سيد المرسلين في جميع الأوقات، ولا يخفى ما حصل على الدين آخر الزمان من الاهانة وتعطيل الأحكام وإهمال العمل بالشريعة المطهرة.

ولكن المسموع عن أهل جهتكم أنكم أهل خير وإلى الآن متمسكون بشريعة خير الأنام وحيث إنكم كذلك فقد جاءكم الهدى والرشاد ودعاكم داعي الله إلى طريق السداد. إذ طوقني الله بالخلافة المهدية وأمرني بدعاية الخلق إلى إحياء السنة المرضية. وقد لبى دعوتي من أسعده الله ببلاد السودان واعرض عنها من أشقاه فاهلكه واشتعلت فيه النيران. وقد وفق الله جماعتكم الذين بمصر وألهمهم رشادهم، فخاطبوني بالتسليم التام لأمر المهدية والرغبة الكاملة في نشرها في الأقطار.

والتمسوا تولية السيد محمد الغالي عبد السلام عاملا من طرفنا على «فاس» وما والاها ونحن من محبتنا بصلات الخير للمؤمنين قد حررنا للمذكور بالإمارة على تلك الجهة ولكن فوضنا الأمر لأهلها فإن اتفقت كلمتهم عليه فبها ونعمت. وإن اتفقت على غيره من الفضلاء...

فقد أذناهم في ذلك حيث إنك وإلى تلك الجهة من سابق وراعي أمرها فقد حسنا بك الظن وخطبناك بهذا التبادر على فلاحك وفوزك ونجاحك وتجيب دعوتنا على إقامة الدين. وجهاد أعداء الله الكافرين.

وإن اتفقت كلمة أهل البلد على توليتك عليهم من طرفنا فقد وليناك عليهم ولكن تكون مع السيد الغالي المذكور. يدا واحدة ونفسا واحدة وتتحابوا في الله ولا تنافروا فإن المقصود واحد وهو إقامة لإقامة دين الله. وإن اتفقت كلمة أهل البلد على غيرك سواء كان الغالي المذكور أو غيره من المسلمين فكن كرجل منهم ولا تكترث بزوال الملك فإن ذلك رحمة من الله خصك بها ألم تعلم أن النبي ﷺ، قد ذمه في غير ما حديث. وقال عليه السلام في الإمارة، أولها ملامة ووسطها ندامة، وآخرها عذاب يوم القيامة، إلى غير ذلك من الأحاديث التي لا تحصى، حيث كان أمر الإمارة كذلك فلا تحزن لفواتها واعلم أنك إن أجبت دعوتنا فأنت مقبول ومكرم عندنا وإلينا دنيا وأخرى، وابشر بخير الدارين وعزيمتي عليك أن تعمل بالكتاب والسنة وأن تنفذ جميع ما في الأوامر المحررة إلى أهل جهتك وليكن في علمك إن شاء الله حاضر بحزب الله للجهات المصرية.

فإن أمر السودان قد انتهى فإن بادرت أمري هذا بالتسليم وطلبت سلامتك عند الله وأثرت ما في الآخرة من النعيم فقد حزت السعادة الأبدية. وأمنت على نفسك ومالك وعرضك أنت وجميع من يجيب الدعوة معك وإن أبيت، إلا الاعراض عن طريق الرشاد فإنما عليك إثمك وإثم من معك وأمر الله واقع وفيما هو مسطر إليك في الأوامر على الصواب بجاه النبي الأواب والسلام.

لكن المهدي ـ يقول الباحث السوداني الأستاذ الزميل يوسف فضل حسن ـ استدرك الأمر خشية من الولوج في خضم السياسة الداخلية لتلك المنطقة فقال في رسالة له ثانية بتاريخ 25 رجب 1302 = 10 مايه 1885 مخاطبا محمد الغالي ابن عبد السلام : «ثم إنه لا يخفى عليك أن جهات فاس فيها أكابر من أهل الخير الذين يقتدى بهم في الدين، فلهذا ولمحبتي اتفاق أئمة المسلمين في الله جعلت تفويض الأمر إليهم...».

وهذا نص الرسالة الثانية كاملا :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم.

وبعد فمن المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى حبيبه الكريم السيد محمد الغالي بن عبد السلام، كان في عونه العلام. واتحفه ببدائع الإكرام أمين. أيها الحبيب منا إليك السلام، وأوفى الإكرام ثم أسلم وفقنا الله وإياك إلى الصواب وجعلنا ممن اعتصم بالسنة والكتاب... إن الله سبحانه وتعالى قد أمر بإقامة الدين. واتفاق الكلمة في الله بصدق ويقين. ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ الآية.

والدين هو الإسلام الذي جاءنا به نبينا محمد ﷺ مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه. ولا يخفى عليكم ما حل به من الاندراس الذي أعاده بين الناس منكرا بعد أن كان معروفا. ولما أن أراد الله إظهاره بين عباده اظهرني بالمهدية الكبرى رحمة لعباده لأنقذهم من الظلمات إلى النور فصدقني السعيد وكذبني الشقي. وقد ألهم الله جماعتكم الذين خاطبوني معكم، وهم السيد إبراهيم السنوسي ومحمد عبد السلام الحبابي وعبد السلام البناني ومحمد قاسم الحلو الصواب جزاهم الله خيرا وأدام هديهم. وحيث إنهم أحسنوا بكم الظن ورأوا استحقاقكم للتولية من طرفنا على «فاس» وجهاتها فنحن أيضا حسنا بكم الظن واستخرنا الله تعالى وأجبناهم لما طلبوا وعيناك عاملا عموميا على «فاس» وجهاتها ولكن لا يخفى عليك أن تلك الجهات... بها أكابر من أهل الخير يقتدى بهم في الدين عند أهل تلك الجهة ونظرا لذلك فقد جعلنا الأمر مفوضاً منا إليهم فإن قبلوا توليتكم عليهم من طرفنا على وجه العموم فذلك قصدنا وقد باركنا لهم. وإن اتفقت كلمة الجميع على تولية غيركم من أهل الفضل قد أذناهم في ذلك مع عظيم شأنكم عندنا والنظر إليكم بعين المحبة والإكرام. ويكفيكم عظم شأن في الدارين، أن بلغتم دعوتنا وكنتم سببا في هداية المسلمين ومع هذا كله فأنتم منا على بال وابشروا ما دمتم على محبتنا والقيام بأمرنا بخير الدارين فشمر فيما ندبناك إليه ولا تركن إلى متاع الحياة الدنيا الفاني الخسيس الذي لا يزن بحنا فيره عند الله بعوضة ومع ذلك يعقب على صاحبه حسرة وندامة وخذ الأوامر المحررة لك صحبة الحبيبين اللذين أوصلا جوابكم لنا. وهما عبد الخالق السبتي والطيب البناني ولتكن مشورتكم معهما فإنهما قد أخذا البيعة منا وسمعا من الوعظ ما يشرح الصدور وينور البصائر وقد أذناك في إعطاء البيعة لكافة أهل تلك الجهة ولفظها :

بايعت الله ورسوله والإمام المهدي على يدك على الا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نأتي ببهتان نفتريه ولا نعصى الإمام المهدي في معروف. ولا نفر من الجهاد وعلى الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله وعلى بذل النفس والمال في سبيل الله ابتغاء لمرضاة الله. وحثهم على الوفاء بهذه البيعة فإنها عهد الله المأخوذ عليهم وكان عهد الله مسئولا. وبعد أخذ الأوامر منها لا يكن لكم تأخير وتوجهوا الجميع أنتم والجماعة الذين خاطبونا معكم على بركة الله. واجعلهم لكم عونا وعضدا وساعدا وتحابوا في الله وجاهدوا أعداء الله فإن نصركم بالله. بارك الله فيكم ووفقكم، هذا والسلام.

وفي رسالة ثالثة بتاريخ 11 شعبان[3] 1302 = 27 مايه 1885 وجدنا المهدي يدعو هذه المرة كافة أهل مدينة مراكش إلى الانخراط في جماعته وهو يخبرهم فيها بتعيين الطيب البناني عاملا عليهم !!

وهذا نصها كاملا :

بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم.

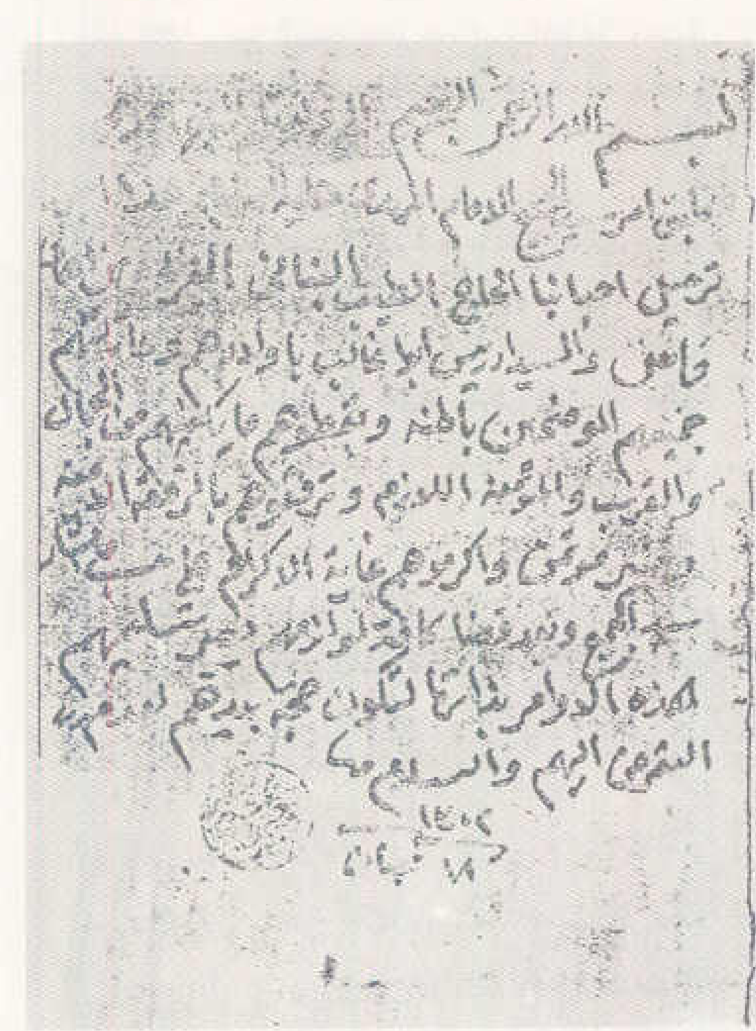
وبعد، فمن العبد المفتقر إلى الله محمد المهدي بن عبد الله إلى حبيبه في الله الطّيب البناني وفقه الله تعالى وتولاه آمين.

أيها الحبيب، إن إقامة الدين من أهم المهمات وحيث انها تحتاج إلى التحزّب والتجمع واتفاق الكلمة، فقد رأينا تعيينك عاملا من طرفنا على كافة أهل «مراكش» لتدلهم على الله وتستنفرهم للجهاد في سبيله، وقد أذناك في إعطائهم بيعتنا، ولفظها : بايعنا الله ورسوله والإمام المهدي على يدك، على أن لانشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نأتي ببهتان نفتريه، ولا نعصى الإمام المهدي في معروف، ولا نفر من الجهاد، وعلى الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله وعلى بذل النفس والمال في سبيل الله ابتغاء

3) شهد شهر شعبان من نفس العام بعث رسالة لا يختلف مضمونها عن الرسائل السابقة إلى عشرة من أمراء شنقيط... يخبرهم بتعيين محمد تقي الله عاملاً عليهم...
نعوم شقير : تاريخ السودان وجغرافيته ـ محمد ابراهيم أبو سليم : المرشد إلى وثائق المهدي، دار الوثائق المركزية ـ الخرطوم 1969.
يوسف فضل حسن : مسارُ الدعوة المهدية خارج السودان على ضوء رسائل المهدي وخليفته، دراسات في تاريخ المهدية، المجلد الأول أعدّه للنشر د. عمر عبد الرزاق النقر 1981 ص 166.

مرضاة الله، وكل من يأخذ بيعتنا فيلزمه الوفاء بها فإنها عهد الله المأخوذ عليهم وكان عهد الله مسؤولاً. وأنت وجماعتك تكونوا (كذا) تحت أمر عاملنا العمومي على «فاس»، ولا تخرجوا عن إشارته، وصيتي لكم بالتقوى والصدق مع الله في كل الأمور، وإمارتي لكم على شرط اتباع الكتاب والسنة، فمن غيّر أو بدل فلا إمارة له والسلام.

وقد زوّد البناني بما يشبه أن يكون رخصة مرور كانت تشمل معه أيضاً الشريف ادريس بوغالب «بأولادهم وعائلتهم»[4] وهي بتاريخ 18 شعبان 1302 وهذا نصها :



بسم الله الرحمن الرحيم

إلى ولدنا الحاج أحمد محمد (عبد الله خوجلي).
طبق أمر سيد الجميع الإمام المهدي عليه السلام هذا... ترحيل أحبابنا الحاج الطيب البناني المغربي من أهالي «فاس» والسيد ادريس بوغالب، بأولادهم وعائلتهم جميعهم الموضحين باطنه[5] وتعطوهم (كذا) ما يكفيهم من الجمال والقِرَب... اللوازم، وترفقهم بالرفقة الآمنة وخبير مؤتمن، وأكرمهم غاية الاكرام على حسب ما أشار سيد الجميع، وبعد قضاء كافة لوازمهم يتعين تسليمهم هذه الأوامر بذاتها لتكون حجة بيدهم لعدم التعرض إليهم، والسلام.

4) نتساءل عن الطيب البناني هنا وهل له صلة بالأمين الطيب بناني الذي كان ضمن الأمناء العشرين الذين وقعوا إلى جانب وزير الخارجية المغربية على الاتفاقية الألمانية التي أبرمت بفاس سنة 1890. أما عن الشريف ادريس بوغالب فقد خلف ولدا اسمه محمود تزوّج بالطام التسولية، فأنجب محمداً الذي أدركتُه مبرّزاً يشرف على «مسيده في درب السعود، كما أنجب منها هاشم وثالثاً صحبه لما عاد للسودان... ولما طالت غيبته اعتبر متوفى وتزوجت الطام الشريف مولاي عبد الوهاب بوطالب بعد وفاة أختها حبيبة التسولية حيث أنجب منها مولاي عبد الملك بوطالب رحمهم الله الجميع.

5) يعني المذكورين طيّ الكتاب، وبالفعل فقد ورد عدد المصاحبين للحاج الطيب بناني ومعظمهم من مساعديه الأحباش كما ورد أتباع ادريس بوغالب : بربي الحبشية وفضل الكريم وشاية الحبشية وهانم الحبشية وفرج الخدام، بربي الحبشية وولدها وأم الحسن الحبشية وبناتها وحسين وزوجته الحبشية آمنة... وجميلة السرية المولدة...

الطيب محمد الطيب : السودان وإفريقيا جريدة الأيام السودانية.. عدد 18 رمضان 1398 = 22 ـ 8 ـ 1979.

رسالة خاصة من الأستاذ يحيى محمد ابراهيم، دار الوثائق القومية بتاريخ 30 ـ 11 1987، وإني لأغتنم هذه الفرصة لأزجي شكري وامتناني للمساعدة القيمة التي لقيتها من زميلي يوسف فضل حسن رئيس الجامعة وأصحاب السعادة سفراء السودان بالمغرب : السيد نور الدين رحمه الله والسيد عباس موسى مصطفى والسيد الشاذلي الريح السنهوري.

فهل وصلت هذه الخطابات إلى من وجّهت إليه ؟

لقد أوقف الخليفة الأول للمهدي عبد الله التعايشي[6] حامل الرسائل الطيب بناني بعد موت المهدي مباشرة عام 1302 = 1885، وظل الرسول في الحبس ردحاً من الزمن..!

لقد ذكر الزميل يوسف فضل حسن أنه لا يدري الظروف التي دفعت الخليفة عبد الله التعايشي لاتخاذ ذلك الإجراء الذي أوقف بلوغ دعوة المهدي إلى المغرب كما كان مرجوّاً لها... ونحن نقول للزميل العزيز :

أولاً : إنه لا يوجد ـ على ما في علمي ـ أثر لمثل تلك الرسائل في الخزائن العامة بالمملكة المغربية وبخاصة في الخزانة الحسنية والوثائق الملكية التي تعتبر مرجعاً أساسياً حول هذه المراسلات ولو أنني مع كل هذا أعتقد أن صدى تلك المحاولات وصل إلى مجلس أمير المؤمنين الذي كان على صلة بحركات المشرق آنئذ.

ثانياً : أريد التأكيد على أن معلومات المهدي ـ رحمه الله ـ عن المغرب كانت خاطئة وإلا لما كلّف نفسه عناء التفكير في تصدير حركته إلى بلادٍ أسهمت بل كوّنت عبر الزمن بِنْية الأسرة السودانية مجتمعاً ومذهباً وطريقةً الأمر الذي يشهد به انتشار المغاربة في معظم أصقاع السودان على ما هو معروف مشهور...

ومن المصادفات التي لا تخلو من ملاحظات أن نجد مثل هذه الرسائل تتزامن ومطلع القرن الهجري الثالث عشر[7] الذي وجدنا فيه العاهل المغربي الملك الحسن الأول يصدر وصيته إلى الولاة مذكراً بمركزه الشرعي في الخلافة ومشيراً إلى نفسه كمجدّد على رأس المائة سنة...

هذا إلى الوفادة التي بعث بها العاهل إلى حاضرة الفاتيكان ضمن الوفادة التي وردت من كل مكان تهنئ البابا ليون... والتي كانت تمثل ـ على ماذكرته المصادر الأوبية ـ الخلافة الإسلامية بالرغم من حضور مصر وتركيا وإيران...[9]

الرباط د. عبد الهادي التازي



6) ينبغي أن نذكر بأن المهدي عيّن في منصب خلفائه : عبد الله التعايشي الخليفة الأول الذي أعطاه رتبة أبي بكر الصديق، وأعطى منصب الخليفة الثاني لعلي الحلو وجعله في رتبة عمر بن الخطاب وعرض منصب الخليفة الثالث عثمان بن عفان على محمد المهدي السنوسي، وجعل محمد الشريف في خلافة عليّ...

7) د. عبد الهادي التازي : الإلمام بمن وافق حكمه للمغرب استهلال المائة عام (مستل عن مجلة دعوة الحق بمناسبة عيدها الفضي العدد 23 رمضان، شوال 1402 = يوليه 1982، مطبعة فضالة (المحمدية) المغرب.

8) Mohamed IBN Azzuz una embasada Marroquie en el Vaticano (cuqdernos de Estudios africanons nadin 1949 N° 5 p. 73-84

V.Cailles : sur le rapports du Maroc avec le Saint-Siège H.T. 1969 Vol X Fasc. 1-2-P 9194.

مولاي الحسن الأول في جهاده الأكبر

للدكتور
عبد الله العمراني

اخترت الحديث عن هذا العاهل العظيم لعدة عوامل أهمها أنه كان في عهده آخر سلطان قويّ مستقلّ في إفريقية الشمالية. ولعل هذه الصفة هي التي ألبت على المغرب الدول الأوروبية المستعمرة، وجعلتها تنظر إليه شزرا، وتتطلع إلى نشر نفوذها عليه بفارغ الصبر، وبشره متزايد، مما جر على العاهل الكريم مصاعب وتعقيدات شتى، جعلته طيلة مدة ملكه (1290 ـ 1311 هـ) يبذل كامل جهوده المتواصلة، وخالص جهاده الأكبر، لتفادي شرور تلك المصاعب، وتيسير هذه التعقيدات، حتى لا يتسع الخرق على الراقع، فتنال تلك الدول مبتغاها، أو يخسر المغرب استقلاله. وغير خاف أن هذا الموقف الأوروبي الغريب، كان يستهدف في الدرجة الأولى، استثمار ثروات البلاد، واستغلال ما تحتله من موقع استراتيجي ممتاز.

لكن، ما السبب الذي جعل المغرب محط أنظار الأوروبيين، ومركز تفكيرهم ومطامحهم المتزايدة ؟ أكانت تحركهم في ذلك المجال منافسة وأنانية غير نبيلة ؟ أم كانوا يتجادلون في شؤون هذا القطر ووضعيته حبا في الجدال لا غير ؟ يعتقد بعض الباحثين أن العزلة العقيم هي التي رمت المغرب في أحضان مطامح ومطامع أجنبية كشف عنها مكتشفون متحمسون، ورحالة مغامرون، وأبانت عنها بعثات ديبلوماسية ترددت على المغرب في انتظام، وناقشها برلمانات ومجالس وزارية أوروبية مهتمة بكل ما له علاقة بالمغرب... كل ذلك خلق ما سمي (المسألة المغربية) قياسا على (المسألة المشرقية) التي عنوا بها الدولة العثمانية في الشرق، التي أطلقوا عليها أيضا اسم (الرجل المريض).

ويعتقد البعض أيضا أن مسببات العزلة المغربية ظواهر أو عناصر جغرافية تتمثل في البحر الأبيض المتوسط في الشمال، وبحر الظلمات (المحيط الأطلسي) في الغرب، وسلاسل جبال الأطلس وجبال الريف في الداخل، ورمال الصحراء الشاسعة في الجنوب، فهذه الظواهر أو العناصر هي التي عاقت المغرب في نظرهم، ولعدة قرون، عن الاندماج والدخول في حرم العالم المتحضر المعاصر، وحالت بينه وبين التقدم العلمي، فأصبح مطوقا معزولا، وكأنه يعيش في قلعة محصنة فريدة. ثم إن هذه العزلة جعلت المغرب يرتاب لا في الأجانب فحسب، بل حتى في التعاليم والمبادئ، والمذاهب التي يعتنقونها ويدعون إليها.

ونحن من جهتنا لا نعتقد أن هذه العناصر الجغرافية كانت السبب في انعزال المغرب عما حوله من بلدان العالم المتحضر، لأن تلك العناصر الجغرافية قديمة قدم المغرب، ولم تحل في الماضي دون اجتياز أمواج البحار العاتية، أو

اختراق رمال الصحراء الرمضاء، أو سلوك الجبال العالية، ليمد حدوده الشمالية إلى شمالي شبه الجزيرة الإيبيرية، والجنوبية إلى دواخل القارة السمراء، والشرقية إلى حدود ليبيا. ولكن سر العزلة ـ في رأينا ـ يكمن فيما يمكن أن نسميه عقدة الخوف من التسرب الأجنبي، ذلك التسرب الذي بدأ في وقت مبكر، وتعزز في سنة 1830 م عند ما غزت فرنسا القطر الجزائري المجاور، وعدته إحدى مقاطعاتها الوطنية، وفي سنة 1880 م حينما حط المستعمرون الفرنسيون رحالهم في رحاب القطر التونسي الشقيق... حينئذ بقي المغرب ـ وهو القطر المستقل الوحيد في شمالي إفريقية ـ كالثور الأبلق، يشار إليه بالبنان، بل صار بؤرة تركزت حولها أشعة الشهية والغيرة والمنافسة المكشوفة غير البريئة.

اعتلى مولاي الحسن الأول عرش آبائه المنعمين، فوجد المملكة تعاني من مصاعب ومشكلات أعقد من ذنب الضب، وكانت هذه المشكلات وليدة اثنتين :

1 ـ العزلة غير الطبيعية التي فرضها المغاربة على أنفسهم بدافع التطهر والتزمت، وبحجة تفادي التسرب الأجنبي.

2 ـ المطامع الأوروبية التي كانت تصبو إلى جعل المغرب ضمن دائرة نفوذها واستغلالها واستعمارها.

ولكن مولاي الحسن الأول، المتحلى بالشهامة والشجاعة والحنكة السياسية وطول الأناة، قبل التحدي بصدر رحب، كما قبل المبايعة وتحمل مسئولياتها عن طيب خاطر، وتصدى لمواجهة المصاعب وترويضها وتذليلها والتغلب عليها، سواء كانت نابعة من المطامع الأجنبية أو صادرة عن العزلة التي فرضها المغاربة على أنفسهم، فشرع يخطط لجهاده الأكبر، وينفذ مشاريعه بنجاح ملحوظ :

توطيد الوحدة الوطنية : أول شيء قام به مولاي الحسن الأول هو تمتين دعائم الوحدة الوطني، وتوفير الأمن للبلاد والعباد، وقمع بوادر الفتنة والتمرد أينما لاحت. وقد نجح العاهل الكريم في قمع ثورات انبعت على أيدي رؤوس فتنة غررت بهم كبرياؤهم فحالت دون مبايعتهم، أو زين لهم شيطانهم روح العصيان فحال دون مطاوعتهم للحق، ورضوخهم لواجب المواطنة، وواجب الشرع الحنيف الآمر بإطاعة الله والرسول وأولى الأمر.

تفقد أحوال البلاد : لتحقيق هذا الغرض قام مولاي الحسن الأول بعدة رحلات متتالية تجشم فيها ـ نسبيا ـ وعثاء السفر الطويل العريض، فزار أقاليم مملكته من أدناها إلى أقصاها متفقدا أحوالها، ومزودا إياها بما تحتاج إليه من مؤسسات الدفاع من أبراج ومعاقل وحصون، ومن مؤسسات اجتماعية نافعة، ومحييا صلة الوصل والود والولاء التي تجمعه ورعاياه الأوفياء، ويكنه له الأشراف والعلماء والمرابطون والوجهاء، ومشجعا للجميع على التيقظ والتحرز والاحتياط المتواصل.



احتفال عائلي بالذكرى المئوية لزيارة تطوان. وإصدار هذا الظهير الشريف.

ومن رحلاته الجليلة تلك التي قام بها إلى الشمال أواخر سنة 1306 وأوائل السنة التالية، ولا يزال أبناء الشمال يذكرونها بكامل الفخر والاعتزاز، ويحتفلون بحلول ذكراها المئوية الأولى.

تعزيز الاقتصاد الوطني : ومن ذلك التعزيز، إصدار عملة حسنية فضية وبرونزية بأعداد كبيرة تفي بحاجات المواطنين، وتنافس بعض العملات الأجنبية التي كانت تروج في الأسواق المالية إلى جانب العملة الوطنية. ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن العملة الحسنية ظلت تروج بالشمال إلى قيام الحرب العالمية الثانية، حينئذ جمعت من شمال المملكة، واستعيض عنها بالعملة الورقية والبرونزية من البسيطة الإسبانية.

ومن أوجه تعزيز الاقتصاد الوطني البحث عن المعادن. وفعلا تم اكتشاف معادن في عدة نواح من المغرب، ولكن الكثير منها لم يتم استغلاله أو تصنيعه لعدة عوامل أهمها عدم توافر الخبرة الوطنية، وعدم توافر المال. وبما أن الدول والشركات الأجنبية كانتا تتكفلان بالقرض والتمويل والإنجاز، فإن العاهل ورجال دولته توجسوا خيفة منهما.

تنظيم شؤون الدفاع : مما شغل بال مولاي الحسن الأول العمل على زيادة تحصين البلاد، وتحديث أسلحة الدفاع، وتحسين تداريب الجيش، لتبقى هيبة البلاد محفوظة مصونة في الداخل والخارج. ومما يدخل في نطاق تحسين الدفاع، إنشاء مصنع حربي بفاس لتوفير السلاح والذخيرة للجند، ثم بعث بعثات عسكرية إلى بعض الدول الأوروبية بقصد تخريج ضباط ومهندسين عسكريين أكفاء.

بعث البعثات العلمية : من أهم وجوه الإصلاح التي قام بها مولاي الحسن الأول، إرساله البعثات العلمية إلى بعض دول أوروبا، بغية الاعتراف من ينابيع العلم الحديث، وتخريج طلبة مغاربة أكفاء في مختلف العلوم والفنون، والاستغناء - ولو بعض الشيء - عن خدمات الأجانب التي تكلف الخزينة العامة الشيء الكثير. وكانت هذه البعثات العلمية تفي بالأغراض المطلوبة منها لو توافرت لها شروط :

أ - استكمال التثقيف العام الذي يسبق التخصص، قبل أن تتوجه إلى استكمال دراساتها العليا في أوروبا.

ب - المكوث في أوروبا مدة أطول، حتى تستكمل دراساتها وتنال شهاداتها العليا المطلوبة.

جـ - ضمان مستقبل أعضاء البعثات الناجحين العائدين، بتوفير وظائف مناسبة لتخصصاتهم، فبتوافر هذه الشروط كان يمكن للبلاد أن تنتفع بجهود العائدين وخدماتهم على وجه مرض.

سن الرشد : وتتم مشاريع مولاي الحسن الأول من عمرها الواحدة والعشرين، وهي سن الرشد لدى الأفراد، وكان من الممكن - في هذه السن - أن تؤتي المشاريع أكلها الطيب، ولكن الأجل المحتوم حال دون ذلك، إذ فاجأته المنية وهو في رحلته ما قبل الأخيرة للتوجه إلى رحلته الخالدة إلى العالم الآخر، عالم الطهر والخلاص من أعباء الدنيا الكنود. نور الله ضريحه وقدس روحه، وأسكنه فسيح جناته، وأطال عمر حفيده وسميه مولاي الحسن الثاني ونصره وأيده وسدد خطاه، وحفظه وحفظ قرة عينه وولي عهده سمو الأمير مولاي محمد، وصنوه مولاي رشيد وسائر الأمراء بما حفظ به الذكر الحكيم، إنه سميع الدعاء قريب مجيب.

تطوان : د. عبد الله العمراني

محمد الخامس
رائد التحرير والتوحيد

للدكتور
يوسف الكتاني

كلما تقدمت الأعوام وتعاقبت الأيام إلا وبان أثر السياسة الحكيمة، والمرامي البعيدة والمبادئ الثابتة، والتخطيط الهادف الذي رسمه محمد الخامس رحمه الله، لتحرير وطنه المغرب وتوحيده، ولدفع إفريقيا والعالمين العربي والإسلامي للثورة على الاستعمار والتخلص من الاستعباد، من أجل التحرر الكامل، والاستقلال الشامل، والوحدة الجامعة :

ولذلك ينفرد هذا الملك العظيم من بين ملوك الدولة العلوية وسلاطينها وأمرائها ملكا رائدا وقائدا محررا، جبلت نفسه الأبية وروحه الكريمة على حب الحرية وعشقها، والجهاد من أجلها، والتضحية بكل غال ونفيس في سبيلها، والدعوة إليها بالقول والعمل في السر والعلن، وهومن أجل ذلك لم يكد يتسلم زمام أمور الأمة، ويتخلص من البطانة التي أحاطت به مدة الوصاية محاولة صرفه عن غايته وهدفه، حتى أعلن بوضوح وجلاء عما تجيش به نفسه ويمتلئ به خاطره، من آمال وأماني لتحرير وطنه واستقلال بلاده.

فقد كان محمد الخامس ـ رحمه الله ـ يؤمن ويوقن منذ البداية وقد رأى وشاهد ما آل إليه وطنه، وعلى أية حال أصبحت عليها أمته، من ظلم واستعباد، وفاقة وحرمان، بأن هذا الشعب لا يمكنه أن ينهض من كبوته، أو ينتبه من غفلته، وهو مقيد بأغلال الحماية، مكبل بقيود الاستعمار، ولن يجديه أي إصلاح، ولن يفيده أي ترميم، ولا صلاح لأمته ولا فلاح لها إلا بالحرية، حرية الوطن من الاستعمار، وحرية المواطن من الظلم والاستعباد، وحرية الفكر من الدجل والجهل.

وإن الدارس المدقق المحقق لحياة هذا الرائد العظيم منذ أن بويع ملكا على المغرب، وسنه لا تتعدى السادسة عشرة، يلاحظ جليا أنه كان من أكبر رواد الحرية ودعاتها، وأنه كان يصدر في كل تصرفاته، ومواقفه وقراراته منذ البدء، كان يصدر عن مبدإ ثابت لا يزيغ عنه ولا يحيد، وهو تعلقه بالحرية، وإيمانه الراسخ بها، ودعوته وجهاده الدائم من أجل استقلال شعبه وأمته، بل ومن أجل تحرير المظلومين والمضطهدين والمستعبدين، في كل مكان في العالم أجمع، فلنستمع إليه في أول نطق ملكي له بمجرد مبايعته واعتلائه عرش المغرب، حيث قال مخاطبا أمته سنة 1927 : «إن الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا، لا من أجل تنمية سعادته المادية وحدها، ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري، يكون متلائما مع احترام عقيدته، ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في

الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة». لقد آمن محمد الخامس منذ أول ممارسته لمهامه، أن الاستعمار يقف حجر عثرة في وجه شعبه، ويضع شتى العراقيل في طريقه، ليبقيه مستعبدا مضطهدا جاهلا خاملا، ولذلك بدأ يعمل في صمت، ويخطط في هدوء لتحرر الإنسان في بلاده، تحرير عقله وفكره أولا، ثم تحرير عيشه ومجتمعه ثانيا. لقد آمن بأن سبيل التحرر الكامل والاستقلال الشامل هو تحرر الفكر المغربي، من الجهالة والضلالة، وأن تحرر الفرد من الجهل، هو أعظم أنواع التحرر، وأنه أقصر طريق نحو الحرية والاستقلال، وهو من أجل ذلك نادى بفتح المدارس وإنشاء المعاهد، وأغرى شعبه ومواطنيه، بالإقبال على التعلم والتعليم، والجد في التحصيل، كي يعرف المواطنون حقوقهم، وواجباتهم، وليكونوا أكثر وعيا وأقوى شكيمة في الدفاع عن أنفسهم وبلادهم، وخوض معركة الجهاد والنضال بوعي وتفهم وإدراك.

وقد خاطب شعبه وأمته في إحدى المواسم الثقافية بقوله :

«لقد اتفق العقل والدين على أهمية المعرفة لتقدم البشرية وتطورها، إذ الإنسان لا يكون - في نظرهما - كاملا إلا إذا زالت عن بصيرته غشاوة الجهل، المانعة من التمييز بين ما يضر وما ينفع، فاستفاد من موهبة التفكير الحي بها عن باقي المخلوقات، ما يجعله قادرا على أن يغمر بالسعادة هذه الأكوان التي سخرها الله له».

ولذلك بدأ بنفسه وبأسرته، فعلم أبناءه الأمراء والأميرات على السواء، وثقف عقولهم وحرر أفكارهم كأحسن ما تكون الثقافة، ورباهم تربية إسلامية صحيحة كأحسن ما تكون التربية، وجعلهم مثالا حسنا ونموذجا رائعا يحتذي بهم الشباب من أبناء وطنه، وأخذ يؤسس المعاهد وينشئ المدارس من ماله الخاص، ويدعو الشعب إلى التسابق إلى بنائها وتأسيسها والإقبال عليها، ويسميها باسمه وبأسماء الأمراء والأميرات، ويدشنها تارة بنفسه وأخرى بواسطة أنجاله، فقامت في طول البلاد وعرضها مؤسسات تعليمية، ومعاهد عظيمة كانت أساسا للوعي الشامل والنور الساطع الذي عم أرجاء الوطن، وكانت سببا ونتيجة لما جناه الوطن من خير وتقدم وانتصار.

وقد اغتنم محمد الخامس فرصة زيارته التاريخية لطنجة سنة 1947، فقدم أبناءه الأمراء والأميرات للشعب والعالم أجمع كخطباء ودعاة للحرية والجهاد، وما زالت خطب الأمير مولاي الحسن، وخطب الأميرة عائشة باللغات الثلاث شاهدا حيا، ومثالا يقتدى قائما على مر التاريخ والأجيال.

لقد رمى محمد الخامس من تعليم الأميرات وتقديمهن إلى الشعب في مجال الخطابة والتعليم والرعاية الصحية والشؤون الاجتماعية وغيرها، لتقتدي بهن الفتاة المغربية والأسر الوطنية في تعليم بناتها وتثقيفهن، ودفعهن في مجال الحياة ليشاركن في معركة الحرية والكفاح وبناء الاستقلال، علما منه - رحمه الله - بأن العنصر النسوي نصف المجتمع، ولا صلاح لأي مجتمع بدون تعليم المرأة وتهذيبها وتثقيفها، وبذلك سجل ريادته لتحرير المرأة في وطنه وتعليمها.

ولما كان هدف محمد الخامس تحرير بلاده تحريرا شموليا فكريا واجتماعيا وسياسيا، فقد تابع نضاله وجهاده وعمل من أجل ذلك سواء ضد المستعمر أو مع من يرى ويلمس فيه مساعدته من أجل غايته وهدفه، ولذلك كان يغتنم الفرص ويتحين المناسبات بكل الوسائل. للخروج ببلاده من حالة الحجر والاستعباد إلى حياة الحرية والكرامة، ولم ييأس أبدا وهو يناضل ويجاهد عندما يقابل من طرف أعدائه بالجحود والاعراض والمناورات، بل كان يتابع سيره في ثبات الصالحين وصبر المؤمنين. وهكذا نراه سنة 1943 يغتنم فرصة اجتماعه بالأقطاب في مؤتمر «أنفا» التاريخي، ويحدث ضيفيه عن آماله وآمال بلاده، وحقها في الحرية والاستقلال لتصبح مثل بقية الدول الحرة الديمقراطية، ويعلن لهم عدم رضاه وعدم رضى شعبه عن حالة الذل والعبودية التي كان عليها، ولم يزل كذلك مع مضيفيه يقنعهم ويدافع عن حق بلاده، حتى حصل منهم على وعد بالوقوف إلى جانبه وتحقيق مطمحه، ولم تكن

عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944 إلا ترجمة لآماله وآمال أمته، وإعلانا مكتوبا لما عبر عنه للأقطاب في مؤتمر «أنفا» التاريخي.

ثم جاءت رحلته التاريخية إلى طنجة سنة 1947 لتكون امتدادا لعمله العظيم من أجل الحرية والاستقلال، وتركيزا له، وإعلانا للعالم أجمع في خطابه التاريخي الذي هز كيان الأمة وأكد أهدافها، وكان له صداه في الداخل والخارج.

كما كانت رحلته المنظمة إلى فرنسا عقب ذلك سنة 1950، لمفاوضة رئيسها وقادتها، وتأكيد حق بلاده في الحرية والكرامة، وأصراره على حملها على الرضوخ إلى مطالب الأمة، ورغبتها الأكيدة في العيش الكريم تحت ظلال الحكم الديمقراطي، وقد سجل موقفه هذا في خطاب العرش بقوله :

«ولم يكن قط هدفنا من المحادثات السياسية التي أجريناها بفرنسا، أن نظفر لتقوية سلطتنا لغاية شخصية، وإنما قصدنا بمساعينا وجهودنا صالح البلاد ورقيها وتقدمها، ولم يغب عنا لحظة واحدة أن أفضل حكم ينبغي أن تعيش في ظله بلاد تتمتع بسيادتها وتمارس شؤونها بنفسها، هو الحكم الديمقراطي الذي تقوم عليه الدول المعاصرة والذي يوافق مبادئ ديننا الحر، ويضمن للأفراد والجماعات حياة الطمأنينة والاستقرار. وإننا على مبدئنا ثابتين، وفي تحقيقه جادين، إيمانامنا بأن هذا النظام هو الذي يكفل لرعايانا ما يمكن من حرية وعدل وكرامة».

لقد كان في ميسور محمد الخامس أن يساير الوضع، ويرضى بالسلطان المزيف، والأبهة الفارغة، ويخلد إلى الراحة والدعة، ويتمتع بالطيبات من الحياة، ولكن نفسه الأبية التواقة إلى الكرامة، المتعلقة بالحرية، الطامحة دوما إلى الأعلى والأسمى والأنفس، أبت عليه ذلك، فآثر المصالح القومية على المصالح الشخصية، وفضل العناد والجهاد في سبيل حقوق بلاده وكرامتها، وآثر النفي والسجن على البذخ والنعيم، وقد كان موقفه الثابت وصموده الرائع. هو الذي وحد الحركة الوطنية وراءه، وجمع صفوف الأمة وشتاتها، وبعث فيها القوة والعزة، والشجاعة والحماسة، للوقوف صفا واحدا متراصا في وجه عدوها ومستعمرها، والقضاء على كيد الكائدين، وطمع الطامعين وشك المتشككين. وظل كذلك مخلصا للكفاح الوطني، وفيا للمثل العليا، متشبثا بمبدإ الحرية وروحها، داعيا شعبه إلى الاستمرار في النضال والكفاح، متمسكا بالصبر والثبات إلى أن يحقق الله النصر قائلا :

«فلنجد إذن في العمل، ولنتابع في يقين وثبات المطالبة، جاهرين بتمكيننا من حقوقنا المشروعة، الجلية البينة، فإذا كان ضياع الحق في سكوت أهله عنه، فما ضاع حق من ورائه طالب».

وكلما اشتد سعار المستعمرين وزاد إذا هم وظلمهم للشعب وقائده، ازداد هذا القائد العظيم ثباتا على المبدإ وتعلقا بالغاية، لا يخيفه توعد أو وعيد، ولا يثني عزيمته بطش ولا تهديد، ولا تغريه مساومة عن حق بلاده ورغبتها في العيش الكريم، حتى إذا هدد بالعزل والنفي والتشريد والتعذيب، اثر حياة النفي عزيزا كريما على حياة البذخ والنعيم في ظل العبودية والظلم، وكان موقفه هذا هو الوقود الذي ألهب حماس الشعب من أجل الحرية، والفتيل الذي فجر الموقف ضد الاستعمار، فغدت الأمة كلها بعد نفيه، جيشا واحد وصفا واحداً ويدا واحدة، تناضل وتقاتل في ثبات وصبر وراء رمزها القومي ورائدها التحرري، ولم يفت في عضدها حديد ولانار ولا تهديد أو تقتيل، حتى حقق الله للشعب ما كان ينشده، وللرائد ما كان يناضل ويجاهد من أجله، واضطر الاستعمار مرغما مكرها إلى النزول عند رغبة الأمة، والرضوخ إلى إرادة الرائد العظيم، فكان محمد الخامس ومن ورائه شعبه المتشبت به هو الذي أرغم الاستعمار على التخلي عن الحماية، والاقرار باستقلال البلاد، والاعتراف بحريتها وسيادتها. وإليه وإلى خلفه العظيم يرجع الفضل في توحيد الشمال والجنوب، واسترجاع بقية المناطق المغتصبة تباعا بعد ذلك، وهو الذي أقنع الرئيس إيزنهاور بدهائه وحكمته عند ما زار المغرب سنة 1959، بالموافقة على إجلاء القواعد الجوية الأمريكية عن بلادنا. وعندما عاد إلى وطنه منصورا مظفرا، لم تبطره النعمة ولم يرض بما حصل عليه المغرب، بل كانت آماله

عراضا ومراميه بعيدة، فقد كان هدف الاستقلال عنده يعني ثورة اجتماعية واسعة تشمل طبقات الأمة جميعا، لتحرر المواطنين من آلام البؤس وظلام الجهل، وترفع مستوى العمال والفلاحين، وترفع عنهم كابوس الحرمان، وإلا كان الاستقلال مشلولا ناقصا.

وها هو في أوائل الاستقلال سنة 1956 يخاطب مواطنيه وينبههم ويحدد لهم هدف الاستقلال، ليتبينوه ويعملوا من أجله إذ قال :

«يجب أن يفهم من الاستقلال أنه توطئة لثورة اجتماعية واسعة النطاق، تتناول جميع طبقات الأمة، وتعني بصفة خاصة برفع مستوى الطبقة العاملة التي تكون السواد الأعظم، وتفسح المجال أمام المكتوين بنيران البؤس والحرمان، ليتذوقوا عيشة راضية، ويحيوا حياة مطمئنة، ولا نرتاب في أن الاستقلال الذي لا تعقبه هذه الثورة هو استقلال أشل، بعيد كل البعد عن أن يؤدى ما أراده منه أبناء الشعب، وما علقوا عليه من آمال...».

ولم يكن مفهومه لحرية البلاد واستقلالها مفهوما ضيقا، يقف عند جلاء المستعمرين عن بعض المناطق دون بعض، بل ظل دائما يعلن ويصرح وينادي بأن الحرية تعني بالنسبة إليه استقلال كل أجزاء الوطن، وتوحيدها في إطار المغرب الموحد القوي، كما كان دائما وطوال تاريخه.

وقد أكد موقفه هذا أمام رئيس جمهورية فرنسا، عندما بدأت المفاوضات بين الوفدين المغربي والفرنسي سنة 1956 حيث قال :

«ونريد أن نصرح علانية أنه لا توجد بالنسبة إلينا أية حرية جديرة بهذا الاسم ومقبولة، إلا في دائرة وحدة التراب القومي، وعدم قبول أية تجزئة فيه».

كما كانت الحرية عنده تعني حرية الفرد وتمتعه بجميع حقوقه، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وليست هي حرية الحاكم وحده، بل لابد أن تشمل الأفراد والجماعات على السواء، ليتمتعوا بحقوقهم سواسية، كما نادى بذلك في خطاب العرش في السنة الثانية والثلاثين لجلوسه قال : «أما في الميدان الداخلي فقد كانت السياسة التي رسمناها نحن وحكومتنا، تستهدف دائما ضمان العدل للمواطنين، وتمتيعهم بكل الحريات، وإشراكهم في حمل المسؤوليات، وتشييد مجتمع راق يعيش أفراده متضامنين، ويعملون متعاونين، وينعمون بعدالة اجتماعية، ومستوى مادي ومعنوي رفيع تتفتح به مواهبهم».

ولم يقف حبه للحرية وجهاده من أجلها عند حدود بلاده، بل شملت الأشقاء والجيران، وكذا القارة السمراء بأكملها، ولذلك أعلن مرارا وتكرارا أنه يعتبر أن بقاء الجزائر مستعبدة مقيدة تهديد لحريتنا واستقلالنا، لأن حريتها من حريتنا، واستقلالنا لا يتم إلا باستقلالها، بل يذهب أبعد من ذلك ويعتبر قضية تحرير الجزائر قضية حياة أو موت بالنسبة للمغرب، وإن استقلالها هو الضمانة الكبرى لحرية واستقلال المغرب العربي وإفريقيا، وفي ذلك يقول في يوم التضامن مع الشعب الجزائري الشقيق في أكتوبر سنة 1960 :

«بل نحن في هذا الطور الحاسم من كفاح الجزائر مصممون العزم على مواصلة التأييد لجهادها، والدفاع عن قضيتها في كل مكان، ولو كلفنا ذلك أغلى التضحيات، لأن قضية تحرر الجزائر قضية حياة أو موت بالنسبة لنا، إذ هو الضمانة الكبرى لاستقلال بلدنا، ووحدة المغرب العربي، وحرية القارة الإفريقية جمعاء».

وكم تحمل ـ رحمه الله ـ هو وشعبه من أنواع المعاناة ومكائد الاستعمار، وكم تعرضت له بلاده من المخاطر والمساومات، كل ذلك من أجل أن يترك قضية الجزائر ويتخلى عن المجاهدين، ولكنه أبى وأصر على موقفه الخالد، إلى أن تحقق النصر للشعب الجزائري الشقيق.

وكما حقق محمد الخامس الحرية والاستقلال لبلاده وشعبه، وساهم بقوة وإصرار في تحرير واستقلال جيرانه وأشقائه، أراد أن تشع شمس الحرية على قارتنا الإفريقية أيضا، وأن تشمل أرجاءها روح الثورة والكرامة والعزة، حتى تتحرر شعوبها من الظلم والاستعباد، ومن أجل ذلك أخذ يعمل ويعلن منذ سنوات الاستقلال الأولى للمغرب، بأن استقلالنا سيظل ناقصا ومهددا إلى أن تتحرر إفريقيا كلها، ويخرج الاستعمار منها إلى الأبد، وقد أكد أن كفاح

المغرب مستمر ونضاله دائم، ولن يهدأ له بال أو ينعم بحياة حتى تستكمل إفريقيا حريتها ويتم استقلالها : «والمغرب قطر إفريقي تفرض عليه روابط الجوار، وتداخل المنافع، وتشابه الأهداف، أن يهتم بأحوال جاراته الإفريقية، ويعمل بكل ما يطيق لتحقيق تحررها». وما فتئ - رحمه الله - يتصل برؤساء إفريقيا وقادتها وزعمائها، من أجل توحيد الخطط لرسم سياسة إفريقية مشتركة متحررة، كما سعى بالغ السعي لوضع ميثاق إفريقي، وجمع الدول الإفريقية المستقلة تحت لواء منظمة واحدة، تدافع عن كيان إفريقيا، وتوحد صفوفها، وتبلور عملها، وتفرض كلمتها، وهيبتها في الميدان الدولي.

وما زال على دأبه وعمله وكفاحه حتى حقق الله له غايته، وبلغه أمنيته، فانعقد في رحاب المملكة أول مؤتمر إفريقي سنة 1960 عرف «بمؤتمر الدار البيضاء» والذي وضع الميثاق الإفريقي، وساهم في تحرير بقية شعوبها، ورسم المناهج الواضحة لافريقيا الجديدة المستقلة المتحررة وكان الأساس القوي الذي قامت عليه منظمة الوحدة الإفريقية، ومازال شعوب إفريقيا وقادتها إلى اليوم يدينون له بهذا العمل العظيم، ويعتبرون ما وصلت إليه إفريقيا اليوم نتيجة من نتائج كفاحه ونضاله.

وقد سجل خطابه الافتتاحي لمؤتمر الدار البيضاء آماله الكبيرة وأمانيه في تحرير إفريقيا واستقلالها، وإحلالها المكانة اللائقة بها كقارة فتية قوية حيث قال :

«إذا كانت الأقدار أتاحت للدول الإفريقية المجتمعة في هذا المؤتمر السبق إلى الاستقلال والحرية فإنه دين عليها أن تخطط المساعدة إلى الشعوب الإفريقية الأخرى، حتى تتمتع بنفس الحرية والاستقلال، وحتم عليها أن تخط من الآن المناهج الواضحة التي ينبغي لإفريقيا الجديدة أن تسلكها، والسياسة التي يحسن أن تتبعها، فلا ينبغي أن تعالج مواضع هذا المؤتمر على أساس الاعتبارات الخاصة بالدول المشاركة فيه فحسب، بل على الاعتبارات العامة والمصالح العليا لإفريقيا».

وبعد، فقد كان محمد الخامس محررا عظيما وزعيما رائدا، لا بالنسبة للمغرب فحسب. أولا فريقيا وحدها، بل للعالم أجمع، فقد كان رائد التحرر والاستقلال لبلاده، وكان رائد تحرير المرأة فيها، ورائد تحرر الشعب من الجهل والخوف والحاجة، وكان رائد توحيد وطنه وبنائه.

كما كان رائدا إفريقيا عظيما، كافح من أجل جمع شمل شعوبها وتوحيدها، وتأسيس أول منظمة فيها، ووضع أول ميثاق إفريقي لاستكمال تحريرها وتوحيد صفوفها.

كما كان رائدا من أعظم رواد الحرية في هذا العصر، ومازالت قراراته ومواقفه وأقواله وأفعاله في هذا المجال، شاهدا ثابتا وأية قائمة.

فإذا اعتبره الشعب المغربي أباه وزعيمه وقائده وباني استقلاله، والمهندس الأعظم لتحريره، ورمزه القومي الخالد، فقد كان مصيبا وموفقا، وما عليه اليوم إلا أن يتابع طريقه وسيرته، ويبقى مخلصا ثابتا على مبادئه وأفكاره، وإخلاصه ومبايعته لخلفه العظيم الحسن الثاني نصره الله.

الرباط : د. يوسف الكتاني

الإختيار الحسني في معركة الإصلاح

للأستاذ زين العابدين الكتاني

«...إن التصوف الإسلامي بنقائه وصفائه كفيل أن يسهم الإسهام الكبير في إصلاح أحوال المسلمين».

الحسن الثاني

مما لا جدال فيه أن الصورة الحقيقية التي تطبع الآفاق المستقبلية للمغرب الجديد، تكمن بالدرجة الأولى إلى اختيارات أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أعز الله أمره ونصره. والتي ترتكز على العمل، والعمل الإسلامي بالذات، على مختلف الجبهات لتجديد أمر دينها، وتجديد وتنشيط معالم دورتها الحضارية، باعتباره القائد الرائد... الذي يضطلع برسالة مقدسة، ويحمي حمى الملة والدين لأمته ولرسالتها الخالدة في كل مكان... بالحكمة والموعظة الحسنة، والحوار بالتي هي أحسن، مما أبرز عالمية آفاقه، وبوأته هذه العالمية، فأصبحت ترى في شخصه رمزا للمفكر المسلم الذي يجاهر باعتزازه بالانتساب إلى هذه المدرسة العريقة والتي تنتمي إليها كل مدارس الفكر في العالم، اعترف بذلك أم لم يعترف غيرنا...

☆☆☆

وهكذا، فلقد دأبت في كل الأحاديث والدراسات التي هيأتها أو شاركت بها في مثل هذه المناسبات الوطنية وخصوصا مناسبة عيد العرش المجيد منذ سنة 1960 إلى الدعوة للكشف عن أبعاد المشرع في اختيار الاحتفال بهذه الذكريات الوطنية بالصورة والاختيار الذي ارتكزت عليه وأصبح معمولا به[1].

ولذلك بقيت أدعو إلى أن هذه المناسبات تدعونا، بل توجب على المواطن الواعي أن يأخذ لحظة تدبر وتقييم لخطوات الاختيار في بلادنا الذي يبنى ويتحدى في صمت، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، أو عندما أصبح هذا الاختيار شعارا للعهد الذي يتحدى في خطواته بالواقع والتعقل، وفي هدفه بالحرية والوضوح وفي رسالته بالمواجهة من أجل الخلاص والوحدة.

والتدبر - كما أرى - ينطلق فقط من الوضوح في التفكير، والإخلاص في الرؤيا، أما التقييم فيعتمد على الرؤيا الواضحة، والصدق في تركيب العملية الحسابية، والمقارنة الزمنية، وإخلاص القصد، ولو من أجل المعارضة أو الملاحظة البناءة... ما دامت قد اختارت التوازن، وكسب الرهان، في عالم يعيه المواطنون على مختلف المواجهات في عمق، وتؤكد بلادنا في كل معركة أنها تنطلق من اختيارها المضبوط، المتواصلة الخطوات مما أصبح محط اهتمام الدول التي تؤمن بالحرية، أو التي لم

1) انظر مجموعة مجلة دعوة الحق وجريدة الأنباء اليومية بالخصوص.

تجد سبيلا إلى تركيز اختياراتها المنطلقة من نظام الحزب الواحد، أو تبعيتها لأنظمة تخاف من الحرية والمنطلق السليم، فتركب شعارات المعارضة فقط من أجل أن تمس إحساسات الذين يعيشون حياري من عنف التطور الذي غالبا ما يتسم ببعض العوامل النفسية، عند بعض المتخلفين نفسيا وراء الاطماع البعيدة عن ركب الجماعة، أو بعض الانتهازيين من أحفاد العملاء والاستغلاليين الذين همهم الوحيد هو استغلال الشعوب، وظروف المراحل الانتقالية التي يعيشونها فيستهدفون بذلك الإساءة للجماعة بصورة أو بأخرى.

☆ ☆ ☆

ومن هذه المعطيات نلمس نوع الصراع الذي أصبح يعيش مع نفسه، فأصبح المواطن الآن وفي إطار الإحساس بأهمية الجماعة يجد في هذه المناسبات الوطنية فرصة :

أ - لمواجهة الخصوم والمتسلطين، ثم لمناقشة معطيات كل الشعارات، والدور الذي يعمل من أجله كل هؤلاء.

ب - ثم مدى صلة هذه الشعارات، وهذا الدور، بأصالة الوطن وإيمانه.

ج - وما هي مصلحته للخروج من المراحل الانتقالية بما يحيط بها أيضا، وما يضمن له اللحاق بنهضته المنشودة... وهو ما كنت أستهدف بالدعوة إليه وهو التقييم فقط الذي يعتمد على الوضوح والصدق في تركيب العملية الحسابية، والمقارنة الزمنية ومعطياتها، وإخلاص القصد ولو من أجل المعارضة أو الملاحظة البناءة في هذا الجدل... وهذا في الحقيقة والواقع ما يدعو إليه القائد الرائد وهو يخاطب أمة التحدي بقوله :

«...إن العمل الذي نحن مقبلون عليه، هو عمل ثوري بكل ما في الكلمة من معنى حقيقي...»[2].

☆ ☆ ☆

ومن هذا المنطلق الواضح نتناول في هذه الدراسة الخاصة «جوانب من معركة الحسن الثاني الإصلاحية» انطلاقا من أول محاضرات ألقاها في بداية عهد الاستقلال.

وهكذا فلم تكن المحاضرات التي ألقاها صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله وهو وليا للعهد[3] اختيارا من أجل إلقاء محاضرة، أو المشاركة في مناقشة موضوعات معينة، ولكن هذا الاختيار أوضح أهدافه القريبة والبعيدة وجلالته يشارك علماء المغرب بعد ذلك في حلقات الدروس الحسنية بمواضيع اختار مواضيعها وأسلوب طرحها بالصورة التي يراها تجديدا للفكر المغربي الصاعد، وانطلاقا لبعث التفكير القرآني في المغرب الجديد.

☆ ☆ ☆

وإذا كنت قد اخترت في هذه الدراسة الاختيار الدقيق كجانب من جوانب الانطلاق بالمغرب الجديد، فمرجع ذلك في العمق يرتكز على الأسلوب العلمي المحدد الأهداف، والمرامي والأبعاد... التي استهدفها في خطواته الأولى في كل المجالات على منهج الوسط الذي يحدد من خلالها جوانب من الفلسفة الفكرية الإصلاحية.

ولا يعني هذا الأسلوب أو التحديد أن الأسلوب العلمي كان ينعدم من قبل، ولكن بزوغ العهد الحسني قد إقترن بوضع تخطيط مدقق للخطوات المرسومة التي قطعها المغرب منذ الفرحة الكبرى... في سنة 1956.

وإذا كان هذا الأسلوب أو التحديد قد ارتكز مكرسا كل مجهوداته وأهدافه ومراميه منذ البداية لوضع نقط توازن بين مختلف الاتجاهات وبين أسلوب العمل الذي اختاره العهد الحسني مسبقا لضمان الاستقرار، وتكافؤ الفرص، وخلق المواطن المغربي الحر... الشاعر بالحرية في أوضح صورها، العامل من أجل حماية هذه الحرية وهذا الأسلوب ورعايتها لأنهما الضمان الأساسي للاستمرار من جهة، ولحماية الوحدة المغربية المقدسة من جهة أخرى. في إطار

---

2) انظر مجلة (دعوة الحق) عدد : مارس 1984 (الاختيار الحسني).
3) أ) (البطالة أسبابها وعلاجها) في أبريل 1957.
ب) (الضمير الاجتماعي) في أبريل 1957.
ج) (اتجاه المغرب الحياد) في أبريل 1957.
د) (الديمقراطية التي تحكم الشعب) في مايو 1957.

المدرسة المغربية الأصيلة التي تـزخر كل الاتجاهات العلمية والفلسفية في إطار هذه المدرسة.

ولقد اقترن ظهور أسلوب التفكير العلمي في المغرب الجديد بظهور :

- تحديد علمي لكل الخطوات التي أصبح المغرب يخطوها في مختلف المجالات التي تنتظره وهو يعدو راكضا نحو اللحاق بأمجاده... نحو آفاق الغد الأفضل الذي يترأى أمامه، بل والوقوف في صف الدول التي اكتمل خلاصها ونموها للسير إلى الإمام.

وعندما أخذ المغرب يبلور أعماله اليومية في التخطيطات العلمية والتصميمات التي تضمن نجاح الخطوات التي يتطلبها مستقبل البلاد، وتحقيق رغباتها في تجاوز مراحل النمو والقضاء على التخلف نهائيا، تأكيدا للمراقب والمترقب مدى صلاحية اتجاه الاختيار الجديد، وقدرته على تحقيق الرغبات الشعبية في كثير من المجالات... باعتبار الشعب المغربي كما قال صاحب الجلالة : «شعبا قوي الإحساس، كثير النشاط، شديد الاهتمام بالمشاكل التي تواجهه، والصعاب التي تعترضه، ولأنه شعب يقظ ذو ماض مجيد، تواق إلى بعث أمجاده وأحياء عظمته، وتشييد صرح النهضة الاقتصادية والاجتماعية وتحقيق تقدم صناعي وتقني يضمن لأبنائه السعادة وزيادة المجد والفخار[4].

ونفس هذا التفكير الواضح هو الذي يبرز الأسلوب الذي يميز العهد الحسني في النواحي الأساسية وهي :

- بلورة التفكير العلمي ويتجلى ذلك في : استمرار تتميم مرافق الجامعة المغربية، والبحث عن أسلوب الدراسة المختار... الذي يضمن تحقيق التخطيطات الواضحة في مختلف المجالات.

- خلق التعليم الفلاحي... باعتبار «الفلاحة كما قال جلالة الملك هي ثروتنا الوطنية الأولى، والتي أكثرية سكان مملكتنا يقتاتون منها، ويجب أن يستهدف التعليم في جملة ما يستهدف تكوين الطفل المغربي تكوينا يجعله وثيق الصلة بشؤون الفلاحة، وأن تحظى الفلاحة بالعناية في جميع مراحله، وأن ترمي البرامج والمناهج إلى تحقيق هذه الغاية[5].

وهذا ليس اتجاها حكوميا بل اختيار شعبي صميم، وأمنية كل الذين ينتظرون تحقيق المعجزة الاجتماعية في هذا البلد الكريم.

- حماية التفكير المغربي وخلق أسلوب للتفكير المعاصر، واستهدف هذا العمل خلق آفاق جديدة خصوصا عندما أكد رائد المغرب لشعبه «...إن السر فيما بلغه من رشد ما يتحلى به من حسن تصرف، ليرجع إلى ما لديننا الإسلامي من تأثير طيب على نفوس أبنائه...

أما التجربة الرائدة التي طاولنا بها غيرنا من الأمم فهي مشاركة جلالة الحسن الثاني العملية في خلق هذا التخطيط بصفة مباشرة وعلنية وذلك في الدروس والحلقات التي شارك بها في :

- إحياء سنة الدروس الحسنية[6] في كل سنة في المغرب، هو في الحقيقة إحياء وتنظيم لسنة سنها ملوكنا السابقون لغاية ليس من السهولة وضعها في مركز الدروس العادية أو ضمن حركة الوعظ والإرشاد، لأن هذه الدروس كانت في أغلب الحقب التي نشطت فيها بمثابة منبه وحافز، ونداء يوجهه ملوك الأمة المغربية العلماء في ظروف وأحوال نحن أحوج ماتكون فيها إلى هذا المنبه، وهذا الحافز، وهذا النداء لتطور الفكر وإخراجه من قوقعة التقليد والانهزامية، ولذا نجد أمير المؤمنين يتدخل باسم العلم والفكر والمعاصرة ليلقى إلى علماء المغرب بتجربة وبنظريات هامة كانت بالأمس القريب مبعث كثير من المشاكل للذين حاولوا الخروج بالفكر المغربي من انعزاليته وقعوده في نطاق المذهبية الضيقة، والعبث الفكري التقليدي، فأشار جلالته إلى :

---

4) انظر خطاب العرش لسنة 1963.

5) نفس المصدر.

6) أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية كتابا جمعت فيه الدروس الحسنية التي ألقيت في رمضان 1967 باسم : الدروس الحسنية وتابعت نشر هذه السلسلة.

أ - مشكلة زيادة الإيمان ونقصانه، وهو موضوع من الموضوعات الحساسة الشائكة التي ظل علماء الأمة الإسلامية يتحاشون الخوض فيها بالرغم من أن هذا الموضوع يشير إلى كثير من الموضوعات المتجددة في الفكر المسلم، وهكذا فإذا كان رأي «الإيمان يزيد وينقص» قد وضع كثيرا من علامات الاستفهام عند البعض ولو أن هذا الرأي يتجه اتجاه مذهب الأشعرية والماتوريدية[7] ويتصل بمذهب الإمام النعمان من جانب آخر فإن جلالة الملك الحسن الثاني أكد ما يلي :

«لا أعتقد شخصيا أن «جوهر» الإيمان يزيد وينقص».

قيل أن الإيمان يزيد وينقص، ربما الذي يزيد وينقص هو التعبير عن الإيمان وما يشكل مظاهر الإيمان من عبادات وأخلاق.

ولذا نرى من هذا التحليل أن أمير المؤمنين قد أخذ برأي مختلف المذاهب فخط بذلك اتجاها وسطا... يمكن أن نطلق عليه الرأي الحسني[8]... باعتباره جمع في رأيه مختلف الآراء، وأضاف إليها شيئا جديدا هو التحليل الذي أتى به.

ب - ثم أشار صاحب الجلالة إلى موضوع (القبض في الصلاة)[9] وهو من الموضوعات التي كان الخوض فيه محرما، بل كان سلاحا عند بعض العلماء... يواجهون به كل حركة تجديدية تهدف إلى إحياء السنن أو إلى تطوير الفكر العلمي بالمغرب وإذا كانت قد استمرت هذه المعركة زمنا ليس بالقصير فقد جاء رأي جلالة الحسن الثاني في رمضان عام 1968 ليؤكد هذا الرأي الهام الذي وضع به تخطيطا مدققا للنقاش والتفكير العلمي الفقهي فأوضح ذلك نصره الله بقوله :

«لقد حاولت أن أعرف معنى القبض، فقال البعض : ألا يعبث المرء بيده عند صلاته، كذا أظن لا : فالنبي ﷺ كجميع الأنبياء والرسل كانت لهم معرفة دقيقة بالرياضات، فكانوا يصومون ويواصلون الصيام، وكانوا يمشون كثيرا على أرجلهم، كانوا يعتزلون الناس والنساء فترات طويلة فكان عندهم شيء من العلم بما يسمى «باليوكا»[11].

ورياضة «اليوكا» تقتضي أول ما تقتضي بأنه إذا كان الإنسان يفكر وكان دمه يدور مع روحه، فهو بمثابة أسلاك كهربائية، فمتى شد على أعضائه كلها لم يضع شيء من تلك الطاقة الكهربائية التي تلقى على الأرض فيضيع ضوؤها وتضيع قوتها، ولا يكون ذلك الدوران الروحي والمادي في القلب يخلق التخشع، والذي يجعل الإنسان يصبر على البرد ويصبر على التعب، ولا نعرف قيمة هذا التحليل الذي يهم القبض في الصلاة إلا إذا كنا نعلم أن المغرب هو البلد المسلم الوحيد الذي لا يقبض فيه المصلي في صلاته تأثرا برأي مذهبي[12] غير متفق عليه لأنه يخالف السنة.

وقد قامت محاولات متعددة لتعميم سنة القبض في الصلاة... ولكن عددا من العلماء يقفون في وجه هذه الدعوة حتى الآن.

ولقد وقعت على عهد السلطان مولاي عبد العزيز معركة لتعميم القبض اضطر جلالة السلطان يومئذ إلى إصدار ظهير يعتبر انتصارا لأصحاب دعوة القبض.

ج - وفي مجال الحديث عن إعجاز القرآن تناول أمير المؤمنين في حديثه تفسير الأميين[13] فقال :

ينقسم الأمي إلى قسمين :

- الأمي من ناحية العقل والكتابة والقراءة.

- والأمي من ناحية عدم تطبيق تلك القراءة والكتابة في سيرته وفي معاملاته وفي مبادلاته، وفي بيعه وشرائه، وفي زواجه وطلاقه.

فإذا نحن أطلقنا لفظة الأمي فيمكن أن تكون بمعنى الجاهل الذي لا يقرأ ولا يكتب، ويمكن أن يكون الأمي أيضا ذلك الرجل الذي يعرف القراءة والكتابة، ولكنه لا يطبقها حسب الشريعة والأخلاق، فعلى هذا التأويل يمكن

---

7) مذهبان إسلاميان.
8) أبو حنيفة.
9) انظر دورية (انبعاث أمة) السنوية (ص : 978 سنة 1968).
10) نفس المصدر.
11) رياضة بدنية فكرية.
12) انظر دورية (انبعاث أمة) السنوية (ص : 285 سنة 1966).
13) (انبعاث أمة) ص : 294 سنة 1967.

تفسير قول الله تعالى : ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولا**﴾ بأن رسالة النبي ﷺ هي في الحقيقة رسالة للناس كافة.

د - وفي الحديث الذي يليه «حديث سنة 1968»[14] تحدث جلالة الحسن الثاني عن الساعة فقال :

«للساعة معنيان : المعنى الميتافيزيقي حينما تقوم الساعة، والساعة معروفة ومع الأسف العامة في بلاد الإسلام والشعوب في بلادنا السائرة نحو النمو، الساعة عندهم هي أن تفنى الأرض ومن عليها، والحالة هذه إنما هي ساعة، ساعات لكل بلد ساعة، ولكن نظام ساعة، ولكل قارة ساعة، ولكل حضارة ساعة حتى إذا أسند الأمر إلى غير أهله...

وإذا أسند الأمر في بلد أو في قارة ما أما في مجموعة بشرية ما إلى غير أهله فانتظر الساعة، وما هي هذه الساعة ؟

إن التاريخ قد علمنا أن الشعوب يمكنها أن تتغلب على عدة مصاعب ومتاعب، يمكنها بالأخص أن تتغلب على الصعاب والعراقيل المادية حيث إن الإنسان خلق في هذه الأرض ليكافح مستمرا وجهادا غير منقطع، ولكن حينما ترى هذه الدول وهاته النظم نفسها أمام مشاكل عقائدية، أو مشاكل مذهبية، أو مشاكل خلقية، وحينما ترى الاعوجاج في سلوكها، والبدع في معتقداتها، والفسوق في أخلاقها، ولا تريد أن تحارب هذا الاعوجاج ولا تريد أن تقوم تلك الأخلاق، هناك تقوم ساعتها... ولماذا ؟

لأن الفاسد لا يقاومه إلا الطهر، ولا يقاوم الفاسقين إلا ذوو الأخلاق، ولا يقاوم الفاسقين إلا المخلصون، ولا يقاوم المبتدعين إلا السنيون القائمون بالقسط.

هـ - ويلتقي صاحب الجلالة نصره الله مع شعبه في مناسبة جديدة هي مناسبة تدشين حملة الكتاتيب القرآنية[15] التي دعى إليها جلالته فيقول في الحديث عن الديانة الإسلامية :

«إن الديانة الإسلامية ديانة متوازنة مطابقة كل المطابقة لقضايا ومشاكل القرن العشرين، فهي من جهة تريد أن تكرم ابن آدم، وتريد أن تكرمه من الناحية المادية حتى لا يكون عبئا على المجتمع الذي يعيش فيه، وتريد أن تكرمه من ناحية القوة حيث أن المؤمن القوي خير وأفضل عند الله من المؤمن الضعيف».

☆ ☆ ☆

وإذا ما حاولنا أن نستخلص لحد الآن من مجموع هذه الدروس الحسنية، الاتجاه الذي يهدف إليه أعزه الله وهو تجديد التفكير المسلم في المغرب وإصلاحه من فكر موروث إلى فكر واقعي مبني على الأسس والمقومات المقدسة ليلائم فكر أمة القرآن، ويصور واقعها وحقيقتها في عالم تتضارب فيه حياتهم وواقع الظروف التي يعيشونها، في عالم اليوم الذي أصبح البون فيه شاسع بين تفكير الأمة الإسلامية، وواقع التطور الفكري والعلمي والعالمي... مما يجعل شعوبنا مادة سائغة للاتجاهات والمذاهب المنحرفة التي تستهدف تحويل الاتجاه الإنساني، وتقسم ما يسمى بالعالم الثالث إلى معسكرين يرتكزان على الاستغلال والاستعمار واقتسامه بلغة القوة والسلاح... نتيجة صراع صليبي خطير... مبيت وموروث يبدو من الأحداث أننا لم نعد نحسب له حسابه في سلوكنا اليومي، وفي اتجاهاتنا السياسية والديبلوماسية تحت شعار التعايش... وروح الديبلوماسية المتزنة التي طوقت العالم الإسلامي بالخصوص.

وإذا كانت هذه المعطيات قد وجدت انعكاسات مهمة داخل البلاد وخارجها... وحركت آفاق الشباب العلمية، ودفعتهم إلى التفكير في ماضيهم وفي واقعهم على ضوء المقاييس الجديدة... فإن جلالة الحسن الثاني قد أدرك النتائج التي تركها الدرس الأول فانطلق جلالته بالخصوص لإلقاء درسه الثاني الذي أوضح فيه آفاق الفكر المغربي الإصلاحي المقبل...

---

14) دورية (انبعاث أمة) (ص : 366 سنة 1968).

15) خطاب جلالة الملك بمناسبة تدشين عملية الكتاتيب القرءانية (مجلة اللقاء) ع : نونمبر ص : 294 سنة 1968.

ـ وفي نطاق هذه الآفاق تناول جلالته موضوعات أكثر دقة وأخطر موضوعا وهو موضوع (المعجزات) وإذا كان موضوع المعجزات هو «قميص عثمان» عند سائر علماء الأديان الذين نصبوا أنفسهم حراسا لحفاظ على توريث الفكر الخاص وتعقيمه فإن جلالته قد حلل موضوع بالنسبة للأديان الكتابية، وأوضح مركز كل منا سواء بالنسبة لظروف الأبناء، أو بالنسبة لقيمة المعجزة من حيث هي معجزة خالدة، وذلك ما يستهدف وهو يقول : «إعجاز القرءان هو المعجزة الدائمة»[16].

ويدخل التحليل الحسني في الموضوع عندما يقول :

....ومعجزة القرءان تجعل من المستحيل علينا أن نترجم القرءان بنصه وفصه ومعانيه وبلاغته إلى لغات أخرى...

والحقيقة أنه نستطيع لحد الآن أن نؤكد أن معطيات هذه الدروس تكون في مجموعها آفاق المستقبل الدقيقة التي ينوي جلالته بعثها في المغرب الجديد... لأن «الدعوة الإسلامية» يقول نصره الله : التي أطاحت بالأوضاع المدخولة، وقومت الاعوجاج والزيغ، واستأصلت الفساد وقوضت أركان الطغيان، كان لها الدوي الذي تجاوز حدود الجزيرة العربية إلى ما حولها، والأثر البليغ الذي سرى في شعوب الشعوب ومن نفس هذا المنطلق، ومن هذا الاتجاه وفي إطار ديننا الإسلامي السمح سنصوغ كل عمل وكل إصلاح، لأن المكاسب الدنيوية ليست غاية في حد ذاتها، لأنها مكاسب محدودة، أما المكاسب الروحية فليست لها حدود لأنها هي الوجود.

☆ ☆ ☆

ومن هنا من هذا الاختيار الواضح المعالم والآفاق التي تدعونا للعمل، وهي التي سنعمل على ضوئها ونجرب، وأن نستعمل كوسيلة لتوحيد الصفوف، واتخاد الجهود وسيلة سماوية مقدسة إلا وهي حبل الله المتين، ذلك الحبل الذي يصل الأرض بالسماء، والذي يصل قلب كل مسلم بقلب كل المسلمين في العالم بأسره والبقاع الإسلامية.

وحتى لا يقع ارتباك في المفهوم الحسني الجديد، وحتى لا يتضارب مع الاتجاهات المعاصرة الغازية بالخصوص أوضح حفظه الله :

أولا : أهداف الدعوة الجديدة من جهة باعتبارها دعوة تزعج كثيرا من الاتجاهات والأشخاص.

ثانيا : وضع خطوط هذه الأهداف فقال[17]... «كنا دعونا إلى جمع شمل المسلمين حتى ينتصر بهم العرب، وحتى ينتفع منهم العرب الذي يقف ما يقرب من ثمانين مليون منهم أمام مشكلة فلسطين لأننا إذا عززنا جانبنا بالمسلمين كافة بعبقرياتهم المختلفة، بتعاملهم الأولى، بصدقاتهم، بأحلافهم بطاقاتهم، أصبح بجانب العرب نصف مليار من هذا المعمور، لذا ودون أن يرمي نداؤنا إلى أي عمل سياسي وعسكري، أو ما يشابه حلفا، أو غير حلف، أو ما يدخل فيما يعتبر مناورة أو عملية أو ما أشبه ذلك»[18].

ثم في سنة 1985 تأتي خطوة جديدة في هذا المسار، حيث تعقد أول ندوة[19] للطرق الصوفية بالمغرب «دورة التجانية» ليضيف الملك المصلح في هذا الملتقى وفي خضم الصراع بين السلفية الحق والتصوف فيبرز من خلاله موقفا يشير فيه بكل وضوح إلى جانب جديد وهو الحكم الواعي في الخطاب الذي بعث به للندوة (85/12/23 فاس) حيث أوضح حفظه الله في خطابه للمؤتمر المحاور الثلاثة التي حددها التصوف الإسلامي وهي :

أولا : «واقتناعا منا بالدور الذي تستطيع الطرق الصوفية أن تضطلع به في إصلاح النفوس أصدرنا تعليماتنا إلى وزيرنا في الأوقاف والشؤون الإسلامية قصد الإعداد لانعقاد ندوة مفتوحة للطرق الصوفية ببلادنا...».

ثانيا ويقول : «إن التصوف الإسلامي بنقائه وصفائه واقتباسه من مشكاة النبوة وجذوتها، كفيل إذا سلك به أهله

---

16) انظر دورية (البعاث أمة) السنوية (ص : 294 ـ سنة 1967).

17) انظر كتاب : (الديبلوماسية المغربية في عشر سنوات) الصادر عن وزارة الخارجية.

18) نفس المصدر.

19) انعقدت بفاس : 16/10 ـ 3 ـ 1406 موافق 29/23 ـ 12 ـ 1985.

العارفون المسالك الصحيحة السليمة أن يسهم الإسهام الكبير في إصلاح أحوال المسلمين بإرساخ الإيمان بالله في قلوبهم وتعميق الشعور بالوحدة، وتمتين عرى الأخاء والمودة في نفوسهم، ودفعهم إلى التعاون على البر والتقوى والتناصر والتآزر على الحق لتبقى كلمة الله هي العليا ولتكون العزة لله. ولرسوله، وتستعيد الأمة الإسلامية سالف مجدها، وسابق سؤددها وتقوم بدورها في إصلاح أحوال العالم وإسعاد البشرية.

ثالثا : ثم يضيف قائلا : «إذا كان عامة المسلمين وخاصتهم من العلماء العارفين على تعاقب العصور والأجيال قد اهتموا بالتصوف منبعا وسلوكا، وتشيعوا به قولا وعملا حتى أكسبهم من القوة والصلاح، فأنهم اليوم في أمس الحاجة إلى هذا الاهتمام، والتعرف إلى فضائل التصوف ومزاياه، والاستمداد من الطاقة الإيمانية، والأسرار الربانية الكامنة في المبادئ الصوفية لعلاج ما آلت إليه أحوال المسلمين أفرادا وجماعات من فتور في المبادئ والقيم الروحية الخالدة، واغترار بالتيارات الفكرية المادية واندفاع وراء سرابها الكاذب، وبريقها الخادع، ووقوع في إشراك الخلاف والنزاع والصراع ومهاوي الفرقة والشتات والاعراض عن الاعتصام بحبل الله المتين».

☆ ☆ ☆

ويبرز حفظه الله في فرصة أخرى موقفا آخر على جانب كبير من الأهمية والوضوح حيث يعلن أن «على مجالسنا العلمية أن لا تبقى منحصرة في نواقض الوضوء وموجبات الغسل، عليها أن تواجه الغزو الخارجي والمادي، وحتى تعرف بالإسلام وخصائصه وخصاله وفضائله وتساهله...»[20].

وهكذا، وإذا كانت المعركة متواصلة الحلقات من أجل جعل هذه المعركة الإصلاحية، فإن هذه المبادرة الجديدة التي توازي ثورة فكرية صامتة منطلقة في الساحة العامة، فإن الواجب يفرض على الأوفياء، الملتزمين الانطلاق لأداء الواجب الذي حددته ورقة العمل لأن الوقت دقيق والزمان لا يرحم.

والملك الرائد قد عرف كيف ينطلق بالاختيار أو كيف يختار، عندما يركز فلسفته في الاختيار على :

1) ضرورة إبقاء المغرب في حظيرته الإسلامية.

2) الكرع من الحضارة الجديدة والأخذ منها بما يناسب روح الإسلام والتقاليد المغربية العريقة.

وهذا الاختيار محدد بعزم وحزم مما يفرض على الاختيار المغربي أن يحافظ على روحه ما دام لا يمكن أن يكون لهذا الاختيار المزدوج اختيارا آخر.

☆ ☆ ☆

وإذا كانت هذه المواقف قد أتت متتابعة بضبط وتوقيت مدروس، فإن الصرخة الأولى التي انطلقت كانت في البدء... وهي تعلن :

«...وإني أهيب بك شعبي المؤمن الصادق الإيمان الراسخ العقيدة أن توالي سيرك، وتواصل سعيك مسترشدا بهدى القرءان، متمسكا بتعاليم الفرقان، متدبرا بآياته، ممتثلا لأوامره ونواهيه، فإن في إيماننا بالله، وتمسكنا بما أوحي به إلى نبيه ورسوله المصطفى المختار، وحفاظنا على الدين الإسلامي الحنيف، وما يدعو إليه، ويحض عليه من العمل بالمبادئ المثلى، والحرص على القيم العليا، وسلوك المحجة البيضاء، ما يكفل لنا الفوز، وحسن المصير، وأن الله على نصرنا لقدير...»[21].

ومن هنا، من هذا الاختيار، أومن خلال هذه الجوانب فإن قائدنا الرائد لم يكن في هذه المعارك إلا ابن لعصره وزمانه بكل ابعاد العصر الوطنية والقومية والإسلامية وبكل ابعاد الزمن الإنسانية والعالمية والبشرية.

سلا : زين العابدين الكتاني

---

20) من خطاب جلالة الملك الذي يوضح فيه أهداف ومقاصد المجلس العلمي الأعلى والمجالس العلمية الإقليمية بالمملكة في رمضان 1401 هـ غشت 1981 م.

21) انظر دورية (انبعاث أمة) ع : 13.

الحسن الثاني

الخلق الجديد للمغرب الحديث

للأستاذ حسن السايح

I

أبواب التاريخ موصدة لا يفتحها إلا القادرون على حواره والأخذ بناصيته، وحوار التاريخ والأخذ بناصيته علم صعب، لا يقدر على امتلاكه إلا قليل من الأبطال في تاريخ الإنسانية، إن التاريخ للغز محير، لا يستوحيه إلا من يفهم شفرته، ويملك القدرة على فك ألغازه، ولا يستطيع ذلك إلا من عاش التجربة السياسية بكل أبعادها، وتفوق درسا ووعيا لقضايا الإنسان والمجتمع البشري.

إن التاريخ ممتنع عن الانقياد، لأنه وعاء يستبطن جهود بني الإنسان الفكرية ومخططاتهم الإنسانية، لأنه الحياة الكامنة في كل حركة، ولأنه الخلق الجديد المستمر، لذلك فهو لا يعاد ولا يكرر نفسه. فلا يستطيع كل واحد أن يمثل دورا معادا. والتاريخ لا يعاد، وخطأ كبير أن نظن أنه يعاد، في ملامحه العريضة أو في جزئياته وأحداثه... لا أريد بالتاريخ حركة الزمان العشوائية، ولا أريد به حتمياته التي لا مفر منها. ولا مجرياته العادية التي تجري سننها على كل مخلوق سوي، وعلى كل مجتمع وكل أمة وإنما أقصد بالتاريخ ذلك التزمن الفعال في حيوية الإنسان الملهم، وتلك الإرادة المبدعة التي تتجلى في الزمان المناسب والمكان الصالح فتعطي لعجلات التاريخ قوة الحركة والدفع إلى الأمام. وكذلك لا أريد بالتاريخ المفاجئات والطفرات، والصدف، فكم للتاريخ من مفاجئات وطفرات وصدف، ولكنها برق خلب تبدو وتختفي دون أن تترك أثرها العميق في المجتمعات والحضارات. أقصد بالتاريخ التخطيط المحكم المبني على التجربة والهادف إلى التطوير.

أقصد بالتاريخ حس الإدراك للحدث. وقوة الحدس، والتصور المستقبلي الواضح وتجلية الواقع بكل إمكاناته والقدرة على ربط الأسباب بالمسببات، والحوافز والمحركات بآثارها، وملاحقة الأحداث قبل انفصالها.

هذا ما أريده بالتاريخ، أريد الإمساك به والتصرف فيه ليتم الخلق والإبداع والإنبثاق والظهور وتحرك المجتمعات للبناء الحضاري. هذا ما أريد بالتاريخ وهو (أمر صعب، يظن سهلا) وهذه هي عملية التوليد والخلق في فلسفة التاريخ وعلم الحضارات. والذين قدر لهم معرفة أسرار التاريخ والقدرة على التصرف في إبداعه، هم مهندسو الحضارات، وهم القادرون على تحويل مسيرته، يوقفون عجلاته، أو يدفعونها بمهل أو بقوة. حسب المقتضيات الاجتماعية والسياسية التي تضمن النجاح لأعمالهم.

إن هندسة التاريخ كعلم هندسة المعمار، لها أصولها وخلفياتها، وتفتقر إلى دراية بالماضي وتقدير للحاضر،

وتصور دقيق للمستقبل، وعملية معادلات قوى الأمم والشعوب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا.

ويفهم ذلك كله نظريا، وتطبيقا وفكرا، ومعاناة، يتحرك التاريخ ويستجيب للمسيرة، إن لحركة التاريخ شروطا أهمها :

أولا : لابد من توفر أرضية صلبة ينطلق منها العمل السياسي والاجتماعي أو ما يسمى (بالجيوبوليتيك).

ثانيا : لابد من توفر الواقعية السياسية والاجتماعية التي تحدد إمكانيات العمل. فكم من حركة إصلاحية توفرت لها الأرضية، ولكنها كانت خيالية لا تحسب حسابا للإمكانات.

ثالثا : لابد من تصور كامل للأهداف والغايات، حتى تنسجم المبادئ والقيم، وتنسجم خطوات التنفيذ مع الأهداف.

هذه الشروط الثلاث في حركة تاريخ المغرب بقيادة جلالة الملك نصره الله نجملها في التحليل الآتي :

أولا : ما هي الأرضية التي يكون منها المنطلق، التي اعتمدها جلالته إنها صلابة الأرض التي تنطلق منها حركة الإصلاح والبناء، والتنمية، فكل إصلاح يجب أن ينطلق من أرض صلبة لا من أرض رخوة (كالمطار تماما بالنسبة للطائرات) وأرضية الشعوب أو مطارها، هي عقيدتها وثقافتها، وإمكاناتها الاقتصادية، وتلاحمها الاجتماعي.

فكلما كانت عقيدتها قوية ثابتة، وميادينها واضحة، وثقافتها متمكنة، وكانت إمكاناتها الاقتصادية مضبوطة مؤطرة، وتلاحمها الاجتماعي متماسكا. إلا كانت انطلاقتها متوازنة مع إمكاناتها الفكرية والوجدانية والمادية.

وبالعكس، عندما تضعف عقيدتها، تهن عزائمها وتتلاشى وحدتها، فلا تثبت في دفاع ولا تصمد في كفاح ولا تقوى على تطور وتقدم. فالعقيدة عامل قوي، وهي النواة لكل حركة تختلف قوة وضعها حسب تماسكها وقوتها، وتتعرض للتلف والتزييف كأي كائن عضوي. وعندما نريد تحديد ومعرفة قوة العقيدة في المغرب، نجدها عقيدة إسلامية، واضحة مشرقة لا اختلاف في فهمها، ولا تأويلات في شرحها، عقيدة موحدة في شريعتها، مدونة بمذهبية الإمام مالك، وعقيدة مستمدة من القرآن والسنة وحفظ علماء الكلام المعتدلين، ليست أديولوجية سطحية ولا فلسفة نخبوية، ولا تجربة متغيرة حسب الظروف، بل عقيدة مثالية، وواقعية مثالية بمبادئها وواقعية متسامحة في حركتها ودينيتها. ولذلك فالعقيدة الإسلامية طاقة وقوة للفرد والجماعة. وهذا ما جعل المغرب ذا إرادة صلبة لا تلين ولا تستسلم لخصومه، وأعداء وحدته، ولا للدعايات والطائفيات.

إن العقيدة الإسلامية واضحة، وإذا كان بعض شبابنا أو قلة نادرة، أخذ يعاني ما يسمى سطحيا (بقضية العقيدة الدينية) فهو في الواقع يعاني الاستلاب، وهو ضحية مشكلة مستوردة لا مشكلة ذاتية وردت إلينا مع ثقافة الغرب الذي يعاني بحق أزمة العقيدة.

إن عقيدة الإسلام واضحة فطرية ولدت مع الإنسان لتحرره من كل أنماط العبودية، وظلت على مدى التاريخ أداة تحرر وانضباط، ووسيلة معرفة وعلم، حقا عانت بلادنا كما عانى العالم الإسلامي موروثات ومفاهيم خاطئة عن الإسلام، شجعها المبشرون، والمستعمرون وغرستها المدارس الاستعمارية في عقلية المواطنين وهي في جملتها موروثة عن ثقافة الحروب الصليبية التي حاولت جهدها إطفاء جذوة العقيدة الإسلامية المتأججة، فنشرت الاتكالية والاستسلامية والخمول والخضوع ولكن سرعان ما ظهرت الحركة السلفية في المشرق والمغرب معا، ولم تلبث أن أعادت للعقيدة الإسلامية نصاعتها وفعاليتها. المحفوظة بعناية الله ورعايته، ومع الأسف لم يفهم كثير من المؤرخين المعاصرين معنى السلفية، وهدف رسالتها في هذه الحقبة، فليس فيها معنى العودة إلى الماضي على حساب الحاضر والمستقبل، وإنما هدفت إلى تحرير الحاضر وبناء المستقبل مستوحى من تراث الماضي والترابط معه، والماضي هو الحجة البالغة على تبيان الطريق المستقيم، وحولت الحركة السلفية الضعف والاستسلام إلى قوة مقاومة، وأذكت شعلة الفكر الإسلامي، وتساءل المسلمون : لماذا

تـأخروا وتقـدم غيرهم ؟ هـل دينهم مصـدر تـأخرهم، أم تخليهم عن عقيدتهم السليمة هو مصدر التخلف ؟

وهنا ارتبطت حيوية العقيدة بإحياء التاريخ لأن العقيدة تظهر في التاريخ. وهو وحده الناقد الأمين لطبيعة العقائد : والمفرق بين الجوهر والعرض. وما التاريخ إلا مرآة للحضارات. إن التاريخ شاهد أن الشعوب الإسلامية لم تتحرر بالاقتصاد أو القوة العسكرية وإنما تحررت بعقيدتها وفي المغرب (مثلا) لم يبدأ التاريخ بدخول الفنيقيين إلى المغرب، ولا بدولة القرطاجيين ولا أيام حكم الرومانيين والبزنطيين، وقد ظل طيلة هذه الحقبة المديدة يستشعر حاجته إلى دولة ولم يستطع مسينسا، ولايوغرطة ولايوبا، ولا كسيلة، أن يحققوا للمغرب وحدة أو دولة أو أمة.

ولم تستطع المسيحية عند (سانت أوجست) في جبال (الأوراس) الدوناتزم في قومية (دونات) أن تنشر عقيدة، وإنما أذكت الشعور بالحس الديني، والعقيدة الإسلامية وحدها جعلت من المغرب أمة كان مخاضها عصر الولاة، وميلادها عهد الأدارسة، ومن تم وهي تستكمل نموها في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين، وعندما سقطت الأندلس، عمل السعديون على الامتداد الطبيعي في جنوب المغرب، وجاء العلويون ليحققوا وحدة البلاد، ومقاومة التيار الأجنبي، الذي أخل بتوازن البحر الأبيض المتوسط ثم جاء محمد الخامس قدس الله روحه ليقضي نهائيا على الاستعمار والاعتداءات الظالمة على افريقيا والعالم العربي، وبقيت الدولة المغربية صامدة حيث فشلت مختلف الأنظمة في البلاد العربية والإفريقية والأسيوية، لأنها في المغرب اعتمدت عقيدتها وحققت أهدافها وأعربت عن تلاحمها.

وجاء الحسن الثاني، وقد أعطى التاريخ كل حججه وبراهينه، على أن إخلاص العرش للشعب وتفاني الشعب في العرش. أساس نجاح التجربة المغربية عبر التاريخ. جاء جلالته ليربط قوة الإسلام بحركة التقدم العلمي والتكنولوجي لبناء نهضة المسلمين. إذ أن قوة الغرب تكمن في تقدمه العلمي، والعلم ميراث إسلامي قبل أن يكون ميراثا إنسانيا، وحضارة العلم في أوربا مدينة للمغرب. فجامعات أوربا (السربون وأكسفورد، وسلامنكا وميلانو) استمدت معارفها من الأندلس والمغرب، فالعلم وفي الواقع إنما يعود إلى بلاده كما يعود الأسد إلى عرينه.

هذه هي الأرضية الصلبة، وفي هذه الأرضية الصلبة أرضية العقيدة الإسلامية والتمسك بالتراث الإسلامي، تتألف شخصية جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، فهو مؤمن قوي الاعتقاد في الله، قوي الإيمان بالرسالة السماوية، هو عالم مجتهد، ذو عقيدة إسلامية لا تلين وهو في نفس الوقت متشبع بثقافة الغرب بعمق كبير يمكنه من إدراك خطوط التواصل والتباعد بين الثقافتين الغربية والإسلامية. وإذا كان جلالة الملك واعيا للعقيدة الإسلامية وقوتها، فهو أيضا رجل قانون ومؤرخ يربط القانون والاجتماع بتاريخية عميقة، وبهذا العمق الثقافي لا يجد أبوابا مغلقة بين المغرب وأوربا، وبين المشرق والمغرب، ولا حواجز تفصل بين الحضارتين الغربية والشرقية، إن التراث الحضاري واقع يكشفه الذين ينفذون بعمق إلى مختلف الثقافات والحضارات ويبحثون عن الجامع المشترك بين البشرية جمعاء في ميدان الفكر والوجدان، والعلم والفن، وبذلك تنكشف لهم الحقيقة، فلا ترهبهم الإشكاليات الثقافية بقدر ما يجدون التواصل الكامل بينها، إن المعادلة بين التراث، والتفتح الحضاري، قد يطغى فيها الجانب التراثي في بعض الأحيان لأن التراث هو الحصن القوي ضد التيارات الجارفة ولأنه خشبة النجاة حين تعصف رياح التقليد... وليس بعار أن نتمسك بالتراث، مادام ضمانة البقاء والاستمرار. وموقف جلالة الملك من التراث، موقف عبقري فهو قد استنطق التراث، من نحن ؟ من نكون ؟ ما هي جذورنا الحضارية ؟ إلى أي عرض حضاري ننتمي ؟ ما هي غايتنا ؟ ما هي رسالتنا ؟ إشكاليتنا الحضارية والثقافية ؟ في اللغة في الفكر والعمل ؟ تساؤلات كثيرة، كانت أجوبتها مزج وخلق عملية صيدلية دقيقة تصنع الجواب والدواء معا وتمزج بين المغرب والوطن العربي الإفريقي الإسلامي المتمسك بحبل تراث الماضي المجيد، والمرتبط

بعجلات التطور الحضاري التكنولوجي المعاصر. بالمسيرة الإنسانية.

نحن مغاربة وطنيون، ونحن جزء من المغرب العربي الكبير، وجزء من القارة الإفريقية وجزء من الأمة العربية، والأمة الإسلامية، وأخيرا نحن جزء من جميع المتعايشين على الكرة الأرضية في آخر القرن العشرين من دعاة السلام، المغرب جغرافيا نقطة مركزية تتسع الدوائر المحيطة بها إلى دائرة المغارب الثلاثة، والأمة العربية والقارة الإفريقية والعالم الإسلامي. وليس مزج التراث، بالعلم المستقبلي، والتكنولوجية بالعمل السهل، فللتراث إيجابياته وسلبياته، وللتكنولوجيا إيجابياتها وسلبياتها كذلك. والتمسك بالإيجابيات يستبعد السلبيات ويستبعد التعصب الطائفي والمذهبي، والتزمت والتحجر، ولهذا فجلالة الملك يتمسك بالتراث عن بصيرة ويمتلك العلم والتكنولوجيا ببصيرة أيضا. يقرأ التاريخ الماضي من خلال الحاضر الشاهد، ويحلل الحاضر من خلال تجربة الماضي، فتاريخنا مجيد يثير الإعجاب وحضارتنا عظيمة لم يستطع خصومنا النيل منها إلا بكلمات حاقدة، قالوا : إنها حضارة الملح قالوا : إن تاريخ المغرب تاريخ فتن وحروب لا تاريخ علم وتنظيم. بل قال حاقدوه : إن القارة الإفريقية بدون تاريخ، وأعطوا على يد هيجل أكبر فلاسفة أوربا تحليلات مبنية على فلسفته في جدلية التاريخ، وعلى يد داروين مبدع مذهب التطور والارتقاء، أعطوا نظريات تخلف العالم الإفريقي عن التطور، وسوغوا بذلك الاستعمار واستعباد الشعوب مستعين بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان.

II

في خضم هذه الأخطاء وهذه المسوغات يقف جلالة الملك الحسن الثاني بدرايته العريقة وفهمه الثاقب وحسه القانوني والتاريخي، وإيمانه الإسلامي المتسامح ليتجاوز الفكر الغربي، ويحقق العودة إلى العقيدة الإسلامية المثلى والتواصل بين الحضارات دون شعور بالنقص، أو بالتناقض أو بتفكيك المركب الحضاري الصلب، أو تركيب المتنافر، لهذا كان وسطيا غير مفرط ولا مفرط، لا يقر غير الشرعية والمشروعية. موفقا بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب، بين أوربا وافريقيا، وبين الماضي والحاضر، بين التراث والجديد. واعتمد في تحليل الأوضاع وتركيبها على فلسفته في التاريخ فهو ليس خلدونيا ولا هيجيليا حتميا، بل فلسفته وسطية بين الواقعية والمثالية.

ومن خلال تحليلي لفلسفة جلالة الملك الحسن الثاني في فهم التاريخ، أعتقد أن جلالته في تحليلاته التاريخية وممارساته للخلق السياسي والتوجيه الاجتماعي ليس خلدونيا أي لا يقول بحتمية التاريخ والدورة التاريخية، ولا هيجيليا يرى الحتمية المطلقة للمسيرة التاريخية الهادفة إلى تحقيق المطلق. وإذا جاز لي أن أفارق بين جهابذة علماء التاريخ وبين فلسفته فهو أقرب إلى تفسير ابن حزم للتاريخ من فلاسفة الإسلام وإلى تفسير توينبي لنشأة الحضارات وتطورها بين فلاسفة أوربا فابن حزم يقرر (الوعي التاريخي) فيرى أن تقلبات الزمان، تعطي اليقين للواقع الأخلاقي ويفرق ابن حزم بين فعل الله الخالق في الكون وفعل الإنسان المخلوق، الذي هو العنصر المؤثر في رقي الحضارات أو في اندثارها. فابن حزم يدرك العوامل التي تجعل حركة التاريخ إيجابية يفرق بينها وبين الحركة الإنسانية، الأولى إجبارية اضطرارية، والثانية طبيعية ممكنة في حرية التصرف.

ومن الحزمية والتوينبية تبدو فلسفة جلالة الملك في فهم التاريخ وتوجيهه، فجلالة الملك حريص على الحفاظ على العقيدة وسلامتها، وهو في نفس الوقت يتحدى المعوقات في الطبيعة ويومن بقدرة الإنسان على الفعل بإرادة الله تعالى. ويضيف إلى فلسفتهما رصد المرحلة التاريخية، فليست كل الظروف صالحة للعمل، وعندما تضيع الفرصة (التي يجب ألا تضيع) يعيد التركيب الجديد لها، ويرصدها من زاوية أخرى. فالواقع أن التاريخ تيار متدفق جارف، لا يعرف مبدؤه ولا تعرف نهايته، وليس في

التاريخ نقطة ابتداء، ولا لحظة ابتداء، والمؤرخون يضبطون الظاهرة في المرحلة التاريخية ولا يضبطون نقطة انطلاق التيار التاريخي، فالأحداث في تفاعل بين مختلف الآراء والظروف الملائمة وما يعرف بالانبثاق. ولا يملك أحد القدرة على التصرف المطلق إلا الخالق تعالى، والتغيير يقع بدقة متناهية لا تكاد تدرك كما يقول ابن خلدون. (ومن هذه الأرضية، العقيدة والتاريخ والتراث) انطلق تفكير جلالة الحسن الثاني بكل إمكانات المغرب البشرية والاقتصادية، من أرضية بيئة الزمان والمكان والتحديث والفعل. معتمدا على سلامة هذه الأرضية وقوتها. ولكن الأرضية الصلبة لا تكفي) فالشرط الثاني للتحكم في التاريخ هو (واقعية الفعل).

لقد وجد جلالة الملك العالم المعاصر محاطا بقوانين وأعراف دولية وتقاليد لا سبيل لتناسيها أو تجاهلها. لقد واجه جلالة الملك الحسن الثاني عالم ما بعد الاستقلال، وهو عالم أشد وأصعب من ميراث ما قبل الاستقلال، عالم تغيرت فيه المعالم والحدود والمصطلحات، وتغير فيه الأسلوب الاستعماري ليصبح أكثر دقة وخفاء، ووجد المغرب نفسه مصنفا في العالم الثالث. والعالم الثالث هو في الأمر سجن كبير زجت فيه الشعوب الحديثة عهد بالاستقلال لتعاني التخلف الاقتصادي والاجتماعي، ووجد المغرب نفسه أمام أوربا جديدة وحدتها السوق الأوربية المشتركة تحاول الاستغناء عن العالم الثالث مع احتياجه هو إليها. كما وجد المغرب نفسه أمام مؤامرات الحدود واستنزاف قوى المغرب وكبت التنمية التي يخطط لها، وليس في وسعنا أن نحلل هذه القضايا الثلاث المهمة، فكل واحدة منها تمخضت عنها عشرات القضايا، ولكن القضية الكبرى هي قضية العالم الثالث، هذا التصنيف المصنع أشدها خطورة ومناعة. وفكرة العالم الثالث هي إفراز سياسي لتقسيم العالم إلى شمال وجنوب ولتقسيم اجتماعي اقتصادي (Socio - Economique) الشمال عالم متطور منظم ومصنع والجنوب عالم المواد الخام. الشمال كيف، والجنوب كم، الشمال يملك وسائل التصنيع والتكنولوجيا، والجنوب يستهلك.

ومهما اختلف علماء القانون والسياسة الدولية في تعريف العالم الثالث فالمغرب وجد نفسه مصنفا في العالم الثالث، ومعنى ذلك أنه في وضع معروض عليه أن يكون مرتبطا بمشاكل العالم.

إن عددا من دول العالم الثالث كانت ضحية هذا التقسيم حيث فرضت عليها قضايا غير قضاياها، فتكرس فيها التخلف وازدادت المديونية، وتمكن فيها الاستلاب وإن عددا من دول العالم الثالث أصبح حقلا تجريبيا ومجالا اقتصاديا، ورغم أن العالم الثالث يعد في الدول الحرة المستقلة الممثلة في هيئة الأمم المتحدة ومختلف المنظمات العالمية ويمد بالقروض والمساعدات فإن هذا العالم الثالث يواجه مشاكل الأمية والفقر، وفقدان الأطر وتنظيمات البلاد ودستورية الحكم وحركة الأحزاب والنقابات وأساليب إدارية لا تتسم بالفعالية بقدر ما هي تقليد.

ماذا يعني العالم الثالث ؟

إنه عالم هدمه الاستعمار.

عدة دول أسيوية وافريقية تباينت أوضاعها واختلفت مشاكلها وتغايرت أهدافها حتى أصبحت متناقضة المصالح يصعب إقامة وحدة بينها إلا على الحدّ الأدنى.

اغتال الاستعمار شخصيتها واستلبها فأصبحت دون مناعة صحية حتى إذا أصابتها الجوائح الطبيعة لم تستطع مقاومة السنين العجاف.

ففي افريقيا مثلا استطاعت 51 دولة أن تحصل على استقلالها السياسي، باستثناء ناميبيا وجنوب افريقيا. وكلها تعاني مشكلات الجوع، والفقر والمرض والتصحر، ومشاكل الاقتصاد المزدوج، أي وجود قطاع اقتصادي متقدم ومتحضر، وقطاع متخلف ومتأخر، داخل الاقتصاد القومي للدولة. القطاع المتقدم يتأثر بالمواد الخام، ويصدر الفائض، والقطاع المتخلف بدائي في فلاحته وصناعته.

القطاع المتقدم يتأثر بالمشروعات الزراعية الكبرى والمعامل التي تعتمد التكنولوجيا الجديدة المتطورة. والقدرة على تصدر الإنتاج. والقطاع المتخلف يعتمد

الصناعات التقليدية والعمل البدوي، وقلة الرواج الاقتصادي.

وبذلك ينقسم الشعب إلى فئة من الأغنياء وأخرى من الفقراء و(البنك الدولي) لا يساعد إلا بشروط أخصها تشجيع القطاع الأول على حساب القطاع الثاني.

وبالرغم أن افريقيا تتوفر على موارد اقتصادية هائلة تتمثل في الأراضي الزراعية الشاسعة، والغابات الكثيفة والأنهار المتدفقة. والثروة المعدنية ففي افريقيا 90 ٪ من احتياطي الكروم و 80 ٪ من التيتانوم و50 ٪ من الذهب و40 ٪ من البلاتين و98 ٪ من الماس الصناعي و35 ٪ من احتياطي الأورانيوم. بالإضافة إلى البترول والنحاس والحديد والفوسفاط. فإن افريقيا تعتبر قارة فقيرة.

ثروة ومجاعة ! ياللعجب !

إن افريقيا تعاني أثر الاستعمار الذي بنى اقتصاد أوربا وأمريكا على أنقاضها. فأصبحت تعاني انعدام السيولة النقدية، وتعاني نهر الأطر، ووسائل الإنتاج والتوجيه المفروض عليها والمعوق لها. وإزدادت هذه البلاد عناء في نظام القروض التي انتهجها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي F.M

وأصبح العالم الثالث، عالم التخلف الاقتصادي وعدم الاستقرار، وفقدان المصداقية، وتكريس التبعية والانحرافات ؟ العقيدية والاستلاب الإيديولوجي، والتطرف الديني، وفي خضم مشاكل العالم الثالث المتنوعة وخيوطه المتشابكة يواجه جلالة الملك الحسن الثاني هذا الواقع المرتبك برباطة جأش، وتخطيط متزن وثقة في الله كاملة. وهذه هي عملية التصور الكامل للأهداف والغايات **وهي الشرط الثالث** الأساسي الذي يضمن نجاح حركة التاريخ ودخل المغرب في مرحلة الملكية الدستورية والتنظيم البرلماني الدستوري، وحددت الحريات وقوانينها، ونظمت التعددية الحزبية والنقابية وضبطت الحريات وقوانينها، ونمت الأجهزة الدبلوماسية والعسكرية والأمنية، والمؤسسات التربوية والجامعية والعدلية، ولم تكن هذه الميادين حقولا تجريبية بل كانت ذات الأسس السليمة للبناء السليم المستمر للتنمية الاقتصادية والتجارية والفلاحية والثقافية والتربوية.

وبالإدراك الثاقب والتصور الكامل استطاع جلالته بتخطيط محكم وصبر وأناة وسبر لقضايا العصر ومشاكله، أن يجعل من المغرب ورشة عمل ! عمران متزايد، وسدود أمام كل الأنهار، ومدارس تشيد في كل مدينة وقرية وجامعات في كل إقليم، ومؤسسات للعدالة والأمن والاستقرار.

وهذه هي الصحوة المغربية، هي امتداد للصحوة الإسلامية وهي أوجها. هي صحوة العقل والشعور، والمسؤولية، ووراء القائد المخطط الباني سار المغاربة فخرجوا من الحجر حجر الضب الذي دخل فيه الآخرون، وما استطاعوا الخروج منه وخرج المغاربة من التقليد إلى المبادرة والإبداع، خرجوا إلى المعاصرة والتصنيع والثورة الفلاحية.

الصحوة الإسلامية عندنا هي السير في المنهج الإسلامي الصحيح على أساس تفاعل القيم الروحية مع الأوضاع الواقعية فالإسلام ليس تجريدا ونظريات، وتلهفا على سلفية عصور الازدهار دون عمل مستوحى من واقعية العصر.

وتلكم هي الصحوة الإسلامية التي بعثها المجدد، هي إحياء لمعاني الدين السمح في النفوس المسلمة والإقبال عليها لترقية الالتزام بأحكام الإسلام، فالدين الإسلامي منفتح على كل جديد مثمر. متسامح مع كل دين سماوي، متعاون مع كل الشعوب والأمم. وبهذا المفهوم العميق للصحوة الإسلامية، والإدراك السليم لفلسفة الإسلام مما يملأ الفراغ الروحي، والخواء المادي الذي أحدثه الاستعمار ويصلح الشرخ في جدار الشخصية المغربية، ويعطي للعالم الثالث مفهوما جديدا قياديا وهذا لم يقع في جهات أخرى من العالم.

فبعضنا انساق وراء الليبرالية لاهثا مستنزفا، وبعضها انجذب للإيديولوجيات الماركسية، فلا أتباع الليبراليين نجحوا لأنهم أصبحوا امتدادا لغيرهم، ولا أتباع الماركسية

نجحوا، لأن الماركسية تحولت إلى قوالب فكرية جامدة لم تحقق صورتها المثالية في عالمها ولا في مدنياتها، واضطرت للتراجع من مثاليتها. وكانت العودة إلى الإسلام الحق. لا إلى إسلام الحدود. فقبل الجزاء والعقاب تكون التربية وكفالة الحقوق والحريات، لم يكن الإسلام قط هو العقاب، ولم يكن الإسلام قانون عقوبات وجنايات، هي في الواقع لا تعتبر في الإسلام إلا سياجا له.

والمرحلة الأساسية الأولى هي إشاعة التربية الإسلامية والعدالة الاجتماعية، كما أن الإسلام لن يستقر مطمئنا إلا إذا تساندت الدول الإسلامية وإلا إذا اجتمع المسلمون جميعا على مقاومة التحديات، ومواكبة التطور العلمي، وتحقيق النماء الاقتصادي، والتضامن الأخوي بذلك تسترد القوة الإسلامية كإرادة صلبة مصممة على أن يعود للإسلام دوره القيادي في الحضارة المعاصرة حتى يكون لخطابه تأثير الفعل لا ترديد القول، وليصبح العالم الإسلامي على المسرح العالمي كوحدة متفاعلة مع الأحداث مؤثرة فيه، ومتفتحة، ومسهمة في البناء.

وبعد فلمن يفتح التاريخ أبوابه ؟

لعل السؤال الذي بدأنا به المقال وجد جوابه.

فالتاريخ يفتح أبوابه للأبطال النادرين الذين قلما يجود بهم التاريخ. والحسن الثاني شخصية فذة عالمية، ولذلك فتح بابه للحسن الثاني نصره الله.

الرباط : حسن السايح

أما الآن... فلا...

لم يعد العقل الغربي يطيق المشاهد التي تتكرر أمامه كل يوم. ولم يعد هذا العقل يقبل أيضا أن تعامله إسرائيل بكل هذا الاستغباء. ففي الوقت الذي يلاحق فيه كورت فالدهايم إلى قلب قصر الرئاسة في فيينا بتهمة أنه «عرف» كضابط بالجرائم النازية قبل أربعين عاما يسقط أمام عدسات التلفزيون وحدها عشرات اليافعين في الضفة وغزة وتدفن الدبابات الإسرائيلية بعضهم وهم احياء، وهذه الازدواجية في النظر إلى الحروب والانتفاضات ربما كانت ممسوحة قبل أربعين عاما... أو قبل عشرين، أما الآن ! فلا.

اليد البيضاء لصاحب الجلالة الحسن الثاني في ازدهار القراءات القرآنية بالمغرب

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

كنت حدثت، في خمسة أعداد سابقة خاصة من مجلة دعوة الحق القراء[1] القراء الأعزاء عن القرار المولوي السامي القاضي بتحقيق وطبع تفسير «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» للعلامة الأندلسي عبد الحق بن أبي بكر بن عبد المالك الغرناطي المعروف بابن عطية.

وإنه لقرار مبروك جاء في وقته المناسب سيجني منه المغرب تحقيقات علمية تشمل، إن شاء الله، جميع أنواع علوم القرآن مستمدة من تفسير عظيم كان الأصل الأصيل لكثير من التفاسير المشهورة التي جاءت بعده.

نعلم أن أمر تحقيق هذا التفسير العظيم أسند إلى المجالس العلمية. ولهذا الغرض قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فزودت المجلس العلمي بفاس والمجلس العلمي بمراكش والمجلس العلمي بتطوان والمجلس العلمي بأكادير بالنسخ الخطية الموجودة الآن لـ «محرر الوجيز».

قام المجلس العلمي بفاس فحقق منه، حتى الآن، تسعة أجزاء.

ولقد اطلعت بنفسي، من جهة أخرى، على الجزء الأول من هذا التفسير بتحقيق أعضاء المجلس العلمي بمراكش حين كان هؤلاء العلماء يعقدون جلسات مطوّلة في خزانة الكتب بكلية اللغة العربية يناقشون ابن عطية، واضعين التعاليق المناسبة لما أبهم. ثم رايت، بعد مدة، هذا الجزء مطبوعا بالآلة الكاتبة في نفس الكلية.

لكن يظهر أنه وقع التخلي عن طبع المحرر الوجيز بتحقيق هذه المجالس كلها، واقتصر، فيما يبدو، على ما ينجزه المجلس العلمي بفاس.

كانت ملاحظاتي في الأعداد السابقة منصبة ـ كما ينص عليه عنوان المقال ـ على القراءات القرآنية.

لقد كان أملي وأمل الدارسين المحبين للدرس الإسلامي أن يهتم محققوا هذا الكتاب بتوضيح ما غمض من كلام ابن عطية، وبتصويب ما انبهم عليه من الأمور التي يتعرض لها في تفسيره، وعلى الخصوص تلك التي تتعلق بالقراءات القرآنية، لا سيما وأن المحرر الوجيز، يعد، زيادة على كونه توضيحاً لبلاغ رب العالمين، مرجعا خطيرا في القراءات القرآنية.

سيقال لي لا حاجة بنا إلى التعليق على ما يتعرض له من القراءات ما دام يقدمه مفصلا معزوا لذويه، بأسهل عبارة، وأوضح طريق.

1) انظر دعوة الحق العدد الثالث من السنة الرابعة عشرة ذو الحجة ومحرم الحرام 1391 (يبراير مارس 1971) من الصفحة 110 إلى صفحة 90 إلى صفحة 92. وكذا «دعوة الحق» العدد الثامن السنة الخامسة عشر صفر الخير 1973 (مارس 1973) من صفحة 146. وكذا «دعوة الحق» العددين الرابع والخامس السنة السادسة عشر صفر الخير 1394 (مارس 1974) ابتداء من صفحة 150 وكذا «دعوة الحق» العدد العاشر من السنة السادسة عشرة صفر 1315 (مارس 1975) ابتداء من صفحة 140.

أقول نعم لو كان الأمر كذلك في كل الأحوال. لكن حين يحيد عن هذا السبيل، أو حين تزل قدمه، أو حين ينفرد بأمر لم يقل به أحد غيره من الأئمة المتخصصين، وجب أن ننبهه على ذلك وأن نرده إلى الصواب.

لا يمكن لأحد، ولو كان ابن عطية، أن يقول في القراءات، لا سيما القراءات المتعبد بتلاوتها، بهواه. إن التعليق في مثل هذه الحالات، أي حين يخرج عن الجماعة، من أوجب الواجبات على المحقق.

لقد أعطيت أمثلة عن ذلك في سبق من الأعداد الخاصة لـ «مجلة دعوة الحق» وسأواصل، اليوم، الحديث في الموضوع لعل إخواني العلماء المسؤولين عن تحقيق هذا الكتاب يعيرون ذلك اهتماماً حتى يكون عملهم الذي يقدمونه للناس ذا فائدة.

لنأخذ الآية :[2] «وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة يغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين».

ولننظر ما قال عنها ابن عطية مما يتعلق بالقراءات وماذا كان موقف السادة المحققين من تخريجاته.

قال عن قوله تعالى :[3] ﴿**يغفر لكم**﴾ :

قرأ نافع : يغفر بالياء من تحت مضمومة.

هذا صحيح، لكن كان من المفيد أن يشير المحققون إلى أن هذا من المواضع التي انفرد فيها الإمام نافع إذ من شأن هذه الإشارة أن تساعد القارئ على إدراك مراد الله من كتابه.

ثم قال ابن عطية : وقرأ ابن عامر : تغفر. وهذا صحيح أيضاً ولا يحتاج إلى التعليق وإن كان انفرد هو أيضا بهذه القراءة.

ثم قال بعد ذلك ابن عطية : وقرأ أبو بكر عن عاصم : يغفر بفتح الياء على معنى يغفر الله.

كان على المحققين أن يقفوا هنا وقفة ليوضحوا هذه القراءة؛ وهي قراءة، إن بقيت بدون ملاحظة جرت إلى شر كبير. ذلك أن أبا بكر[4] لم يقرأ عن عاصم في مشهور مقروئه بفتح الياء، وإنما قرأ مثل صاحبه حفص، بالنون «نغفر» وبطرق شتى.

بهذا قرأنا، وبهذا قرأ شيوخنا رضي الله عنهم، وهذا ما ينص عليه الشيخ أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري[5] في غايته[6] وأبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي[7] في كتاب السبعة في القراءات[8] والإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني[9] في تيسيره[10] وأبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش[11] في إقناعه[12] وأبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي[13] في كشفه[14] وفي تبصرته[15]، وأبو علي الحسن بن أحمد الفارسي[16] في حجته[17].

لم يذكر أحد من هؤلاء الأئمة الكبار في القراءات أن أبا بكر قرأ عن عاصم «يغفر» بفتح الياء على معنى «يغفر الله».

فكيف يسمح السادة المحققون لابن عطية أن يقول هذا الكلام دون أن ينبهوا عليه ؟

---

2) سورة البقرة الآية 58 - يلاحظ أن السادة المحققين لم يرقموا في تحقيقهم الآيات مما يجعل الاستفادة من عملهم صعبة المنال.
3) المحرر الوجيز صفحة 231 من الجزء الأول.
4) ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج 1 ص 325 الترجمة رقم 1321.
5) ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي 14/3 وفي الجزء الرابع صفحة 160 من النجوم الزاهرة وفي معرفة القراء الكبار ج 1 ص 279 وفي تذكرة الحفاظ الجزء 3 ص 975 وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 1 ص 49.
6) الغاية في القراءات العشر صفحة 101.
7) ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 1 ص 139.
8) كتاب السبعة في القراءات صفحة 156.
9) ولد بداية سنة 371 هـ ومات سنة 444 هـ. انظر التفصيل عنه في الكتاب الذي حققته له «التعريف في اختلاف الرواة عن نافع».
10) صفحة 73.
11) ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة 194/1 وفي الصلة لابن بشكوال 82/1 وفي بغية الوعاة للسيوطي 338/1 وفي الديباج لابن فرحون 190/1 وفي غاية النهاية لابن الجزري 82/1 وفي شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف 132/1.
12) كتاب الاقناع في القراءات السبع صفحة 598 ج 2.
13) ترجمته في معرفة القراء الكبار 316.
14) كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ج 243/1.
15) التبصرة في القراءات صفحة 149.
16) ولد سنة 288 هـ وتوفي سنة 370 هـ.
17) الحجة في علل القراءات السبع ج 2 ص 70.

غير أننا نعلم، من جهة أخرى، مكانة ابن عطية في القراءات القرآنية وتضلعه فيها. وعليه، فلا بد للمحقق أن يبحث في كلامه جيداً وأن يقلبه ألف مقلب ليعلم مصدره.

نعلم أن أبا بكر هو أحد رواة الإمام عاصم وأن روايته أتتنا من طرق كثيرة أوصلها الإمام ابن الجزري إلى ست وسبعين طريقا[18]. لكننا، نحن الآن لا نقرأ إلا بطريقين، هما طريق يحيى بن آدم بن سليمان بن خالد بن أسيد أبي زكريا العلمي، وهي أصح طريق عنه على الإطلاق، وبها نقرأ رواية شعبة عن عاصم رضي الله عنهم، بسبب بسيط وهو أن يحيى ابن آدم هو الوحيد، في نظري الذي سمع القرآن كله عنه وعرضه عليه حرفاً حرفاً، لذا فطريقه هي أوثق طريق عندنا. قال يحيى بن آدم :[19] سألت أبا بكر بن عياش عن هذه الحروف[20] فحدثني بها كلها وقرأتها عليه حرفا حرفا وقيدتها على ما حدثني بها وأثبت جماعة قراءته عليه عرضا والأقل أثبت سماعا.[21] أما الطريق الثاني المؤدية إلى رواية أبي بكر فهي طريق يحيى بن محمد بن قيس العليمي[22]. ورغم شهرتها فلا نقرأ بها لا في المغرب ولا في العالم الإسلامي نظرا لأن الإمام الداني، مثبت القراءات، وبعده الإمام الشاطبي، مقننها وناشرها لم يقرآ بها أو على الأصح لم يذيعاها. وسواء أخذنا برواية أبي بكر عن عاصم بطريق يحيى بن آدم أو بطريق يحيى العليمي فإن أبا بكر لا يقرأ «يغفر» إلا بالنون.

غير أن هناك طريقاً آخر غير مشهور لرواية أبي بكر تسمى طريق حسين ابن علي الجعفي[23]. هذا الإمام الحبر الزاهد الذي قال عنه أحمد بن حنبل : «ما رأيت أحسن من حسين الجعفي» هو الذي يقرأ : «يغفر» بالياء على معنى يغفر الله». ورغم أن الجعفي هو «أفضل رجل في الأرض» كما كان يقول عنه سفيان بن عيينة، فإننا لا نأخذ بقراءته، طريق لأبي بكر كما ذهب إلى ذلك ابن عطية؛ لأن الجعفي لم يسبق له أن عرض القرآن كله على أبي بكر بل روى عنه الحروف سماعا من غير عرض. نعرف أن الجعفي ناقلا لقراءة الإمام حمزة ولقراءة أبي عمرو البصري أكثر من نقله لغيرهما نظرا لطول قراءته على الأول وقيامه خلفا له في قراءته من بعده وروايته للثاني وملازمته له.

وعلى كل هذا، كان يحسن بالسادة المحققين أن يشيروا إلى أن قراءة أبي بكر المقدمة في الأداء هي «نغفر» بالنون كالجماعة.

وشيء آخر في قراءة هذه الآية كان لابد من التنبيه إليه والاضلل قارئ هذا التفسير القيم.

ذلك أن ابن عطية يخلط في تفسيره بين قراءتين وجب الفصل بينهما. لابد ـ وهنا شيء وجب الحرص عليه ـ أن نفصل بين القراءات المتواترة المتعبد بتلاوتها وبين غيرها من القراءات وإلا وقع شر كبير، إذ هناك احتمال أن يأخذ متصفح تفسير ابن عطية هذه القراءات فيقرأ بها في صلاته ما دام يراها متساوية في كتاب طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وحينئذ تكون صلاته باطلة قطعاً ونكون نحن آثمين بعدم توضيحنا لذلك.

وجب أن نشير إذن في هذه الآية إلى أن القراءات المتواترة المتعبد بها هي : قراءة نافع وقراءة ابن عامر وقراءة الباقين وما عدا ذلك كقراءة الجحدري والأعمش وقتادة والحسن البصري وأبي حيوة فغير متواترة، ذكرت، لا على أنها قرآن يتعبد به، ولكن على مراد توضيح الآية، رغبة في إدراك مراد الله من كلامه.

فإن انتقلنا إلى قوله تعالى :[24] ﴿**وإذ قلتم يموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بئايت الله ويقتلون النبيئين بغير**

18) النشر في القراءات العشر ج 1 ص 152.
19) ترجمته في غاية النهاية ج 2 ص 363 رقم الترجمة 3817.
20) يقصد رواية أبي بكر عن عاصم.
21) غاية النهاية ج 2 ص 363.
22) ترجمته في غاية النهاية ج 2 ص 378 الترجمة رقم 3864.
23) ترجمته في غاية النهاية ج 1 ص 247 الترجمة رقم 1123.
24) سورة البقرة الآية 61.

الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾. رأيناه يقول في قراءتها :[25] «وقرأ نافع : بهمز «النبيئين» وكذلك حيث وقع في القرآن الكريم إلا في موضعين في سورة الأحزاب : «إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي» بلا مد ولا همز، و«لا تدخلوا بيوت النبي إلا»، وإنما ترك همز هذين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد، وترك الهمز في جميع ذلك الباقون».

في هذا الكلام خلط ووهم وسوء تخْرِيج. كان على السادة المحققين أن يقصدوا إليه لينبهوا قراءهم عليه مقومين خطأه ومصوبين وهمه ومصححين تخْرِيجه.

أما الخلط فقوله : «إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي»[26]. فأي «النبي» يقصد ؟ الأولى أم الثانية، كان على المحققين أن ينبهوا الناس إلى ذلك. المقصودة بالكلام، التي خرجت عن الأصل، هي الأولى؛ أي كان عليه أن يقول فقط؛ «إن وهبت نفسها للنبي إن أراد» ليعلم القارئ أن هذه وحدها هي التي ينصبُّ عليها الكلام. أما الثانية فلا تدخل في المقصود لأنها مهموزة عند نافع قطعاً وبدون خلاف.

وأما الوهم فقوله : «قرأ نافع بهمز» النبيئين» وكذلك حيث وقع في القرآن إلا في موضعين».

وهذا وهم بين وجب تصويبه على الفور وإلا ظن الناس، انطلاقاً من هذا الاطلاق الذي أطلقه أن ورشا، وهو من رواة نافع الذي نقرأ بروايته في المغرب، يقرأ : «للنبي إن أراد» و«بيوت النبي الا» بدون همز، والصواب غير ذلك، فورش يقرأ اللفظين معا بالهمز، روى ذلك عنه الناس بلا خلاف والمغاربة جميعاً على ذلك لا يعرفون غيره.

فكيف سمح المحققون لأنفسهم بإهمال ذلك مع عملهم به لأنهم حفاظ القرآن برواية ورش ؟

كان عليهم أن يعلقوا على هذا الكلام فيقولون : إن قالون وحده يقرأ اللفظين في الأحزاب بإبدال الهمزة ياء وادغامها في الياء في حالة الوصل وحين نقرأ له بطريق غير طريق الحلواني[27].

أما حين يقف قالون على اللفظين فإنه يقرأهما بالهمز كورش أو حين تنقل قراءته عن طريق الحلواني فإنه يقرأهما بالهمز كذلك.

ومثل هذين اللفظين «بالسوء الا» في قوله تعالى :[28] **﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسو إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾.**

وإلى هذا أشار الإمام ابن بري في درره :

وسهل الأولى لقالون وما
أدى لجمع الساكنين ادغما
في حرفي الأحزاب بالتحقيق
والخلف في بالسوء في الصديق

ومعلوم أن قالون يسهل الهمزة الأولى من المتفقتين بالضم أو بالكسر[29]. أما المتفقتان بالضم، وليس في القرآن إلا موضع واحد، هو : «أولياء أولئك»[30] فيجعل الأولى منهما كالواو، أي بين الهمزة والواو. وأما المتفقتان بالكسر - وهو الموضوع الذي يهمنا - فقد ورد منه في القرآن الكريم خمسة عشر موضعا[31] باتفاق القراء جميعا، كلها قبل الهمزة الأولى منها ألف إلا موضع واحد ما قبل الهمزة فيه واو[32]. واثنان اختلف القراء فيهما، الأولى هذه التي نتحدث عنها وهي : «للنبي إن أراد» يقرأها ورش راوي نافع بهمزتين متفقتين بالكسر خلافا لما ذهب إليه ابن عطية.

---

25) المحرر الوجيز ج 1 صفحة 240.

26) سورة الأحزاب، الآية 50. وكعادة المحققين لم يشيروا إلى مكانة الآية في السورة تسهيلا على الناس.

27) انظر كتاب الداني : «التعريف في اختلاف الرواة عن نافع الذي حققته صفحة 332.

28) سورة يوسف الآية 53.

29) أما المتفقتان بالفتح فيحذف الأولى منهما شأنه شأن أبي عمرو البصري والبزي راوى ابن كثير.

30) وردت في سورة الاحقاف الآية 31 وهي : «ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين».

31) وردت الأولى في سورة البقرة الآية 31 والثانية في سورة النساء الآية 22 والثالثة كذلك الآية 24 والرابعة في هود الآية 71 والخامسة في يوسف الآية 53 والسادسة في سورة بني إسرائيل الآية 102 والسابعة في النور الآية 33 والثامنة في الشعراء الآية 187 والتاسعة في السجدة في الآية 5 والعاشرة في الأحزاب الآية 32 والحادية عشرة في نفس السورة الآية 55 والثانية عشرة في سبأ الآية 9. والثالثة عشرة في هذه السورة الآية 40 والرابعة عشرة في ص الآية 15 والخامسة عشرة في الزخف الآية 84.

32) سورة البقرة، الآية 282.

والثانية نجدها في آية الدين :[32] «الشهداء إن تضل» يقرأهما حمزه وحده لكسر «إن» فتصير عنده وحده من المتفقتين بالكسر ويقرأهما على أصله وهو التحقيق.

يقرأ قالون هذه المواضع الخمسة عشر بالتسهيل فيجعل الهمزة الأولى كالياء أي بين الهمزة والياء إلا الحرفين في الأحزاب، فيبدل، كما قلنا الهمزة الأولى ياء ويدغمها في الياء، والا «بالسوء الا» في يوسف فيبدل الهمزة الأولى واوا ويدغمها في الواو. وإلى هذا أشار الإمام الشاطبي في حرزه قائلا :

وقالون والبزي في الفتح وافقا[33]

وفي غيره كاليا وكالواو سهلا

وبالسوء إلا أبدلا ثم أدغما

وفيه خلاف عنهما ليس مقفلا

وأما سوء التخريج فقوله :[34] «وإنما ترى همز هذين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد». يفهم من هذا أنه كلما اجتمع همزتان مكسورتان من جنس واحد في كلمتين إلا ووقع إبدال الأولى ياء. وهذا غير صحيح. فلو كان هذا صحيحا لرأينا ذلك مطبقا في خمسة عشر موضعا التي أشرت إليها في الهامش 31. الذي وجب أن يقال إن قالون يخفف اللفظ إذا كان قبل الهمزة الأولى المكسورة حرفي علة (مد على الأصح) بإبدال الهمزة ياء إن كان قبلها ياء أو واوا إن كان قبلها واوا وذلك لا زالة رتابة الصوت وتكراره.

وأحب قبل أن أختم هذه الحلقة أن أثير انتباه السادة المحققين للمحرر الوجيز إلى أمر غريب في منهج ابن عطية فيما يتعلق بالقراءات عليهم أن ينتبهوا له.

لاشك أن السادة المحققين لاحظوا حرص ابن عطية على ذكر القراءات القرآنية في كل آية بشيء من التفصيل بل والمبالغة؛ يخلط في كثير من الأحيان بين المتواتر منها والشاذة ويقف طويلا يستخرجها محاولا استنباط النوازل منها. فإن كان الأمر كذلك، وهو كذلك لا محالة. فماذا يكون موقفهم حين يتعرض المصنف لآية فيها قراءات متواترة يتوقف المعنى الاجمالي عليها ولكنها لا يوردها ؟ أيمرون على ذلك مر الكرام أم ينبهون قراءهم عليه. فإن فعلوا قاموا بواجبهم وكان عملهم مفيدا وإن لم يفعلوا بقي التفسير غامضا ولربما ضلل القارئ الذي سيعتقدان المؤلف لم ينص على القراءة في الآية لأنه ليس فيها منها شيء.

لنأخذ مثالا على ذلك قوله تعالى :[35] ﴿**بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحب النار هم فيها خلدون**﴾. لم يشر ابن عطية في هذه الآية على غير عادته إلى قراءة قوله : وأحاطت به خطيئته، غاية ما قال عنها :[36] «والخطيئات كبائر الذنوب، وقال قوم : خطيته بالإفراد، وقال قوم، السيئة هنا الكبائر، وأفردها وهي بمعنى الجمع لما كانت تدل على الجنس، كقوله تعالى : ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾[37] والخطيئة الكفر، ولفظة الإحاطة تقوى هذا القول وهي مأخوذة من الحائط المحدق بالشيء».

هذا كلام ضرب الرقم القياسي في الغموض. ولا شك أن القراء سيضعون الأسئلة الآتية لتوضيحه. من هم القوم الذين قالوا بإفراد «الخطيئة» ولماذا أفردوها ؟ ومن الذي قرأ بالجمع ؟ ولماذا قرأ به ؟ وما معنى «لفظة الإحاطة تقوى هذا القول وهي مأخوذة من الحائط المحدق بالشيء ؟».

هذه أمور مهمة يتوقف فهم الآية على الأجوبة الصحيحة عنها فلماذا بخل السادة المحققون بها علينا ؟

في قوله تعالى : ﴿**وأحاطت به خطيئاته**﴾ قراءتان.

قراءة الإمام نافع الذي انفرد بقراءة «خطياته» جمعا، وحجته في ذلك أن «الإحاطة» لا تكون للشيء المفرد إنما تكون لمجموعة من الأفراد.

---

33) أي وافقا أبا عمرو بن العلاء المشار إليه في بيت سابق الذي من أصله إسقاط الهمزة الأولى من المتفقتين بالضم أو الفتح أو الكسر.

34) المحرر الوجيز ج 1 صفحة 241.

35) سورة البقرة الآية 81.

36) المحرر الوجيز ج 1 صفحة 275.

37) مقطع من آية ذكر مرتين في إبراهيم الآية 34 وفي النحل الآية 18 لكن المحققين لم يشيروا إلى مكان وجوده.

فإن رد عليه أحد قائلا إن الإحاطة وقعت صراحة في القرآن الكريم على المفرد مقدما شاهداً على ذلك قوله تعالى :[38] **﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بيس الشراب وساءت مرتفقا﴾**. قيل له إن ذلك جائز من حيث كان المحيط أكبر من المحاط به، إذ سرادق جهنم أكبر من الظالمين بكثير.

أو يعترضون عليه بقول الله عز وجل :[39] **﴿ومنهم من يقول إذن لي ولا تفتني، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكفرين﴾**. يقال لهم جاز هنا من حيث إن جهنم أكبر بكثير من الكافرين.

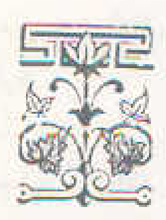
ثم إن نافعا عندما يقرأها بالجمع لا يعتبر ما سبق فقط وإنما يرى أن «أحاطت به خطيئاته» أهلكته خطاياه، مصداقاً لقوله تعالى :[40] **﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما ءاتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل﴾**. قال مجاهد شارحا قوله : «إلا أن يحاط بكم» إلا أن تهلكوا أو تموتوا. ومصداقاً كذلك لقوله تعالى :[41] **﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاركين﴾**.

ومعلوم أن العدو إذا أحاط بموضع فقد هلك أهله. ومن هنا جاء قولهم فيمن وقع في بلية : «قد أحيط به» ومصداقا لقوله تعالى :[42] **﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يليتني لم اشرك بربي أحدا﴾** لأن «أحيط بثمره» أهلك ماله كله.

وقرأ الباقون وهم ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكوفيون «خطيئته» بالإفراد. جعلوها مضافه إلى مفرد. وكما أفردت السيئة ـ وهذا ما أشار إليه ابن عطية وما كان يحتاج إلى بيان ـ أفردت الخطيئة وإن كانت جمعا في المعنى، كما قال صاحب المحرر الوجيز، لأن الخطيئة عطف على السيئة قبلها، إذ الخطيئة سيئة والسيئة خطيئة.

لكن حين تضاف الخطيئة إلى الجمع تأتي في القرآن جمعا، وهو ما أغفل الإشارة إليه ابن عطية، نرى ذلك في قوله تعالى : **﴿نغفر لكم خطاياكم﴾**. أي أضيفت إلى جمع فجاءت جمعا، لكل واحد منهم خطيئة. نفس الشيء نلاحظه في قوله تعالى :[44] **﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المومنين﴾**.

الرباط : الدكتور التهامي الراجي الهاشمي



38) سورة الكهف الآية 29.
39) سورة التوبة الآية 49.
40) سورة يوسف الآية 66.
41) سورة يونس الآية 22.

42) سورة الكهف الآية 42.
43) سورة الاعراف، الآية 161.
44) سورة الشعراء الآية 51.

فكرة تأسيس "مسجد باريس" بين اقتراح المولى محمد بن عبد الله وتنفيذ المولى يوسف

للأستاذ محمد بنعبد الله

هـذا البعث الإسلامي الرائع الـذي تشهـده البـلاد الأروبيـة والأمريكيـة خـلال العقـود الأخيرة، والـذي أكـد حضوراً إسلامياً مكثفاً في جميع الواجهات تجلى في شتى الأماكن التي يغشاها الناس للعبادة، ومـدارسـة السنـة والقرآن...

وأولئك الدعاة المخلصون الذين انطلقوا مبشرين بهذه الصحوة الإسلامية، في مختلف البلاد الأروبية والأمريكية وغيرهما فتدفقت سيولهم من منابعها، وخرجت سنابلهم من قنابعها ينشرون دين الله، ويهدون النـاس بـالتي هي أقوم، وأدعى إلى القبول...

وذلك الاهتمام الذكي بالإسلام الذي ملك أقطـار فكر المواطن الغربي وعنـايتـه لـدرجـة أنـه، اليوم، أصبح لفرط اهتمامه، يفطر إسلاماً، ويتغذى إسلامـاً، ويتعشى إسلامـاً... ما هو هذا الإسلام الذي انطلق هـاديـاً مبشراً، يملأ الـدنيـا، ويشغل الناس، ويتلقف ماتـأفـك بـه هـذه الإيـديولوجيـات الضبـابيـة التي غـزت العقـول والأفكـار، وفشلت مـذاهبهـا الاجتماعية كلهـا، فلم تستطع أن تخلص جوهر الإنسـان من نزعات الجاهليـة الأولى... فلم يبق إلا أن يجرب أصحـابهـا ومعتنقوهـا المـذهب الإسـلامي، ولـو على سبيـل الاقتبـاس والقياس والاستيناس...

كيف كـانت هـذه الصحوة الإسـلاميـة ؟ وكيف وصلت إلى بلاد الغرب..؟

وهـذا العـالم الإسلامي الـذي يزخر بطـاقـات بشريـة راقية، ويفيض بثروات مادية كبرى في أرضه وسمائه ومائـه إلى جـانب ثرواتـه الروحيـة العظيمـة التي لا تتم السعـادة والرخاء إلا بها ؟

وهـــنـا الـــدفـق من الكتب والمجـلات والصحف والدوريات والنشرات، التي تخرجها، بغزارة وكثرة، المطابع الأروبية والأجنبية، بمختلف اللغات، وهي تتحدث عن المد الإسـلامي كحقيقـة، وواقـع متميز للمسلمين في نشـاطهم الدائب، وكفاحهم الصوفي في مختلف الديار والأقطار...

☆ ☆ ☆

لقد أتى حين من الدهر، لم يكن في البلاد الأروبية والأمريكية مسجد أو مؤسسة دينيـة إسلاميـة.. نرى أنـه في الوقت الراهن نشاطا ملحوظاً، وحركة دائبة مؤمنة، يقوم بها حمـاة الـدعوة الإسـلاميـة، وحراس العقيـدة، لنشر الفكر الإسـلامي على طـول السـاحـات الأروبيـة، والبـاحـات الأمريكيـة وغيرهمـا... فترى عـدة مسـاجـد ومـدارس، ومؤسـسات تشهد لصحوة المسلمين الواعية، يؤكدها ما تنشره الصحف التي تتحـدث في عنـاوين بـارزة عن «الإسـلام في

فرنسا بمساجده الألف»،[1] مثلاً...

وغير بعيد، كان المسلم في بلاد الاغتراب، يفتقد أماكن للعبادة، ومجالس للوعظ، ومدارس للأطفال، ومعاهد للجيل الثاني...

ولنأخذ بلداً أوروبيا واحدا، على سبيل المثال، وليكن القطر الفرنسي.. ففي كل أنحاء فرنسا، اليوم، وفي كل مدينة، وفي عدد ضخم متزايد من القرى والمصانع أخذ اسم الله يتردد، والأذان يرتفع خمس مرات كل يوم، يدعو المسلمين للصلاة، وفي كل هذه المراكز انبثقت الجوامع والمساجد، وأمها المصلون ينسلون إليها من كل حدب وصوب. وفي كل مسجد ومصلى وجامع، اتخذ المسلمون أئمة لهم من بين الطلبة العرب المسلمين المتدينين، والذين شكلوا في جامعاتهم ومعاهدهم منتديات إسلامية، تدعو للإسلام، وتحث على اعتناقه، وتحض الناس، من طلبة وعمال، على ممارسة فروضه وشعائره، وتجنب نواهيه..

وقد أثبتت الإحصائيات الأخيرة، الصادرة في فرنسا، أن حوالي ثلاثين ألف فرنسي، اعتنقوا الإسلام في الفترة الأخيرة، وأن عدد المسلمين في البلاد الفرنسية بلغ حوالي المليونين والنصف من عمال وطلبة ومعتنقين للإسلام حديثاً من الفرنسيين وأوروبيين مختلفي الجنسيات، وهذا العدد يجعل من الإسلام الدين الثاني في فرنسا، من حيث الأهمية، وعدد الأتباع، بعد المسيحية...

وقد بلغ عدد المنظمات الإسلامية، والجمعيات الدينية التي سجلت أسماءها، في المكاتب الرسمية، وفق قانون فرنسا، خمسة وثلاثين وستمائة، ويبذل دعاة هذا الجيل الجديد للمسلمين جهودهم في مقاومة اتجاهات الغرب المعادية، أو في التواصي بالتسامح...

وقد ذكرت بعض الصحف الفرنسية أن المسلمين الأثرياء، فيهم من يحافظ على الصلوات، ومن لا يصلي أبداً !! وعلى الرغم من ذلك ينفقون أموالهم، في سبيل الله، وإعلاء كلمته ونشر دينه...

وقالت بعض الصحف أيضاً : إن وزير الداخلية الفرنسي، قد أمر بتقديم تقرير عن فرنسا الجديدة، ذات الآلاف من المساجد يبين نفوذ المسلمين المتصلبين هناك، ومدى تغلغلهم في البلاد...

وقد استعرض السيد جيل كيبل Jilles KEPEL أحد أساتذة الدراسات الإسلامية، والعلوم السياسية، في كتابه : «الضواحي الإسلامية» Les Banlieues de L'islam أعداد المسلمين وأحوالهم الدينية فقال : إن عدد المسلمين البالغ ثلاثة ملايين نسمة، تقريباً، تعرضوا للعنصرية المتطرفة، والعصبية الوطنية، ولم يزد عددهم في مدة خمسة عشر عاماً بصورة ملحوظة، ولكن الأمر الملفت للنظر، هو الوعي الإسلامي الذي ازداد بسرعة.[2]

ويكفي أن نشير إلى أنّ خمسين منظمة وجمعية إسلامية في فرنسا دعت إلى تنظيم مظاهرة شعبية في باريس في 15 من الشهر الماضي للإعراب عن المساعدة والتأييد لانتفاضة الشعب الفلسطيني في وجه الاحتلال الصهيوني..

وفي بيان أصدرته هذه الجمعيات الإسلامية، قالت بأن عمليات القمع الإسرائيلي التي يتعرض لها الفلسطينيون في المناطق المحتلة تشكل تهديداً خطيراً لمستقبل السلام في المنطقة والعالم..

☆ ☆ ☆

وارتفاع عدد المسلمين، يعود بالأساس إلى كثرة الولادات في فرنسا، وبسبب النهضة العالمية للإسلام، ولكونه واق من الهجرة...

وخلال عام 1983 نشر مكتب «رابطة العالم الإسلامي» في باريس إحصاء مفاده أنه يوجد حاليا بفرنسا 410 جوامع من بينها 150 جامعا بباريس وضواحيها (23 بباريس فقط)، و16 بمدينة «ليون»، و 15 بمرسيليا»..

وتشير المصادر الرسمية الفرنسية إلى أن المملكة العربية السعودية، هي التي تتولى تمويل «رابطة العالم

1) جريدة : لومنده رقم : 12495، الثلاثاء : 1985/4/3.

MARC AMBROISE-RENDU

2) انظر العدد الأخير من مجلة Lamalif رقم 195 جانفي 1988، ص 12 ففيه نظرة ودراسة عن هذا الكتاب.

الإسلامي»، وبالتالي الجوامع والمساجد على الحصول على مصاحف، وعلى إعداد وبناء مساجد جديدة...

وتعتقد الأوساط الرسمية الفرنسية أن عدد الجوامع والمساجد بفرنسا أهم بكثير مما تم الإعلان عنه حتى الآن... وقالت مصادر جامعية بفرنسا، إن عدد المصليات والمساجد هو ضعف ما أعلن عليه، وأن « مارسيليا» التي قيل إن بها 15 جامعاً فقط، يوجد فيها في الواقع نحو 87 مسجداً وجامعاً...

وأفادت مصادر فرنسية مطلعة أنه منذ عامين ظهرت الجوامع والمساجد بفرنسا بمعدل مسجد كل يوم، وأن المساجد تنبثق كالفطر Champignons حول المصانع والمؤسسات الصناعية بسائر أرجاء البلاد الفرنسية، وأن أحد أهم الجوامع الجديدة بباريز، جامع بقلب العاصمة يتسع لثلاثة آلاف من المصلين..

وبمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس «مسجد باريس» الكبير، ثمّ توسيعه والزيادة فيه، حتى يستوعب أكبر عدد من المصلين، وقد تطلب ذلك ثلاثة ملايين من الفرنك الفرنسي الجديد، وقد كان هذا الإصلاح ضرورياً جدا بسبب تزايد عدد الوافدين المصلين أيام المناسبات الدينية، إذ قد يصل عددهم إلى 5000 مصل يجتمعون للعبادة والذكر... ولا سيما في الأعياد والمواسم...

ففي ظرف خمس سنوات، ارتفع عدد المساجد والزوايا، وقد أعطي إحصاء، تم في عام 1983، 438 مصلى، موزعة على ستين إقليماً، وتأتي مدينة «باريس» في الرتبة الأولى بـ 51، مصلى، تليها Seine - Saint - Denis بـ (43) ثم le Rhône و le Nord بـ 36 لكل منهما...

إلا أنه في الحقيقة هناك عدد أكبر، يصل إلى 1,000، زيادة على مشاريع التأسيس الجديدة...

وقد بدأت موجة الإسلام تمتدّ في نهاية السبعينيات، عندما أضرب العمال المغاربيون لشركة Sonacotra عن العمل، وكان من بين مطالبهم خلق وإيجاد مكان للصلاة الجماعية، وحاليا، 75 ٪، من 600 بيت خاص بالعزاب يحتوي على مصلى، وتتوقع هذه الشركة أن تقيم مصلى في كل مؤسسة لديها...

وفي مركز Aulnay Sous les Bois (Seine Saint Denis) مثلاً، قام سكانها، وأكثرهم مغاربة وجزائريون بمضاعفة مساحة مرأب للدراجات لإعدادها مسجداً. وكذلك في Bagnolet، حيث أقيم المصلى في أسفل مسالك شركة Sonacotra ...

وقد صارت هذه المساجد صغيرة جدا ايام الجمع، وضاقت جنباتها، حيث يأخذ الإمام، ويجد في البحث عن سقيفة أو سرادق، بل وفي بعض الأحيان بطلب تأسيس مسجد... وقد وقع في عام 1980 في Mantes la - Jolie (Les Yvelines) حيث إن المساجد السبعة الموجودة، لم تعد كافية لاستيعاب ناس أكثر، ففي هذه المدينة التي يبلغ عدد سكانها 45.000 نسمة، هناك 6500 عامل مغاربي يعملون في السيارات.. وقد أعطى عمدة المدينة السيد Paul Picard وهو اشتراكي. قطعة أرض للاتحاد الإسلامي «للاقلين» les Yvelines. رغم معارضة اليمين الفرنسي... وقد بعث الاتحاد بمعوثين لديه، إلى الدول الخليجية لجمع 6 ملايين فرنك فرنسي لبناء مسجد تعد صومعته مفخرة لسكان Mantes - la - Jolie.

ويعمل مكتب الجامعة الإسلامية بباريس على تنمية أماكن العبادة في فرنسا. ففي ظرف تسع سنوات، منذ تأسيسه، قدم هذا المكتب مساعدة مالية إلى مائتي مشروع، وتبعث الحكومة السعودية، وبعض الواقفين نحو خمسة عشر مليونا من الفرنكات سنويا...

وهكذا، فإن فرنسا التي لم تكن تعد إلا «جامع باريس» الكبير الذي افتتح، ودشنه المولى يوسف في عام 1926، باتت تعد، حالياً، أكثر من ألف جامع ومسجد...

وفي عدد كبير من الجامعات والمعاهد العليا بفرنسا، أصر الطلبة المسلمون على الحصول على مساجد داخلية خاصة بهم، وحصلوا على ردود إيجابية في حالات كثيرة، وفي هذه المساجد أقاموا حلقات درس للعلوم الدينية ومكتبات زاخرة بالكتب الفقهية، وتفاسير القرآن، وكتب السنة النبوية الشريفة، وفي كل شهر ينظم الطلبة

المسلمون، في هذه المراكز الإسلامية، مناقشات وملتقيات يتدارسون خلالها، مشاكل المسلمين، وسائر شؤون دينهم ودنياهم...

وبإزاء هذا، حصلت الطالبات المسلمات على مساجد خاصة بهن، ومنتديات في العديد من الجامعات... وأهم ما يلفت النظر، في نشاط هذه الجماعات الإسلامية بالجامعات الفرنسية، هو قيامها بإيفاد دعاة إلى المدن والقرى والمعامل المجاورة يدعون الناس لدين الله، ويفقهونهم فيه... وتؤكد أوساط وثيقة الاتصال بهذه الجماعات، أن الدعاة يحققون نتائج باهرة في جلب الناس إلى الإسلام، وفي تحويل المسلمين المهملين لصلواتهم، وسائر فرائض دينهم إلى مسلمين حقيقيين يمارسون تعاليم الإسلام بكل عناية واستقامة...

فهذه المساجد والقاعات تستقبل المسلمين في أوقات الصلاة وخارجها، فهي مجهزة، غالباً بغرفة جانبية صغيرة أعدت خصيصا لتعليم اللغة العربية، وكذلك مكتبة تشتمل على نسخ من القرآن الكريم.. وتقول الكاتبة :[3] «أني كريجر كرنيكي» Annie Krieger Krynicki «إن أماكن لعبادة هذه غالبا لا يوجد فيها غير حصائر متآكلة، كل شيء بسيط، أعد مسبقاً لا ستقبال أناس بسطاء، همهم لأوحد أن يلتقوا ربهم، ويؤدوا فرائض دينهم»..

ولكن، من هؤلاء المسلمون العائدون، في حين لا ضاهى لتعاليم دينهم وفرائض شريعتهم ؟.. إنهم :816873 ن الجزائر، و 444,672 من المغرب، و 909 212 من ونس، و 049 135 من الأتراك، و 5396 من الباكستان، يمكن أن نضيف إليهم مسلمي إفريقيا السوداء الذين من صعب إحصاؤهم، ولكنهم يقدرون بخمسين ألفا، يضاف ى كل هؤلاء بالطبع 500.000 ألف (حركي) أي الذين قاتلوا بجانب القوات الاستعمارية الفرنسية.

والواقع أن الجالية الإسلامية المنتمية لبلدان المغرب العربي، هي التي يمكن القول عنها إنها منسجمة إلى حد بعيد، وهي تعرف استقراراً نسبياً مقارنة مع الجاليات الأخرى الباكستانية أو التركية... وربما يلعب حاجز اللغة دوراً كبيراً هنا...

☆ ☆ ☆

وبعد، فهل كانت في بداية هذا القرن. مساجد في فرنسا بهذه الكثرة يجتمع فيها الناس للعبادة والصلاة ؟ وهل كانت هناك أعداد من المسلمين، بمثل هذه الكثافة الكبيرة التي تشهدها اليوم بلاد الأرض الكبيرة، كما كان يسميها العرب ؟

وكيف تم إنشاء هذا المسجد العظيم «مسجد باريس» ؟ وما هي الخلفيات والدوافع التاريخية، التي كانت حافزاً على إخراجه من عالم النظر والفكر، إلى دنيا الواقع والشهادة ؟

☆ ☆ ☆

وهل للمغرب وملوكه دور في بناء هذا المسجد ؟

ذلك ما نتحدث عنه في هذه الدراسة...

فكرة تأسيس مسجد باريس...

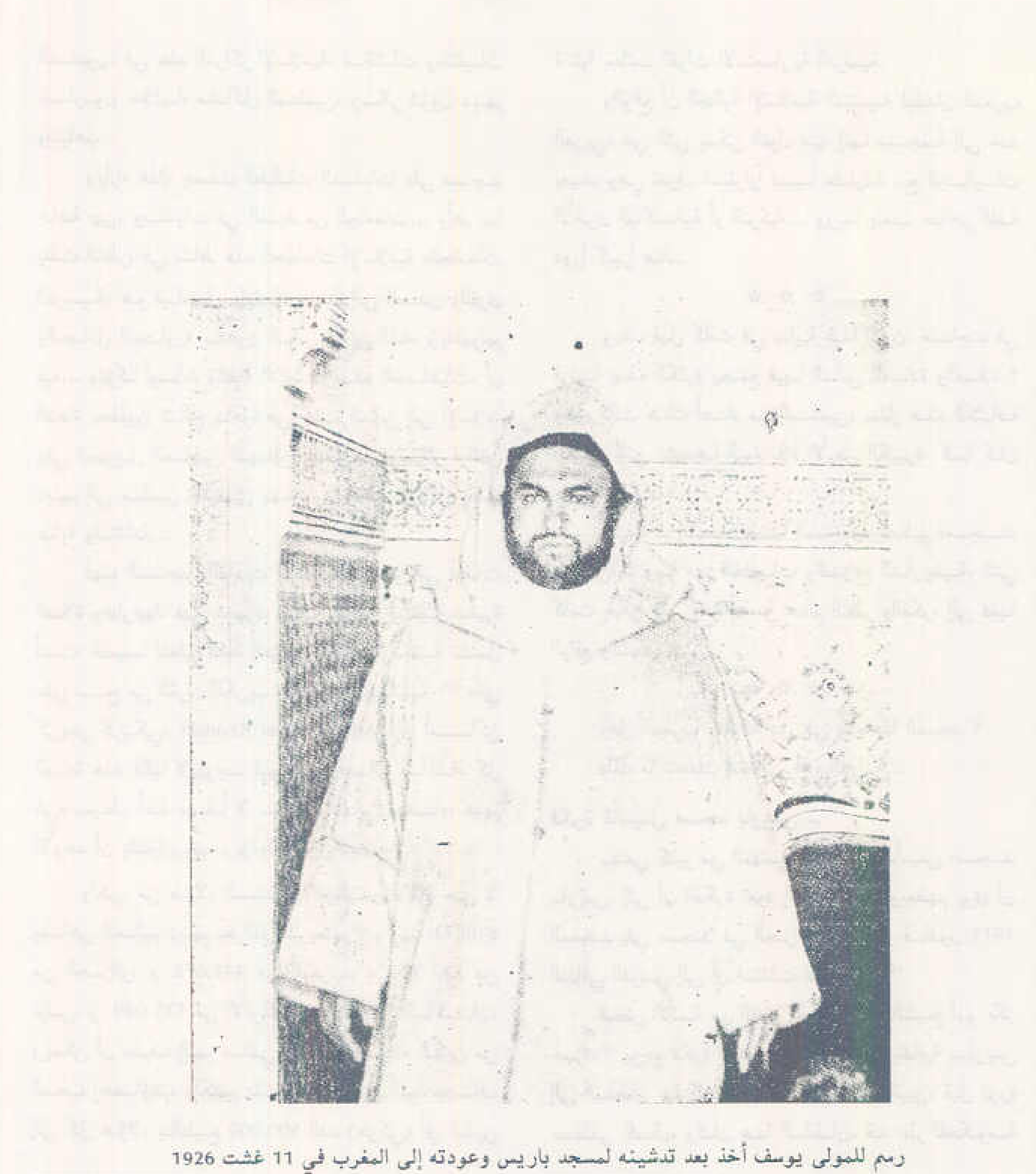
يدعي كثير من المهتمين بتاريخ تأسيس «مسجد باريس» إلى أن الفكرة تعود إلى الأتراك، وبعضهم يرى أن المسجد بقي مسجلا في الجزائر في إطار قانون 1911 الثقافي الفرنسي إلى أن استقلت عام 1962.[4]

فبعض الأئمة من القطر الجزائري كالشيخ أبو بكر حمزة،[5] يرجع فكرة إحداث مؤسسة دينية وثقافية بباريس إلى السلطان عبد الحميد أحد الخلفاء العثمانيين، قبل ثورة مصطفى كمال، وكان هذا السلطان، قد عبّر للحكومة

أستاذة جامعية في جامعة باريس لها كتاب : «المسلمون في فرنسا : دين وثقافة».

«المسلمون في أوروبا وأمريكا» تأليف د. علي المنتصر الكتاني ص : 1/205. وبكل أسف فإنه توجد في هذا الموضوع عدة هفوات وأخطاء، وعدم التثبت في هذا الكتاب !!

الشيخ أبو بكر حمزة، منحدر من مدينة فكيك ـ المغرب، من جنسية فرنسية، ازداد في 15، يونيه عام : 1912 «بكرى ليفيل» بالجزائر وقد شغل منصب كاتب عام للبرامج الإذاعية المسلمة أبان الحرب ضد دول المحور. وقد انتخب نائبا لمنطقة الواحات، وظل في هذا المنصب إلى عام 1962، ثم انتخب، بعد ذلك. نائبا لرئيس لجنة الشؤون الخارجية بالمجلس الوطني، ثم مستشارا عاما لمنطقة ـ ميتليني ـ ورئيسا للمجلس العام لمنطقة الواحات، وفي عام 1956، عين مندوبا للحكومة الفرنسية في المملكة العربية السعودية، ثم شيخا للرابطة الفرنسية... وفي عام 1957 عين مديرا لمسجد باريز.



رسم للمولى يوسف أخذ بعد تدشينه لمسجد باريس وعودته إلى المغرب في 11 غشت 1926



الصومعة والمدخل الرئيسي لمسجد باريس على الساحة Puits-De-L'Ermite

الفرنسية عن رغبته في إحداث مسجد باريس يكون قبلة لتعبد المسلمين، لا في فرنسا فقط، وإنما للمسلمين في جميع الديار الأروبية..

كما تحدث للأسبوعية الثقافية «اليوم السابع»[6] في استجواب السيد عباس بن الشيخ الحسين إمام مسجد باريس الحالي بأن فكرة تأسيس هذا المسجد، تعود إلى اقتراح عبد الحميد العثماني...

ولعل الصواب هو أن فكرة تأسيس المعهد الإسلامي بباريس، لم يكن هو الأول، وليست هي بأول فكرة ظهرت من هذا القبيل، بل يوجد لحد الآن بمقاطعة : «الآردن» les Ardennes قرب مدينة «رامْس» Reims بالمكان المعروف «بمحمد»، آثار مسجد كان شيده المحارب «بيير دانكلير، كنط بوزليمون» معترفاً بجميل العرب الذين أطلقوا سراحه بعد أن أسروه في أوائل القرن الثالث عشر...

وقد شيد مسجد بمدينة : «واكين» بأنجلترا... ومسجد بمدينة «دي طروا» بأمريكيا...

وأما ألمانيا، فقد جددت ببرلين المسجد الذي كان مشهداً في أثناء الحرب بمعسكر : «هلموند بروسين».

وتوجد في استراليا سبعة مساجد في تلك الفترة..

ولقد خطرت على أفكار الفرنسيين، وظهرت للعيان فكرة إنشاء مسجد في فرنسا في عام 1849، وقد كان أشار بها عدد من محبي الإسلام، وهم أعضاء الشركة الشرقية الجزائرية الاستعمارية، ولم تدخل هذه الفكرة في حيز العمل إلا في عام 1895، وظهر «لهاري اليس» المؤسس للجنة إفريقيا الفرنسية، **أن الوقت يسنح بذلك حيث إن فرنسا أصبحت دولة إسلامية عظمى بامتداد مملكتها، إذ ذاك، في إفريقية الشمالية، وحينئذ أصبح من الواجب عليها أن تؤيد ذلك، مظهرة محبتها للإسلام...**

وقد حاز جماعة من الفرنسيين أرضا معدة لبناء المسجد، وداراً للضيافة على طراز عربي، يمكن للمسلمين أن يتبعوا عوائدهم فيها، ويكون الصائر قليلا عليهم، كما يمكن قبول الفقراء فيه...

وإن وزارة الخارجية تأخذ وتتسلم الاكتتابات على يد موظفيها في البلاد الإسلامية. ونشرت الدعوى في فرنسا، وفي جميع أقطار الإسلام، ووافق عليها سلطان اسطانبول، وخديوي مصر، وعدد كبير من أعيان المسلمين، وكلهم تعهدوا بدفع اكتتابات مهمة، وجعلت تصاميم للمسجد على نمط تركي على يد السيد «بودرى» و«سلا دين». وكان المشروع على وشك البروز، لولا المذابح الأرمنية التي وقعت في شهر يونيو عام 1896... ولم يسمح بذلك، إلى أن قدم في يوم 27 يناير 1920 رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية السيد «ميلران» مع السيد «أندري لوفيفر» وزير الحربية، والسيد «ستيك» وزير الداخلية، والسيد «مارشال» وزير المالية، والسيد «أندري أنوري» وزير المعارف، وعرض ذلك على لجنة الأشغال الخارجية طالبين من مجلس الحكومة تنفيذ إعانة قدرها 500000 فرنك لجمعية أوقاف الحرمين الشريفين، وذلك لبناء معهد إسلامي..

المولى محمد بن عبد الله صاحب الفكرة :

يقول العلامة الأستاذ السيد محمد السائح[7] في تأصيل بناء «مسجد باريس» : «ومن غريب الاتفاق أن تشييد هذا المسجد بهذه المدينة، وفي هذا العصر، كأنه تنجيز لما كان انعقد من السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ولويز الخامس عشر، في الثامن والعشرين من شهر ماي عام 1767م؛ وقد عثر على ذلك الاتفاق بنصه وفصه في وزارة الخارجية الافرنسوية، ودونك ترجمة مضمون الفصل[8] الذي يخص هذا المقام، إن من حق القناصل

6) ع : 31 10/11/1984، في هذا الحديث خلط ومغالطات...

7) «أسبوع في باريس» ص : 29، مخطوط، بالمكتبة الحسنية، وقد أسند إليه المولى يوسف مع السيد محمد الهواري قاضي الثغر الطنجي، تعيين سمت القبلة لمسجد باريس عام 1922.

8) الفصل 11 من اتفاقية معاهدة الصلح بين فرنسا والمغرب في عهد المولى محمد بنعبد الله الذي تم في 21 ذي الحجة عام 1180 هـ - 28 ماي 1767م، وقد وجه المولى محمد بن عبد الله لهذه المهمة خديمه علياً مرسيل الرباطي لفرنسا لتقرير الصلح، وقبض مال الأسرى، وشراء الإقامة... [الإتحاف ص : 3/266] انظر : كاي : ص : 191 و«التاريخ الدبلوماسي للمغرب» عبد الهادي التازي ط : فضالة 1988، ج : 9/ ص : 55، وكذلك : Reception à l'hôtel de ville de S.M Moulay YOUSSEF Sultan du MAROC وكذلك، «بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية المغربية» المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام «الجامعة الأردنية» 1974 ص : 23/ تعليق رقم : 2.

الافرنسويين أن يكون لهم بديارهم محل خاص لإقامة دينهم، ولا يمنعون من ذلك بمانع، وأن كل من أراد من المسيحيين التوجه لدار القنصل للصلاة أو للقراءة، فلا يتعرض له، كما أن رعايا سيدنا المنصور الساكنين بالأراضي الافرنسوية لا يمنعون من بناء مسجد للصلاة، أو لتلاوة القرآن في أي محل كانوا».[9]

وقال السيد موريس كولرا Maurice COLRAT، الذي كان نائباً برآسة الوزارة، ثم وزيراً للعدلية، في خطابه الذي ألقاه بالمعهد الإسلامي بباريس، مشيداً بالأعمال الوقفية التي كان يهتم بها المولى محمد بن عبد الله :

«إن المشروع الذي سنعين قبلته هو على بساط البحث من نحو ربع قرن.

ولكن الفكرة الحقيقية التي كانت دعت لذلك هي قديمة جداً، ففي 28 ماي عام 1767م، أمضى لويز الخامس عشر، والسلطان سيدي محمد بن عبد الله معاهدة صلح، قيل فيها للقناصل الفرنسيين الحق في إيجاد داخل ديارهم محل مخصص للصلاة وللقراءة الدينية، وكل من يريد من النصارى أيا كان له أن يذهب لدار القنصل للقراءة والصلاة، ولا يمنع أحد من ذلك، كما أن رعايا جلالتنا نصرها الله، إذا كانوا في البلاد الفرنسية، وفي أي مدينة كانت، فلا يمكن لأحد أن يمنعهم من تشييد مسجد لإقامة شعائر الدين، وقراءة الكتب الدينية، فالجمهورية الفرنسية، وجلالة سلطان المغرب الأقصى بتنفيذهما اليوم معاهدة 28 ماي 1767م، قد نفذا في الحقيقة الاتفاق الذي مضت عليه الأجيال... ومن الفائدة ذكر هذا الحادث التاريخي حيث إن نبأ مخلداً، لابد أن يكون أساسه ثابتاً»...

وفي عام 1926، قال جلالة الملك المولى يوسف طيب الله ثراه : «...على أن الفكرة الأولى القائلة بتأسيس مسجد في داخل فرنسا، وقع تاريخ ظهورها في عهد أحد أسلافنا المقدسين، وهو سيدي محمد بن عبد الله الذي ضمن الاتفاقية التي عقدها مع الملك «لويس الخامس» عشر، إمكانية ابتناء محلات دينية في البلاد الفرنسية».

لكن لماذا الاهتمام بتشييد مسجد باريس من طرف الفرنسيين كان بهذا الحماس، وهذه المبادرة في هذه الظروف بالذات ؟؟

فهل هناك خلفيات تدعو إلى الإسراع والإهراع بإنجاز هذا المسجد بهذا الحجم من الاهتمام، لسواد عيون المسلمين القاطنين بفرنسا أو العابرين ؟

وهل هناك رغبة تدعو أيضاً، لاستقطاب مسلمي جهة من الجهات حول هذا المسجد بالذات، وفي القطر الفرنسي ؟!

وما هي التيارات الإسلامية، إذ ذاك، في العالم المشرقي، والتي كان يتمخض عنها العالم الإسلامي، والتي تتبلور في تأسيس ما كان يسمى «بالجامعة الإسلامية، العثمانية»، أو «الجامعة العربية الإسلامية» برآسة شريف مكة..؟

نعم لقد كان «ليوتي» شديد الانتباه لما يحدث في الشرق الإسلامي. وكان في أثناء الحرب يعيش في كابوس الجامعة الإسلامية وامتدادها إلى المغرب...

وقد ظهر خلال الحرب العالمية الأولى تياران في السياسة الإسلامية، أحدهما : «تيار الجامعة الإسلامية العثمانية التي تعطف عليها ألمانيا، وتحاول استغلالها في تأليب الشعوب الإسلامية الخاضعة للحلفاء، وتحريضهم على الثورة، وهذا التيار يعتمد على الخلافة العثمانية...

أما التيار الثاني، فيمكن وصفه، بتيار «الجامعة العربية الإسلامية»، الذي تعطف عليه أنجلترا التي كانت تشجع إنشاء خلافة عربية برئاسة شريف مكة[10] لتجابه تيار «الجامعة الإسلامية العثمانية» التي لمست خطره في ممتلكاتها الإسلامية.

وقد أبدى المشير «ليوتي» اهتماماً كبيراً بهذا الموضوع لخطورته بالنسبة لمستقبل شمالي إفريقيا

---

9) الإتحاف، رقم 3/270.

10) كان «اللورد كُرُومَر» يكتب في جريدة : «التيمس» مؤيداً شريف مكة.

الفرنسية، ورفع تقريراً مطولاً[11] إلى «ديلكاسه وزير الخارجية في يونيو عام 1915، ناقش فيه هذا الموضوع بإسهاب :

بين ليوتي أنه : «ينبغي أن تسود المسائل الدينية لزمن طويل مصائر الشعوب الإسلامية... وترتبط هذه المسائل بمسألة التفوق الروحي في الإسلام، وأنا أقدر أن مصير أمبراطوريتنا في شمال إفريقية يمكن أن يرتبط بالحل الذي سيعطى لهذه المسألة».

وقد أبدى «ليوتي» اهتماماً بمسألة «شريف مكة» أكثر من مسألة «الجامعة الإسلامية العثمانية»... «فإذا كانت الجامعة الإسلامية التي مركزها في القسطنطينية قد استطاعت أن تحدث تأثيرا في تونس والجزائر اللذين كانا خاضعين للسيطرة التركية، فإنه ليس لها أي تأثير في المغرب بالرغم من تأثر عدد من المثقفين المغاربة بها لعلاقتهم بالأوساط الإسلامية في مصر وسورية، ولكن السكان المغاربة ظلوا معزولين عنها».

إن مما يشكل عقبة في المغرب أمام الخلافة العثمانية هي أن السلطان المغربي لا يعترف للسلطان العثماني بهذه الصفة، ويعتبر نفسه الخليفة الشرعي لأنه من سلالة الرسول..

... وفي رأي «ليوطي» أن بيد فرنسا سلاحا قوياً تجابه به هذه الأقطار من جهة، وتتبع سياسة إسلامية تعزز مركزها في ممتلكاتها الإفريقية الإسلامية من جهة أخرى... وأيد ليوطي اقتراح وزير فرنسا المفوض في القاهرة في 3 يناير 1915 حول قيام خلافة غربية منفصلة عن خلافة المشرق لكي تجمع تحت وصاية فرنسا كل سكان شمالي إفريقيا الشمالية...

وقد تساءل الوزير الفرنسي في القاهرة عما إذا كان من الممكن الاعتراف بسلطان المغرب الخليفة التقليدي الذي لا منازع له في سلطته، كخليفة في الجزائر وتونس، وقد وضع «هنري غايار» سكرتير الحكومة المغربية تقريراً حول موضوع الخلافة تبناه «ليوتي»، قرظ «غايار» كزميله في القاهرة إعادة تأسيس خلافة غربية برآسة سلطان المغرب في حالة احتمال تعديل في الوضع الراهن دون أن يتجاهل صعوبات هذا الحل العملية...

وعندما انتهت الحرب بانتصار الحلفاء اقترح «ليوتي» أن تحل فرنسا محل ألمانيا في التظاهر بصداقة وحماية الإسلام لتستطيع مجابهة النشاط الإنجليزي القوي في هذا المضار **واقترح على حكومته بإلحاح السعي لإشراك سلطان المغرب في مؤتمر الصلح، وخاصة بعد إشراك فيصل** في المؤتمر نائباً عن أبيه شريف مكة، ولكن «اليوتي» كان يصطدم بعدم تقدير المسؤولين الفرنسيين لقيمة مركز السلطان الذين كانوا يضعونه في صف باي تونس، وخديوي مصر، ولم يحظ طلبه بالقبول... وقد كتب في تقرير له إلى رئيس الوزراء «جورج ليج»[12] سنة 1920 : «**إن السلطان هو الإيمان المتوج، إنه حاكم سياسي، ولكنه قبل كل شيء، رئيس ديني ينظر إليه كل مسلمي المغرب، وما وراء المغرب حتى تمبكتو ـ كما ثبت أثناء الحرب ـ وعدة أجزاء من الجنوب الجزائري، كالخليفة الوحيد الشرعي للإسلام على الأرض، في حين أن باي تونس، وخديوي مصر، ليسوا سوى موظفين تركيين...**

إن هذا المقام الديني، الذي لا جدال فيه هو العامل المتفوق الذي ساعد فرنسا خلال الحرب، وأبقى المغرب بعيداً على التحريضات الخارجية.

فمن المصلحة إذن، في الظروف الحاضرة أن تغتنم الحكومة الفرنسية كل مناسبة لتظهر بصورة علنية، التقدير الذي تكنه للسلطان وأن تقدر أن الاحترام الذي أحيط به السلطان ليس تعبيراً عن مفهوم شخصي، ولكنه يتجاوب مع آراء فرنسا حول مبدأ الحماية، ولهذا كنت آسف دوما لأنه بالرغم من إلحاحي، فإنه لم يقبل تمثيل السلطان في مؤتمر الصلح بسبب اعتراض أنجلترا التي رفضت تمثيل مصر».

وبين «ليوتي» أن هناك فرقا عميقاً بين السلطان والخديوي ولفت أنظار الحكومة إلى أن السلطان يظل خارج المنطقة الفرنسية بموجب المعاهدات حاكماً شرعياً

11) Lyautey L'Africain : Tome 3 Page 79

12) Lyautey L'Africain : Tome 4 Page 21



امتداد الواجهة الخارجية لمسجد باريس على زنقة Quatrefages (على اليسار) Daubenton على (اليمين).

لكل المغرب بما فيه المنطقة الإسبانية، وهو في منطقة طنجة، وسيظل حتى إشعار آخر حاكماً مستقلا، لايتبع أحداً... وأوضح «ليوتي» أن الأمر ليس وجود ممثل يجلس على مائدة المؤتمر، ولكن وجود رئيس الوزراء المغربي كمستشار فني، وهذا في رأيه يكفي في نظر السلطان والمغاربة ليؤكد أن سيادته ليست وهمية، وأن لديه الوسيلة لإبداء رأيه في المسائل التي تخص المغرب والإسلام[13]

☆ ☆ ☆

لقد كان صراع قوي في المجال السياسي الدولي أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان أقطاب الاستعمار يتسابقون لاستقطاب مستعمراتهم بشتى الطرق. وبكل وسائل الإغراء، وعلى كل، فالحوافز التي كانت تبدو في مظهرها الخارجي، بريئة من كل الشوائب، كانت تطفو فوق السطح: فيما يبدو من خلاف وتشاكس بين «رجال الوقت»، في ذلك الوقت، على من غلبهم الوقت.

وعلى كل فليس من بابنا أن نتحدث بإسهاب في هذا الميدان، واندب لكل أمر أهل بلواه.. والذي يهمنا هنا، هو اهتمام فرنسا بقضايا الإسلام وعلاقتها بمسؤولي الشمال الإفريقي في بداية هذا القرن ووضعهم في المحاور التي تحقق لها ذاتيتها ووجودها في المحيط الدولي... ومن هذا السبيل فقد عمدت وشجعت تأسيس جمعية أوقاف الحرمين الشريفين، التي أوكلتْ إليها الإشراف، كمنظمة إسلامية، على تأسيس «مسجد باريس» والتي رأسها السيد قدور بن غبريط مدير التشريفات الملكية المغربية...

كيف تأسست هذه الجمعية ؟

تأسيس جمعية أوقاف الحرمين :[14]

لقد خطب السيد «كو» الوزير المفوض، ورئيس اللجنة الوزارية بالشؤون الخارجية، فقال :

«اقتضى الحال في خلال عام 1916، توجيه بعثة سياسية دينية إلى مكة المكرمة، وفكرت حكومة الجمهورية الفرنسية في أن تدعو إلى هذه المأمورية من هو له قدم فارعة في الميدان السياسي، ومخلص نحوها من مسلمي إفريقية الشمالية، وقد نجحت هذه البعثة نجاحاً تاماً، حيث إنها اشترت بمكة المكرمة عقاراً، يكون ملجئاً للحجاج المسلمين الذين هم تحت رعاية فرنسا، وقت القيام بحجهم في بيت الله الحرام، وملاذاً لجميع مرضاهم، ومحلاً لاجتماع بعضهم ببعض.

وبعد أن أعطت اللجنة الوزارية التي تبحث في الأمور الإسلامية رأيها، فقد طولب من أعيان أفراد البعثة الذين رجعوا من زيارتهم، بالعلائق الودية التي رسخت بينهم أن يؤسسوا جمعية تقوم بالدفاع عن هذا العمل العظيم في الأراضي المقدسة الإسلامية، وعلى هذا، فقد تأسست جمعية أوقاف الحرمين الشريفين، وكان لي حظ من الشرف في رآسة هذه اللجنة الوزارية للأمور الإسلامية التي تأسست منذ عام 1910، والتي رأت في حسن السياسة أن مسلمي إفريقية الشمالية يتعودون على السهر بأنفسهم مع موافقة القوانين الفرنسية على الدفاع عن مصالحهم الدينية...

وعندما عرض بحث لجنة الأشغال الخارجية مشروعات بناء مسجد بباريس بحثت فيه هذه اللجنة بغاية الاهتمام في عامين 1918 - 1919، وبعد البحث تبين للحكومة الفرنسية بأنه إذا أرادت أن تشد العضد في بناء مسجد للمسلمين في باريز لابد من الواجب...

هذه الجمعية كانت تتألف من أكبر أعيان المسلمين المقيمين بالمغرب وتونس والجزائر وإفريقية الغربية...

فمن جهة المملكة المغربية : الصدر الأعظم، والحاجب الملكي، ووزير العدل، وقضاة فاس، وعلماء كلية القرويين..

ومن جهة الإيالة التونسية مشائخ المذهب الحنفي والمالكي، ووزير القلم، السيد خليل بوحاجب، والقائد السيد الشاذلي العقبي العضو المؤسس بجمعية أوقاف الحرمين الشريفين، والقائد السيد محمد بن الخوجة العضو الشرفي بجمعية أوقاف الحرمين الشريفين، والكاتب العام

---

13) «تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب» 1912 - 1939 د.م. خير فارس.

14) «لا يسمى المسجد الأقصى ولا غيره حرماً... وإنما الحرم بمكة والمدينة خاصة» «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية ص : 434.

التدشين الرسمي لمسجد باريس من طرف المولى يوسف

للجمعية السيد مصطفى صفر، وشيخ مدينة تونس. وباقي القواد...

ومن جهة القطر الجزائري قضاة ومفتون، وباشا أغوات، ورئيس النيابة العربية في اللجن المالية..

وقد أسست هذه الجمعية بمكة المكرمة ملجئاً على أحسن ما يرام، لمحبي فرنسا المسلمين إذ ذاك، وهم قد انتفعوا بها انتفاعاً محسوساً، وهم من جميع أقطار المغرب العربي وإفريقيا الغربية..

وعلى الرغم من أن هذه الجمعية لم يكن من اختصاصها في بداية الأمر القيام بمهمة من هذا القبيل، فإنها استطاعت، مع ذلك، أن تغير قوانينها للتلاءم مع قانون فاتح يوليوز 1901 الذي منحها حق القيام بمثل هذه المهام...

وبما أن الأمر كان يتعلق بمؤسسة إسلامية، قرر البرلمان الفرنسي والمجلس البلدي لباريس أن يتعهد بتنفيذ أشغال المشروع وإدارة المؤسسة إلى منظمة إسلامية..

وهكذا عهد بذلك إلى جمعية الأحباس والأماكن المقدسة التي كانت قد تأسست في شهر فبراير 1917.

واعتنت الحكومة الفرنسية، إذ ذاك بهذا الطلب، إلا أنها بعدما درسته دراسة وافية، قررت في آخر الأمر، أن تتبنى المشروع على حسابها، وأن تزود «باريز» بمؤسسة إسلامية فرنسية ذات اتجاه عالمي..

وهكذا، وبناء على التقرير، المعروف بتقرير «هيريو» Heriot الذي وضع باسم لجنتي الداخلية والمالية، صوت مجلس الشيوخ، ومجلس النواب في 19 غشت عام 1920 لفائدة قانون يعتبر بمثابة قانون للدولة خصصت بمقتضاه اعتمادات هامة لإحداث «مسجد باريس»...

إلا أن هذه الاعتمادات كانت أقل من تقديرات المهندسين المعماريين المتخصصين في فن الهندسة المعمارية الإسلامية، إذ قدروا أن هذا المشروع سيكلف 150 مليونا من الفرنكات الجديدة...

ولتغطية هذه النفقات افتتح اكتتاب في مختلف البلدان الإسلامية وفي مقدمتها المغرب وتونس والجزائر ولبنان وسوريا وإفريقية الغربية. وإفريقيا الاستوائية، إلا أن هذه التبرعات التي تم جمعها لم تكن كافية حيث إنها لم تتعد 3 ملايين فرنك جديد، أي أقل من 0,02 ٪ من الاعتمادات الضرورية... وأمام ذلك قرر المجلس البلدي لمدينة باريس التدخل حتى لا يكتب الفشل للمشروع، وذلك بالمساهمة في تمويله بصورة فعلية...

وفي أعقاب المشاورات بين الخبراء قرر المجلس البلدي بباريز خلال مداولاته في 15 يونيو 1921 منح مساعدة تبلغ قيمتها ستة عشر مليوناً ومائتي ألف فرنك جديد، وقطعة أرض كان قد شيد عليها مستشفى الشفقة La pitié.

وهكذا قرر المجلس البلدي لباريز أن يمنح «جمعية أوقاف الحرمين الشريفين» التي كان يرأسها السيد قدور بن غبريط مدير تشريفات جلالة المغفور له المولى يوسف بن الحسن ملك المملكة المغربية بعقد محرر أمام قاضي مدينة الجزائر حسب قواعد الشرع الإسلامي لشراء عقارين، أحدهما في مكة المشرفة، والآخر في المدينة المنورة حتى تؤسس بها دور للضيافة للحجاج الفقراء من إفريقية الشمالية، الذين هم تحت رعاية فرنسا، إعانة قدرها مليون وستمائة وعشرون ألف فرنك ليمكن للجمعية أن تشتري من الإدارة العامة للمساعدة العمومية بباريس قطعة أرض كانت بالمحل المعروف بمستشفى الشفقة...

وقد تحدث الأستاذ العلامة السيد محمد السائح في مذكراته عن هذا المعهد فقال :[15] «هذا المعهد يشغل سطحه ستة آلاف وخمسمائة متر تقريباً، وتبلغ قيمة بقعته مليوناً من الافرنك، وقد أعد لتشييد مسجد، وكتبخانة، وعدة مرافق للمسلم المقيم في باريز من حمام وخان ومطعم على أسلوب عربي، وبالفعل، قد وقع الشروع في بنائه، ومن أهم فوائد هذا المعهد تذكار بمشاركة المسلمين الإفريقيين للدولة الفرنسية في الحرب العظمى، ومنها

---

15) أسبوع في باريز : ص : 29.

المولى يوسف ملك المملكة المغربية والسيد GASTON DOUMERGUE رئيس الجمهورية الفرنسية في بلدية المدينة

تسهيل المقام بباريز لمن أراد أن يتعاطى العلوم والصنائع في مدارسه الراقية».

فهذه الجمعية فوضت لها الحكومة الفرنسية تأسيس المعهد الإسلامي بباريس...

وعلى هذا، فقد صدر قانون بمنح مبلغ قدره 500.000 فرنك لتأسيس هذا المعهد الإسلامي، وأدرج في غشت 1920، وإثر ذلك طلب من مدينة باريز أن تبدي رأيها في بناء المسجد، وتنعم بقطعة أرض لذلك، وهذا الرأي تقرر في جلسة المجلس البلدي المنعقد في 26 مارس 1922.

بهذا التأسيس الذي لا يكفيه القدر الصغير المطلوب منها، وهو 500.000 فرنك، بل لتكميل ذلك قامت الأمة الإسلامية من تلقاء نفسها، وقدمت ما يلزم من الضوائر، وتأسست اللجن المتفرقة لجمع الاكتتابات، ولم يقتصر في ذلك على مسلمي المغرب الإفريقي، بل إن الشرق نفسه طلب أن يشارك في هذا العمل بإعانته المالية، وقد أعلن بالاكتتابات من جميع الجهات لتمام هذا العمل...

وبالإضافة إلى الأموال التي قدمتها الأوقاف المغربية، فإنها أضافت قبيل زيارة المولى يوسف لتدشين المسجد والمعهد الإسلامي، إضافة مليون فرنك فرنسي لإتمام البناء بالتمام، والكمال، وما زالت الحوالة تحتفظ بها وزارة الأوقاف المغربية إلى اليوم في ملفها الجاهز الذي أسهمت به في تأسيس «مسجد باريز» إضافة إلى اليد الصناع المغربية...

وقد خطب جلالة المغفور له المولى يوسف في جمعية أوقاف الحرمين، منوهاً بجهودها وإخلاصها، فقال : «بقي علينا أن نعلن رضانا عن جمعية أحباس الحرمين، وخصوصاً رئيسها الفاضل السيد قدور بن غبريط الذي انقطع بإخلاص ونشاط متناهيين إلى هذا الصنيع الذي نال به امتنان المعمور الإسلامي...».

16) «مرآة الحرمين» ص : 1/468.

17) نسبها إليه حاجي خليفة في «الكشف» ص : 1/125، والعظم في العقود، والبغدادي في الهداية.

تدشين المحراب والمسجد :

لم يكن في عهد الرسول ﷺ محراب مجوف، وإنما كان يصلي بجوار المنبر الذي اتخذه عليه السلام من الطرفاء «الأثل» ذي درجات ثلاث، وكان يقف على الثالثة..

وقد ذكر المؤرخون أن أول من أحدث المحراب المجوف عمر بن عبد العزيز والي المدينة في خلافة الوليد، وهو خبر مشكوك فيه، إذ أن عمر رضي الله عنه، أرعى الناس لسنة رسول الله ﷺ، وان تجويف المحراب سنة نصرانية، فكيف يسن عمر سنة النصارى..[16]

وقد ألف جلال الدين السيوطي رسالة[17] بين فيها بدعة المحاريب المجوفة، وأقام الدليل على ذلك من السنة متكلما على أسانيد الأحاديث سنداً، سنداً وتسمى هذه الرسالة بـ«إعلام الأديب، بحدوث المحاريب».[18]

وقد ذكر السيوطي أن قوما خفي عليهم كون المحراب في المساجد بدعة، وظنوا أنه كان في مسجد النبي عليه السلام في زمنه، ولم يكن في زمنه، قط، محراب ولا في زمن الخلفاء الأربعة، فما بعدهم إلى آخر المائة الأولى، وإنما حدث في أول المائة الثانية مع ورود الحديث بالنهي عن اتخاذه، وانه من شأن الكنائس، وأن اتخاذه في المساجد من أشراط الساعة، ثم ذكر المؤلف ما أخرجه البيهقي في سننه الكبرى من أن أول من أحدث المحراب المجوف عمربن عبد العزيز... وما أخرجه، أيضاً، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «اتقوا هذه المذابح، يعني المحاريب... وتكلم على رجال هذا الحديث، وبين أنه حديث ثابت، ثم ذكر ما رواه البزار، في مسنده عن عبد الله بن مسعود انه كره الصلاة في المحراب... وقال : إنما كانت للكنائس، فلا تشبهوا بأهل الكتاب، يعني أنه كره الصلاة في الطاق، وذكر حديثاً مرسلاً رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن موسى الجهني،

18) توجد مخطوطة، بدار الكتب المصرية. وأوقاف بغداد، وفي آخر الرسالة : أنها تمت على يد مصطفى جريجي بن أيوب جريجي الشافعي، وأن ذلك في يوم السبت 3 ذي الحجة عام 1281 هـ وفي الساعة 11 والدقيقة 45.

قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزال هذه الأمة، أو قال : أمتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح.. كمذابح النصارى، ثم ذكر ما رواه ابن أبي شيبة، أيضاً، عن أبي ذر أنه قال : إن من اشراط الساعة أن تتخذ المذابح في المساجد... وكذلك حديث الطبراني في الأوسط عن جابر بن أسامة الجهني قال لقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بالسوق، فقلت : أي تريد يارسول الله ؟ قال : نريد أن نخط لقومك مسجدا، فأتيت، وقد خط لهم مسجداً، وغرز في قبلته خشبة، فأقامها قبلة.[19]

☆ ☆ ☆

في يوم الثلاثاء تاسع عشر اكتوبر من عام 1922 وقع الاحتفال بتدشين المسجد الباريزي وحفر أساس المحراب، وفي ذلك يقول العلامة الأستاذ سيدي محمد السائح رحمه الله في رحلته إلى باريس، «وفي يوم الثلاثاء، أممنا ساحة المعهد، لاستخراج سمت القبلة، وتخطيط خط المحراب حتى لايثور ساعة الاحتفال بين الحضور نزاع، ويكون مقدار السمت، وجهته، كلمة إجماع، وحضر معنا جماعة من المهندسين الإفرنسويين، وكنا استخرجنا السمت قبل ذلك، وكان تسعا وعشرين درجة تقريباً على ما يأتي من عين المشرق إلى الجنوب، ووجدنا المهندسين المذكورين، قد استخرجوه، أيضاً، فتوافقت الأعمال، إلا أنه لم يمكنا استخراج خط المشرق والمغرب، لاحتجاب الغزالة غالب الأوقات، وراء خدر السحاب، أو سجف الضباب، فكان اعتمادنا في معرفة الجهات على الإبرة المغناطيسية، ومقدار انحرافها هناك عشرة أدراج نحو الشرق...

وذكر لنا أولئك المهندسون أن سمت الانحراف موضعي، وهو كثرة ما بالبلد من الأسلاك الحديدية الجاذبة لها، وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله...[20]

الاحتفال بالتدشين :

تم الاحتفال يوم تاسع اكتوبر سنة 1922 بتدشين أشغال المعهد الإسلامي والمسجد الذي أسس في الأرض الموقوفة لهذه الغاية من قبل بلدية باريس، وقد ترأس هذه الحفلة المشير ليوطي المقيم العام السابق في المغرب، وحضرها كثير من مندوبي الأقطار الإسلامية الذين دعتهم «جمعية أحباس الحرمين الشريفين» لهذه الغاية، من أهل تونس والجزائر، وتركيا، والشام، والهند، والعجم، والأفغان، وأدربيجان، والقوقاز..

وكان بجانب المشير، رئيس هذه الحفلة، كل من الكمندار «دير ودانجير» نائباً عن رئيس الجمهورية، والمسيو «دي بومارشي» نائباً عن السيد «بْوَانْكَاري» رئيس الوزارة آنذاك، وسعادة الصدر الأعظم الفقيه الحاج محمد المقري، ووزير العدلية، إذذاك، الشيخ أبي شعيب الدكالي، والحاجب الملكي الفقيه السيد التهامي اعبابو، وكان الوفد التونسي مؤلفاً من وزير القلم السيد خليل بوحاجب، وفضيلة الفقيه الحاج محمد الجودي مفتي القيروان، ومثل القطر الجزائري، السيد الباش آغا السيد الصحراوي، والفقيه ابن الموهوب مفتي قسنطينة...

كما حضر هذا الحفل التدشيني كثير من الشخصيات والكبراء التي تمثل الأقطار الإسلامية، كوفد مصر الذي كان يتألف من أصحاب الدولة أحمد زيور باشا وزير المواصلات، ورئيس الوزراء أخيراً، وعزت باشا وفائق بك، ووفد تركيا الذي كان يمثله نابي بك، وفريد بك، ومندوب حكومة دمشق الوزير السيد عطا الأوغلي، ومندوب جلالة شاه العجم السيد ناصر الملك... والسيد «دوقيرني» نائباً عن وزير الداخلية الفرنسية، والسيد «فرانكلان» صديق الكماليين والسيد «جوبَار» والي مقاطعة السين، والسيد «ميرلان» الوالي العام بإفريقية الغربية الفرنسية، وكثير من أعضاء مجلس النواب والشيوخ في فرنسا...

☆ ☆ ☆

وقد افتتح الحفلة السيد قدور بن غبريط رئيس التشريفات الملكية ورئيس «جمعية أحباس الحرمين

19) مرآة الحرمين ص : 1/469. انظر : رسالة في جهة القبلة للمولى مصلح الدين مصطفى القسطلاني (ت 901 هـ)ص : 1/859 كشف الظنون) «ورسالة سمت القبلة» لمحمود بن محمد بن محمود)1/872 الكشف) «ورسالة في القبلة ومعرفة سمتها» للمولى محمود ابن قاضي زاده المعروف بميرم چلبي (ت 931 هـ) ص : 1/881، الكشف.

20) أسبوع في باريس ص : 28.

الشريفين» حيث ألقى خطاباً رحب فيه بالمشير ليوطي الذي رأس ذلك الحفل، فقال موجها الخطاب له : «..إن في صنيعكم هذا، ياسعادة المشير رمزاً للاتحاد المتين العربي الرابط بين أفئدة الفرنسيين والمسلمين، واعلم علم اليقين، ياسعادة المشير، أن ما أظهرتموه، اليوم، نحو ديانتنا من الاحترام والتساهل ستكون له رَنَّة عظيمة في سائر الأصقاع الإسلامية، إذ في عملكم هذا برهان على كون فرنسا التي تكرم زيارة جميع العناصر لها، تكرم، أيضاً، بمثل ذلك، جميع الأفكار، ولا سيما إذا كانت هذه الأفكار مؤسسة على دعائم الاحترام الأدبي، وتعظيم أمر البرّ والمعروف، وبما أن هذه الفضائل من قواعد الدين الأسلامي، فإن مدينة باريز التي تقبل جميع الأديان بلا ميز، والتي رخصت في إقامة الكنائس والمعابد المخصصة لجميع الأديان، قد أدركت أن الدين الإسلامي لا ينبغي أن لايكون له في أرض فرنسا، مثل ما للأديان الأخرى، ولذلك فإن فرنسا لم تكتف بالتضافر على منح الإسلام حق إقامة بناية إسلامية في عاصمتها، بل أخذت تسعى في الأصقاع النائية لاكتساب مودة المسلمين، ولا شك أنها لا تندم، على فعلها هذا، لأن الاعتراف بالجميل في طليعة مبادئنا الإسلامية، وقد برهنت الحرب على ذلك، والمستقبل كفيل أيضا...».

☆ ☆ ☆

وبعد هذا الخطاب من رئيس التشريفات الملكية المغربية ورئيس جمعية «أحباس الحرمين الشريفين» ألقى المشير «ليوطي» خطاباً كان له وقع استحسان في نفوس الحاضرين، ثم خطب بعده خطباء آخرون، ولما انتهت هذه الخطب تناول السيد «ليوطي» من يد السيد قدور بن غبريط فأساً صغيرة من الفضة وأعطاها لسعادة الصدر الأعظم المغربي الفقيه السيد الحاج محمد المقري، فضرب بها الضربة الأولى في الأساس، ثم أخذ المشير يديرها على رؤساء الوفود الإسلامية واحداً واحداً، فكانت بذلك لجميعهم مشاركة في الحفر الأول...

وقد أرسل المشير «ليوطي» برقية للسيد «أوربان بلان» «Urbain Blanc» الوزير المفوض والمعتمد بالإقامة العامة. وكلفه أن يبلغها لجلالة السلطان المولى يوسف..

ودونك نص البرقية وفحواها :

«رأيت من الواجب أن لا اتاخر عن إحاطة جلالتكم علماً بحفلة تأسيس محراب مسجد باريز، التي أجريت أمس وكان لي الشرف برئاستها. وقد أوفد كل من فخامة رئيس الجمهورية، وسعادة رئيس الوزارة من ناب عنهما في حضورها، وحضرها أيضاً، كثير من أعضاء مجلسي النواب والشيوخ، وعدد عديد من عِلية الفرنساويين، من بينهم السفير المسيو «ريتيو»، والمسيو «ميرلان» الوالي العام لإفريقية الغربية الفرنساوية، والمسيو «جايار»... وقد أرسلت جميع الشعوب الإسلامية في إفريقية وآسية، وكذلك الاستانة وأنقره، وفوداً للنيابة عنها في هذه الحفلة. وقد ألقى كل من السيد قدور بن غبريط والمسيو «ڤليري» أحد أعضاء مجلس بلدية باريز الذي تبرع بالأرض خطاباً مضمنه الترحيب بالحضور : «ولما فُهت في خطابي باسم جلالتكم الشريفة، تلقاه الحاضرون بالهتاف. وقد قام بالضربة الأولى في الأساس سعادة الصدر الأعظم، ثم تلاه أعضاء الوفود الإسلامية، وعلى إثر ذلك تناول جميع الوفود كؤوس الشاي، عندي، وتداولوا فيما بينهم أحاديث ودادية، وكان أعضاء الوفد المغربي يساعدونني على الاحتفاء بالزائرين في الردهة المزدانة برسمكم الكريم، وقد كان هذا اليوم برهاناً ساطعاً على الاتحاد والولاء المتبادل بين فرنسا والإسلام، ولقد أمكنني أن ألاحظ ما للجميع من الاهتمام بعمل الوئام والتقدم الجاري في المغرب بفضل مساعدة جلالتكم الشريفة التي يسرني سروراً خصوصياً أن أقدم لها احترامي. هذا وان سعادة الصدر الأعظم، المزمع على السفر غداً، سيحيط علم جلالتكم بتفاصيل ما راج في هذه الحفلة».

☆ ☆ ☆

أما الخطاب الذي فاه به المشير «اليوطي»، فهذا نصه :

سادتي ـ لما وقع الاحتفال بتخطيط محراب هذا المسجد في غرة مارس الفارط برئاسة السيد «موريس كولرا» الذي كان إذ ذاك نائبا برئاسة الوزارة وصار اليوم وزير العدلية، قال : «لما يتم تشييد المئذنة التي قررتم

بناءها تتصاعد منها إلى سماء جزيرة فرنسا[21] زيادة صلوات وادعية لا تغار منها الصوامع الكاثوليكية التي بكنيسة «نوتردام»، هذا أحسن ما كان في الإمكان تصوره وقوله.

ولا توجد كلمة أخرى تنطبق أكثر من هذه الكلمة على صبغة حفلة اليوم. وها نحن سنشاهد الضربة الأولى في حفر أساس المحراب الذي سيولي المومنون وجوههم شطره في المسجد ابتهالاً لله الواحد الأحد. **ومع أني قد دعيت للقيام بهذه الضربة الأُولى، فإني لا أفعل ذلك لكوني أرى أن المسلمين خاصة، جديرون بالقيام بهذا العمل،**[22] وعليه، فإني ألتمس من حضرات ممثلي الشعوب الإسلامية الموجودين هنا، أن يقوموا بهذا العمل الديني، بيد أن ما أريد استخلاصه من هذه الحفلة، هو بيان الأسباب القوية في احترامنا لدين، لسنا من معتنقيه، وفيما لا نزاع فيه من ولائنا للإسلام. والذي أوده قبل كل شيء هو أن يدرك جميع المسلمين الحاضرين هنا، وأن يدرك بواسطتهم جميع إخوانهم في الدين، مبلغ ما نطأطئ به رءوسنا من الوقار الخالي من كل تصنع، أمام تجلّي عقيدتهم الدينية في مظاهرها، حسبما لاحظوا ذلك مني كثيرا في المغرب. أريد أن يدركوا جميعا أن ما نحن بصدد هنا ليس من قبيل الغلو في حب المظاهر الجميلة، أي ذلك الولوع الذي شوهد في بعض الأحيان انه يحدو العامة الباريزية نحو المذاهب الأجنبية بعامل الشغف الموقت، وداعي الرغبة في الاطلاع. كلا، إن ما نحن بصدده شيء نبيل للغاية، بعيد المرمى سمواً ورفعة، كما عبر عنه المسيو «موريس كولرا» أحسن تعبير، عندما أشار في كلماته التي تلوتها قبيل الآن إلى كنائسنا تجاه مسجدكم، ماكان ديننا ودينكم ليفرقا بيننا. بل لو ترفع الإنسان مقداراً كافياً إلى ما هو أسمى، ولم يعتبر إلا اتحاد العاطفة المتجلية بأجلى مظاهرها في كل واحد من الدينين. لرأى انهما يعلمان احترام عقائد بعضنا البعض احتراماً متبادلاً، وإذا تجلى ولاؤنا هنا بغاية الجد والصدق فذلك لأنه قد أملته علينا عاطفة وراثة دينية مرّ على نشأتها خمسة عشر قرناً. وكهذا يقال عن المسلمين أيضاً...

ألا وليكن معلوما، حق العلم، ما دلتني عليه ممارستي الطويلة للإسلام، واسفاري في العالم من أن فرنسا، مهما كان لكل واحد منا من العقيدة والآراء الفلسفية، تبقى دائماً في نظر شعوب ما وراء البحار دولة الافرنج المتجلية لهم بهيكل تقاليدها القديمة، التي طبعتها عليها عشرة قرون من التاريخ، أعني تلك الدولة التي كان قناصلها، وما بالعهد من قدم، مهما كانت صبغة حكوماتهم ومذاهبهم الشخصية يترأسون في أماكل الشرق، أيام الأحد حفلات الدين المعتبر كالشيء الواحد هو والرأي الفرنساوية. والأمن الذي ينبغي فهمه حق الفهم، إذا كان المراد خدمة مصلحة فرنسا حق الخدمة في الأقطار الإسلامية، هو أنه لا يكفي فيها احترام دينها. بل لابد من احترام الأديان الأخرى، وفي طليعتها الدين الذي نشأ وطننا وشب عليه. وذلك بدون أن يكون في هذا الاحترام أقل شيء يؤدى إلى التنازل عن حرية الفكر الذاتي. وإذا مارسنا هذا الاحترام وفهمنا ما للفكرة الدينية من القوة والعظمة، لا عند هذه الشعوب، فقط، بل حيثما وجدنا فكرة دينية، فإن قوتنا ونفوذنا لا تنجم لهما عن ذلك إلا الفائدة.

لما جاء لزيارة فرنسا في الصيف القارط فريق من الشبان المتخرجين من مدرستي فاس، والرباط الإسلاميتين، سألتهم هنا عن تأثراتهم، فرأيت أن أهم ما أثر فيهم هو ما شاهدوه بمرسيليا في كنيسة (نوتر دام دي لاكارد) عندما رأوا عددا عديداً من متديني سائر الطبقات الاجتماعية يتواردون على ذلك المعبد بغاية الإخلاص، ما كان أولئك الشبان يظنون أنه ما زالت توجد في فرنسا قوة دينية بهذه

(21) اسم كان يطلق، قديما، على باريس وضواحيها.

(22) مما لا يذكر في هذا الباب، أن المارشال ليوتي الذي هو أعقل مستعمر فرنسي، ولربما كان أعقل مستعمر أروبي على الإطلاق، فقد بذل جهده أيام تمثيله الحكومة الفرنسوية في المغرب في المحافظة على الآثار العربية القديمة، وفي إحياء صناعة البناء العربي الأنيق بحيث تجددت فيها الرغبة ووضعت فيها الكتب، وتقيدت منها النفائس بالتأليف والتخليد مما يمكننا أن نذكره بالشكر، لأنه من قبيل الإنصاف الذي طبعت الجبلة البشرية على استحسانه، ويا ليت الأوروبيين اطردوا الإنصاف في سائر الأمور. [أمير البيان والمجاهد الكبير الأمير شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي ص 1/112].

الشابة، ولذلك فإنهم شعروا بولاء عظيم مبني على ثقة كبرى.

ولما عزمت، منذ ثمان سنوات، على ان أحدث في الرباط مدرسة معدة لنخبة الشبيبة، تكلمت في شأنها قبل ذلك مع جلالة السلطان مولاي يوسف. أولا لأن واجبي القطعي هو أن لا أتخذ أي وسيلة بدون الرجوع فيها إليه قبل ذلك. **وأيضا، لأني أجد دائما جلالته، وهو المتشبع حكمة وعقلا، والمناضل بخبرة عن عقيدته، والساهر بغاية التبصر والاهتمام على حاجيات رعيته أحسن الآراء المبنية على الروية والدراية. وما راعني إلا أن وجدته غير مستعد للموافقة على آراءي. وقد ظننت أن ليس هنالك إلا تأثر عارض. فرجعت، بالكرة، بعد حين، ولاقيت أيضا نفس ذلك النفور. وأخيراً قال لي جلالته : «ولكن، إلى من تريد إسناد إدارة هذه المدرسة ؟ إلى فرنساوي[23] فأجبته قائلا : «إن هذا أمر معلوم. إذ لا يوجد حتى الآن من الذوات الوطنيين من هو مهيأ مادياً للقيام بهذا العمل». فقال لي جلالته : «إنني أفهم ذلك جيداً ولكن هل ترتئي أحداً ؟» فأجبته بـ «نعم. وذكرت له اسم فرنساوي مستعرب» فتهلل وجهه وأجاب، حيناً، بالموافقة. ولما شكرت جلالته على ما أظهر من برهان الثقة بذلك المعين الذي رآه معي كثيراً قال لي : «إنني أعرفه جيداً وأعرف أنه مسيحي وأنه يربي أولاده على نفس تلك العقيدة. ولذا فإني متحقق أن عقيدة أبنائنا ستبقى محفوظة مصانة» على أنني كنت لا أدري شيئاً من عقيدة ذلك المعين وما كنت لاهتم بها، لولا أن أخبرني بذلك جلالة السلطان الذي هو أكثر مني إطلاعاً.** وإذا قصصت عليكم هذه الواقعة فذلك لكونه يلوح لي أنها تضمنت من بين جميع الوقائع إشارة إلى الخطة الواجب اتباعها إذا كان مرادنا هو المحافظة على الاحترام والثقة عند شعوب الإسلام، التي صار مآلها مشتر كامع مآلنا. أن ولاءنا للإسلام قد تجلى بصورة محسوسة في هذه الأوقات الأخيرة نبعا لما لا تمكن مقاومته من قوة مجاري الرأي الشعبي المسيطر في الهيئات الدستورية على السلطة العامة يدير وجهتها حيث دار. وقد اظهر رئيس وزارتنا من التبصر والثبات والعمل السلمي ما كان له تأييد ومصادقة من قبل الأغلبية العظمى في البلاد. ومهما كان للرأي العام من الميل الطبيعي فإن له أيضا أسبابا قوية. ذلك أن فرنسا، مع ما فيها من الغليان السطحي، هي بلاد النظام والتقاليد. وأجلى برهان على ذلك جهودها المبذولة في التجديد والإصلاح منذ أربع سنوات. ولا سيما كدها واجتهادها في مزارعها الجديرة بالإعجاب. وإذا أتيح لي أن اطلق على فرنسا كلمة «محافظة» فلست أعني، التعريف السياسي الذي غير معنى هذه الكلمة، بل اقصد معناها الأصلي الذي وضعت له، ففرنسا محافظة بهذا المعنى، أي محافظة على مالها وعلى ملكيتها وعلى تقاليدها الموروثة عن الآباء والجدود.

هذا وإن كانت الأساطير تقول غالبا : إن الإسلام فوضوي مدمر ليس فيه تسامح، فدعوا رجلا مثلي لم يلاحظ الإسلام في الكتب والمجلدات، بل لاحظه في موضعه بالشرق والغرب، يبرهن لكم بماله من القوى على كون الأساطير، وعلى الأقل اليوم، باطلة لا أصل لها من الصحة. على أننا إذا رجعنا مرة زائدة لتذكر أنواع الضغط الذي تناول أقليات الجنسية والعقائد المختلفة نعترف، وأسفاه، بعد هذه السنين التي عشناها، وبعد ما شاهدناه في

23) لقد كانت للمولى يوسف طيب الله ثراه مواقف مشرفة إزاء الإدارة الفرنسية، فحينما جاء «تيودور ستيغ» الذي كان حاكما عاما سابقا للجزائر يحمل معه عقلية الحكم الجزائري مصطحبا أعوانا من رجال الإدارة الجزائرية، لم يسلك أسلوب المجاملة والمداراة في معاملة السلطان للحصول منه على ما يرغب... وبالرغم من دماثة خلق مولاي يوسف ورغبة في تجنب الصدام مع سلطان الحماية، فإنه لم يستطع تجنب الصدام مع «ستيغ»، وانتهى به الأمر إلى طرد المقيم العام من قصره، وإصدار أمره الشريف بعدم السماح له بأية مقابلة ملكية، وطلب من الحكومة استبداله. [علال الفاسي ص : 182 - 183] ولم يكن ستيغ «ليغفر مثل ذلك للمولى يوسف، ولم يكن يسمح بتكراره مع السلطان الجديد. فالمولى يوسف اشتدت معارضته لسياسة الحماية، وخاصة سياستها البربرية «تنظيم الحماية في المغرب» ص : 139، د.م.خ فارس].

جهات متعددة من العالم، من العنف الذي يكاد أن يكون وطننا وحده برئ الساحة من ارتكاب شيء منه، بأن قليلا من الدول من هو أبيض الصحيفة بياضا يخوله أن ينتصب حكمـا في ذلـك. ولنتكلم على المغرب أولا، لأن هـذا ميداني. إن شعبه متحد مع شعبنا في أوصاف كثيرة. فمنه طبقة راقية، متنورة معتدلة. وهل ينبغي أن أقول، إيضاحا لزيادة المشابهة، إن هذه الطبقة محبة لوظائف الدولة. بيدانها مهتمة جدا بكل تقدم، والتقدم الاقتصادي في طليعة ذلك. ثم طبقة الفلاحين وهي مكدة مجتهدة تحب أراضيها وتفقه ما معنى النظام في الفلاحة. بحيث إنني لما نزلت في مرسى الدار البيضاء سنة 1907 ورأيت تلك المزارع المرتبة المنقاة من الادغال، والمحروثة حراثة مستقيمة كنت استطيع أن أظن نفسي في مزرعة فرنساوية.

هذه هي مواد النظام الاجتماعي الذي هو أساس كل جمعية منظمة. وإنكم لتجدونها بجميع درجاتها عند مسلمي القطر الجزائري والمملكة التونسية، وأنتم كلكم تعرفون أيضا من هو الفلاح المصري وما يبذله من الكد والصبر اللذين هما أصل نمو وخصب سهول النيل العجيبة.

وقد آن أن يعلموا هنالك أننا لا نعتبر غلطات التاريخ الحقيقية من باب الأشياء القارة وأننا، بناء على جميع جهودنا التي خصصناها وبذلناها للسعي بكل شرف في نجاح عمل السلم الذي يوده العالم، لا يسعنا إلا الأسف، عن كل كلمة من شأنها أن تعرقل هذا السلم أو تؤخر بروزه لعالم الوجود. إنني أقف عند هذا الحد. وغاية ما أردت بيانه، ملتمسا العذر في التقصير، هو أن فرنسا ذات الحرية الفكرية، والنظام والاجتهاد، وكذلك الإسلام في عصر شبابه الجديد، هما معا قوتان شريفتان عظيمتان. فإذا اتحدا وسعيا معا لا في ارتكاب العنف والتدمير والسيطرة، بل في وضع النظام والمحافظة على حرم مطالبهما الشرعية، واستقلال ترابهما الوطني، والتسامح مع جميع المعتقدات وسائر المذاهب، فإن ذلك يكون عاملا راجح الكفة في سلم العالم...

هـذه الفكرة هي التي تحملني على أن التمس من سعادة الصدر الأعظم بالدولة الشريفة ومن حضرات ممثلي الشعوب الإسلامية أن يقوموا بالضربة الأولى في أساس هذا المحراب الذى ستصاعد فيه من أفئدة أصدقائنا المسلمين، كما تتصاعد من المعابد المسيحية المجاورة له، أدعية صادقة وابتهالات خالصة لله الواحد الأحد. لينشر في العلام الوئام والسلام...

☆ ☆ ☆

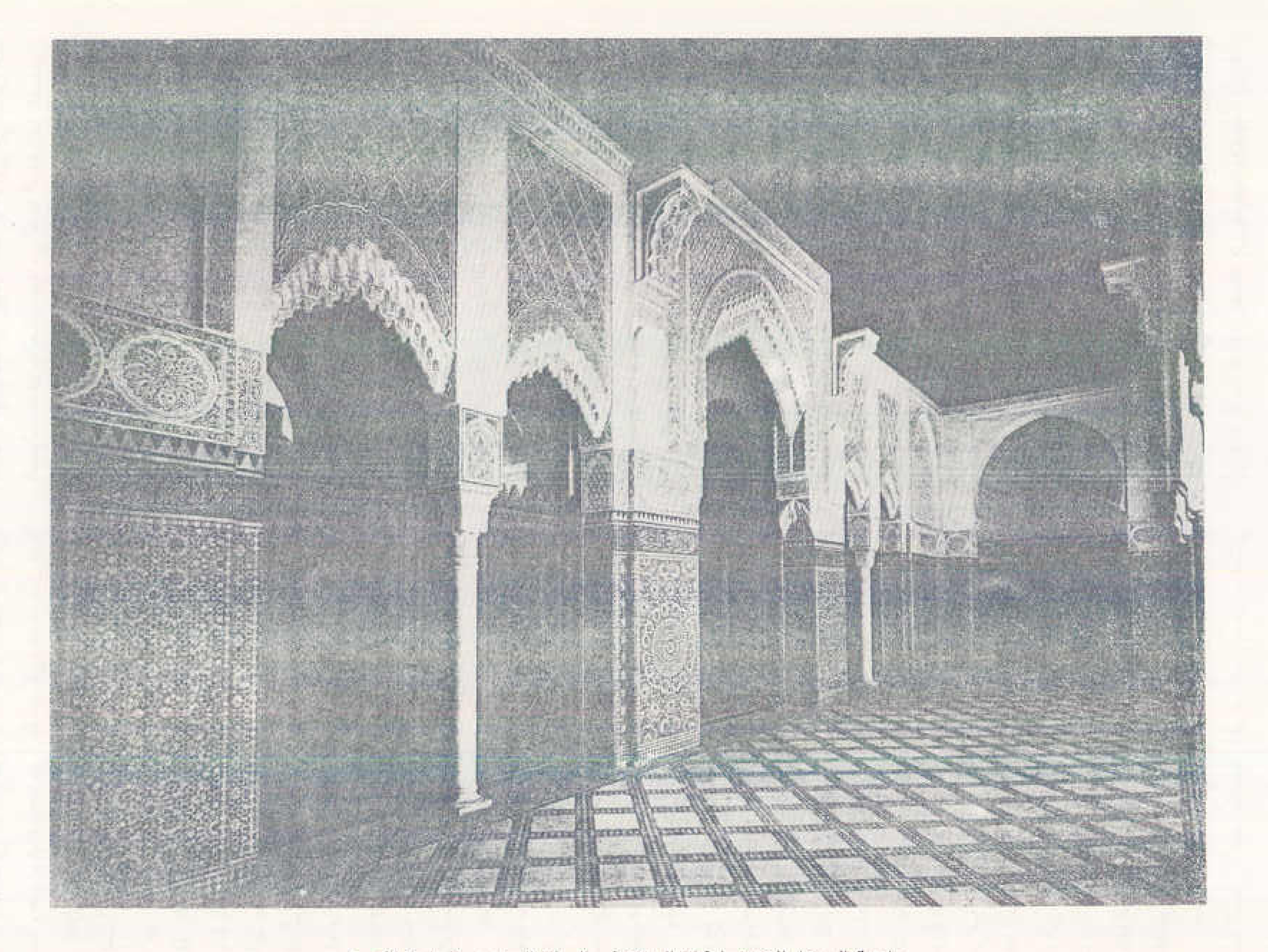
وقد شغل منصب الفتوى والإمامة، منذ تدشين هذا المسجد العظيم، علماء أجلاء كان ينتدبهم ملوك المغرب، تعاقبوا على هذا المنصب إلى حين..!! وهم السادة العلماء، الفقيه السيد بن الحسن الدباغ المراكشي شيخ الجماعة بمراكش والفقيه السيد العربي بنسودة الذي شغل هذا المنصب مدة ثماني سنوات، وسيدي محمد البارودي بقي مدة عام ونصف، وسيدي محمد الرفاعي الذي وقّع على عريضة الاستقلال والعدل المبرز، وشغل هذا المنصب نحو سنتين، والفقيه السيد العربي عواد، بقي نحو العام، وسيدي عبد السلام ابن الكتاوي والسيد محمد الزعيمي، والفقيه الفاضل الحاج المعطي عاشور الذي شغل هذا المنصب نحو ثماني سنوات...

الفن المغربي، والحضور الدائم في «مسجد باريس»....

إن الفن المغربي امتد إلى المساجد والمدارس والأضرحة والقبور، مما شهد للمغاربة بسلامة الذوق، ورهافة الحس، وبراعة اليد الصناع...

وقد كيف المغرب حضارته وفنه المعماري الذي ينعم بسمو الذوق، وروعة الابداع، الذي يتجلى في جمال التناسب والتناظر والتنوع، ما تقف النفس أمامه مبهوهة مشدوهة، وهي معجبة بسمو الفن الرفيع في ذاته، وبراعة اليد الصناع في حقيقتها. كما يتجلى ذلك في الرسوم الدقيقة، والشكول المختلفة، والتخاريم والزخرفة والفسيفساء الرائعة ذات الألوان والأصباغ الحية، والمادة الصلبة القوية المتينة...

وبذلك امتاز الفن المعماري المغربي بحضوره وطابعه الذي ميزه عن باقي الفنون المختلفة للدول والشعوب، حتى إن فاسا كانت تنافس بغداد في علومها وفنونها، وازدهار



واجهة المدخل المؤدي لمكان الصلاة في الرواق الجنوبي للساحة الكبرى

حياتها، كما نافست مراكش مدننا أخرى في الشرق والغرب...

وهكذا نجد أن للمغرب حضارة عريقة أثيلة جمعت بين القوة، وسمو الفن، مما يملأ شعاب النفس بالإعجاب والدهش...

والفن المعماري المغربي، ذو أثر بارز، وطابع مميز، وسمة ملحوظة، فقد جمع بين حضارة الشرق، وحضارة الأندلس، وأصبح ذا خصيصة واضحة يدركها الجميع، ولعل مرجع ذلك يعود إلى الإسلام الذي استطاع وحده أن يخلق في المغرب ما عجزت عنه قرطاجنة وروما، كما اعترف بذلك علماء غربيون...

وقد استطاع الفن المغربي أن يغزو مدننا وأقطارا خارج البلاد المغربية، وأعجب بعراقته وأصالته كثير من الناس في أنحاء المعمور...

ولعل ما يؤكد هذا، ما نراه في البناء المعماري المغربي، والفن والزخرفة والتخاريم التي نجدها في «مسجد باريس» الذي كان لليد العاملة الفنية حضور ووجود واثبات...

☆ ☆ ☆

إن مسجد «باريس» وتصميمه مستمد من المدرسة البوعنانية، وفي ذلك يقول السيد «روبير رينو» الكاتب العام بالمعهد الإسلامي : «إن عددا من المهندسين، وأرباب الفن من فرنسا ومن العالم أجمع جذبهم عظمة العمل وحسنه، قد طلبوا منا أن نبين لهم أصلية هذا البناء، ولو كان هذا المسجد مستنبطا من المدرسة البوعنانية بفاس، فإننا أحدثنا فيه تبديلات، ومحونا منه أخرى، تقوم بالغرض الذي نرومه» بل إن تلك الآيات المدرجة في المحراب والحيطان من توجيهات مغربية، ولقد استدعى رئيس التشريفات الملكية، وبأمر من المولى يوسف رحمه الله، السيد قدور بن غبريط، الشاعر الأديب السيد عبد الكريم سكيرج لكتب بعض الآيات بالخط الكوفي بهذا المسجد، مع كتب بعض القصائد التي رسمت هناك بالخط المشرقي والأندلسي، وهي من إنشاء والده القاضي الحاج أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الخزرجي الأنصاري الأندلسي الفاسي الذي كان عضوا عاملا بجمعية أوقاف الحرمين الشريفين والقصيدة الدائرة بصحن مسجد باريز، هي :

متع لحاظك في محاسن معهد يسبي العقول بحسنه المتعدد
هو معهد، لكنه في زينة وفخامة، في غيره لم تعهد

وهناك أبيات أخرى عن يمين الداخل لصحن المسجد، وهي :

أهلا بكم يا زائرين لمسجد قد فتحت أبوابه للقصد
هذا المقام به السعادة خيمت من حل فيه، يحل أرفع مصعد
فيه الأماني، والمنى مجلوة مثل العروس بدت بأجمل مشهد
فلتطمئن، صدوركم بورودكم، وصدوركم، فلكم كمال السؤدد

وعن يسار الداخل :

أهلا بكم يا سادة فلتدخلوا لتشاهدوا ما في السوى، لم يشهد
من كل حسن، لا يزال مرونقا قد شيد مثوى طاعة للعبد
لو كان ينطق باللسان سمعتم منه الترحب، مثل قول المنشد
لكما الهنا، يا زائرين بنيل ما رمتم جميعا من كمال المقصد

☆ ☆ ☆

التدشين من صاحب الجلالة المولى يوسف :

غادر المولى يوسف مدينة الرباط قاصداً ميناء الدار البيضاء، وكان في وداعه جم غفير من أبناء الشعب المغربي الذين تقاطروا على رصيف الميناء، ولعله أول سفر سلمي يقوم به عاهل مغربي إلى فرنسا، وقد ودعه أعيان الأمة، وصدور العلماء والأعيان، وقد كان الفقيه الأديب سيدي عباس الشرفي رئيس المحكمة العليا قد أهدى لجلالته

قصيدة شعرية تعبق بأريج الحب، وشذى الولاء، وصادق الإخلاص بهذه المناسبة...

وكان بمعية الجناب الشريف عدة شخصيات تضم الأمراء والوزراء والعلماء والباشوات والقواد مما يؤكد الحضور المغربي المكثف المتميز في هذا التدشين الذي تشرف بالحضرة الشريفة المولى يوسف رضي الله عنه.

فمن المرافقين لجلالة السلطان المولى يوسف أصحاب السمو الملكي الأمراء مولاي إدريس الخليفة بمراكش، ومولاي الحسن، وسيدي محمد، والصدر الأعظم الحاج محمد المقري، والحاجب الملكي الفقيه السيد التهامي اعبابو، والسيد أحمد اللجائي وزير الأوقاف، والسيد الحاج عمر التازي وزير الأملاك المخزنية، والسيد قدور بن غبريط رئيس التشريفات الملكية، والسيد محمد معمري أستاذ أنجال الجناب الشريف، والسيد عبد الرحمن بركاش[24] باشا الرباط، والفقيه الأستاذ الحاج أحمد بركاش مندوب المعارف في الأربعينيات مع المولى محمد الخامس، ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في عهد الحسن الثاني، والسيد مصطفى والزهراء، والسيد محمد بن الهاشمي بن عمرو، والحاج عبد الحق غنام، وأحمد الحناوي الكاتب بالصدارة العظمى، والسيد محمد بن الحاج الطيبي الصبيحي باشا سلا، والسيد إدريس عمور محتسب سلا، والحاج أحمد ابن القاضي ناظر الزوايا، والحاج عبد الله حصار، وأحمد بن الحارثي حجي، والسيد أبو بكر بن عبد الله عواد، والسيد محمد بن عبد الواحد باشا الدار البيضاء، والسيد الحسن بن العربي قائد بني ملال، والسيد العباس بن إبراهيم قاضي سطات، والسيد محمد بن محمد الجباص، والقائد الحاج محمد بو حافة، والحاج المختار بن عبد السلام رئيس جمعية قدماء التلاميذ، ومن ناحية الغرب، القائد أحمد المداغري والقائد المعطي بن المدني، والسيد عبد الحفيظ الفاسي قاضي سيدي سليمان، والسيد محمد الهواري قاضي سوق الأربعاء، والسيد بنعيسى بن العمري، والسيد محمد بن العباس المنوني، والسيد الجيلاني بناني، ومن ناحية وجدة، مولاي أحمد بن منصور باشا وجدة، والسيد الطيب بن الحسين، والشيخ أحمد بن المختار، والسيد الحاج العربي، والسيد قويدر ولد مولاي رشيد، والسيد أحمد ولد العربي مزيان، والسيد محمد بن عبد الغني زيزي.

وكان من ناحية الجديدة السيد علال بن ابراهيم الفاسي باشا الجديدة، والسيد محمد بن دحان باشا أزمور، والسيد أحمد سكيرج قاضي الجديدة، والسيد محمد ولد مولاي الطاهر قائد أولاد بوعزيز، والسيد أحمد بن العباس قائد أولاد بوعزيز، والسيد أحمد التونسي قائد العوينات، والسيد الفاطمي بن سليمان بديوانة الجديدة، والحاج عبد القادر الباشا عضو المجلس البلدي.

ومن ناحية مدينة آسفي السيد محمد بن العربي الوزاني قائد البحاترة، والسيد محمد الزموري رئيس الغرفة التجارية.

ومن ناحية الصويرة القائد العربي جنان، والقائد امبارك النكنافي والسيد الحسن بن الطيب، والسيد الحسن بن عبد المالك، والشيخ محمد اقريط.

ومن ناحية وادي زم القائد أحمد بن الشرادي، والقائد عبد الله بن العربي، والسيد عبد الله بن الحاج السلوي، والحاج بو بكر المالقي.

ومن ناحية مراكش، الحاج التهامي الكلاوي باشا مراكش. والقائد السيد الطيب الكندافي، والقائد العيادي الرحماني، والقائد عمر السكتاني، والقائد عبد الله الوريكي، والقائد السعيد بن الحاج الحسن تكزيرين، والحاج حماد ولد حيوه باشا تارودانت، والسيد بوجمعة قائد بني ملال، والسيد عبد القادر الشرقاوي.

---

24) يظهران الأمير «شكيب أرسلان» كان في فترة التدشين بباريس فقد قال : «ومن مسلمي الأندلس السيد عبد الرحمن بركاش باشا الرباط الحالي، عرفته مرتين، إحداهما في باريز عام 1926 عندما حضر مع المرحوم السلطان يوسف، فاجتمعت معه بطريق المصادفة في فندق «ماجستيك»، والثانية في قرطبة عام 1931، وهذه، أيضا، بطريق المصادفة، وكان معه أحد أنجاله الأدباء، وبعض من حاشيته : وهو وأنجاله من مرآة الإسلام، وأماثيل القطر المغربي سائرون على آثار سلفهم الكريم [حاضر العالم الإسلامي ص : 2/46].

ومن ناحية فاس، السيد محمد التازي خليفة باشا فاس، والسيد محمد المرنيسي والسيد الحسن بن ثابت، والسيد عبد السلام المراكشي، والسيد أحمد مكوار، والحاج محمد الحصادي، والسيد أحمد ا لرامي، والحاج محمد بن جلون، والسيد محمود التجاني، والسيد محمد بن الطيب البدراوي، والسيد العباس بن جلون، والسيد عبد الكريم التازي، والسيد الطاهر المعاوي ترجمان البلدية، والسيد العموري باشا صفرو، والقائد قاسم بالبهاليل، والقائد محمد بن حمادي اليازغي، والقائد الحسين ولد محمد الشرقي، والسيد محمد بن العربي قاضي فاس.

ذلك هو الوفد الضخم الذي رافق المولى يوسف لتدشين «مسجد باريس»، ولقد كان بانتظار جلالته بمحطة «ليون»، في البر الفرنسي، كل من فخامة رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، وبعض الأعيان من الوزراء، والمشير «بيتان» والجزال «كورو»...

☆ ☆ ☆

وقد صرف المولى يوسف يومي 15 و16 أكثرهما في افتتاح «مسجد باريس» وقد احتفل بهاتيك المناسبة احتفالين متواليين مختلفين اختلافا متباينا.

الأول منهما رسمي أجرى بمحضر فخامة رئيس الجمهورية، وكثير من الشخصيات ووكلاء الدول، وكبراء الأقطار الإسلامية كسفراء مصر وتركيا وأفغانستان بباريس وكان الجو صحوا، واليوم جميلا مشرقا يمثل جوا من جواء الأقطار المشرقية.

جلس المولى يوسف مع فخامة رئيس الجمهورية بمفردهما تجاه مدخل المصلى تحت ظل الأوراق الوارفة، فاصطفت حولهم الذوات الأخرى لاستماع الخطب التي ألقيت بهذه المناسبة، والتي أشار فيها كل من الملك المولى يوسف والسيد «دوميرك» إلى أخوة الإسلام التي تمكنت بين الفرنسين وأهالي إفريقية الشمالية.

وأما الاحتفال الثاني الذي كان صورة رائعة متألقة في إطار ديني، ومتأنقة في مظاهرها الروحية، فقد أجري يوم العَرُوبة، يوم الجمعة الذي كان له في أدب الدين قواعد مقررة، كالاغتسال والتطييب، واتخاذ الزينة، وشهود الجماعة، ومودة القربى، وصلة المساكين، وترفيه اليد بالراحة، وتطهير النفس بالعبادة، واعلان مجد الله بإعزاز دينه، وسلطان المومنين بإعلان أمره...

كان ذلك اليوم المشهود خاليا من كل صبغة رسمية، بل كان عبارة عن تدشين المسجد تدشينا دينيا محضا، قام به المسلمون من شتى البقاع والرقاع، وبدون تدخل أجنبي عن دينهم، براسهم المولى يوسف الذي كانت له في هذا المهرجان الضخم الفخم صدارة يكتنفها جلال ملك، وإمارة يسندها سلطان دين فكان هذا التدشين الذي كان مظهرا واتحادا للمسلمين ألفه الله من صلة الدم، ونسب الروح، عبارة عن أول صلاة جامعة، أقامها مسلمو باريس، ومن نسل من أقطار أخرى بعيدة، وحضر لهذه المناسبة الدينية...

وقد أقيمت هذه الصلاة في جو من الشكر والخشوع وفق القواعد الإسلامية في العبادات حيث توجت بهذا المهرجان الذي أقيم للدين، وذلك العرض الذي نظم للإسلام، فكان مهرجانا حفيلا رفع الله به قواعد الدين، وخاطب جمهور الحاضرين والمومنين بقوله في آيات الذكر الحكيم : ﴿**قد جاءكم من الله نور، وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه، سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم...**﴾.

ولعل الله، سبحانه وتعالى، قد ادخر لهذا الملك الصالح المومن، المولى يوسف، الذي جعله الله أداة لنشر دينه، وشريعته في الديار الأروبية، ويمنا على المسلمين المغتربين والعابرين الذين يجدون في هذا المسجد الملاذ الروحي، والملجأ الأمين...

☆ ☆ ☆

وبالفراغ من هذه الصلاة الأولى من صلاة أول يوم جمعة في مدينة باريس، انتهى هذا التدشين، وغادر المولى يوسف باريز، قاصدا زيارة مدن فرنسا، التي قضى بها ثلاثة أسابيع، تركت أثرا وعيدا يأتلق جماله في كل مكان، وفي كل نفس.



«أعضاء جمعية أحباس الحرمين الشريفين»

وهم من اليمين السادة : امحمد ملين وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وشيخ الإسلام الشريف سيدي محمد بن العربي العلوي رئيس المحكمة العليا، وقدور بن غبريط وزير التشريفات الملكية في عهد المولى يوسف... ومن اليسار الفقيه الأديب السيد الحاج أحمد الزبيدي، والرابع العلامة الشريف المحدث سيدي المدني بن الحسني رئيس مجلس الاستيناف الشرعي، والسابع السيد عباس الشرفي كاتب وشاعر، ونائب الصدر الأعظم، ثم رئيس المحكمة العليا، ثم بقية أعضاء الوفد التونسي والجزائري...

وعند وصوله إلى مرسيليا، في تاريخ سادس غشت، وهو آخر يوم من إقامة جلالته بفرنسا، استقبله في تلك المدينة فخامة باي تونس سيدي محمد الحبيب حيث جرى احتفال شائق تحدث به الناس... وقد أهدى سمو الباي سيدي محمد الحبيب منبرا للخطبة لمسجد باريس، يشبه ذلك الذي بمدينة القيروان، وبعده أهدى جلالة المغفور له الملك فؤاد منبراً آخر ما زال إلى الآن، كما هو مسطر على جنبات المنبر...

* * *

...هكذا كانت بداية الانطلاقة المشرقة المومنة في بناء هذا المسجد العظيم قادها رجل مؤمن... وتلك كانت صحوة المسلمين أعقبتها يقظة دينية في بلاد فرنسا، حيث وجد عمالنا وغيرهم من أبناء الجاليات الإسلامية الأُخرى ببركة ذلك الرجل المومن، مكانا للعبادة والذكر والصلاة.

...كانت الانطلاقة التي قام بتدشينها المولى يوسف في حد ذاتها مومنةً ملهمةبالصواب، ذات عفوية وإيمان، وبساطة وإخلاص، ولكنها كانت ذات مفعول قوي سرى شعاعه مسرى النور في الظلم، فبعد زمن قليل، أعطى غلاله وثماره فكانت هذه البداية انطلاقة للإسلام في ربوع أخرى من البلاد الأروبية. وكانت :

كَالضَّوْء يصغُر جرْمُـهُ فِي نَفْسِـه
ويفيضُ عنـهُ النورُ مِنْ مِصْبَاحِـه

الرباط : محمد بنعبد الله

نحن... أفلا نُلاَمُ ؟!

إننا بحجارة أرضنا، وسواعد أبنائنا وإيماننا قبل ذلك بربنا، نطرد الكلاب من بلدنا، استغفر الله، لا أظلم الكلاب فأشبه بها اليهود. فالكلاب شيمتها الوفاء، وصناعتها حراسة الديار، ولكن شامير وشارون وأمثالهما من أبناء الشيطان كشيخ النحس الخميني وجنود إبليس هم اخس من الكلاب.

إن الذين دعوتموهم جنود الحجارة، ما ضعفوا ولا استكانوا جادوا بأرواحهم «والجود بالروح أقصى غاية الجود» ثبتوا هذه الأيام الطوال فما عليهم ملام ولكن نحن المسلمين الذين كتب الله علينا اخوتهم، وأوجب علينا نصرتهم، نحن ...أفلا نلام ؟ اندعهم وحدهم يواجهون بالحجارة الدبابات والمدافع والرصاص والغاز الخانق وهاتيك الأهوال والمصائب ؟ إيكفينا في شرع الله، في قانون الفروسية، في قواعد الشرف، في إخوة الإيمان أن نراهم في الرائي «التلفزيون» وأن نسمعهم في الإذاعات وأن نعجب بهم. وأن نصفق لهم، ثم نذهب فننام.

مـاذا التقـاطـع في الإسـلام بينكم
وأنتم يـا عبـاد اللـه إخـوان
إلا نفـوس أبيـات لهـا همم
إمـا على الخير أنصـار وأعـوان

أنت الهمام فلا ينبو مهندكم

للشاعر الأستاذ وجيه فهمي صلاح

روحي فدا ملك غنى الزمان له ... عذب اللحون ففاض الشعر والوتر
يغردان على الآفاق حبهما ... فتطرب الشمس للأنغام والقمر
يمجدان مليكا ذكره عطر ... في خطوه يتآخى النصر والظفر
قاد البلاد إلى الأمجاد مقتدرا ... فأصبحت دارنا تزهو بها الصور
ترعرع الحسن المقدام، زينته ... الصبر والحلم والعرفان والفكر
عاش الحبيب الذي باليمن سربلنا ... وجم أفضاله كالمسك تنتشر
وعاش مغربنا في ظله ألقا ... بين المسيرات بالإيمان ينتصر
ما سار يوما رفيع التاج في شمم ... إلا وحالفه من ربه قدر
هو الهمام فلا ينبو مهنده ... وهو الحليم الذي يعنو له الوطر
من مثل سيدنا للقدس ينصرها ... من مثل سيدنا قد ضم مؤتمر
من جده سيدي في ذهنه ألق ... وذكره عند مدى جده عطر
من مثل عاهلنا للعرب يرشدهم ... من مثلنا للوغى إن داهم الخطر
أفدي الأشاوس عربانا أمازغة ... يستأسدون ونار الحرب تستعر
يا مغرب المجد دم للعرب قاطبة ... أسمى ضياء وللإسلام تنتصر
ما دام يرعى الحمى في سيرنا حسن ... فإن إدراك ما نرجوه منتظر
طاقاتنا في شباب الجيل وافرة ... والواعدات من الطاقات تنتظر
حيي المثنى حبيب الشعب عاهلنا ... من فجر الوعي في الشبان فانتشروا
يبنون صرح العلى في كل معترك ... ويحصدون فخارا أينما عبروا
الزارعون على الآفاق رايتنا ... وعزة العرب فازدانت بها الأسر

يا ملهم الجيل طرا كل مكرمة ... شباب عهدك فواز ومبتكر
إنا أقمنا سدود الخير فانتظمت ... وحالف الغرس في أرجائنا المطر
وأورق الرمل واخضرت مرابعنا ... واثقل الغصن من نعمائها الثمر
من كل زوج بهيج لاح في فنن ... «الأرض» تشدو له والطير والشجر
تعطيه دار كرام نورها ملك ... بوحي أفكار قد يثمر الحجر
سل الفيافي وقد مد المليك لها ... يدا ليأتيك من كثبانها الخبر
رمالها مشرقات الوجه ضاحكة ... ماء الحياة عليها بات ينهمر
قد أزهرت هاجعات الرمل وانتعشت ... وكل شبر هنا ما انفك يزدهر
هذي مراكبنا في اليم ماخرة ... مشحونة ثمرا يطهى ويعتصر
تلقاه جل ديار الكون باسمة ... فتصطفيه نضيرا دونه الدرر
مولاي يا صانع الأمجاد دمت لنا ... منار هدي تنادينا فنأتمر
قد جل في عهدك العرفان فانطلقت ... معاهد العلم في الأنحاء تنتشر
شيدتها بسديد الرأي مشرقة ... فأثمر البحث والتنقيب والسهر
لينهل الجيل من أصفى مواردها ... ما يرتضيه فنعم المورد العطر
ديارنا بلباب العلم زاخرة ... يا شعب بشراك طاب الجني والثمر
قطوفه دانيات من تناولنا ... يا جيل فاقطف ثمار العلم تزدهر
واسعد بملك لبيب لا يطاوله ... في الفكر ند ولا يسمو له بشر
دار الحديث التي فاضت معارفها ... باسم الحبيب لنا في بحرها درر
يرودها كل ذي فكر أخي ثقة ... يصيد من بحرها علما ويقتدر
تخرج الفوج تلو الفوج قادرة ... فنحصد العلم لألأ ونعتبر
معينك الله يا مولاي ما فتئت ... خطاك تطوي مسيرات فتبتكر
قدت المسيرات باسم الله منتصراً ... ومن يصاحبه القرآن ينتصر
فاسلم لمغربنا يا روح مغربنا ... منار مجد به نسمو ونفتخر
وصان ربي ولي العهد سركم ... وصنوه فيهما من عزمكم أثر

الرباط : **وجيه فهمي صلاح**

العيدُ المتجدد

في موكب عيد العرش المجيد

3 مارس 1988

للشاعر محمد بن محمد العلمي

طاب من عيدنا السعيد رجوع، فأضاءت من الهناء شموع،
ومن المغرب الكريم المفدى راق من ذلك الصباح طلوع !
أشرقت شمسه الجديدة فينا، فتجلى قبل الربيع ربيع !
إن (آذار) للقرائح بشرى زفها الفن. والجمال البديع
ولدى العرش نفحة قد أتتنا من نبي الهدى، ومسك يضوع !
أي عيد كعيدنا في البرايا ؟! زانه العشق، والمحيا الوديع ؟!
تاجه ذلك الحفيد المجلي، لرسول هو الحبيب الشفيع
قد رفعنا الثناء، والعرش يبقى فوق ذاك الثناء، فهو رفيع !
كل ثغر فيه ابتسام وشدو، طاب منه الترديد والترجيع
وجميع الأجواق فن أصيل، لا يضاهى، ونشوة وولوع
وربوع الأوطان في الفرحة الكبرى عروس بكر، فنعم الربوع !
متعتنا منها أو يقات أنس، فتسامى الإيناس والتمتيع
صورة المغرب الحبيب من العرش أتاها الإشعاع والتلميع
منذ (إدريس) والملاحم تترى، لم يصبها النكوص والتمييع،
فلنحن الأباه للضيم دوما، ليس فينا لعهدنا تضييع !
والرسالات في الصيانة جيلا بعد جيل... وغيرها منزوع !
ترجمان الوفاء، باقة حب، هو للعرش خالص مرفوع
والتهاني بها الصحافة تزهو، وبها يصدح المغني المذيع
كل لحظ نزداد فخرا وعزا بمليك مثواه منا الضلوع

عرشه من محبة للرعايا ! زانه من أحداقنا الترصيع !!
فالقلوب الأكباد فيها ولاء، نحن منه الميثاق والتوقيع !
تاجنا في أمجادنا علوي؛ فهو ذو العشق بالرعايا ولوع :
في صميم من العقيدة منا خير عهد ببيعة مشفوع !
منذ كنا والعرش فينا رصيد، وعرين مدى الزمان منيع !
فهو ذكر لنا، ونور مبين ! حبذا منه روعة وسطوع !
وهو عنواننا البهيج، فكل الشعب للتاج طيع وسميع
إن دستورنا أساس نظام ملكي منه ازدهى التشريع !
فوق هام الجوزاء، فوق الثريا، عرشنا... نعم هديه المتبوع !
ليس يرضى النزر اليسير، ففي الهمة دوما لأفقه توسيع
رمزه النضج، والطموح المثالي، ونهج موفق مشروع
من ضمير القرآن والسنة الغراء صوت من عرشنا مسموع
إن خطا خطوة، فتلك لديه لسواها انطلاقة وشروع :
وحدة في تنوع وشمول ! نعم ذاك التوحيد والتنويع !
محتواه أصالة واقتدار، فإذا هم يستجيب الجميع :
فطرة الله في الضمير تجلت، فهو دوما بفضلها مدفوع
لسباق إلى المكارم يسعى، والمسير الحثيث منه سريع !
يتبارى في همة وتفان، لإمام الحكيم دوما مطيع
طوعته إرادة الله للخير، فنعم التوجيه والتطويع !
ذلك الطبع، وهو منا إلينا، لم ينله من غيرنا التطبيع
نحن شعب من حول أكرم عرش، حبذا منه شملنا المجموع !
مالكيون نحن قلبا وروحا، ليس في مذهب البلاد صدوع !
وحدة النهج وطد العرش فينا أسها، فالبقاء منها يروع !
ملكيون، فالشعار هو الله، ووطن، والعرش روض مريع !
إننا وحدة، ووحدتنا الكبرى ارتضتها أصولنا والفروع !
دوحة تلك، ظلها خير ظل، ومداها نحو السما مرفوع
طفحت بالثمار من كل نوع، وسقاها من فيضه الينبوع !
ما نسينا فضلا لها أبد الدهر، ولم يخف في البلاد صنيع :
فالحضارات والثقافات تترى هاهنا تلتقي لديها الجموع
والبطولات والملاحم يتلو بعضها البعض، حيث تزكو الربوع،
حث تدنو البشرى، فيحيا نماء به يزهو ترابنا المزروع

فـالمليـك المـؤيـد (الحسن الثـا ني) فريـد من نـوعـه، مطبـوع !
فلكم شـاد من سـدود، وأدى من جهـاد، فـالحـق ليس يضيـع !
همـه أن يصـون وحـدتنـا العظـمى ! فبئس التقسيم والتـوزيـع !
منـذ كنـا، وللكرامـة عشنـا، نحن شعب بحقـه مـولـوع !
ومسيراتنـا إلى الهـدف الأسمـى، لهـا الصيت في الـورى والـذيـوع
كـل فرد منـا بطـاقته اعتـد، فيبني في المجـد مـا يستطيـع !
والميـادين والمجـالات شتى : دأبنـا نحن للبقـاء نـزوع !
ليس منـا عنـد النضـال كسـول، فـاتر العـزم، بـالقليـل قنـوع !
كـل خصم لنـا تجـاهـل منـا عمقنـا، فهـو تـائـه مخـدوع !
في ظهير من إفكـه بربري، وهمـه الهش بـاطـل مجـذوع
أمـة نحن نقتـدي خير دين، إذ سـواه عن قلبنـا مخلـوع
ولغير الإلـه لم نخفض الهـا م، ولا كـان في حمـانـا الركـوع !
نحن في كـل حقبـة ومكـان، غـايـة القصـد حقنـا المشروع !
في ذرى الأطلس المنيـع، وفي الريـف جنـود لعرشنـا ودروع
يتـوخـون للشهـادة سبـلا، ليس فيهم للمرجفين خضـوع
ورجـوع الصحراء أقـوى دليـل، فلقـد عـاد جـزؤنـا المقطـوع !
فـالحـوار الحكيم أقـوم نهـج، وهـو دفء بـه يـذوب الصقيـع !
بـانتصـار فـازت مسيرتنـا الخضـراء !! والـزيف بـاطـل مـا يشيع !
وارتـدينـا ثـوبـا نظيفـا جـديـدا، ليس فيـه عيب ولا ترقيـع !
لم يراع الجيران حـق جـوار، فبحقـد فـؤادهم مصـدوع !
(سبتـة) - (مليليـة) الجيوب جميعـا، سيهني الأوطـان منهـا رجـوع !
لا يفيـد المستعمرين فتيـلا ذلـك الحلم والضـلال الشنيـع
فـإذا زاد الـذئـاب عـواء واحتيـالا، فكيف يهنـا القطيـع ؟!
حجـة الحـق في ذويـه سـلاح، فـوقـه من دم الخصـوم نجيـع !
وأرى المغرب الأبي ينـادي للهـدى، ليس يشتري أو يبيـع !
ليس يغـويـه من جميـع الأعـادي، لـلأضـاليـل والتجني شيـوع
كم فلـول لـلارتـزاق سحقنـا ! فلقـد هـدهـا انهـزام ذريـع
والجـدار الأمني قـد بـاد فيـه كـل مـا يحشـد الشقي التبيـع
كيف يحيـا كيـانـه وهـو وهم ؟! خسرت منـه للضمير بيـوع !
ألف شكر لجيشنـا البطـل الشهـم، ففيـه رجـاؤنـا مـوضـوع !
والتحـايـا لأمننـا الـوطني الـفـذ، فـالحصن لـلأمـان منيـع !

قد عقدنا لله والوطن الغا لي جهادا، فلم يصبنا خنوع
وتجلى في الساقية الحمراء والوا دي اتحاد مؤصل مطبوع
واستعاد التاريخ كوثر خصب، فالصحاري حدائق وزروع !
والدخيل المأجور يفنى ابتئاسا، فلقد هان زيفه المصنوع !
ودواما بالعرش سدنا وفزنا، إذ حمانا على العدى ممنوع !
والفراسات منه حق وصدق : فلما يرتضيه يحلو الوقوع !
سنصلي في (القدس) والله حتما، ويزول البغي المريع الفظيع !
ونرى اللطف بالعناية يمحو ما جناه التفقير والتجويع،
وإلى أهله يعود شريد، كم طواه التوديع والتشييع !
ما نسينا غوث الأشقاء، كلا ! فعليهم قلب الإمام جزوع !
ليس يدري عمق الحقيقة إلا مؤمن في أعماقه ملسوع !
كيف يشقى في محنة وقيود من (فلسطين) قلبها المفجوع ؟!
فالأباة الأحرار في غربة الدا ر لواهم سقم، وبؤس، وجوع !
ألف شكر للعاهل (الحسن الثا ني)، فإن الإحسان منه سريع :
قد توخى إنقاذهم من ضياع ! فالإله الكريم ليس يضيع !
إذ تعاني أرض الرسالات مما ليس يرضى (محمد) و(يسوع) !
إن تلك المخيمات جحيم، حيث يشقى السلام وهو صريع
رب شيخ هناك يقضي اكتئابا، ويلاقي الويلات طفل رضيع
والنساء اللائي حملن هموما، قد دهاهن مستبد منوع !
والجفاة الأوباش ليس لديهم أي عطف، فالطبع منهم وضيع !
ليس فيهم صوت لأي ضمير ! هل يفيد التأنيب والتقريع ؟!
كل حر يشكو من الفتنة العظمى، فبئس التنديد والتشنيع !
هل لحرب الأعصاب يدنو انتهاء ؟ ومتى يا ترى سيدنو الربيع ؟!
و(صلاح الدين) استعدناه روحا، بيننا حية، فلسنا نضيع !
وحريق (الأقصى) لقد هيج الذكرى، فهلا فينا فؤاد سميع ؟!
كل ليل مبشر بصباح مطمئن، ما مسه ترويع :
إن للبيت ربه، فهو يحميه، وقد جفت الجراح الدموع !
فالأمان الأمان من جولة الظلم، فإن الوجدان منها هلوع !

☆ ☆ ☆

ومضت سبعة وعشرون عاما، كلها نهضة، وكسب بديع !
حفظ الله للعروبة والإسلام تاجا له المقام الرفيع

فـــإذا نـــام غيره فهـو دومـــا لسهـــاد مـــع الضمير ضجيـــع !
قمم المجـــد في حمـــاه تـوالت، حبـــذا عرشنـــا الحكيم الضليـع !
وتلقت مجـــالس العلم عنـــه سرهـــا... إذ تضيء منـــه شمـوع !
بـــارك اللـــه عرشنـــا، فهـو روض أينعت بـالحيـاة منـه الجـذوع !
وإذا مـــا تفرقت سنن الفضـــل، ففيـــه قـــد راقهـــا التجميـع !
قـــد دعـونـــا بنصره في سجـود، وأمـــام الجـلال يحلـو الخشـوع !
ورعى اللـــه بيننـــا (ولي العهـــد)، فنعم المهـــذب المطبـوع !
و(الرشيـد) البـدر المنير الـذي قـد زاد منـه حـول النجـوم سطـوع !
وشعـوري في الشعر صـوت فـؤادي، بلغتـــه الأوزان والتقطيـــع
قـد تركت التـاريخ ينشـد لحني، إذا لعيـد الحبيب طـاب الرجـوع !

الرباط : محمد بن محمد العلمي

هل تحول الرأي العام العالمي حقا ؟...

الواقع ان ثمة تحولا واضحا، ان لم يكن إلى جانب العرب فعلى الأقل ضد الإسرائيليين، وهذا في حد ذاته تغيير نسبي لا تعيه الذاكرة. لم يعد ثمة محرمات ومحظورات على صحف العالم. وحتى «النيويورك تايمس» نفسها، الصحيفة التي كانت أحد الأسلحة التي استخدمت في قيام إسرائيل، تقول :

«أصغوا إلى اصداء التاريخ المتلاحقة تتردد في الأخبار : الرئيس النمساوي كورت فالدهايم يرفض القول بأنه عرف عن فظائع النازية في الحرب العالمية الثانية... والفلسطينيون يفكرون في إرسال سفينة من قبرص إلى إسرائيل، مقلدين بذلك بطولة الناجين من النازية الذين أبحروا على السفينة «العودة» في العام 1947... ومن إسرائيل يأتينا المزيد من البراهين البشعة على أن استخدام القوة الوحشية يؤدي إلى المزيد من الوحشية (...) إن إسرائيل تكتشف منذ أكثر من شهرين معنى المضاعفات القاسية لاحتلالها غزة والضفة الغربية... لدرجة أن امرأة صهيونية متحمسة تساءلت : كيف أستطيع أن أعيش هنا بعد الآن».

لم يعد يترتب على المستر شولتز أن يقرأ ماذا في العقل العربي هذه المرة ولا ما هي المواقف العربية. بل سوف يفيده كثيرا أن يقرأ الصحف الأميركية أو الفرنسية أو البريطانية... وربما الصحف الإسرائيلية أيضا.

لبست الشفا ثوبا جديدا مباركا

للشاعر محمد بين بين

لما نهض جلالةُ الملك نصره الله من فراشه عشية يوم الإثنين 4 يناير سنة 1988 ليترأس الاجتماع الطارئ للجنة القدس بمدينة يفرن ـ بعد الوعكة التي أصيب بها بسبب الزكام ـ هنأه الشاعر السيد محمد بين بين بالقصيدة التالية :

تراءى لك الإقبال حتى شهدناه … ودان لك المقدور حتى أمناه
أمولاي ذكّرت الزمان وأهله … بعز سليمان وإقبال دنياه
إذا سرت يوماً حذر النمل بعضه … مخافة جيش من مواليك يغشاه
وإن كنت في روض تغنت طيوره … وصاحت على الأفنان : يحرسك الله
وكان ابن داوود له الريح خادم … وتخدمك الأيام والسعد والجاه
تحل بحيث المجد ألقى رحاله … فقصركم والقدس والبيت أشباه
لبست الشفا ثوباً جديداً مباركاً … فألبستنا ثوباً من العز ترضاه
وكان عليك الدهر يخفق قلبه … فلما شفاك الله أهدات أحشاه
وهنّا جديداه الزمان وأصبحت … تسوق لنا الأيام ما نتمناه
وبات ولي العهد والصنو في هنا … بحلة يمن أو شكور لمولاه
أمولاي دمْ ما دامت الشهب في الدجا … وما دام يسري ذلك البدر مسراه
ودمْ لبني الأقصى هماماً مباركاً … بعزك في الأفراح تمت مزاياه
ولا تنس من أمسى يقلب طرفه … فلم تر إلا أنت في الناس عيناه

الرباط : محمد بين بين



نشر الربيع قلائد العقيان ... فتلالات في غيرما بستان
والزهر فاح مع النسيم أريجه ... والروض هاج على شذا الريحان
وعلى الأرائك شع نور أزاهر ... طافت بهن مشاعل الأغصان
هي باقة مختارة ألوانها ... هي يقظة الأرواح والإبدان
عمت قلوب الشعب أفراح المنى ... منسابة دفقا من الوجدان
هذي وفود المؤمنين تجمعت ... فكأنما هي بيعة الرضوان
جاءت تقدم للأمير ولاءها ... سبط الرسول خليفة الرحمن
شعب أحبك من صميم فؤاده ... يا من تربع أرفع التيجان
الحكمة الغراء أنت معينها ... ولخير قائد ركبنا الرباني
ولباقة في الحكم بالغة المدى ... وحصافة ما إن لها من ثان
أو لست في كل المحافل حاضرا ... تدعو الشعوب لمبدإ إنساني
القدس أنت طبيبها الآسي لكم ... ضمدت من جرح ومن أحزان
لك في بلاد العرب إخوان غدوا ... بك يعشقون مواقف الشجعان
حققت آمال البلاد جميعها ... بمسيرة التوحيد والقرآن
وأثرت فينا من ندائك كامنا ... فإذا البلاد تهب كالبركان
ودعوت شعبك للجهاد فسارعوا ... بنفوسهم، لبوك، والابدان
الراية الحمرا هناك غدا لها ... لون العلا من حسن لون قاني
ياللعيون تفجرت فرحا بمن ... قد جاءها من خيرة الأعيان
الله أكبر يا رمال تهللي ... سر على درب العلا رباني

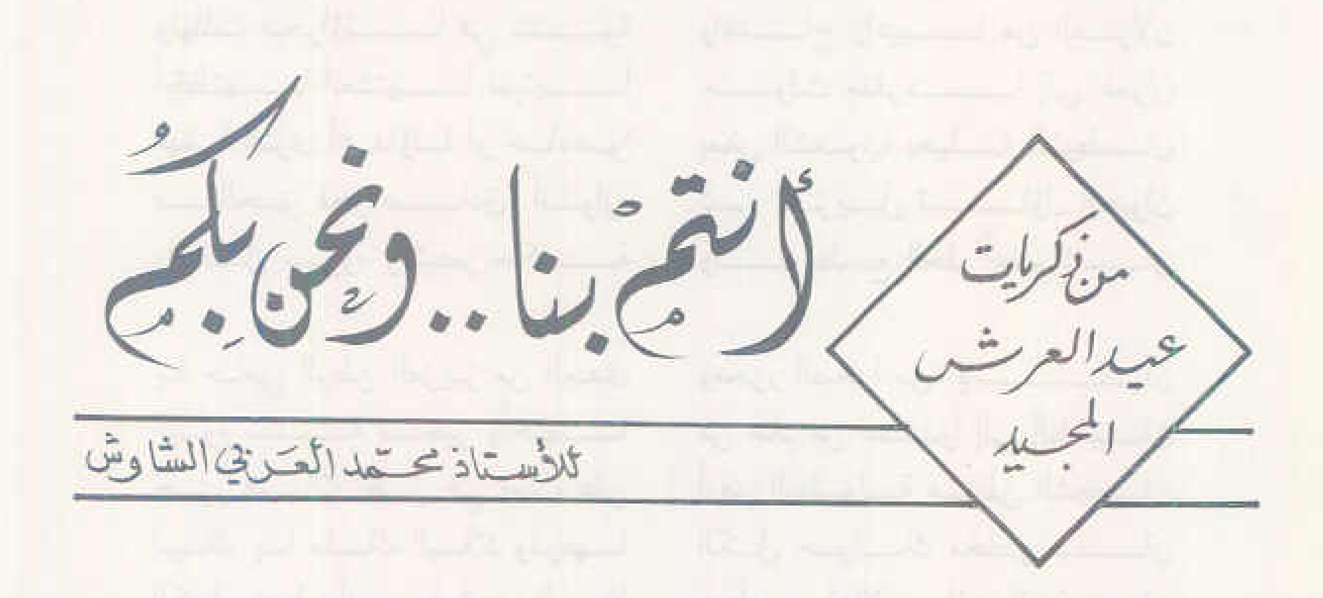
هـو ذا بكـل قصيـة ودنيـة ... بـاد يجلـل سـائر الكثبـان
وتهللت صحراؤنـا في نشـوة ... واهتـاج راعيهـا من الغـزلان
أيقظتهـا أنعشتهـا نميتهـا ... حـولت مقفرهـا إلى عمران
مهمـا افترى أعـداؤنـا أو خـادعـوا ... بعض الشعـوب بحيلـة الشيطـان
فـالحق فجر صـادق، أنـواره ... شمس تـزيـل تسـاؤل الحيران
والعقـل نـور، والتبصر حكمـة ... ولنـا بطبـع الحلم أعظم شـان

يـا حـامي الوطن العزيـز من العدى ... ومحرر الصحرا من الإسبـان
اليـوم سبتـة تستجير وأختهـا ... من ظلم من عمـدوا إلى الطغيـان
جـزر هنـاك تطـل في صمت على ... أرض البطـولـة مـوطن الشجعـان
لبيـك يـا ملـك البـلاد ودرعهـا ... الكـل حـولـك مخلص متفـان
الكـل يعرف أننـا شعب السـلا ... م وأمـة الإسـلام والفرقـان
الحرب آخر ملجـإ نسعى لـه ... نغشى الـوغى ذودا عن الأوطـان

يـا جيش مغربنـا العـزيـز تحية ... قـدسيـة لا تقتنى بجمـان
مـا أنت بـالعـدد الكبير وإنمـا ... هـو عـزمـك المتـوطـد الأركـان
أسطـورة الأبطـال أنت صنعتهـا ... بـالحب بـالإخـلاص بـالإيمـان
لـولاك مـا اكتحلت هنـاك عيوننـا ... عـزا يـدوم على مـدى الأزمـان

مـولاي والتـاريـخ أبلـغ نـاطـق ... بمفـاخر حققتهـا وأمـاني
مـا زال شعبـك في ذراك مـؤمـلا ... عطفـا كريمـا سـابـغ الأردان
إيـاه تكسـو مـا حييت وإنمـا ... هي منـة للعـاهـل المنـان
فـأهنـأ أمير المـؤمنين ودم لنـا ... حصنـا حصينـا شـامـخ البنيـان
واسلم لشعبـك رائـدا ومـوحـدا ... ومنـارة للعلم والعرفـان
وليسلمن ولي عهـدك أنت مـا ... نشر الربيـع قـلائـد العقيـان

الرباط : محمد نجيد



هذه القصيدة جادت بها قريحة الشاعر سنة 1951 بمناسبة ذكرى جلوس جلالة الملك المقدس محمد الخامس على عرش أسلافه المنعمين يوم 18 نونبر الذي أصبح عيدا للاستقلال. ننشرها للذكرى والتاريخ.

سما في سماء العـلا عيـدكم ... وأضحى كشمس الضحى عرشكم
وصـار اسمكم علمـا للجهـاد ... فيحيـا اسمكم وكـذا مجـدكم
أبـا عبـد اللـه ملكت القلوب ... بنبـل وحسن شمائلكم
بهرت العقـول بـأعمـالكم ... وإقـدامكم ومهـارتكم
وفـزت بحب وعطف الـورى ... جـزاء لصـدق عـواطفكم
فـأنت الـزعيم وأنت الحكيم ... جمعت الفضـائـل في شخصكم
وأنت الإمـام تـدافـع عن ... حقـوق البـلاد وعن شعبكم

☆☆☆

فللـدين في عصركم حرمـة ... بهـا تـوج اللـه أعمـالكم
فـأنتم أعـدتم لـه مجـده ... واحييتمـوه فطـوبى لكم
وللعلم في عهـدكم صـولـة ... بمـا يتلقـاه من عطفكم
وللفن في ظلكم جـولـة ... بفضل نـداكم وإحسـانكم

☆☆☆

ومغربنـــــا الأقصى في نهضـــــة يبـــاهي بهـــا الشرق في عصركم
فـــــأنتم رفعتم لـــــه ذكره كمـــا رفـــع اللـــــه من ذكركم
وأنتم أعـــدتم لـــــه مجـــــده بمـــا تبـــذلـونـــه من جهـــدكم
فعـــز وســـاد بصحـــوتـــه وحـــن وصـــــدق رعـــــايتكم
سقى اللـــه أرضـــا بهـــا عرشكم وطيب أحـــــداث أجـــــدادكم
فـــأنتم كرام وأنتم عظـــام فبـــــــورك فيكم وفي ملككم

☆☆☆

أبـــا النهضـــة الشهم عشت لنـــا وبلغكم ربنـــــا قصـــــدكم
ودمت كبـــدر الـــدجى مشرقـــا مضيئـــا علينـــا بـــأنـــواركم
وبـــارك ربنـــا في «حسن» أمير الشبـــاب وعمـــدتكم
وفي صنـــوه الشبـــل فخر الشبـــــــاب وفي كـــل أفراد أسرتكم
وحقـــق ربنـــا آمـــالكم وآمـــال من في رعـــايتكم
وعـــاش لكم شعبكم مخلصـــا وفيـــا لكم ولـــدولتكم
ودمت لنـــا ملكـــا رائـــدا فـــأنتم بنـــا ثم نحن بكم

تطوان : محمد العربي الشاوش

المواقف الحسنية الرائدة

للأستاذ المدني الحمراوي

إلى الحسن المقدام شعري تعجلا ... يبارك سعيا طيبا متقبلا
أقول له ـ والصدق ملء مقالتي ـ ... أصبت لقد صيرت صعبا مسهلا
هنيئا أمير المومنين بخطوة ... ستعقب ـ بعد الكرب ـ فتحا مؤملا
مبادرة أحييت من القدس مهجة ... غداة دعوت الجمع أن يتكتلا
بشائرها تدعو إلى خير خطة ... تكفكف وهما في العقول مضللا
دعاك إليها منطق وتبصر ... وفكر يصد الخلف أن يتغلغلا
قرعت بها سمع العروبة عندما ... رأيت لها شملا شتيتا مفللا
وميلا عن القصد السوي، وفرقة ... ورأيا عريقا في النزاع مبلبلا
فلم تقتحم حربا تصون كرامة ... وتدرأ عدوانا طغى وتغولا
ولم تستجب للصلح ـ والصلح حكمة ـ ... يداوى بها جرح عميق تشلشلا
وفي كل يوم للعدو شراسة ... ومكر بشعب طالما ظل أعزلا
وليس لقادة العروبة موقف ... سوى منطق للمستحيل تخيلا
منازعهم شتى : فبعض مغرب ... وبعض على شرق يسوسه عولا
وبعض لبعض مبغض ومناوئ ... وقد خذلوا شعبا أسيرا مكبلا
مآس تذيب القلب غما وحسرة ... وتقتل عزما في الشباب مؤهلا
فهب أمير المومنين منبها ... إلى خطر ان دام شق وأعضلا
وصاح بها في الخافقين نصيحة ... تحذر من داء دوي توغلا
وتدعو إلى جمع الصفوف معاشرا ... تظن سبيل الفوز سهلا مذللا
ولكن أهواء النفوس تعوقهم ... وكل على ما يرتئيه توكلا

وقد أنقذت من موقف الصمت دعوة ... لعاهلنا من كان باليأس مثقلا
وأبدت لذي لب سليم حقيقة ... وحقا محا شكا مريبا مهولا
تناقلها برق سريع؛ فأصبحت ... تحث الضمير الحي أن يتكفلا
وينصر حقا للعروبة واجبا ... فليس له أن يستحل ويجهلا
وتوحي إلى فكر العروبة خطة ... تهيب به أن يستفيق ويعملا
وينبذ تفريقا يصد جهوده ... ويوهنه حتى يصير معطلا

☆ ☆ ☆

فتلك لعمري وقفة حسنية ... موفقة يرضى بها من تأملا
ستبدو لها عما قريب نتيجة ... يؤيدها من كان ـ قبل ـ تنصلا
فبورك رأي العاهل الفذ، إنه ... تعود فتحا في الخطوب معجلا
يسدده الرأي الحصيف فيهتدي ... ويحسن في الأخطار أن يتعقلا
عرفنا له في كل حال نجابة ... وفضلا وإخلاصا ونبلا تأصلا
وفي نصرة الإسلام والقدس لم يزل ... يواصل جهدا قد أعان وأجملا
فعاش لهذا الشعب يرفع شأنه ... ويبني له مجدا وطيدا مؤثلا
وعاش ولي العهد في ظل أسرة ... نكن لها حبا قديما مسلسلا
وعاش الرشيد الشهم بين أهلة ... تحيط بعرش دام للفضل منهلا
أئمته غر، كرام، أعزة ... وشأوهمو في المجد كان المفضلا
وللحسن الثاني تناهى فخارهم ... فيا حسن ما أسدى وسن وسجلا
هنيئا له بالعيد عيد جلوسه ... على عرش أمجاد سماو تأثلا
وباركه إدريس والله شاهد ... فصار لنا رمزا وذخرا ومعقلا
يصد عن الأوطان كل مناوئ ... وينشر في الآفاق نورا تهللا
وبالبيعة الغراء حجة حقه ... وحاشى لعهد الله أن يتبدلا
وكيف، وبالقرآن أسس حكمه ... وللسنة الغراء دام ممثلا
وذاك لعمر الله أقوم منهج ... وأعرق في الإسلام أصلا ومفصلا
فقل للذي يدعو إلى الشك جهرة : ... تعلق بوهم في الضلالة أو غلا
هو الحق لا تعلو عليه ضلالة ... وإن روجت لغوا قديما مهلهلا

الرباط : المدني الحمراوي

من تراثنا العلمي في عهد العلويين

كتاب

كشف الأسى بمحاسن الصالحات من النسا

لمحمد بن أحمد بن الحسن اليمدي الفحصي
عرض: الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

هذا الكتاب يمثل نوعا من التأليف الذي يهتم فيه مؤلفه بالنقل والاختيار ويعمد فيه إلى إبراز جوانب من الثقافة العامة يكون له بها إعجاب ويرى أن نشرها مفيد وأن إذاعتها تهذب الذوق وتربي الإنسان وتوجهه نحو الخير والصلاح.

وإن عملية الاختيار والانتقاء لضرورية في بعض الأطوار التي تمر على بعض الأمم حسب نموها الثقافي ونشاطها الفكري وحسب حاجياتها وإمكاناتها الاقتصادية فليست الكتب المطولة ميسرة لكل القراء وليست مطالعتها حين وجودها ممكنة لكل الذين يرغبون فيها فهناك من تلهيه أشغال الحياة عن القراءة المتأنية وهناك من لا قدرة له على الاستمرار في المطالعة الطويلة لأنه لا يملك الصبر على سبر المعاني ولا يقدر على الغوص في محيطها العميق لذلك كانت عملية التلخيص أو الانتقاء عملية مفيدة تقرب المعرفة وتحدد بعض مناحي الإدراك حسب الاهتمام الذي يبديه القائم بذلك وحسب الحاجيات التي يراها المنتقي ضرورية للمجتمع الذي يختار له ويرغب في توجيهه الوجهة الصالحة.

وحيث إن كتب السيرة وكتب الأدب عامة كانت تعنى بذكر بعض القيم المثلى وتصور جوانب من المواقف البطولية التي مارسها من سبقونا فإن الاطلاع عليها كان أساسيا في تكوين الفرد تكوينا صالحا وفي إعداده للحياة إعدادا مستقيما خصوصا إذا كانت هناك بعض الظروف التي تدعو إلى ذلك كالظروف التي عاش فيها الفقيه الأديب محمد بن أحمد اليحمدي مؤلف هذا الكتاب[1] تلك الظروف التي دفعته إلى تلخيص كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة أخبار الزمان للإمام عبد الله بن أسعد اليمني اليافعي الشافعي المتوفي سنة 768 هـ.

لقد كان يحس وهو يقرأ هذا الكتاب أنه في نزهة يستمتع فيها بما لذ وراق من ثمار الأفكار الناضجة ويستنشق فيها ما طاب من عبير المعاني الأدبية الرائعة.

وأحس وهو يقرؤه أنه إن لخصه فسيكون لعمله فائدة تعين معاصريه على التملي بمحاسن هذا الكتاب الجليل خصوصا وهو يتعرض لأخبار المرأة من حين لآخر ويذكر فضائلها وحزمها ومشاركتها في العلم والأدب والتصوف والسياسة وكأنه وازن بين هذا التاريخ وبين واقع بعض

1) كان المؤلف حيا عام 1166 هـ.

النســاء في عصره فهن أيضــا كن يســاهمن في نشر العلم ويشـاركن في الميدان السيـاسي إذا اقتضى الحـال ذلـك. ويكفيه دليلا على ذلك ما اشتهرت به السيدة خناثة بنت بكار أم السلطان مولاي عبد الله من الفضل والتشجيع للعلم وذويه.

ولم يكن اليحمدي مؤلف هذا الكتاب مجهولا في الميدان الأدبي أو التاريخي فهو كوالده الوزير كان مولعا بالأدب حريصا على إذاعة الفوائد ونشرها فقد ألف كتبا مختلفة أشار الفقيه السيد عباس بن ابراهيم في كتابه الاعلام إلى عدد منها من ذلك كتابه تحفة الظرفاء فيما للكلاعي من الرسائل النبوية والصحابة والخلفاء ومنها كتاب قطر الندى في التعريف بالسيد أبي الدردا ومنها مدد التأليف في ترتيب المحفوظات والتقاييد محفوظة التكرار والأسانيد زيادة على ديوانه الشعري الشهير.

ونظرا لشهرة والده الذي كان الوزير الرئيـسي عند المولى اسماعيل والقيم لخزانته العلمية فقد ظن بعض الذين أشاروا إلى هـذا الكتـاب أنـه من تأليفه لا من تـأليف الولد لكن الذي يظهر من سياق محتواه ومن طريقة أدائه أنه للابن لا للوالد وله نسبه ابن ابراهيم كما تقدم ذكر ذلك وإليه نسبه الفقيه السيد عبد السلام ابن سودة رحمه الله في كتابه دليل مؤرخ المغرب الأقصى.

إن المؤلف حينما طالع كتاب مرآة الجنان لاحظ أن اليافعي كان يتعرض لوفيات بعض النساء ويقتصر أحيانا على ذلك ولا يتوسع في ذكر أخبارهن لهذا رأى أن من السداد العلمي توجيه العناية لهن وتخصيص كتاب لذكرهن فاستخار الله تعالى في جمع جوامعهن في هذا التقييد الذي يضم مختلف أنواع النسـاء ممن لهن خبر أو أثر أو رواية أو مساهمة في عمل علمي أو سياسي حسب مـا يبدو من ديباجة الكتاب وسماه كشف الأسى بمحاسن الصالحات من النسا[2].

ورغم كونه خص كتابه لهذا الجانب أثناء التلخيص فقد كان يدمج فيه أحداثا مختلفة وأخبارا متنوعة تتعلق بالأدب والسياسة والدين إلا أن الغالب على كل ذلك ذكر المرأة وما يتعلق بها وليس بين أيدينا الآن نسخة من هذا الكتاب كاملة إنما الشيء الذي يوجد منه مجلدان فقط محفـوظـان بخزانـة القرويين العـامرة مسجلان تحت عدد 596.

أما المجلد الأول ففيه أخبار مؤرخة حسب السنين تبتدئ بالسنة الأولى من الهجرة وتنتهي بالسنة التاسعة والخمسين بإسقاط ما بين السابعة والأربعين والخامسة والخمسين وهو مكتوب بخط مغربي جميل ويشتمل على ثمان وتسعين ورقة في كل ورقة ستة عشر سطرا في مقياس 21 × 28 وليس فيه ذكر للناسخ ولا لزمن النسخ ولا للتحبيس.

أما المجلد الثاني ففيه منتخبات من كتب مختلفة من ضمنها الكتاب المذكور ويحتوي على مائة وعشرين ورقة أربعون منها ليست من الكتاب والباقي مقسم إلى قسمين : قسم يشتمل على بعض الأخبار المذكورة في المجلد الأول وذلك من الصفحة 82 إلى الصفحة 161 وقسم بعد ذلك يشتمل على أخبار أخرى تتعلق ببعض السنوات الواقعة بين السنة العاشرة بعد المائتين والسنة الخامسة والثلاثين بعد السبعمائة بإسقاط عدد من السنين.

وهذا المجلد محبس على خزانة القرويين في أواسط جمادى الأولى من عام خمسة وخمسين ومائة وألف من لدن السلطان المولى عبد الله رحمه الله وهو عار عن تاريخ النسخ أيضا وعن ذكر الناسخ وفيه أخطاء كثيرة وخطه مغربي واضح ومقياسه 31 ×20 في كل صفحة ثمانية عشر سطرا.

إن بعض الذين تحدثوا عن هذا الكتاب لاحظوا أنه خال من الفوائد المتعلقة بالمغرب لأن الزيادات التي كان يأتي بها اليحمدي لم تخرج الكتاب عن صورته الأصلية

2) المجلد الأول صفحة 4.

التي كان عليها قبل تلخيصه ويرى آخرون أن المؤلف لم يتحدث عن المرأة إلا في عهدها الأول عهد الصحابة رضي الله عنهم.

فمن الذين قالوا بخلو الكتاب من الفوائد المتعلقة بالمغرب الأستاذ السيد محمد العابد الفاسي رحمه الله فقد ذكر أثناء التعريف بهذا الكتاب في فهرسته المخصصة لمخطوطات القرويين بعد الإشارة إلى مقابلته بأصله ما يأتي : «وملخص الأمر إن كتاب كشف الأسى هو عبارة عن اختصاره لكتاب اليافعي المتقدم الذكر ويتبسط المختصر بالخصوص في تراجم النساء وربما زاد زيادات تناسب المقام وليس في الكتاب كبير فائدة عدا ما هو مذكور في كتب التاريخ كابن عساكر والطبري ولم يقف على شيء يرجع للمغرب العربي فكن على بال.

ومن الذين يمثلون الاتجاه الثاني الفقيه عباس ابن ابراهيم في كتابه الإعلام.

وأنا أرى أن الحكمين معا يحتاجان إلى تعقيب بسيط. أما بالنسبة إلى السيد محمد العابد الفاسي رحمه الله فإنه نفى عن الكتاب كل ما يتعلق بالمغرب العربي مع أن الكتاب فيه ذكر بعض الأخبار المتعلقة بالمغرب كالحديث عن يوسف بن تاشفين وكاستدلاله ببعض الشعراء المغاربة وببعض النصوص من كتب مغربية محضة كما سيتضح لنا ذلك أثناء التحليل التفصيلي للكتاب وأما ما يتعلق بالفقيه ابن ابراهيم فإن السبب في الغالب مرجعه إلى أنه لم يطلع إلا على القسم الأول لأن هذه الجزئيات المأخوذة من القسم الأخير لم تكن متداولة ولا معروفة ولهذا لم يشر إليها السيد عبد السلام ابن سودة رحمه الله في كتابه دليل مؤرخ المغرب الأقصى رغم اتساع معرفته وخبرته بل اكتفى بذكر المجلد الأول من السفرين الموجودين[3].

ورغم ما ذكر فإن الكتاب إذا لم تكن فيه فائدة كبرى فيما يتعلق بالثقافة المغربية فإنه على الأقل يدل دلالة واضحة على نوعية الاهتمام الذي كان يوليه المغاربة في القرن الثاني عشر الهجري لعدد من الموضوعات الدينية والأدبية ولعدد من التآليف ذات الشهرة في العالم العربي فليست الكتب الإبداعية وحدها هي الصالحة للحكم على المجرى الثقافي في أي بلد من البلدان بل إن الاختيارات والاهتمامات العامة تساعد أيضا على ذلك فنحن حينما ندرس هذا الكتاب سنرى اليحمدي قد التجأ إلى عدد من المصادر سواء من المصادر المذكورة عند اليافعي أو من المصادر التي اعتمدها في إضافاته الخاصة نذكر منها على سبيل المثال الكتب التالية وسنشير إثر كل كتاب إلى صفحة من الصفحات التي ذكر بها.

1) الاستيعاب لابن عبد البر المتوفى سنة 363 (ج 1 ص 10).

2) بهجة السامعين والناظرين بمولد سيد الأولين والآخرين لنجم الدين الغيطي الشافعي : (ج 1 ص 9).

3) شرح البردة لمحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني الحفيد المتوفى سنة 843 هـ (ج 1 ص 12).

4) وصلة الزلفي في التقرب بآل المصطفى للفقيه أحمد بن علي السوسي البوسعيدي الهشتوكي المتوفى سنة 1147 هـ (ج 1 ص 13).

ولقد ورد ذكره في نشر المثاني للقادري ووصفه بالتقوى والصلاح واختار من أقواله ملحوظة وصف بها أنواع العلماء وهي :[4] «إن العلماء على أربعة أقسام».

قسم خلفاء الرسل وهم الذين تبحروا في علوم الكتاب والسنة بالتقوى مأذونا لهم في تربية الناس وهم على درجات كما قال تبارك وتعالى في المرسلين : «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» ثم قال تعالى : «ورفع بعضهم درجات» وكذلك خلفاؤهم وليس من جمع منهم بين الشريعة وأختها كصاحب طريق واحدة.

وقسم خلفاء الأنبياء وهم في المعرفة والحال كالأولين لأنهم لم يؤذن لهم في تربية الأمة وكلهم جلساء الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

3) دليل مؤرخ المغرب الأقصى ج 1 ص 268 طبعة دار الكتاب.

4) نشر المثاني ج 1 صفحة 171.

وقسم لم يرتفعوا به في هذا الأمر أمثلة لضعفهم في آداب الشريعة باقين في أخلاط العامة خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم.

وقسم أفاعي وسموم وهم المذكورون في الصحيح أخرج البخاري من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فينطرح في النار فيطحن بها كطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار ويقولون أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول كنت آمر بالمعروف ولا أفعله وأنهى عن المنكر وأفعله...

5) لسان العرب لابن منظور الإفريقي المصري المتوفى سنة 711 هـ (ج 1 ص 17).

6) الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا للحافظ أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي المتوفي سنة 634 هـ ولم يذكر علي كرم الله وجهه لعدم الفتوحات في عصره (ج 1 ص 19).

7) رفع شأن الحبشان للسيوطي المتوفى سنة 855 هـ (ج 1 ص 21).

8) أزهار العروش في أخبار الحبوش له أيضا : (2 ج 1 ص 23).

9) تاريخ دمشق الشام لعلي بن حسن ابن عساكر المتوفى عام 571 هـ (ج 1 ص 23).

10) الجليس الأنيس للمعافى بن زكرياء بن يحيى الجريري النهرواني المعروف بابن طرار المتوفى سنة 390 هـ وقيل له الجريري لأنه كان على مذهب ابن جرير الطبري (ج 1 ص 37).

11) كتاب الشمائل لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة 279.

12) الشفا للقاضي عياض المتوفى سنة 544 هـ (ج 1 ص 51).

13) جامع مفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار المتوفى سنة 646 ذكره باسم مفردة ابن البيطار (ج 1 ص 67).

14) صحاح أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى عام 393 هـ (ج 1 ص 71).

15) أنساب قريش لأبي عبد الله زبير بن بكار المتوفى عام 256 هـ ذكره باسم كتاب الأنساب (ج 1 ص 95).

16) تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي توفي عام 463 هـ : (2 ج 2 ص 166).

17) نفح الطيب لأحمد المقري المتوفى سنة 1041 هـ (ج 2 ص 84).

18) كتاب الوعظ لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي المتوفى عام 597 هـ ولعله يقصد به كتاب المدهش في المواعظ وغرائب الأخبار ومن المعلوم أن هذا المؤلف كان كثير التصانيف متعدد الاهتمامات وهو من بغداد ينسب إلى مشرعة الجوز من محالها المعروفة (ج 2 ص 181).

19) جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس لأحمد بن القاضي المتوفى عام 1025 هـ وهو صاحب كتاب المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور ومن المعلوم أن ابن القاضي كان له إعجاب بهذا الملك السعدي لأنه هو الذي افتداه من قراصنة الإسبان حينما أسروه سنة 994 أثناء توجهه للحج وقد بقي أسيرا عندهم أحد عشر شهرا (ج 2 ص 192).

20) رشف الرحيق وعبير الأزهار في معارضة كتاب ربيع الأبرار لم يذكر اسم مؤلفه ولم يتيسر لي الاطلاع عليه إنما الذي ينبغي الإشارة إليه هو أن كتاب ربيع الأبرار المعارض بهذا التأليف هو للزمخشري رحمه الله (ج 2 ص 201).

21) شرح ديوان الحماسة ليوسف بن سليمان بن عيسى الأندلسي المعروف بالاعلم الشنتمري المتوفى عام 476 هـ ولقب بالاعلم لأنه كان مشقوق الشفة العليا (ج 2 ص 202).

22) رحلة ابن بطوطة الطنجي المتوفى سنة 777 هـ وقيل سنة 779 هـ (ج 2 ص 210).

23) القاموس للفيروزبادي المتوفى سنة 817 هـ (ج 2 ص 210).

24) الاذكار الصوفية ليحيى بن شرف النووي المتوفى سنة 676 هـ ويعرف هذا الكتاب بحلية الابرار وبالاذكار النووية (ج 2 ص 211).

ومن خلال الاطلاع على هاته المصادر يتبين لنا أن المؤلف قد تناول موضوعات شتى وأنه حاول ما أمكنه أن يربط كل موضوع بأصل من الأصول العلمية التي تساعد القارئ على ربط ما ورد فيه بمصادره الأولى وتلك طريقة مفيدة جدا في باب الإحالات العلمية التي تعتمد على الدقة والنزاهة والصدق.

ولعل من المفيد أن نذكر بعض مضامين الكتاب وفق الاهتمامات التي وجه المؤلف عنايته إليها وتتلخص فما يأتي :

أولا : السيرة النبوية :

لقد اعتمد المؤلف في هذا الموضوع على كتاب الشمائل للترمذي ونقل تراجم بعض الاعلام المتصلة به من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وكانت عنايته موجهة إلى ذكر أوصاف رسول الله ﷺ وإلى ذكر غزواته وإلى وصف صحابته وما يمتازون به من إخلاص وتفان في الاستجابة لأوامره وفي الدفاع عنه كلما احتاج إلى ذلك.

إن سيرة الرسول ﷺ تعد ركنا أساسيا في الثقافة الإسلامية بحيث لا تتم صورة هذه الثقافة إذا كان المسلم لا يعرف جميع ما يرتبط بحياة الرسول ليستفيد من ذلك ما يتعلق بالتشريع وما يتعلق بالسلوك.

إن الرسول ﷺ يعد المثل الكامل في الصبر والتحمل والإحسان والمواجهة ولذلك كانت سيرته النموذج الأكبر الذي يجب أن يكون أمام أعيننا نلتقط منه كل الصالحات ونتعلم منه كل ما يرفع الشأن ويقوي العزيمة فهو الذي احتمل أذى قريش بكل قوة وهو الذي خاض المعارك بكل جهد وهو الذي كانت المصلحة الإنسانية وجهته فلم تعرف عنه أنانية ولا أثرة ولا زيف ولا نفاق، صادق في التبليغ، صادق في التحمل، صادق في الدعوة إلى الاخاء والعدالة والمساواة.

ونكتفي في وصفه بنقل نصين اختارهما المؤلف أحدهما من كتاب الشمائل والآخر من كتاب الاستيعاب وقد حرصت على مقابلتهما بأصولهما وحاولت تصحيح ما وقع من خطإ في نسخهما لأن ضبط النصوص من آكد الواجبات خصوصا إذا كان بعض النساخ لا يتوفرون على مقدرة علمية تخول لهم ذلك.

النص الأول هو ما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من أنه إذا وصف رسول الله ﷺ وصفه بما يأتي : «لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد كان ربعة من القوم لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وفي وجهه تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الأشفار جليل المشاش والكتد أجرد ذو مسربة شثن الكفين والقدمين إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت معا. بين كتفيه خاتم النبوءة وهو خاتم النبيئين أجود الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأحسنهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ.

ونظرا لوجود بعض الغريب في هذا الوصف فقد نقل الترمذي شرح بعض ألفاظه عن أبي جعفر بن الحسين عن الأصمعي ويمكننا من خلال ذلك أن نقول إن معنى قوله إن رسول الله ﷺ لم يكن بالممغط ولا بالمتردد أي إنه لم يكن بالطويل المتجاوز الحد ولا بالقصير الداخل بعضه في بعض ومعنى قوله لم يكن بالجعد القطط أي لم يكن شعره مسترسلا استرسالا تاما فإن المراد بكونه لم يكن قططا نفي شدة الجعودة عنه. ومعنى قوله لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم لم يكن بالبادن الكثير اللحم ولا بالمدور الوجه استدارة كاملة ولهذا ينبغي تقييد معنى الاستدارة المذكورة من بعد.

ومعنى جليل المشاش والكتد أي جليل رؤوس المناكب ومجتمع الكتفين ومعنى قوله ذو مسربة أي إن له

شعرا رقيقا نازلا من صدره إلى السرة كأنه قضيب ومعنى قوله شثن الكفين والقدمين أي غليظ أصابعهما.

ومن المعلوم أن هذه الغرابة في الألفاظ لا تخرجه عن الفصاحة المعهودة لأنها غرابة عارضة بتطور الزمان ولأن هاته الألفاظ كانت معهودة أثناء ذكرها وكانت معبرة أصدق تعبير عن صفات رسول الله ﷺ الخلقية والخلقية حتى إن السامع إليها يكاد يشخص الصورة الحقيقية التي كان عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام (ج 1 ص 46).

وأما النص الثاني فقد أشار إليه ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب حينما كان يترجم لأم معبد عاتكة بنت خالد أخت حبيش بن خالد فقد روي أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط مروا على خيمة أم معبد الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها لبنا وتمرا ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك وكان القوم مرملين مسنتين (أي أصيبوا بقحط) فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة قال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم قال هل فيها من لبن قالت هي أجهد من ذلك قال أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حليبا فاحلبها فدعا رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه (أي وسعت بين فخديها) ودرت وأجرت ودعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم ثم أراضوا ثم حلب فيهم ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها وبايعها وارتحلوا عنها فقل ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا يتساركن هزالا (أي يسرن ببطء لا عيائهن وهزالهن) مخهن قليل فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب حيال ولا حلوب في البيت ؟ قالت لا والله إلا أنه وافانا رجل واستضافنا وطلب منا لبنا وتمرا يشتريه منا فلم يجد عندنا شيئا فنظر إلى شاة في كسر الخيمة فطلب منا أن يحلبها ثم إنه مسح على ضرعها وسمى الله ودعا فدرت حتى روي هو ومن كان معه وبقي ما رأيت ومشى في حاله فقال لها ما صفته ؟ فقالت هو حسن القد أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة (أي لم يعبه عظم بطنه) ولم يزر به صلعة (أي إنه ليس دقيق الرأس والعنق) وسيم قسيم في عينيه دعج وفي أشفاره غطف وفي عنقه سطع (أي طول) وفي صوته صحل وفي لحيته كثاثة أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم علاه وسماه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأجملهم وأحسنهم من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هدر كان منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود لا عابس ولا مفند قال أبو معبد هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه ولا فعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا (ج 1 ص 4)[5].

ومن أهم الأشياء التي ذكرها اليحمدي وهو يصف أحوال الرسول ﷺ ويتتبع سيرته إشارته إلى بعض التشريعات والفروض التي كانت مواكبة للوحي ومسايرة لنمو الشريعة الإسلامية أو إشارته إلى بعض المواقف التي مارسها الرسول فصارت سنة متبعة من بعده وقد كان ذكره لذلك وفقا لتتابع السنوات ففي السنة الثانية مثلا تحدث عن تحويل القبلة وعن فرض الصوم وفي السنة الثالثة تحدث عن تحريم الخمر وفي السنة الرابعة تحدث عن التيمم وفي السنة الخامسة تحدث عن صلاة الخوف ويقال إن هذه الصلاة لم تكن في هذه السنة بل كانت في غيرها وفي السنة السادسة تحدث عن عمرة القضاء وعن صلاة الغائب وهلم جرا.

5) انظر الجزء الرابع من الاستيعاب المطبوع على هامش الاصابة صفحة 495.

2 ـ أخبار الخلفاء الراشدين :

إن اهتمام المؤلف بالخلفاء الراشدين يدخل في إطار اهتماماته بالسيرة النبوية وبالتاريخ الإسلامي وبإبراز المواقف البطولية والأخلاقية التي يمتاز بها الخلفاء الراشدون ومن كان على سنتهم من الصحابة الأخيار.

فبالنسبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تحدث المؤلف عن بيعة المسلمين له بعد موت الرسول عليه السلام لأنهم اعتبروا تقديم النبي له في الصلاة أثناء مرضه الأخير بمثابة اختيار يرضاه وبمثابة الأمر بتوليته من بعده فقد روي أن النبي ﷺ أغمي عليه في مرضه فلما أفاق قال أحضرت الصلاة ؟ قالوا نعم. فقال مروا بلالا ليؤذن ومروا أبا بكر فليصل وأغمي عليه مرة أخرى فلما أفاق قال مثل قولته الأولى فظن المسلمون أن هذا الأمر كأنه عهد بالبيعة وبذلك احتج المهاجرون أثناء اختيار أبي بكر لهذه المهمة العظمى بل إن هناك من يقول بأن البيعة كانت صريحة واستدل المؤلف على ذلك بما نقله من صحيح مسلم فقد روي أن رسول الله ﷺ قال لعائشة ادعي أباك أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن أو يقول قائل أنا ويأبى الله والمومنون إلا أبا بكر (ج 1 صفحة 81).

وبدأ أبو بكر خلافته بمحاربة أهل الردة الذين امتنعوا من أداء الزكوات فقاومهم بصمود وحزم وأبان لهم أنه لن يتهاون أبدا في تطبيق شريعة الله وقال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

وبعد التغلب عليهم وجه عنايته للفتح الإسلامي فأرسل جيشين عظيمين أحدهما إلى الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح والآخر إلى العراق بقيادة خالد بن الوليد.

ولو لا أن الموت قد استعجله لحقق الانتصارات الباهرة بسبب صدق وجهته وقوة عزيمته.

لقد توفي أبو بكر رضي الله عنه في السنة الثالثة عشرة من الهجرة بعد أن أدى الأمانة على أحسن وجه.

إنه كان يمتاز بمحبة المسلمين له سواء في عهد رسول الله ﷺ أو بعده والسبب في ذلك راجع إلى إيمانه المطلق برسالة سيدنا محمد ﷺ فهو الذي كان لا يتردد أبدا في قبول كل ما أخبر به الرسول ولا أدل على ذلك من الموقف المعهود لديه حينما أسري بالنبي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وحينما عرج به إلى أعالي السماء ويكفيه فخرا أنه هو الذي صاحب رسول الله ﷺ أثناء هجرته إلى المدينة وأنه كان رفيقه في الغار وقد عدد المؤلف مناقبه وأشار إلى المسند الذي ألفه في فضائله الحافظ إبراهيم بن سعيد الجوهري البغدادي المتوفى سنة 247 هـ (ج 1 ورقة 61).

ومن مزاياه أنه لما احتاج المسلمون للمال أمدهم بجميع ماله وقدمه لهم ليستعملوه في مصالحهم العامة. فالمال عند أبي بكر عصب الانتصار ولهذا كان موقفه حازما في طريقة إنفاقه وفي كيفية توزيعه سواء حين كان حيا أو حينما فقد الحياة فهو لم يكن يرى للإسراف معنى لهذا أوصى بوصية رائعة قبل موته ذكر فيها أنه يرغب في أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس وأن يكفن في ثوبيه وقال إنهما للبلى والحي أولى بالجديد (ج 1 ورقة 59).

ما أروع عظمتك يا أبا بكر فأنت الذي أنفقت كل مالك في سبيل الله ومع ذلك تخشى من الإسراف فيما لا يعني.

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن سيدنا عمر رضي الله عنه فأبان عن مواقفه البطولية الخالدة وعن فتوحاته التي مارسها بكل اعتزاز ففي عهده كانت وقعة اليرموك بالشام ووقعة القادسية بالعراق وفي عهده أرسل الجيوش لفتح مصر ولفتح طرابلس الغرب وفي عهده كانت وقعة نهاوند التي كشف الله له فيها موقع الجيش وهو فوق المنبر فنادى بأعلى صوته قائده سارية ونبهه إلى التحصن بالجبل فكان النصر المحقق للمسلمين بعد استشهاد عدد كبير منهم.

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قويا في الله وكان شديدا في المعاملات ويكفيه فضلا قول الرسول ﷺ : «إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان بفج إلا سلك فجا غير فجك» (ج 1 ورقة 78).

وبعد مقتله في أواخر سنة 23 هـ تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة واستمر بعد توليه في توسيع الرقعة الإسلامية.

وفي عهده انتقض أهل الري فغزاهم أبو موسى الأشعري وأهل الإسكندرية فغزاهم عمرو بن العاص وأهل أذربيجان فغزاهم الوليد بن عقبة ثم صالحوه.

وفي عهده غزيت جزيرة قبرص وإفريقية وفتحت خراسان وظل في الحكم إلى أن قتل رحمه الله في السنة الخامسة والثلاثين من لدن بعض الثائرين عليه. فولي الأمر بعده الإمام علي كرم الله وجهه.

وفي ولايته وقعت الفتنة الكبرى التي فرقت بين المسلمين وقامت حروب كثيرة بينه وبين معاوية أشار المؤلف منها إلى وقعة الجمل في السنة السادسة والثلاثين وإلى وقعة صفين في السنة السابعة والثلاثين وإلى وقعة النهروان في السنة الثامنة والثلاثين.

ولم يتم الأمر إلا باغتياله كرم الله وجهه وبوقوع الصلح بين ابنه الحسن وبين معاوية الذي تولى أمور المسلمين في السنة الحادية والأربعين من الهجرة فكان أول ملك من ملوك الدولة الأموية التي أسهمت الاسهامات الكبرى في الفتوحات العامة في مختلف الآفاق.

ولم يرد المؤلف أن يطنب في ذكر هذه الفتن فهو حينما أشار إلى السنة الأربعين قال وفيها استشهد مولانا علي كرم الله وجهه وفي ترجمته خبر الخوارج وقتله وخبر عمرو بن العاص ومعاوية (ج 1 ورقة 80).

وعلى كل حال فإن المؤلف لم يكن إلا منتقيا للأخبار المعهودة التي لا يمكن أن يستغني عنها أي مسلم في أي إقليم كان لأنها تتعلق بالانطلاقة الأولى للفتوحات الإسلامية التي استمرت فيما بعد وأصبحت تاريخا مشتركا يربطنا بالماضي ويدفعنا إلى الاعتبار إن كان هناك من يعتبر. ولا يهمل في هاته الأخبار عنصر المرأة فقد لاحظنا أنه لم يهمل في بعض الأخبار ذكر عائشة رضي الله عنها وذكر أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضي الله عنه.

3 - تاريخ الملوك والخلفاء :

وهو هنا كان يتتبع كثيرا من الأحداث الاجتماعية والسياسية في مختلف الأقاليم الإسلامية ويدونها تدوينا توجيهيا يبعث على الاتعاظ والاعتبار.

ولقد كان يعنى في هذا الموضوع بدور المرأة ويتعمد ذكر كثير من أخبارها أثناء العصر العباسي سواء في صلب الخلافة أو فيما جاورها من الأقاليم كما كان يعنى بنقل بعض المواقف استحبابا لذكرها أو استخفافا بوجودها ليكون ذلك النقل مدرسة عملية للقارئ يقتدي بما حسن منه ويتجنب ما ليس فيه فائدة.

ومن الأخبار التي ذكرها حديثه عن الحفل الذي أقامه الحسن بن سهل عام عشرة ومائتين بمناسبة زفاف ابنته بوران بالخليفة المامون (ج 2 ورقة 82 الوجه الأول).

إنه كان حفلا عظيما بلغ من الإسراف ما أثار انتباه كل المتحدثين عنه قال المؤلف وهو يتحدث عما أنفقه الحسن في هذا الحفل ما يأتي : «إنه نثر على الهاشميين والقواد والوجوه والكتاب بنادق فيها رقاع بأسماء ضياع وجوار ودواب وغير ذلك وكل من وقع في حجره شيء منها ملك ما هو مكتوب فيها من ضيعة أو دوار أو فرس أو أمة أو غير ذلك ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافح المسك والعنبر ثم قال بعد ذلك إنه أوقد لها في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعون منا في منارة من ذهب فأنكر المامون ذلك وقال هذا سرف.

ومع ذلك فإنه كافأ صهره الحسن بتمكينه من خراج فارس وكور الأهواز سنة كاملة[6].

وتحدث بعد ذلك عن هرون الرشيد وعن الأعمال الجليلة التي قامت بها زوجته زبيدة (ج 2 ص 83) فقد أشار إليه أثناء الحديث عن تلك الأعمال المتصلة بحب العلم ورجاله وبالحرص على تقوية العمارة وتنمية وسائلها وعلى تعهد طريق الحجاج بكل ما تقدر عليه من وسائل وعلى اجتهادها في إدخال الماء إلى مكة بطرق فعالة تسهل على الناس استغلال الآبار ونقل المياه البعيدة بوسائل

6) محاضرات الخضرى ج 2 ص 228.

هندسية بارعة ونقل المؤلف هنا نصا عن ابن الكردبوس قال فيه : «وكان لزبيدة معروف كثير وفعل خير شهير وقصتها في حجها مشهورة وقد ذكر ابن الجوزي أنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار وأنها أجرت الماء عندهم عشرة أميال في الجبال وتخوم الصحراء من الحل إلى الحرم فقال لها دليلها يلزمك نفقة كبيرة فقالت افعل ولو كانت ضربة فأس بدينار.

وتطرق أيضا إلى الحديث عن ابنته التي كانت تملك جارية مغنية أديبة إسمها فضل لم تلبث أن فوتتها فأصبحت فيما بعد ملكا لعبد الرحمن بن الحكم الأموي بالأندلس.

ولم ير المؤلف حرجا في الحديث عن فضل هاته وعن صواحب لها كن جميعا في بلاط عبد الرحمن بن الحكم ولقد نقل أخبارهن عن كتاب نفح الطيب للمقري وقد قابلت النص المطبوع بما في الكتاب فوجدت فيه اختلافا يسيرا لم يؤثر على المعنى العام ولعل الفائدة تتم لنا إذا نحن ذكرنا ما في كتاب نفح الطيب فقد قال المقري وهو يتحدث عن النساء الداخلات إلى الأندلس من المشرق[7].

ومنهن فضل المدنية وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها لإحدى بنات هرون الرشيد ونشأت وتعلمت ببغداد وتدرجت من هناك إلى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فازدادات ثم طبقتها في الغناء واشتريت هناك للأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس مع صاحبتها علم المدنية وصواحب غيرها وإليهن تنسب دار المدنيات في القصر (في المخطوط دار المغنيات) وكان يوثرهن لجودة غنائهن ونصاعة طرقهن ورقة أدبهن وتضاف إليهن جاريته قلم وهي ثالثة فضل وعلم في الحظوة عند الأمير المذكور وكانت أندلسية الأصل رومية من البكشنش وحملت صبية إلى المشرق فوقعت بمدينة النبي ﷺ وتعلمت هنالك الغناء فحذقته وكانت أديبة ذاكرة حسنة الخط راوية للشعر حافظة للأخبار عالمة بضروب الآداب.

ويمكننا أن نتبين من هذا النص أن المدينة ظلت ذات شهرة في تعليم الغناء رغم دخول عصر العباسيين وأنها كانت مركزا أساسيا في ذلك سواء بالنسبة إلى الخلافة العباسية بالمشرق أو إلى الخلافة الأموية بالأندلس.

والغالب أن السبب في ذلك مرجعه إلى شيوع الثقافة الأدبية في المدينة وإلى احتضانها لهذا النوع من الفنون منذ عصر الأمويين.

وبعد الإشارة إلى ما يتعلق بهاته الأخبار المتعلقة بالمنحى الأدبي والاجتماعي يمكننا أن ننتقل إلى الحديث عن بعض الشؤون السياسية التي كانت تربط بين الخلافة العباسية وبين رؤساء بعض الدول المستقلة عنها في المشرق والمغرب. وكانت للمرأة أهمية كبرى في هذه الارتباطات خصوصا منها ما يتعلق بالمصاهرات أو ما يتعلق بالتدخلات السياسية المحضة في شؤون الحكم نظرا لما كانت تمتاز به بعض النساء من الذكاء والدهاء.

ولقد عمد المؤلف أثناء التعرض لهاته الأحداث السياسية إلى تركيز الانتباه إلى بعض الصفات الخلقية التي كان يمتاز بها بعض العلماء الأحرار وإلى إظهار بعض أفكارهم السديدة حينما يستشارون أو حينما يفتون.

وسنتعرض لهاته الأحداث من خلال ذكر الاعلام الآتية أسماؤهم.

أولا : خمارويه بن أحمد بن طولون المكنى بأبي الجيش.

وهو الذي تولى الحكم بعد موت والده سنة 270 هـ فملك مصر وسوريا والثغور والموصل.

ومن المعلوم أن والده أحمد بن طولون كان أول من أسس دولة مستقلة بمصر وأنه كان حريصا على نشر العلم وحماية مرافقه ويكفيه فخرا أنه هو الذي بنى الجامع الطولوني الشهير.

---

7) نفح الطيب تحقيق محيي الدين عبد الحميد ج 4 ص 136.

وحينما تولى خمارويه الملك كانت الخلافة العباسية تحت حكم المعتمد بن المتوكل الذي لم يكن له من الحكم إلا الاسم أما الأمر عمليا فكان بيد أخيه أبي أحمد المعروف بالموفق.

ولم تكن العلاقة حسنة بين الموفق وبين الطولونيين ولكن بعد موت المعتمد سنة 279 هـ وبعد إقصاء ولده عن ولاية العهد وبعد تولي ابن الموفق أحمد بن أحمد المعتضد أمر الخلافة تغيرت الأحوال وتطورت وصارت تلك العداوة تخف شيئا فشيئا إلى أن بلغت حدا جعل المعتضد يتزوج بنت خمارويه المعروفة بقطر الندى.

إن المعتضد أبعد ابن عمه عن ولاية العهد وأصبح يتحمل المسؤولية بجد وأن هذا الإبعاد كان من أسباب استمرار سوء التفاهم بين المعتضد وخمارويه ولم يقع الصلح بينهما إلا في سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهي السنة التي تزوج فيها المعتضد بابنة خمارويه وهي السنة التي قتل فيها خمارويه بدمشق على يد غلمانه.

وظلت قطر الندى في عصمة الخليفة إلى أن توفيت سنة 287 هـ قبل موته بسنتين.

كانت قطر الندى قوية الشخصية مهذبة تعلمت من والدها أدب السلوك وكانت لها دالة على المعتضد لذلك لا تخلو الكتب من الحديث عن أخلاقها وسلوكها وكيفية معاملتها لزوجها. ومن ضمن ما ذكره المؤلف عنها قوله : (ج 2 ص 89) حكي أن المعتضد طلبها يوما للأنس في مجلس أفرده لها. ما أحضره سواها. فأخذت منه الكأس فنام على فخذها فلما استثقله وضعت رأسه على وسادة وخرجت ونامت بالباب فاستيقظ فلم يجدها فاستشاط غضبا ونادى بها فأجابته على قرب فقال ألم أخلك إكراما لك ؟ ألم أقدم لك مهجتي دون سائر خصائصي فتضعين رأسي على وسادة وتذهبين فقالت يا أمير المؤمنين ما جهلت قدر ما أنعمت به علي ولكن مما أدبني به أبي قال لي لا تنامي مع الجلاس ولا تجلسي مع النيام.

وهي قولة تدل على أنها كانت معتزة بتربيتها ومفتخرة بالخطة التربوية التي رسمها لها والدها كما تدل أيضا على أنفتها وعزتها وعدم نسيانها لما تلقته من ذلك الوالد الذي يعد من أشهر الملوك الطولونيين.

والحقيقة تفصح عن أن الدولة الطولونية لم تعرف أعظم من مؤسسها أحمد بن طولون ومن ولده خمارويه فبموتهما ضعفت تلك الدولة الفتية التي لم تعمر بعد موت خمارويه أكثر من عشر سنوات.

ثانيا : أبو طالب محمد بن ميكائيل السلجوقي.

من المعلوم أن السلجوقيين يمثلون دولة من الدول التي حكمت خوارزم وخراسان وبلاد الري والعراق في القرن الخامس الهجري وكانوا من أهل السنة يحمونها ويدافعون عنها.

وهم ينسبون إلى سلجوق بن تقاق وقد كان لسلجوق هذا أبناء ثلاثة هم أرسلان وميكائيل وموسى استعان بهم في محاربة الروم.

وقد ضيق بموقفه هذا على الدولة السبكتكينية التي كانت تحكم غزنة وما جاورها وعلى الدولة البويهية التي كانت تحكم العراق وأدى الأمر في الأخير إلى موت هؤلاء الأبناء الثلاثة كل في واجهة من واجهات الحرب وخلفهم أبناؤهم على ذلك وكان من بين الأبناء الأقوياء محمد بن ميكائيل المعروف بركن الدولة والمكنى بأبي طالب طغربل بك الذي يعد المؤسس الفعلي لهذه الدولة الشهيرة.

وسيرا مع العادة الجارية آنذاك في تقرب الخلافة العباسية إلى الملوك الذين يحكمون هاته الدويلات فإننا نرى أن أبا طالب هذا قد تزوج ابنة الخليفة العباسي كما أن الخليفة العباسي قد تزوج خديجة بنت داود أخي طغربلبك وبذلك أصبحت المصاهرة متداخلة وصارت ابنة الخليفة تحت أحضان الملك السلجوقي.

ولم تكن العلاقة أول الأمر بين السلجوقيين والخلافة العباسية حسنة لأن الخليفة كان يتخوف من طموحاتهم وتطلعاتهم لكنه لما تيقن من قوتهم تودد إليهم وبعث إليهم رسولا يحاورهم ويصالحهم وكان الرسول قوي الذكاء كثير الإخلاص للخليفة عالما بمسالك السياسة والآداب إنه أبو

الحسن الماوردي صاحب التصانيف المفيدة والكتابات الرائعة فهو مؤلف الأحكام السلطانية ومؤلف أدب الدنيا والدين.

ومن المميزات التي يحفظها التاريخ لهذا العالم الجليل أنه كان مقربا عند أحد الملوك البويهيين وهو جلال الدولة ذلك الملك الذي سأل يوما الخليفة العباسي القائم بأمر الله أن يضفي عليه لقب ملك الملوك فرأى الخليفة في ذلك حرجا واستفتى جماعة من العلماء عساه أن يجد عندهم ما يعتذر به فلم يجد فيهم ما كان يتمناه إلا عند الماوردي فهو رغم تقربه للملك البويهي ورغم محبته له رفض أن يفتي بجواز إطلاق هذا اللقب عليه. وبعد هذا الموقف لم يعد يحضر مجالس جلال الدولة وخشي على نفسه من عقوبة تأتيه من هذا الملك البويهي وظل معتكفا في بيته أكثر من ثلاثة أشهر وأخيرا استدعاه جلال الدولة وكان ذلك في عيد الأضحى واستقدمه لقصره.

وهنا بلغ الفزع بالماوردي مبلغا كبيرا وتوجه إلى القصر خائفا يترقب المصير المكتوب ولكنه فوجئ بما أذهله ذلك أن الملك البويهي رحب به ترحيبا كبيرا وقدمه على غيره من العلماء وأجلسه بجانبه وقال له يا سيدي إن مثلك من يجب احترامه ومن يجب أن تقربه الملوك اطمئنانا إلى إخلاصهم وإن التزامك بقول الحق جعلنا نثق بك وبإخلاصك وبإيمانك وإننا لم نستدعك اليوم لعتاب أو لعقاب وإنما استدعيناك لتكون بجانبنا وليعلم الجميع أنك عندنا من المقربين[8].

حقيقة إنه لموقف يحفظه التاريخ لهذا العالم الجليل الذي لم يهمل واجبه ولهذا الملك البويهي الذي عرف قيمة هذا الموقف الجليل.

والماوردي هذا لم يهمله مؤلف الكتاب فقد أشار إليه أثناء الحديث عن السفارة التي كانت بين الخيفة العباسي القائم بأمر الله وبين أبي طالب الملك السلجوقي المذكور الذي سبق لنا أن قلنا عنه إنه المؤسس الحقيقي لهاته الدولة التي كان لها بالعلم اعتناء كبير ويكفيها فخرا أنه في أحضانها نشأ الوزير المشهور نظام الملك صاحب المدرسة النظامية التي كان الغزالي أحد أساتذتها المشهورين فلقد كان وزيرا لعضد الدولة أبي شجاع ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل **وكان يعمل جهد مستطاعه على نشر الأصول السنية وعلى حماية العلم الديني وتشجيع أهله جازاه الله خيرا.**

ثالثا : الملك السلجوقي جلال الدولة أبو الفتح بن السلطان ألب أرسلان محمد بن داود المتوفى سنة 485 هـ.

لقد أعجب المؤلف بأخلاقه وحزمه وعنايته بالبناء والتعمير وحرصه الشديد على نشر الأمن بين رعاياه لذلك أراد أن يصوره تصويرا يتلاءم مع شعوره بالمسؤولية وحبه للعدالة فقد ورد عنه أنه حينما كان متوجها لمحاربة أخيه الثائر عليه مر بمسجد السيد علي بن موسى الرضى فدخل هو ووزيره نظام الملك ودعوا هناك وقال لوزيره بعد ذلك بأي شيء دعوت فقال بنصرك على أخيك فقال أما أنا فقلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين (الجزء الثاني ورقة 96).

وكان هذا الملك يرى أن المسؤولية في إقرار العدالة لا يسأل عنها الحاكم وحده بل هي أمر مزدوج تتداخل فيه مسؤولية الحاكم والمحكوم معا إذ لابد من تكوين عنصر أخلاقي عميق يوجههما معا وينمي فيهما الإحساس بتحمل المسؤولية وبعدم الاستخفاف بها فالوعاظ والمصلحون ينبغي لهم أن يساهموا في تقديم النصائح للجميع وألا يكتفوا بجانب دون جانب ولهذه الغاية نقل المؤلف في هذا الباب قصة طريفة تتعلق برأي هذا السلطان في مفهوم الوعظ فقد ذكر أن واعظا دخل على هذا الملك فقال له إن أحد الاكاسرة اجتاز منفردا على خيمة فطلب شربة ماء فإذا بابنة صغيرة أخرجت له كأسا من ماء السكر والثلج فشربه واستطابه فلما سألها عن مصدره قالت إن قصب السكر يزكو عندنا فنعصره بأيدينا ونتناوله متى شئنا فإذا بخاطرة تخطر له وتدفعه إلى التفكير في أن ينزع تلك الأرض من ملاكها وقبل أن ينفذ هاته الخاطرة رجاها مرة أخرى أن

8) محاضرات الخضري ج 2 ص 411.

تناوله كأسا ثانية فلما دخلت عسر عليها عصر القصب على خلاف عادتها فرجعت وقالت يا سيدي لعل السلطان تغيرت نيته فقال لها وما علاقة السلطان بطلبي هذا قالت إن الأمر كان ميسرا لي في المرة الأولى ولكني لما حاولت في المرة الثانية تعذر علي فعلمت أن هناك سببا مرجعه إلى سوء نية من أراد أن يستبد بما هنا فندم على تلك الخاطرة التي انتابته واستغفر ربه فقال لها عودي يا بنية وجربي حظك فلعل الأمر يكون قد تغير وبالفعل فإنها لما عادت سهل عليها الأمر ورجعت مستبشرة فرحة ومكنته من الكأس الثانية ليشربها.

لقد كان هذا الواعظ يهدف من قصته هاته إلى إظهار قيمة العدل وما يؤدي إليه الظلم من بوار وفساد ويرغب من قولته هاته أن يحبب العدل في نفس الملك السلجوقي وأن يجنبه أي ظلم مهما كان نوعه ولكن هذا الملك الذي كان يومن بأن الأمر لا يقتصر على الحاكمين بل هو مشترك بينهم وبين رعيتهم قال للواعظ لمَ لم تحدث الرعية بكسرى الذي مر على بستاني فالتمس منه أن يمنحه عنقودا من الحصرم فأبى وقال إن السلطان لم يأخذ حقه بعد ولا تجوز لي خيانته ؟

وعلى كل حال فالمؤلف كان يرغب في تنويع النقول ليصل إلى أهدافه التي يتوخاها من تطهير النفوس وتهذيب الأخلاق وتقويم السلوك لكل من يتحمل مسؤولية في البلاد سواء كان من جملة الحاكمين أو من جملة الرعايا العاديين.

رابعا : يوسف بن تاشفين

لقد كان هذا الملك من ألمع الشخصيات الصحراوية التي عملت على إحياء الدين وتقوية أمور المسلمين ولقد ربط وجوده في المغرب بالخلافة العباسية فكان يخطب باسم الخليفة العباسي على منابر المغرب.

أشار إليه المؤلف وتحدث عن تخطيطه لمدينة مراكش وعن دخوله لمدينة فاس وعن إزالة الحواجز التي كانت بين عدوتيها وعن أمره ببناء المساجد في مختلف أزقتها كما تحدث عن الغزوة الكبرى التي انتصر فيها على النصارى بالأندلس وهي الغزوة المعروفة بالزلاقة والواقعة في يوم الجمعة ثاني عشر رجب عام سبعة وتسعين وأربعمائة.

ومن أعظم ميزاته التي أشار إليها ميله إلى أهل العلم والدين وإكرامه لهم وحرصه على الاعتماد على آرائهم وعلى الالتجاء إلى فتاواهم وهذه من النعم التي لا تنسى له.

ومن أشهر المواقف التي تحمد ليوسف بن تاشفين قضاؤه على التخاذل الذي كان بين ملوك الطوائف في الأندلس وسحقه لدسائسهم وأحقادهم إلا أن الذين لا يعجبون بالمواقف المشرفة للمجد الإسلامي يسمون ابن تاشفين ببعض اللمزات ويدعون أنه لم يحسن إلى المعتمد بن عباد رغم كونه قد ساعده على الجهاد وقرب إليه أسباب النصر ضد نصارى الأندلس.

لقد كثر الحديث عن موقف ابن تاشفين من المعتمد حتى صار بعض الذين يكتبون عنه يشوهون سمعته ويظهرونه في صورة الملك المستبد القاسي المتسلط ولكن الذين يدرسون التاريخ بعين التبصر ويبحثون عن النتائج لا عن الشكليات صوروا في كتاباتهم ما يمتاز به ابن تاشفين من العظمة والإيثار والتضحية وبينوا ما أزال من الخلل الذي كان ناتجا من تناحر ملوك الطوائف وتخاذلهم واستعانتهم في كثير من الأحيان ببعض ملوك الأفرنج الشيء الذي كان سيؤدي حتما إلى تدهور أمور المسلمين.

ولقد أراد المؤلف أن يصور هذا الجانب الجليل تصويرا إيجابيا وترك الحكم فيه للواعين المتبصرين فهو لم يوازن ولم يقارن ولكنه أشار إلى الأحداث مجردة وسنكتفي بذكر وصفين ذكرهما في كتابه أحدهما يتعلق بابن تاشفين والآخر يتعلق بالمعتمد.

أما عن ابن تاشفين فقد قال إنه كان ملكا عادلا صالحا متقشفا عديم الرفاهية.

وأما عن المعتمد فقد ذكره حين خلعه فقال وفي سنة ثمانية وثمانين وأربعمائة خلع يوسف بن تاشفين المعتمد بن عباد ملك الأندلس عن ثمانمائة سرية ومائة وثلاثة وسبعين ولدا (ج 2 صفحة 196).

ولعل القارئ لهذين الوصفين يستطيع أن ينتزع منهما جدية يوسف وعبث المعتمد.

خامسا : الملك التركماني أيبك الجاشنكير الملقب بالملك المعز.

هذا الملك التركماني هو الذي تزوج شجرة الدر التي كانت ذات شخصية عظيمة في حكم مصر سواء في أواخر عهد الأيوبيين أيام الملك الصالح أبي الفتوح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل أو في أوائل عهد الأتراك.

لقد كانت شجرة الدر تتصرف في ملك مصر وتقوم بكل ما يمكن أن يعزز المملكة وأن يجعل لها وجودا ذاتيا أمام الرأي العام وأمام مواجهة الصليبيين في حروبهم ولكن الحظ لم يواتها نظرا لعدم قبول الخليفة العباسي وجود امرأة على رئاسة حكم مصر فقر الرأي حينئذ على أن يجعل المصريون التركماني أيبك الجاشنكير ملكا عليهم فتلقب بالملك المعز وتزوج بشجرة الدر ليستفيد من خبرتها وليستغل طموحها ولكنه لم يلبث في أحضانها إلا سنوات حتى فكرت في التخلص منه وتآمرت عليه مع طائفة من أعوانها فقتلته ولكنها حينما قامت بهذه الفعلة الشنيعة افتضح أمرها فقتلت. قال المؤلف وهو يتحدث عن سنة 655 هـ ما يأتي :

وفيها أي سنة خمس وخمسين وستمائة قتل صاحب مصر الملك المعز التركماني الصالحي وكان ذا عز ودين قتلته زوجته أم خليل غيرة لما خطب ابنة صاحب الموصل فقتلوها به واسمها شجرة الدر كانت بارعة الحسن والجمال ذات عقل ودهاء وأحبها الملك الصالح ولما توفي أخفت موته وكانت تعلم بخطها علامة وقالت من سعادة الدنيا أعلى الرتب بحيث إنهم خطبوا لها على المنابر وملكوها عليهم أياما فلم يتم ذلك (ج 2 صفحة 206)[9].

وبعد الحديث عما سبق يمكننا أن نوجه عنايتنا في الكتاب إلى نقطتين.

النقطة الأولى :

الاهتمام بالنساء الصالحات :

وهذا هو الدافع الأساسي لاختصار الكتاب ولقد وجه المؤلف عنايته إلى المرأة منذ صدر الإسلام إلى أواسط القرن الثامن الهجري وكان ينتقي من الأصل صورا تدل على فضل المرأة المسلمة وعلى مدى مساهمتها الفعالة في مختلف الميادين الإصلاحية.

وإذا لم يكن المؤلف قد خصص بابا معينا لهذا الموضوع فإن ذلك يرجع إلى أنه اعتبر الكتاب كله مركز الانطلاق إليه ومدخل الحديث عليه بحيث نلاحظ أنه رغم تعرضه لموضوعات مختلفة ورغم ترجمته لاحداث سياسية ومواقف تاريخية لا تتعلق بالمرأة فإنه كان لا يهمل ذكر المرأة في كل المناسبات ولا يغفل عن التعرض إلى أخبارها وأحوالها في كل الظروف.

وغالبا ما كان يهدف في ذكر أخبارها إلى تقرير مثل صالحة وإلى إيضاح قيمتها في التربية والتوجيه وسيتضح لنا ذلك فيما سنختاره من أعلام نسائية تفصح عما نقول.

فمن ذلك أم عطية الأنصارية واسمها نسيبة بنت الحارث أشار إليها عند موت أم كلثوم بنت الرسول ﷺ فقد ذكر أنها شهدت غسلها وأنها حكته بإتقان حتى صار حديثها في ذلك معتمدا ونقل ترجمتها من كتاب الاستيعاب لابن عبد البر فمما نقل عنه قوله : (ج 1 ص 177)[10] إنها كانت من كبار الصحابة وإنها كانت تغزو كثيرا مع رسول الله ﷺ تمرض المرضى وتداوي الجرحى.

ومن المعلوم أن هذا الجانب مهم جدا لأن المرأة المسلمة لم تكن بالبعيدة عن المجرى العملي لإعزاز الإسلام فهي قد كانت تساهم مساهمة فعالة في تعهد الجيش وفي رفع معنويته وفي تمريضه إذا اقتضى الحال ذلك.

9) انظر خبرها بالقسم الثاني من الجزء الأول من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين أحمد علي المقريزي.

10) الاستيعاب لابن عبد البر ج 4 ص 772.

ومن الصالحات اللائي أشار إليهن سلامة حاضنة إبراهيم ابن الرسول ﷺ (ج 1 ص 178) تحدث عنها حين وفاة إبراهيم رحمه الله في السنة العاشرة وهو ابن سنة ونصف وقد روى عنها ما ذكره الحافظ بن عساكر وهو قوله وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن سلامة حاضنة إبراهيم عن رسول الله ﷺ أنها قالت يا رسول الله إنك تبشر الرجال بكل خير ولا تبشر النساء قال أصويحباتك دسنناك لهذا قالت أجل هن أمرنني فقال أما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السموات وأهل الأرض ما أخفي لها من قرة أعين فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمص من يديها مصة إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة فإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم في سبيل الله. يا سلامة أتدرين من أعني بهذا، هذا للمتمتعات الصالحات المطيعات لأزواجهن اللواتي لا يكفرن العشير.

وهو في نقله لهذا الخبر كان يهدف إلى تذكير المرأة لما لها من اليد الكبرى في بعث الاستقرار في البيت الهنيء ولما تمتاز به من الصبر الذي تتعود عليه أثناء حملها وولادتها أو أثناء قيامها بواجب الأمومة المقدس أو حينما تتحمل المسؤولية داخل الأسرة المحتاجة إليها كثيرا فإن المرأة هي عمود الأسرة وأساس بنائها فإذا كانت تشعر بأن التعهد داخل في جوهر وظيفتها وأنها تجازي عليه أمام الله فإنها ولا شك تحرص كامل الحرص على حمايتها من كل ما من شأنه أن يبدد وحدتها أو أن يؤثر على حسن العلاقة بينها وبين زوجها.

ومن الصالحات اللائي تحدث عنهن بعد ذلك بريرة الحبشية مولاة عائشة رضي الله عنها (ج 1 ص 110) في المكرر من الجزء الثاني ص 132) نقل خبرها عن السيوطي في كتابه أزهار العروش في أخبار الحبوش فقال : «بريرة كانت حبشية وقيل كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها ثم باعوها من عائشة رضي الله عنها وقيل كانت مولاة أناس من الأنصار وقيل مولاة أحمد بن جحش وقيل لعتبة بن أبي لهب روت عن النبي ﷺ حديثا واحدا قال عبد الملك بن مروان كنت أجالس بريرة بالمدينة قبل أن ألي هذا الأمر فكانت تقول يا عبد الملك إني أرى فيك خصالا وإنك لخليق أن تلي هذا الأمر فإن وليته فاحذر الدماء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الرجل ليدفع من باب الجنة بعد أن ينظر إليها بملء محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق[11].

وهذا الحديث يبين أهداف المؤلف من الإشارات التي يتعرض إليها فهو بطبيعته كان يرغب في إبراز ملامح الحق ورسم طرق الفلاح سواء في التدبير المنزلي كما سبق أو في التدبير السياسي كما هو الحال هنا فإن الأمر بالعدل من أوجب الواجبات وإن ربط ذلك بقول الرسول لمما يبعث على النزاهة ويدفع إلى التخوف من الانزلاق في المهالك.

ومن النساء الصالحات التي أشار إليهن في (ج 2 ص 202) فاطمة الجوزدانية بالجيم وبعد الواوزاي وذال معجمة أم إبراهيم بنت عبد الله الأصبهاني سمعت من ابن أبي زائدة معجم الطبراني عاشت تسعا وتسعين سنة وتوفيت عام 524 هـ[12].

ومنهن فاطمة بنت زعبل ذكرها في وفيات 532 تكنى أم الخير ولقد روت صحيح مسلم وغريب الخطابي عن الحافظ أبي الحسن الفارسي وعاشت سبعا وتسعين سنة ترجم لها الذهبي في كتابه العبر في ذكر من غير الجزء الرابع ص 89 وقال عنها إنها كانت تلقن النساء (ج 2 ص 204).

ومنهن مسندة العراق شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج الكاتبة العابدة الصالحة الدينورية الأصل البغدادية المتوفاة سنة 574 هـ قال المؤلف كانت من أهل العلم وكتبت الخط الجيد وسمع عنها خلق كثير وكان لها السماع

---

11) الاستيعاب ج 4 ص 250.

12) توجد ترجمتها بأعلام الزركلي.

العالي ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر ثم قال (ج 2 صفحة 204) سمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد النهرواني وأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن طلحة الثعالبي وطراد بن محمد وآخرين واشتهر ذكرها وبعد صيتها وكانت ذات بر وخير[13].

ومنهن السيدة تقية بنت غيث بن علي السلمي المتوفاة سنة 579 (ج 2 صفحة 204) صحبت أبا طاهر السلفي الأصبهاني وكانت فاضلة ولها شعر جيد ذكرها في بعض تعاليقه وأثنى عليها[14].

ومنهن أم هاني عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الأصبهاني ذكرها في وفيات 606 (ج 2 صفحة 206) وهي آخر من روى عن عبد الواحد صاحب أبي نعيم ولها إجازة من أبي علي الحداد وسمعت المعجمين الصغير والكبير للطبراني من فاطمة الجوزدانية.

ومنهن السيدة عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج الثقفية الأصبهانية ذكرها في وفيات 610 هـ (ج 2 صفحة 206).

ومنهن السيدة أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني الأصل النيسابوري الدار الصوفي المذهب المعروف بالشعري ذكرها في وفيات 615 هـ (ج 2 صفحة 206) وقال عنها إنها كانت عالمة أدركت جماعة من العلماء وأخذت عنهم رواية وإجازة منهم الإمام أبو المظفر بن عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ومنهم الزمخشري رحمهم الله.

وعلى كل حال فهؤلاء الصالحات والعالمات المذكورات يبعثن على الاعتزاز بماضي المرأة الإسلامية سواء في بداية المرحلة التي انطلقت منها الفتح الإسلامي أو بعد ذلك حينما صارت المرأة تساهم بكل جهدها في ازدهار الثقافة الإسلامية وفي رفع مستواها.

إن هؤلاء النساء لا يمثلن إقليمهن الضيق وإنما يمثلن جانبا من الحضارة الإسلامية كانت المرأة فيه تحمل مسؤوليتها وتسعى في نشر العلم وتحقيق وجوده ولعل فيما سجله المؤلف من هؤلاء الإعلام خير حافز لنا على البحث عن الجوانب المشرقة من حياة المرأة الإسلامية ليكون لنا في ذلك اعتزاز بهذا العنصر الحي الذي لا تسمو أية دولة إلا إذا ساهمت فيه بمجهودها وإخلاصها.

النقطة الثانية

الاهتمام بالشعر والأدب

لقد كان الكتاب مليئا بالفوائد المتعلقة بحياة الاعلام من العلماء والأدباء ورجال التصوف بحيث لا يخلو الكتاب من ذكر كثير من أخبارهم ومؤلفاتهم وأنواع اختصاصهم فمن حديثه عن الأصمعي وابن سلام والجاحظ وأمثالهم من العلماء إلى حديثه عن أبي الحسن السري السقطي وبشر الحافي وأبي القاسم الجنيد وأمثالهم من المتصوفة.

وكان في بعض الأحيان لا يقتصر على ذكر الخبر المجرد بل يعمد إلى نقل بعض الأشعار والحكم مما جعل كتابه في هذا الباب متعة فنية ترجع بالقارئ إلى استرجاع بعض المواقف الأدبية الرائعة التي اشتهر بها أدبنا العربي ويمكن أن نأخذ على سبيل المثال استدلاله ببيتين من شعر أبي الربيع سليمان الموحدي أثناء حديثه عن الوافدات وهن النساء العشرة اللائي وفدن على معاوية بن أبي سفيان وكن من المناصرات لعلي فقد قال (ج 1 ص 42) : ومن نساء العرب المشهورات ويقال لهن الوافدات لأنهن كن من شيعة الإمام مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وحضرن معه وقائع صفين وكن يحرضن على قتال معاوية فوفدن عليه عندما ولي الخلافة وأكرمهن وحادثهن واستشهدهن وقد أثبت في تأليفنا هذا أسماءهن في مواضعهن لما في ذلك من الفوائد وحصول الاطلاع على الفصاحة والأجوبة المسكتة وإيقاع النوادر الغريبة والتشيع الذي ما مزج بتصنع وحب الطبع الذي ما معه تطبع كما قال أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن علي في مدح عمه يعقوب المنصور

13) توجد ترجمتها في كتاب العبر ج 4 ص 220 بتحقيق صلاح الدين المنجد.

14) ورد ذكرها في كتاب العبر وفي وفيات تسع وتسعين وخمسمائة.

بن يوسف بن عبد المومن من قصيدة بديعة طنانة عند فتحه قفصة وإجلاء الروم عنها قتلا ونهبا وأسرا وهو قوله :

فـــالمــــدح مني في عـــلاك طبيعـــة
والمـــــدح من غيري إليــــك تطبــع
إن قيـل من خير الخـلائـق كلهـــا
فـإليــك يــا يعقـوب تـومى الأصبع

وما أحقني بإتيان البيتين استشهادا في حق الوافدات وحبهن لمولانا علي رضي الله عنه.

ولم يكن المؤلف حين اختياره للأشعار يفضل عصرا على آخر بل كان معجبا بالشعر وجماله دون تحديد لأي زمان ولهذا كانت مختاراته ممتعة تنسجم مع الذوق الأدبي العام. وكان يختار أيضا بعض الأشعار الصوفية نذكر منها على سبيل المثال (ج 2 ص صفحة 212) :

تنـــازع النـــاس في الصــوفي واختلفـوا
قــدمــا وظنــوه مشتقـــا من الصـوف
ولست أنحـــل هـــــذا الاسم غير فتى
صـــافي فصـوفي حتى لقب الصـوفي

وكان أيضا مولعا باختيار بعض الأبيات التي تشتمل على التورية خصوصا إذا كانت جيدة في الوضع نذكر من ذلك ما أشار إليه وهو يتحدث عن مدينة حماة فقد قال (ج 2 ص 210) : وتذكرت عند ذكر حماه مـا ذكره ابن بطوطة الطنجي في رحلته لما دخل حماه ورأى بها النهر الأعظم المسمى بالعاصي الكثير الأعشاب والأشجار وفيها وفي نهرها يقول أبو سعيد الحسني الغرناطي عند رجوعه لبلاده بعد أداء الفريضة يخاطب علماء حماه وهو قوله الذي أبدع فيه وأجاد وهو لعمري مما يستحسن ويستجاد فقال :

يـــا ســـادة سكنــوا حمـــاة وحقكم
مـــا حلت عن عهـــدي وعن إخـلاصي
فـــالطرف بعـــدكم إذا ذكر اللقـــا
يجري المدامـع طـائعـا كـالعـاصي

ثم قـال : فـانظر إلى التوريـة التي أبقى صحيح أحاديثها مسطرة مروية.

وعلى كل حال فإننا بهذه العجالة التي قدمنا بها هذا الكتاب نكون قد قربنا بعض مضامينه وأوضحنا منهاجا من مناهج التأليف في العصر العلوي الشريف وأظهرنا الشمولية الأدبية والتاريخية التي كان يمتاز بها الأدباء المغاربة الناتجة عن شيوع الثقافة في هذا العصر وعن بذل المجهود من لدن الملوك العلويين في تشييد الخزانات العلمية وفي تيسير مطالعتها لمن كانت له همة في ذلك والغالب أن خزانة المولى إسماعيل كان لها الفضل الكبير في تثقيف مؤلف هذا الكتاب فمن خلال ما نقله من نصوص تتبين لنا الوجهة الثقافية السائدة في البلاد في هذا العهد فهي مبنية على احترام الدين وتوضيح شمائل الرسول وتشخيص سيرة الخلفاء من بعده ومحاولة الاقتداء بما حسن من الصفات والسير على منوال الأدباء والعلماء في الاتعاظ بأحداث التاريخ وفي الاقتداء بالشيم الكريمة لتكون الثقافة طريقا إلى تهذيب النفس من جهة وإلى تقوية العقل وتحسين أساليب التعبير من جهة أخرى ولا شك أن هذا الهدف ما زال إلى الآن يمثل جانبا من مفهوم الثقافة في عهد أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله وأيده.

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

من ذخائر مخطوطات الخزانة الحسنية

الكشف والبيان في تفسير القرآن

للأستاذ عبد القادر زمامة

خلد سلف هذه الأمة في القرون الأربعة الأولى من الهجرة - فيما خلد - مكتبة قرءانية حافلة، بكتب التفسير القرءاني، متعددة الاهتمامات والاتجاهات، والمشارب...!

والمنهاج في كل مجموعة منها، يعكس ثقافة المفسرين، وحظهم من المنقول والمعقول، ويترجم ما لهم من صلات بمذاهب النحاة، واللغويين، والفقهاء، والمحدثين، وأهل البحث في العقائد، والأصول ورواة الأخبار، والمغازي والأقاصيص... وما إلى ذلك...

كما أننا نستشف عند البعض من هؤلاء المفسرين فيما بقي لنا من آثارهم، ما كانوا يعتمدونه من مقاييس في انتقاء الروايات، وتصحيح الأخبار عند التعرض لها في التفسير... وما إلى ذلك من أشياء وقضايا تتعلق بتفسير النص القرءاني : أساليب، ومناهج، ومضامين، وأفكارا...!

وعند استعراض ما بقي لنا من مكتبة التفسير القرءاني في هذه القرون الأربعة الأولى، نجد أنفسنا، أمام مجموعات من التفاسير، والمفسرين، يصعب إحصاؤها، ويتعذر الاطلاع على الكثير منها...!

ولاشك أن تفسير الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (310 هـ = 923 م) المسمى : «جامع البيان في تفسير القرءان» كان بيت القصيد في هذه المجموعات.

حيث كان الطبري إماما من الأئمة، ومذهبا من المذاهب، وثقة من الثقات، يروي ويعي ما يروي، ويتتبع ويستقري، مع ذوق في الترتيب، وحصافة في النقد، والتعليق مما جعل تفسيره عمدة، ورأيه حجة...!

وبطل القرن الخامس الهجري وقد تضخمت المكتبة القرءانية، وظهرت لبعض المفسرين، آفاق جديدة في بعض الشكليات، والمضامين، وما يرجع للروايات، والدراسات، وصارت الأمصار الإسلامية في الأقطار المشرقية، والمغربية، تشاهد إشعاعات وإشراقات، من تفاسير القرءان الكريم، بين مقلد ومبتكر... وكل يبرز خصائص ثقافة العصر، ومعطيات المذاهب، والآراء، وامتزاج النظريات والعقليات...!

وقد ظهر في هذا القرن - فيما ظهر من التفاسير - تفسير يسمى : «الكشف والبيان **عن** تفسير القرءان» كما أن بعض المصادر تسميه : «الكشف والبيان **في** تفسير القرءان»... بينما يسمى أحيانا بتفسير = الثعلبي =...

وهذا التفسير حظي - ولمدة قرون - بشهرة واسعة، في الأمصار الإسلامية، ونقل عنه الكثيرون... واشتهر مؤلفه : أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي المكنى بأبي اسحق، في كتب التراجم والطبقات.

فنجده عند ياقوت في «معجم الأدباء». وعند الحافظ الذهبي في «العبر» وعند طاشكبري زادة في «مفتاح السعادة» وعند غيرهم... وقد توفي 427 هـ = 1035 م.

غير أننا رغم هذه الشهرة لا نعرف مراحل حياته ولا ما لابس هذه الحياة. من تطورات شخصية. واجتماعية. وثقافية. باستثناء ما توحي به بعض الإشارات الواردة في ترجمته من كونه كان على جانب كبير من المعرفة المتنوعة. في القراءات. واللغة. والنحو. والحديث. والتفسير. كما أنه كان مستقيم السلوك. متين الديانة. مشتغلا بالتذكير والوعظ. سالكا في حياته الخاصة مسلك الورع والزهد كثير التدريس. والتلاميذ. ومنهم : المفسر الواحدي : (468 هـ = 1076 م) صاحب التفسير الشهير.

ونجد السبكي في «الطبقات» يترجم الثعلبي المفسر. مما يدل على أنه كان يعتبره من فقهاء المذهب الشافعي. الذين يترجم لهم في كتابه هذا...

وكتب الأنساب ـ حينما أشارت إلى نسبته ـ ذكرت أنه يلقب بالثعلبي «نسبة إلى المفرد» كما يلقب بالثعالبي «نسبة إلى الجمع» كذلك ينقل السمعاني في كتاب «الأنساب» وغيره.

وقامت شهرة الثعلبي في عصره. وبعده على مؤلفاته التي من جملتها :

1) ـ **عرائس المجالس** : الذي شرق وغرب. وأعجم وأعرب... وقد جمع فيه كل ما استطاع الوصول إليه من أخبار الأمم الغابرة. وقصص الأنبياء. والروايات المتعلقة بذلك...! والكتاب معروف متداول. طبع عدة مرات وآراء النقاد معروفة في هذا الكتاب. وفي غيره من كتب القصص...! فلا نتحدث عن ذلك الآن هنا...

2) ـ **الكشف والبيان** : وهو الاسم الذي اختاره الثعلبي لتفسيره. وهذا التفسير ما يزال مخطوطا. «فيما نعلم» ومن أجل أن الخزانة الحسنية بالرباط تحتفظ ـ فيما تحتفظ به من ذخائر المخطوطات ـ بأوفر حظ من المخطوطات الكاملة. لنسخ هذا التفسير. فإن الواجب يفرض في هذه المناسبة أن نتحدث قليلا عن هذا التفسير المخطوط ونشير إلى نسخه الخطية الكاملة الموجودة في هذه الخزانة...

وبالاطلاع على جملة من الموضوعات التي تناولها أبو إسحق الثعلبي في تفسيره هذا نستطيع أن نتصور أهمية هذا التفسير. من جهتي : الرواية. والدراية. ومن جهة القيمة العلمية التي يشتمل عليها...!

ـ فاهتمامه بالتفسير المأثور واضح. حيث يذكر السند تارة. ويختصره أخرى. اعتمادا على ما سطره في المقدمة الحافلة. التي قدم بها لهذا التفسير...!

ـ وإلى جانب الاهتمام بالتفسير المأثور. هناك الاهتمام بالدلالة اللفظية. حيث يتتبع الدلالة اللغوية وما يشهد لها من أقوال الشعراء. في حقيقتها ومجازها...! عندما يفسر بعض الكلمات القرءانية...

ـ وبالنظر لآيات الأحكام الواردة في القرءان وهي محط الاجتهاد والاستنباط. والخلاف بين أعلام المذاهب الفقهية. في العبادات. والمعاملات. نجد الثعلبي يتتبع ذلك مستعرضا الحيثيات والأدلة. وتظهر لنا من حين لآخر. عند استعراض الأحكام. وأدلتها. والأقوال وأصحابها. أن المذهب الفقهي الشافعي يبرز في كلامه. واضح المعالم والسمات... مما يؤكد ما ذهب إليه المؤرخ السبكي حينما ترجمه في طبقات الشافعية.

ـ والتركيب النحوي. والقواعد النحوية يخوض الثعلبي فيهما. ويتوسع في بعض القضايا التي كانت محل خلاف بين النحاة. مستعينا بذلك على الفهم والإفهام.

كل هذا وغيره. من المعارف الدينية والأدبية التي نضجت ثمارها في ذلك العصر. يأتي في ثنايا تفسير الآيات والسور. ويتفنن الثعلبي في ترتيبه. إجمالا تارة. وتفصيلا أخرى... مما يؤكد لنا أهمية هذا التفسير. والقيمة العلمية التي يشتمل عليها. والتي جعلت عددا من المفسرين الذين جاءوا بعده ينقلون عنه. ويستفيدون استفادة واضحة مما خطت يمينه... ووصل إليه تفكيره...

والثعلبي ـ كما نعرفه في عرائس المجالس = ريان من الأخبار والقصص والروايات المتعلقة بالأنبياء ـ عليهم السلام ـ والأمم الغابرة... يستعمل ذلك كثيرا في : التذكير.

والوعظ والإرشاد. وله طريقته الخاصة. ومذهبه الخاص في ذلك...!

فلا عجب أن نراه في تفسيره هذا يعكس في كثير من المناسبات. ما يتزاحم في ذاكرته من القصص والإسرائليات. على ما يأتي به من استشهادات وتوضيحات. أثناء تفسير القصص القرءاني...!

وهذا ما جر عليه ـ بطبيعة الحال ـ كثيرا من الانتقادات. من عدة جهات. بين متوسط. معتدل. ومبالغ. مغرق...! ولكل وجهته... في هذه الانتقادات...

كما أن استشهاده بالأحاديث. والأخبار الضعيفة السند. جر عليه انتقادات أخرى...!

بل إننا رأينا من المنتقدين على الثعلبي وعمله في تفسيره. من يتعدى بنقده نقط الانتقاد...! فيظن القارئ الذي لم يطلع على مخطوطة هذا التفسير أن الأمر يتعلق بتفسير مجرد عن كل فائدة...! وكل قيمة علمية...! مع أن الواقع خلاف ذلك... إذا أردنا النقد الموضوعي...

ـ فالفائدة موجودة...

ـ والقيمة العلمية واضحة...

ـ والانتقاد ـ على بعض النقط ـ وارد...

ولا بأس هنا أن نشير إلى بعض من وقعت أنظارنا عليهم من منتقدي عمل الثعلبي في تفسيره...

ـ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي (597 هـ = 1201 م) في «كتاب القصاص والمذكرين».

(ص 103. ط. بيروت. دون تاريخ).

ابن تيمية (728 هـ = 1328 م) في كتاب : «مقدمة في أصول التفسير».

(ص 76 ط. الكويت 1391 هـ = 1971 م) وكذلك في كتب أخرى...

ـ جمال الدين القاسمي (1332 هـ = 1914 م) في تفسيره : «محاسن التأويل» فقد ذكر تفسير الثعلبي وأثنى عليه. ثم بعد ذلك أتى برأيه الخاص المتزن فيما يرجع للنقطة التي انتقدت على الثعلبي...! وذكر مبررات برتئيها لعمل الثعلبي...!

(محاسن التأويل ج. 1 ص 41. القاهرة 1376 هـ = 1957 م).

ـ محمد بن جعفر الكتاني (1345 هـ = 1927 م) في كتابه : «الرسالة المستطرفة» تعرض للثعلبي. والواحدي. تلميذه. وذكر ما في تفسيريهما من أحاديث موضوعة... وقصص باطلة...!

(الرسالة المستطرفة ص 59).

ـ محمد حسين الذهبي في كتابه : «التفسير والمفسرون» الذي اطلع على بعض أجزاء مخطوطة من تفسير الثعلبي. ودرس ما فيها. ثم تقدم بمعلومات مفيدة عن التفسير. وصاحبه. وما وجهه العلماء إلى هذا التفسير من انتقادات...!

(التفسير والمفسرون ج 1. ص 277، ط. القاهرة 1391 هـ = 1976 م).

ولعل هذه الانتقادات التي أشرنا باقتضاب إلى بعض من وجهها. كانت من الأسباب التي حجبت عن الباحثين. والدارسين. والمهتمين بنشر كتب التفسير... ما في كتاب الثعلبي من مادة علمية. وما جمعه من معلومات مفيدة عن المكتبة التفسيرية. خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة. وأودعها في المقدمة...

ـ ومقدمة تفسير الثعلبي جمع فيها حشدا كبيرا من أسماء المفسرين الذين سبقوه. وسنده إليهم. وما يمتاز به كل مفسر. وما ينتقده على بعضهم...!

وإلى جانب ذلك يذكر أنه جمع تفسيره : «الكشف والبيان» من مائة كتاب...! مجموعات. مسموعات... سوى ما التقطه من التعليقات والأجزاء المتفرقات. وما تلقفه من أفواه المشايخ الأثبات. وهم قريب من ثلثمائة شيخ...!

وقد أحسن الأستاذ السيد محمد العربي الخطابي محافظ الخزانة الحسنية. ومصنف فهارسها الوصفية صنعا. حينما جرد في الجزء السادس من فهارس هذه الخزانة. قائمة طويلة بمخطوطات تفسير الثعلبي : التام منها. وغير التام. (ص 287 ـ 289) مع كل ما لها من أرقام خاصة بها في هذه الخزانة الحسنية. وبذلك اتضح لنا في بحثنا عن تفسير الثعلبي أن الخزانة الحسنية بالرباط تضم أفيد

مجموعة من نسخ هذا التفسير القديم. لمن أراد أن يدقق البحث فيما لهذا المفسر، وما عليه... وبين يديه الآن مادة متسعة ذات عطاء متنوع...! وقد كنا نعلم مسبقا أن هناك من هذا التفسير نسخا خطية ـ تامة وغير تامة ـ موزعة على خزائن متعددة شرقية، وأروبية.

ولا شك أنه يتبين جليا عند الاطلاع على منهاج الثعلبي ومصادره، والكيفية التي «صنف» بها المفسرون قبله، و«نوع» الانتقاد الذي وجهه لكل طائفة منهم... إن الرجل كان يملك قدرة على الفهم، والاستيعاب، والتحليل... وأن الجانب الذي انتقد عليه هو فعلا جانب ينتقد... إلا أنه من الناحية الموضوعية ينبغي الا يحجب هنا، تلك الجوانب الأخرى، التي قدرها حق قدرها، واستفاد منها جزئيا وكليا، سابقون ولاحقون من رجال التفسير القرءاني...

وهكذا يكون الثعلبي وهو من رجال القرن الخامس الهجري قد كتب تفسيرا يأتي في حلقة متوسطة بين تفسير ابن جرير الطبري... وبين التفاسير العظيمة الأهمية «العلمية والمنهاجية» التي ظهرت في القرن السادس الهجري وما بعده، وعلى رأسها «الكشاف» للزمخشري، و«المحرر الوجيز» لابن عطية الأندلسي الغرناطي...

فاس : عبد القادر زمامة

بدأت أمريكا تصحو

إن تكن أمريكا في سكرة مما جرعتموها من أكاذيبكم، وإن تكن رقت لكم، لما أرقتم على أقدامها من دموعكم، وما اظهرتم من ذلتكم وضعفكم، وانكم المساكين المفترى عليكم، فلقد بدأت أمريكا تصحو، كما صحت أروبا من سكرتها، وتبصر الحقيقة التي طالما سترتموها عنها. لقد تناثر عنكم جلد الحمل الذي اكتسبتم به كذبا وزورا وخداعا ومكرا وظهر من تحته جلدكم ـ جلدا لذئب ـ بل جلد الكلب المسعور.



للأستاذ عبد الجواد السقاط

لعل فن العرشيات في الشعر المغربي موضوع يكتسي أهمية خاصة، لا من حيث كونه موضوعا من مواضيع الشعر المطروقة، ولكن كذلك من حيث إنه كان ولا يزال وسيظل، تخليدا لذكرى جليلة تعتبر رمزا مقدسا للوحدة والاستقرار، وتجسيدا ملموسا للمطامح والآمال.

والحديث عن هذا الفن في إبداعنا المغربي، يدعونا في البداية للتذكير بالفترة التي نشأ فيها كشعر يقال خصيصا بمناسبة الاحتفال بعيد العرش المجيد، فإن تاريخ هذه البداية يرجع إلى عام 1934 م، وهو العام الذي فيه «صدر قرار وزيري باتخاذ اليوم الثامن عشر من شهر نونبر الذي جلس فيه صاحب الجلالة الشريفة[1] على عرش المغرب عيدا رسميا»[2].

وليس معنى هذا أن اعتزاز الشعراء المغاربة بملوكهم، وتمجيدهم لمواقفهم ومنجزاتهم لم يبدأ إلا مع هذا التاريخ، فمعلوم أن الشعر المغربي قد استمر منذ نشأته منوها بهذه المواقف والمنجزات، منذ أن قال إبراهيم ابن أيوب النكوري في مدح بعض الأمراء الأدارسة :

أيا أملي الذي أبغي وسؤلي
ودنياي التي أرجو وديني
أأحرم من يمينك ري نفسي
ورزق الخلق من تلك اليمين
ويحجب عن جبينك طرف لحظي
ونور الأرض من ذاك الجبين
وقد جبت المهامه من نكور
إليك بكل ناجية أمون[3]

إلى أن استظل المغرب تحت لواء الدولة العلوية الشريفة، وركن الشعب المغربي إلى كنف ملوكها الأماجد الذين ألهبت منجزاتهم وأعمالهم قرائح الشعراء، وأذكت شعورهم بالفرحة العارمة والحبور المتصل، فراحوا يدون المدح والثناء، ويواصلون الاعتراف والتقدير، في غرر شعرية وصلتنا إما مبثوثة في كتب التاريخ من أمثال «روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف» لمحمد الصغير اليفرني[4]، و«المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر

1) هو المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه.
2) انظر «وثيقة تاريخية عن بدء احتفال المغاربة بعيد العرش المجيد سنة 1934»، نشرها الأستاذ الحاج أحمد معنينو بمجلة «دعوة الحق» عدد 234، جمادى الأولى والثانية 1404 هـ مارس 1984، ص 39 ـ 42.
3) الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن تاويت، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1402 هـ 1982 م، ج 1، ص 20.
4) طبع بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1382 هـ 1962 م.

مولاي إسماعيل بن الشريف» لعبد الرحمن ابن زيدان العلوي[5]، وإما في مجموعات شعرية أو دواوين، كديوان «الأمداح السليمانية» لأبي الربيع سليمان الحوات[6]، وديوان «اليمن الوفي في مدح الجناب اليوسفي» لعبد الرحمن بن زيدان العلوي[7]، إلى غير ذلك من المصنفات والمجموعات.

وإذا كان اعتزاز الشعر المغربي بملوك الدولة العلوية المنيفة، يطفح في كل مقام ومناسبة، فإن عيد العرش المجيد قد تصدر المناسبات جميعها، خصوصا وأن الاحتفال الرسمي به قد بدأ في ظروف صعبة كان المغرب خلالها يعاني من وطأة الاستعمار الدخيل، ويتوق نحو حريته وانعتاقه من قيود الحماية والاحتلال.

وهكذا كثرت القصائد التي أصبحت تقال بهذه المناسبة، وتنافس الشعراء في التباري في هذه الحلبة الرحبة الفسيحة، من أمثال عبد الرحمن الدكالي، وعلال الفاسي، ومحمد العثماني، وعبد الله جنون، ومحمد الحلوي، والحسن البونعماني، والمدني الحمراوي، وإدريس الجائي، وغير هؤلاء كثير ممن يضيق المجال على حصرهم «من مختلف الاتجاهات والأجيال»، كما يقول الدكتور عباس الجراري[8]، وبذلك أصبح فن العرشيات لونا متميزاً من الشعر، ليس مجرد أمداح كما كان معهودا من قبل، ولكنه كما يقول العلامة عبد الله جنون : «شعر اجتماعي يعبر عن عاطفة شعبية وفكرة قومية... وبذلك يكون سجلا من سجلات التاريخ القومي والنهضة الحديثة، لا سيما وقد كان طابع هذا الشعر هو الصدق الذي تتفاعل فيه العواطف مع الواقع فيجسم التأثير الذي تحدثه مبادرات الملك وأعماله في نفوس الأفراد والجماعات من مختلف طبقات الشعب»[9].

وهكذا يتضح أن العرشيات ليست شعرا مديحيا فحسب، وإنما هي شعر اجتماعي له غاياته وأبعاده، وهي شعر وطني يتحدث عن أمجاد الأمة ويخلد بطولاتها وملامح نهضتها وتقدمها، بل إنها تعد ـ كما قال الأستاذ عبد الحق المريني ـ «دائرة رحى هذا الشعر الوطني الأصيل، فقد كان شعراء ما قبل الاستقلال وشعراء صدر الاستقلال يعربون عن عواطف الإخلاص والوفاء والولاء للعرش كلما أشرقت شمس عيد العرش على هذه البلاد، فقد كان حلول هذه الذكرى يثير قريحتهم الشعرية، ويذكي حميتها للتعبير عن مكنونات أنفسهم ولبلورة أحاسيسهم نحو أمجاد هذا العرش ومفاخر صاحب العرش»[10].

ولعل لهذه الأهمية التي يكتسيها موضوع العرشيات المغربية، وجدناه يحظى بعناية خاصة من طرف المهتمين والشعراء على السواء، تمثلت في جمع النصوص وإخراجها في حلل شيقة، حفاظا على هذا الرصيد الهائل من العواطف والأحاسيس، وإثباتا لواقع الإبداع المغربي في فترات تاريخية معينة.

وهكذا نستطيع أن نتلمس هذه النصوص في مجموعات كثيرة أذكر منها :

- ديوان «العرش» الذي جمع فيه الأستاذ عبد السلام الفاسي قصائد كثيرة في مدح المغفور له جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه[11].
- ديوان «الحسنيات» : وهو مجموعة ثلاثية الأجزاء تضم عددا كبيرا من القصائد الشعرية في مدح صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، بما فيها العرشيات، جمعها ونسقها الأستاذ عبد الحق المريني، وجعل جزأها الثاني خاصا بأشعار المسيرة الخضراء[12].

---

5) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم ج 595.

6) يوجد مرقونا بتحقيق عبد الحق الحيمر بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.

7) طبع في جزأين بالمطبعة المخزنية بفاس عام 1342 هـ 1923 م.

8) الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1399 هـ، 1979 م، ج 1، ص 212.

9) أحاديث عن الأدب المغرب الحديث، دار الرائد للطباعة، القاهرة، 1964 م، ص 152.

10) الحسنيات، ج 2، «أشعار المسيرة الخضراء»، المقدمة، مطبعة الأنباء، الرباط، 1979، ص 8.

11) صدرت السلسلة الأولى منه عام 1948 عن المطبعة المحمدية.

12) طبعت الأجزاء الثلاثة بمطبعة الأنباء بالرباط : الجزء الأول عام 1975، والثاني سنة 1979، والثالث عام 1983.

● ديوان «وفاء وولاء»، وهو «مجموع القصائد التي جادت بها قرائح نخبة من الشعراء في مدح صاحب الجلالة أيده الله ونصره، طوال الخمس والعشرين سنة التي مرت على تربع جلالته على عرش أسلافه الميامين، والتي سبق لمجلة دعوة الحق الغراء أن نشرتها في حينها تباعا»[13].

وإلى جانب هذه الأعمال نجد بعض الشعراء - مغاربة وغير مغاربة - قد أثبتوا ضمن دواوينهم ما أبدعوه من عرشيات أمثال :

● ديوان «حسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر ملوك العرش العلوي» للوزير الفقيه المعمري الزواوي[14].

● ديوان «السوانح» لإدريس الجائي[15].

● ديوان «لوحات شعرية» لعبد الله جنون[16].

● ديوان «من وحي الأطلس» لمفدي زكريا[17].

● ديوان «أنغام وأصداء» لمحمد الحلوي[18].

☆ ☆ ☆

وإذا نحن بعد هذا تأملنا تاريخ العرشيات المغربية، أمكننا أن نقسمها - منذ نشأتها إلى اليوم - إلى أربع مراحل هي كالآتي :

1) المرحلة الأولى، وتمتد من سنة 1934 - سنة النشأة - إلى سنة 1944 - سنة تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال - وهي المرحلة التي تحدث عنها الدكتور إبراهيم السولامي فقال : «كان الشعراء في هذه الحقبة يتغنون في قصائدهم المادحة لسلطان البلاد بروحه الوطنية الإصلاحية، وإخلاصه وغيرته الدينية : فهو سليل الأشراف وراعي العلماء وداعية العلم، كما في قصيدة عبد المجيد الفاسي :

حامي كتاب الله أعـ
ظم منزل متعبد

ملك يحب تقدما
في كل شيء مسعد

ويبث في الشعب النهو
ض إلى السبيل الأقصد

ملك يحب العلم بيـ
ـن الشعب غير مقيد

بل كل ما رقى الشعو
ر وما أتى بالمقصد»[19]

2) المرحلة الثانية، وتمتد من سنة 1944 إلى عام 1956 - سنة الاستقلال، وهي المرحلة التي عاش فيها المغرب أعنف معاركه ضد الاستعمار الغاشم، وخاصة في السنوات الأخيرة (1953 - 1965)، وهي السنوات التي أبعد فيها جلالة الملك المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه عن وطنه وشعبه. ولعل العرشيات في هذه المرحلة استمرت في تمجيد سلطات البلاد، والتغني بمواقفه وأعماله - كما كان الشأن في المرحلة السابقة - ولكن مع اتخاذ مناسبة عيد العرش فرصة للمطالبة بالاستقلال والتحرر، والتحريض على مقاومة المستعمر واستئصال شوكته، في نغمة حماسية تلهب الهمم، وتوقظ العزائم، ومن ثم «تحول الممدوح إلى رمز لأماني الوطن في الحرية والكرامة وعودة الماضي المستقل الحر»[20].

فهذا الشاعر عبد الله جنون يستهل عرشية نظمها عام 1950 بقوله :

العرش حجتنا فمن ذا يجحد
حقا يناصره الإمام محمد

علمت شعوب الأرض أننا أمة
ليست من النجر الذي يستعبد

---

13) ص 132 من مقال لعبد الجواد السقاط حول ديوان وفاء وولاء، مجلة دعوة الحق، العدد 257، شوال، ذو القعدة 1406 هـ - يونيو، يوليوز 1986 م.

14) طبع بالمطبعة الملكية سنة 1964.

15) صدر عام 1971 م عن المطبعة الملكية بالرباط.

16) صدر عام 1966 م عن دار كريماديس للطباعة بتطوان.

17) صدر الجزء الأول منه عام 1976 عن مطبعة الأنباء بالرباط.

18) صدر عام 1965 عن مطابع دار الكتاب.

19) الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية 1912 - 1956)، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ص 113.

20) الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 113.

تـــاريخنـــا وجهـــادنـــا وطمـوحنـــا
تـــأبى علينـــا أن تـــداولنـــا يـــد
تـــا اللــه لا نعطي الـــدنيـــة عن يـــد
أبـــدا ولـــو أنـــا نموت ونلحـــد
هـــدفـــان لا نرمي لغيرهمـــا على
كره الـــزمـــان : تحرر وتـــوحـــد[21]

بل إنه لا يفتأ يؤكد هذا العزم الصادق، ويصر على استمرارية هذا الموقف الشهم، إذا نجده في موضع آخر من القصيدة ذاتها يقول :

أدى أمير المـــومنين رســـالـــــة
هي للعـــلا والمجـــد نهـــج أقصـــد
كتبت لـــه في الخـــالـــدين صحيفـــة
ولـــه في الاستقبـــال سفر أخلـــد
سنسير منهـــــا في طريـــــق لاحب
لا يـــزدهينـــا واعـــد أو مـــوعـــد
متقيـــدين بخطـــة مرســـومـــة
وبغـــايـــة هي سؤلنـــا والمقصـــد
حتى نرى آمـــالنـــا قـــد أينعت
ودنت لنـــا منهـــا القطـــوف الحشـــد
ونرى معـــالم مجـــدنـــا قـــد أمرعت
وتهـــدلت منهـــا الغصـــون الميـــد
والعرش في عليـــائـــه متمكنـــا
من أمره ولـــه الرغـــائب حفـــد[22]

وهذا الشاعر عبد الله إبراهيم في عرشية نظمها عام 1947 يؤكد ما يمثله العرش من رمز لآمال الأمة ومطامحها في تحطيم الأغلال، والظفر بالحرية والاستقلال :

قم حي ملكـــا جـــدد الآمـــالا
يبغي لأمتـــه عـــلا وكمـــالا
يبني لأمتـــه حيـــاة حرة
ويجـــد كي تسمـــو بهـــا وتنـــالا
يخطـــو بهـــا للمجـــد خطـــو محنـــك
ويقـــودهـــا لتحطم الأغـــلالا
ويقتحم الجلى بثغر بـــــــــاسم
ويرى الحيـــاة عقيـــدة ونضـــالا
يسعى لغـــايتـــه النبيلـــة مقـــدمـــا
ليخـــط للشعب النبيـــل مثـــالا
الغـــايـــة القصوى لـــديـــه قريبـــة
آلى ليلحقهـــــا قريبـــــا آلى
هي غـــايـــة للشعب يسعى نحوهـــا
لابـــد أن يحظى بهـــا وينـــالا
المغرب الأقصى حمـــاس كلـــه
يبغي العـــلا ويريـــد الاستقـــلالا[23]

ولعل هذه النماذج ـ وغيرها كثير ـ تدل على ما كان شعر العرشيات يلعبه من دور بطولي وحماسي، وما كان يجسده من روح الوطنية والفداء، وبذلك فهو ـ كما يقول الدكتور عباس الجراري ـ «شعر وطني بكل البعد الذي يعطيه الوصف، وفي الإطار الذي كان مطروحا لمفهوم الوطنية»[24].

ولم يفت شعر العرشيات في هذه المرحلة أن يخلد بعض الأحداث الجسام التي عرفها المغرب إذ ذاك، والتي كان لها ثقلها الملموس على مستوى المقاومة والتحدي ملكا وشعبا. ولعل رحلة جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه إلى مدينة طنجة عام 1947، وخطابه التاريخي بها، لمما يأتي في طليعة هذه الأحداث، بما أفرزته من صمود متجدد، واستماتة حتى النصر، عبر عنها الشاعر عبد الله جنون في عرشية نظمها في السنة ذاتها إذ يقول :

رفعت لـــواء للعروبـــة خـــافقـــا
بفصـــل خطـــاب في المـــواقف يحمـــد
ووليت وجهـــا يـــتضـــاء بنـــور
إلى الشرق إن الغرب بـــالشرق أقعـــد

21) لوحات شعرية ص 66.
22) لوحات شعرية ص 69.
23) الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ج 1، ص 212.
24) الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ج 1، ص 210.

قضيت على آمال مؤتفك قضى
بتقطيع أرحام وعهد يؤكد
وأعلنتها في عزة هاشمية
بأنك للعرب المقاول تخلد[25]

ولم يفت شعر العرشيات في هذه المرحلة كذلك، أن ينوه بالسلطان وأياديه البيضاء على الدين الإسلامي والأمة المغربية والعربية على السواء، فقد أشاد الشاعر عبد الله جنون في مستهل عرشيته السالفة الذكر برعاية جلالة السلطان للإسلام الداعي إلى الوحدة والتآزر، ومقاومة جلالته تبعا لذلك، لكل أنواع التفرقة التي أراد الاستعمار بها أن يمزق وحدة المغرب والمغاربة، فقال :

لعرشك في الإسلام عيد مخلد
لأنك للإسلام نعم المجدد
جبرت عمود الدين فور انكساره
وكان عدو الدين في الكسر يجهد
دعا دعوة للجاهلية تنتمي
عسى أن شمل المسلمين يبدد
وقال لكم شرع وللقوم غيره
وما الشرع إلا ما أتى به أحمد
فأحبطت مسعاه وأبطلت كيده
وكائن تحدى المشركين محمد[26]

كما أشاد الشاعر بمواقف جلالته الإصلاحية، في كل ميدان من ميادين الحياة الاجتماعية والعلمية بالمغرب فقال في العرشية نفسها :

بعثت لهذا الجيل بالثورة التي
تغير من أوضاعه وتجدد
فتنسخ عادات إلى الرق تنتمي
وتحكم أخرى للتحرر تمهد
وليس كبعث البنت من مرقد البلى
رسالة إحياء لقوم تجمدوا
أهبت بها للعلم والعمل الذي
تتم به ما كان الابن يشيد
فلبت نداء ساميا وتقدمت
بكل حماس للعلا تتجند
وما راعها إلا وعائشة الفدا
على رأسها قوامة تتعهد
وتمنحها من نصحها ما يفيدها
ومن عطفها ما كانت البنت تنشد[27]

على أن هذه المرحلة قد توجت بتصعيد النضال والمقاومة في سنواتها الثلاث الأخيرة، عندما أبعد جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه عن عرشه ووطنه، إذ «كانت هذه الحادثة رجة عنيفة في نفوس الشعراء دفعت بهم ـ وبجميع الوطنيين ـ إلى تصعيد الكفاح من المقاومة السياسية إلى الثورة، وربط هذه الثورة بالتأكيد على عودة الملك إلى الحكم لأن في عرشه تجسدت الوحدة الوطنية والاستقلال»[28].

وكنموذج على موقف شعراء العرش من هذه الحادثة، نعود مجددا إلى الشاعر عبد الله جنون، لنشير إلى عرشية نظمها عندما أهل عيد العرش وسلطان البلاد في المنفى، إذ نجده يتجه إلى فرنسا غاضبا ثائرا، في لهجة ملؤها السخط والتبرم، فيقول :

زعمت فرنسا أننا تبع لها
من أين يتبع أمس يوما تال
جهلت فرنسا أننا شعب له
كيانه من عهد جنبيال
كم كان في الماضي لنا من مفخر
ولكم يكون لنا في الاستقبال
جسنا ديارك في القديم وربما
سنجوسها يوما لحسم ضلال
وأخذت عنا شرعة قدسية
لم تحوت من ميز ولا استغلال
فاقني حياءك واعلمي أن ليس من
تتحدثين لهم من الأطفال

25) لوحات شعرية ص 58.
26) لوحات شعرية ص 57.
27) لوحات شعرية ص 61.
28) الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 117.

إن الــــذي خلــق الشعــوب رشيـــــدة
لم يتخــــــذ شعبــــــا لشعب وال
أمـــــا الفـــوارق بيننــــــا فكثيرة
من ديني ولســــــــاني وســـــــلالي
مـــــــا إن أرانــــــا نلتقي إلا على
ميعـــــــاد معترك ودرب قتـــــــال[29]

كما نجده في القصيدة ذاتها يؤكد من جديد عزم المغاربة على مواصلة الصمود والمقاومة حتى يعود مفخرة الملوك إلى عرشه، هذا الملك الذي استوى على عرش القلوب، والذي يفديه الشعب المغربي بالأرواح والمهج :

واللـــــه لا نثني عنـــان كفـاحنـــا
حتى نحطم ســـــائر الأغـــــــلال
ونمـــل كـــل شروطنـــــا مشفــوعـــة
بضمــــانـــــة الأفعـــــال لـــلأقـــوال
ونعيـــــد مفخرة الملـــوك محمـــــدا
يـــزهـــو بتــــاج النصر والإقبــــــال
ملــك على عرش القلـوب قـــد استـوى
وجميعنــــــا في حبــــــه متفــــــال
من في الملــوك الصيـــد مثـل محمــد
أو في الشعـــوب كمغرب الأبطــــــال[30]

3) المرحلة الثالثة، وتمتد من سنة 1956، إلى عام 1961، سنة وفاة المغفور له جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه، وتولية وارث سره جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده، وهي مرحلة عرفت فيها العرشيات سمة جديدة تتمثل في التغني بالنصر وتحقيق الحرية التي أصبح المغرب ينعم بها تحت قيادة ملكه وربان سفينته، يقول الشاعر إدريس الجائي في إحدى عرشياته بهذه الفترة :

ربـــان أمتنـــــا وعرشـــك فلكهـــــا
حييت من فلــــــك ومن ربـــــــان

يقف الملـوك لـدى الشدائـــد مـــالهـــا
بـــــالأمر إن حم القضـــــاء يــــــدان
أمـــــا محمـــدنـــــا فيـزجي سحبهـــا
ويقـود زورقنـــــا لشـــط أمـــــان[31]

كمـا استمرت العرشيات في هـذه الفترة منـوهـة بالمواقف الإصلاحية لجلالة السلطان، ومنها محاربته للجهل مثلا، ونشره ألوية العلم في كافة ربوع المملكة، كما يشهد بذلك الشاعر محمد الحلوي في إحدى عرشياته :

أمعيــــــدا إلى النفـوس حجـــاهـــــا
ورســولا كتـــابـــــه التجـــديــــــد
أصبـح الجهـل في حمـــــاك غريبـــــا
كـــل يـــوم لــــــه هـــــزائم ســـــود
زعمــوا المهـــدي الإمــــام وعنــــدي
أنـــــك المهـــــدي الفتى المــوعـــود
إن مـــــاشــــدت من مشـــاريـــع للعل
م لعبء تضيـــق عنـــــه الجهـــود[32]

على أن شعر العرشيات وهـو يشيـد بهـذه النهضـة، ويتغنى بمظـاهرهـا ومعطيـاتهـا، لم ينس الـدعـوة إلى الاستمرار في تشجيعها ودعمها، والعمل على محو مخلفات الاستعمار في شتى الميادين :

أبـا المجـد لا تـأخـذ جفـونـك غفـوة
فـإن لهـذا الـدهر في قـومنـا ثـأرا
فتلـــــك عيـون لم تجف دمـوعهـــــا
وهـــذي جراح لم يجـــد دمهــــا مجرى
عرفنـــا نـوايـاهــا ومـــا أضمرت لنـــا
فلم تنخـــدع يـومـــا ببسمتـــه الصفرا
ولكننــــــا سرنــــا وأنت دليلنــــــا
تشـــد لنـــا أزرا وتـــدني لنـــا الـوعرا
وثبت بنـــا للمجـــد وثبتـــك التي
تهيئنـــا من بعـــد للـوثبـــة الكبرى[33]

---

29) لوحات شعرية ص 87.
30) لوحات شعرية ص 89.
31) السوانح ص 32.
32) أنغام وأصداء ص 36.
33) محمد الحلوي، أنغام وأصداء ص 152.

وما من شك أن هذا الاستمرار لن ينقطع، وأن هذه المواصلة لن ينضب لها معين، طالما أن العرش والشعب تجمع بينهما أصرة الحب المكين، ووشيجة التعلق الصادق، التي جعلت هذا العرش موطد الأكناف، ثابتا كالأطلس الجبار :

طاول فإنك أنت أنت الأغلب
والعرش عرشك راسخ ومحبب
وموطد الأكناف، إما زلزلت
أركان صرح فهو لا يتقلب
كالأطلس الجبار صد عواصفا
وزوابعا وهو المكين الأهيب
الله يكلأه ويحمي ساهرا
هذا الحمى شعب يصول فيرهب
يتسامق العملاق دون رحابكم
ويعود يركع وهو قزم أحدب
ذهبت شعوب في الملوك مذاهبا
شتى وحبك شرعنا والمذهب[34]

وما من شك كذلك أن هذا الاستمرار لن ينقطع، طالما أن صاحب العرش ـ علاوة على ما يتحلى به من خلق كريم وسياسة حكيمة ـ ينتمي إلى البيت النبوي الشريف من جهة، ثم إنه، من جهة أخرى، سليل الدولة العلوية الشريفة التي اشتهر ملوكها الصيد الأماجد، بمواقف إصلاحية شتى، خلدها التاريخ، وسجلها لهم بمداد الفخر والاعتزاز :

قسمت حظوظ العالمين فكنتم
حظا لنا، نعم النصيب الأطيب
من آل خير المرسلين رجاءنا
ورجاء جيران لنا ما خيبوا
من دوحة علوية علوية
كالأرز شامخة عداها طحلب
آل الشريف الظافرين ولم يزل
آل الشريف منالهم لا يطلب
ما كان منهم غير فرع باسق
من دوحة أثمارها لا تنهب
والماجدون الخالدون سياجها
أبناء مازيغ الأباة ويعرب
سل عنهم فاسا وسل مكناسة
بل سل بقايا العز أنى تذهب
وسل الرشيد وسل سليمانا وسل
حسنيا وأبعدهم ومن هو أقرب
هل كان في أجداد خامس مجدنا
إلا نجوم للهدى تترقب
حفظوا أمانة تالد من عهدنا
ومضوا ولكن مجدهم لا يعزب
باق، أثيل، ألمعي، أحمر
متوهج، عال، رحيب، كوكب
لألاء، يشرق نوره لا يختفي
إن كان في الأمجاد مجد يغرب[35]

4) المرحلة الرابعة، وتمتد من سنة 1961 إلى اليوم، وهي المرحلة التي ينعم فيها الشعب المغربي بالقيادة الرشيدة لجلالة المنصور بالله، أمير المومنين، الحسن الثاني أعزه الله، وهي مرحلة عرفت خصوبة ملموسة في باب العرشيات، إذ اتخذت أبعادا مختلفة يمكن إجمالها فيما يلي :

أ ـ الاستحضار لصانع التاريخ الحديث بالمغرب جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، الذي خاض لجة الأهوال والمحن، وصابر البغي والعدوان حتى تحقق الأمل وتم النصر :

عيد أظل سناه العرش والوطنا
وبايع الدهر فيه العاهل الحسنا
أهل والدمع رطب في محاجرنا
والجرح دام فأجرى الدمع والشجنا

34) إدريس الجائي، السوانح، ص 19.
35) إدريس الجائي، السوانح، ص 20.

على الـــذي صنع التـــاريـخ وامتـلأت
منـــه القلـوب وأعيى سعيـــه الـزمنـــا
وصــــابر البغي والأهـوال كـــالحـــة
فخـــاض لجتهـــا واستعـــذب المحنـــا
تغفـــو الملـوك وتلهـو في مبـــاذلهـــا
وهـــو الملاك الــذي لم يــألف الـوسنـا
أبر من والـــــــد حــــــان وأرأم من
أم وأطهر من صـــــان الحمى وبنى[36]

وهو استحضار إن دمعت له العين وسال الجرح، فإن من ألطاف الله تعالى بهذه الأمة أن عوضها عن السلطان الفقيد بوارث سره جلالة الحسن الثـاني أدام اللـه عزه ونصره :

فكفكف الـــدمـع لا تجـزع فقــد تركت
لنــا العنـايـــة بعــد الخــامس الحسنـا
غرس سقتـــه يـــد ميمـونـــة فـــزكـــا
وأفعم الكـــون عطرا منعشــــــا وسنى
وصــــارم من سيـوف اللـــــه أصلتـــه
والليـل داج فجلى الخطب والحـزنـا[37]

ولعل هذا البعد قد تردد في نمـاذج أخرى كثيرة، أقتصر منها على الإشارة إلى عرشية للشاعر الحاج أحمد بن شقرون حيث يقول في ثناياها :

إن ابن يـــوسف سيـــــد من سيـــد
من سيـــــــد من ســـــــادة أقران
فجعت بـه الـدنيـــا فطـال حـدادهـــا
تنـــاب أدمعهـــا بـــأحمر قـــان
يــــا من بنى في كـــل قلب مركـــزا
نم في الجنـــان مخلـــدا يـــا بـــان
اللـــه أقـــدر لـلأمـــانـــة بعـــدكم
حسنــــا، ينـــاصر حرمـــة القرآن[38]

ب - التأكيد على مكانة العرش في قلوب المغاربة جميعهم، هذا العرش الذي به يحيون سادة أعزة، والذي به تمكنوا من قهر العدو وفرض وجودهم في العالمين :

للـــه عرش قـــد حبـــانـــا منـــة
أكرم بـــه عرشـــا حمـــاه جـــدود
بنيت على تقـوى دعـــائم صرحـــه
إنـــا لـــه دومـــا حمـــاة صيـــد
إنـــا بهـــذا العرش نحيـــا أمـــة
علم الفخــــــار بجيشنـــــا معقـــود
إنـــا بهـــذا العرش عشنـــا ســـادة
لم يستطـع إذ لا لنـــا صنـــديـــد
إنـــا بهـــذا العرش أجلينـــا العـــدى
وغـــدا لنـــا في العـــالمين وجـود[39]

ومن هنا كانت فرحة المغاربة بعيد العرش كبيرة، لا يقوى على تصويرها بيان، ولا يستطيع تمثيلها وصف أو تعبير :

مـــاذا تصـــور من أفراح أمتنـــــا
براعـــة يصطفيهـــا اليـوم ولهـــان
أنى تـوجـــه يـوم العيـــد تـدهشـــه
بروعــــة الفن أقـــواس وتيجـــــان
والكهربـــــاء عنـــاقيـــد منسقـــة
كـــأنهـــا في رقـــاب الغيـــد مرجـــان
وكم ترى العين أعـلامـــا مرفـوفـــة
كـــأنمـــا أطلـع الأزهـــار بستـــان
أنى تلفت فـــالأنـــوار مشرقـــة
والكـــل مبتهـــج والكـــل فرحــــان
وفي الميـــادين كم تبـــدي مهـــارتهـــا
لـــدى ركـوب عتـــاق الخيـل فرســـان
والفن أشرق والأقمـــــار تحملهـــــا
إلى المراقص أشــــواق وأغصــــــان
يهتـز من فرح بـــالعيـــد مـــائسهـــا
وينثر الـــدر عنـــد الشـــدو قحـوان[40]

36) محمد الحلوي، ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 18.
37) نفس الشاعر والمصدر والجزء والصفحة.
38) الحسنيات، ج 2، ص 19.
39) محمد عرفة القاسمي، ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 68.
40) محمد بن علي العلوي، ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 244.

وكأني بالشعر محمد العلمي يتحدث بلسان غيره من شعراء العرشيات الذين مهما حاولوا إصابة التعبير ودقة الإعراب والإفصاح، فإن البيان يعوزهم، والشعر لا يواتيهم ولا يسعدهم :

يا عاهلي عفوا إذا ما لم يكن
شعري بتبليغ المشاعر مسعدي
عجز البيان فلم يحط بعواطفي
فالعرش أصبح كعبتي وتعبدي[41]

ج ـ التركيز على ما يتمتع به جلالته من كريم الأخلاق وفاضل الشيم، وما يتحلى به أيده الله من نبل كبير وشهامة بارزة، الشيء الذي جعله صورة حية للفضائل، وجوهرا صافيا للمكارم :

فما هو إلا عاهل شرفت به
بنو المغرب الأقصى على أمم الورى
وما هو إلا عاهل العصر أشرقت
وضاءت به الأرجاء وانكشف المرا
وما هو إلا المكرمات تجسدت
وما هو إلا النبل جاء مصورا
وما هو إلا البحر فاض سماحه
وما هو إلا الغوث والغيث أمطرا
فلم يك إلا للفضائل صورة
ولم يك إلا للمكارم جوهرا
ولم يك إلا للمقاصد كعبة
ولم يك إلا للمحامد محورا[42]

ولعل مما أوتي جلالته من مكرمات وفضائل، حصافة عقله، وفصاحة لسانه، وطهارة قلبه، وغيرته على الإسلام ينصره ويؤازره، وعلى الأوطان المضطهدة يعضدها ويساندها :

حباه إله العرش لبا ومنطقا
وأعطاه قلبا طاهرا متطهرا
لتوحيد صف المسلمين مجند
ليرق بهم حتما إلى قمم الذرا
غيور على الإسلام في كل موطن
يريد له نصرا عزيزا مؤزرا
غيور على الأوطان يغضب إن رأى
دخيلا تصدى للشعوب مسيرا[43]

د ـ الإشادة بمواقف جلالته سواء أيام الاحتلال أو بعد الاستقلال، والتنويه بمنجزاته وأعماله في كافة الاتجاهات وسائر الأصعدة.

ألم يدافع جلالته عن حرية وطنه واستقلال شعبه إلى جانب والده المنعم قدس الله روحه ؟ ألم يذق مرارة النفي والغربة ؟ ألم يكن قذى في عين البغاة وحزبهم ؟ :

سلوا عن أمير المومنين مناقبا
ستبقى على الأيام تروى وتحمد
كحزم أمير المومنين وعزمه
إذ الأفق في ليل النوائب أسود
فما غره برق الوعود ولم يهب
وعيدا إذ العرش العتيد مهدد
ولا غربة المنفى ألانت قناته
وما شوكة المغوار في الخطب تخضد
أما كان صديق الهمام محمد
يشد به أزر الكفاح ويعضد
ألم يك في عين البغاة وحزبهم
قذى سهروا منه الليالي وسهدوا
بلى، يشهد الأحرار شرقا ومغربا
وحتى العدى كرها بذلك تشهد
صرامته في الحق أعشت عيونهم
كذلك يعشي إذ يسل المهند[44]

ثم ألم يسجل التاريخ لجلالته اهتمامه بالدين الإسلامي الحنيف، ورعايته لمصادره من كتاب وسنة ؟ ألم تتعدد منجزاته في هذا المجال، وخاصة منها ما فتحه جلالته من مراكز ومعاهد يتعلم فيها أبناء شعبه شؤون دينهم، كدار الحديث الحسنية، والكتاتيب القرآنية،

41) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 151.
42) محمد الكبير العلوي، ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 99.
43) أحمد الجمالي، ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 154.
44) إدريس الجائي، ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 43.

والدروس الحسنية في شهر رمضان المعظم، علاوة على المسيرة القرآنية في ذات الشهر، والمصحف الحسني...

في عهده شيدت مساجد جمة
وأضحى مجال العلم بالعلم زاهيا
وجند في دار الحديث لحفظه
شبابا فجلى للمعارف واعيا
دروس ضريح سنة علوية
أعادت لنا من كان للعلم راويا
ولكنها في عهده قد تبلورت
بدرس له لما يزل متساميا
وفي فتحه الكتاب للطفل حاجز
تنبه من جافي وأصبح ناسيا[45]

ولكم كان العلم - ولا يزال - يحظى باهتمام كبير من جلالته، يشمله بوافر العناية والعطف، ويوليه واسع الرعاية والحدب، وهو موقف تغنى به شعراء العرشيات كثيرا، أذكر منهم الشاعر عبد الواحد أخريف إذ يقول :

العلم أنت نجيه وسميره
شهدت بذا الآصال والأسحار
تقضي الليالي كي تحل عويصه
حتى يزورك بالضياء نهار[46]

والشاعر عبد القادر المقدم إذ يردد :

ربى النفوس وشدها نحو العلا
كيما تبارى في الفنون وتبدعا
زرع المدارس في البيوت وبثها
أنى حللت، أمدها، متتبعا
ربى العقول وصانها وأجلها
وغزا الجهالة زاحفا ومشرعا[47]

وإلى جانب العلم ونهضته، تعرضت العرشيات إلى اهتمام جلالته بالمجالين الصناعي والفلاحي، وما أصبح المغرب يفخر به من منجزات هائلة في هذين القطاعين، بفضل إيمان جلالته بأن التصنيع أس الحضارات، وأن السدود شرايين الحياة لهذه الأمة :

ورأيت التصنيع أس الحضارا
ت فخصصت للمصانع مالا
وبثثت البلاد طولا وعرضا
تقنيات حبوتها إجلالا
أي ركن في المغرب الحر لم تـ
ـعد أيا ديك سهله والجبالا
وتصديت للفلاحة توليـ
ـها اعتناء وتصطفيها مجالا
ورأيت السدود شريانها الحـ
ـي فأغدقت شأنها إفضالا
شدت منها مفاخرا تتحدى الد
هر خلدا وتبهر الأجيالا[48]

ولم يفت شعراء العرش في هذه المرحلة أن يتعرضوا لمواقف جلالته من القضايا العربية والإسلامية والدولية، وربما كانت قضية فلسطين قطب الرحى في هذا المجال، إذ ما فتئ جلالته يدافع عنها سواء من منبر رئاسته للجنة القدس، أو في المؤتمرات العربية والإسلامية، أو في المحافل الدولية بصفة عامة :

يا دعوة الملك الغالي لمؤتمر
ليصبح العرب صفا غير منفصل
دوى نداؤك في الآفاق فارتعدت
فرائص الظلم من خوف ومن وجل
واستيقن القدس يبكي الجرح أن له
فيك المحرر من جرم ومن دجل[49]

ولعل من أبرز الأحداث التي خلدتها العرشيات في هذه المرحلة استرجاع المغرب لصحرائه، واستكماله لوحدته الترابية، بفضل الجهود الجبارة التي بذلها جلالته، والتي توجها قراره التاريخي الحكيم بالقيام بمسيرة سلمية خضراء، نحو الصحراء، سلاحها كتاب الله تعالى، والإيمان بعدالة القضية والموقف. ولقد أسهمت العرشيات في تسجيل هذا

45) الحاج أحمد بن شقرون، ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 97.
46) الحسنيات، ج 3، ص 109.
47) الحسنيات، ج 3، ص 21.
48) عبد الكريم التواتي، ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 135.
49) علال الهاشمي الفيلالي، ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 75.

الحدث من جوانب شتى، وفي قصائد متعددة، علاوة على ما جادت به قرائح الشعراء في غير مناسبة عيد العرش من قصائد في الموضوع، أملتها فرحة المغاربة باستعادة صحرائهم، واعتزازهم بقرارات ملكهم ورمز وحدتهم.

وإذا كانت النماذج العرشية عزيزة في هذا الجانب، فلعلي أكتفي للاستشهاد بقول الشاعر أحمد الجمالي من قصيدة :

لقـــــد حرر الصحرا وحرر أهلهـــــا
فـولى بهـا عهـد الـدخيل وأدبرا
فـويـل لمن قـد سولت لـه نفسـه
ورام بهـــا شرا، سيغـــدو مكـرا
مسيرتنـــا الخضرا سيخلـــد ذكرهـــا
وتبقى مـع التـاريخ مجـدا مسطرا
بهـــا نـزدهي إن ضمنـــا أي مجلس
نفـاخر قـومـا إن دعينـا ومعشرا[50]

وقول الشاعر عبد الفتاح إمام وهو يصف هذا الحدث وصفا شاملا :

سلــوا مسيرة فتـح عن عـزيمتـــه
لمـا استعـان بنصر اللـه فـانتصروا
مسيرة تـوج القرآن هـــامتهـــا
واللـــــه وفـــق لا حصن ولا وزر
والنـــاس في فرح والكـون في عجب
والأرض تـزجـز لا هـول ولا خطر
مسيرة جمعت من كـل طـائفـــة
من الممـالـك منهـا البيض والسمر[51]

إلى أن يقول :

للـــه يـوم ارتحلنـــا للعين ضحى
والركب في فرح يسعى ويبتـــدر
تكـاد تهتف بـالبشرى جـوانبهـا
وبـالسـلام يحيي الترب والمـدر

قـد حقـق العـزم والأقـدار مـا عجـزت
عنـه الجحـافـل والهنـديــة البتر
نصر من اللـــه لم تركن وســائلـــه
للطـــائرات ولا قـــوس ولا وتر
إنـا سجـدنـا سجـود الشكر حين بـدت
أرض العيـــون ولاح النصر والظفر
عـادت مسيرتنـا بـاليمن ظـافرة
كـأنهم أحرمـوا بـالحـج واعتمروا
فـالحمـد للـه نـال الشعب غـايتـه
وبـات روض الأمـاني زانـه الثمر[52]

والشاعر محمد بن علي العلوي وهو يصف ما آلت إلى الصحراء بعد استرجاعها من نهضة وازدهار :

وجعلت من صحراء، قطرك جنـــــة
تعطي المـزيـد فـواكهـا وحصيـدا
أوليتهـا نعمـا يعـز منـالهـا
ومنحتهـا التحرير والتـوحيـــدا
قـد راقهـا العهـد الجـديـد وشاهـدت
بـالعين فـوق رمـالهـا، التجـديـدا
وبـدت جهـودك في جميـع ربـوعهـا
تعطى الثمـــار وتبعث المـــوؤودا
لـو أنطـق الرحمن رائـع رملهـا
لسمعت من حبـاتـه التمجيـــدا[53]

☆☆☆

ولعلي لا أستطيع في هذا المقال المحدود أن أحيط بمختلف القضايا والمضامين التي تعرض لها فن العرشيات في الشعر المغربي، طالما أنها كثيرة متعددة، وأن المناسبة توحي بفيض زاخر من العواطف والأحاسيس.

على أنني بعد هذا، أود أن أختم بكلمة موجزة عن فن العرشيات هذا باعتباره لونا من الشعر اتخذ له بناء خاصا، وتميز بجملة من الخصائص والسمات، يمكن أن نتبين بعضها من خلال النقاط الآتية :

50) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 154.
51) الحسنيات، ج 2، ص 54.
52) الحسنيات، ج 2، ص 55.
53) الحسنيات، ج 3، ص 26.

• سلكت العرشيات في معظمها، البناء الهيكلي الثلاثي، من مقدمة وعرض وخاتمة، وهي بذلك تسير على نهج الطريقة المألوفة في الشعر العربي، وفي فن المديح منه خاصة. إلا أنها لم تلتزم بما كان يدرج عليه شعراء المديح من مقدمات طللية غزلية، وإنما استبدلت هذا النوع من المقدمات بنوع آخر أملاه جلال الموقف وقدسية المناسبة، إذ راح الشعراء فيه يرفعون تهانئهم إلى صاحب العرش، ويبتهجون بحلول هذا العيد الذي جل شأنه لدى كافة أفراد الشعب؛ وهذه نماذج مقتضبة لهذا النوع من المقدمات :

يقول الشاعر محمد الكبير العلوي في مستهل إحدى عرشياته :

علينـــا أن تـــزف لـــك التهـــاني
ونبـــدع في قصـــائـدنـــا الحســـان
ونعرب عن غرام واهتيـــــــــــــاج
يـــزيـــد وعن وفـــاء مستبـــان[54]

ويفتتح الشاعر الحلوي عرشية له بقوله :

عيـــد أظـــل سنـــاه العرش والـوطنـــا
وبـــايـع الـــدهر فيـــه العـــاهـل الحسنـــا[55]

ويبدأ الشاعر محمد عرفة الفاسي واحدة بقوله :

يـــوم أغر على البـــلاد سعيـــد
فيـــه علينـــا قـــد أطـــل العيـــد
يـــوم لعهـــد مشرق تـــزهـــو بـــه
أرجـــاء شعب مخلص وتميـــد[56]

وفي مطلع إحدى عرشيات الشاعر أحمد الجمالي جاء قوله :

لقـــد أقبـــل العيـــد الكريم مبشرا
فهلـــل هـــذا الكـــون تيهـــا وكبرا
لقـــد أقبـــل العيـــد الـــذي جـــل شـــأنـــه
لـــدى الشعب طرا بـــالـــعـــادة مشعرا[57]

على أن من الشعراء من ربط هذا الاستهلال المباشر بمناخ الطبيعة التي اكتست بجلال العيد حلة من البهاء والرونق، وازدهت عناصرها بالإشراق والفرحة، وهي تشارك الشعب المغربي في تخليد الذكرى وتمجيد المناسبة، على غرار ما نقرأ في مقدمة إحدى عرشيات الشاعر عبد الواحد أخريف :

حفت بطلعـــــــة نـــــوره الأنـــوار
وتضـــــوعت بعبيره الأزهـــــــار
وترنمت في الروض أطيـــــار المنى
تهتـــز من تبراتهـــا الأوتـــار
وجرى اللجين ســـواقيـــا مخمـــورة
قـــد زركشت جنبـــاتهـــا الأنـــوار
وامتـــد فـــوق الأرض سنـــدس سحرهـــا
بجمـــالـــه تتفتـــح الأبصـــار
وانســـاب في أفـــق الريـــاض عبيرهـــا
تفتـــات من نسمـــاتـــه الأسحـــار
مـــا للربيـــع على طـــلاقـــة حسنـــه
يـــزداد بشرا وجهـــه المعطـــار
مـــا ذاك إلا أن عيـــد بهـــائـــه
بـــالعرش قـــد كملت لـــه الأوطـــار[58]

كما أن من هؤلاء الشعراء من يربط هذا الاستهلال بتحديد مفهومه للشعر، وإجلاء وظيفته ومهمته، فهذا الشاعر الحاج أحمد بن شقرون في مقدمة إحدى عرشياته لا يرى الشعر إلا ما كان حكمة وبراعة، وتخليدا لأمجاد العرش وصاحب العرش، يقول :

رأيتـــك يـــا مـــولاي تبني المعـــاليـــا
فجئت بشعر لم يـــزل بـــك شـــاديـــا
ومـــا الشعر لـــو لاهمـــة ومجـــادة
وملـــك وعرش يستحث الـــدواعيـــا

54) الحسنيات، ج 3، ص 138.
55) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 18.
56) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 68.
57) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 153.
58) الحسنيات، ج 3، ص 108.

ومـــا الشعر إلا حكمـــة وبراعـــة

تخـط اثيـل المجـد أخلـد بـاقيـا

ومـا الشعر إلا ترجمـــان عن الـــذي

يغالب في هـذا الـزمان الـدواهيـا...[59]

وإذا كان العرض مرحلة متعة يطرح فيها الشعراء مشاعرهم وعواطفهم، ويخلدون فيها محامد العرش ومكرمات صاحبه، حسبما تقدم في النماذج والاستشهادات السابقة، فإن الخاتمة تكاد تكون نموذجا مشتركا بين معظم هؤلاء الشعراء، إذ نجدهم يختمون عرشياتهم بالدعاء لجلالة الملك، وولي عهده المحبوب، وباقي أفراد الأسرة المالكة. وعلى سبيل المثال لا الحصر، أذكر قول الشاعر محمد الحلوي وهو يختم إحدى عرشياته :

فلتعش للبـــــلاد يحرســـــك اللـ

ـــه وترعى حمـــاك منـــه جنـود

وليعش للبـــــلاد شبلـــــك حتى

يبلـغ الشعب منكم مـــا يريـــد[60]

وقول الشاعر عبد الفتاح إمام في نهاية إحدى العرشيات :

عليـك سـلام اللـه أهـديـه كلمـا

على جـــدكم صلى الإلــه وسلمـا

وسيقت لـــك النعمى ودمت مـوفقـا

وعـاش ولي العهـد شبلـك أنعمـا[61]

• التزمت العرشيات ـ في معظمها كذلك ـ بالاتجاه التقليدي في الشعر، إذ كان النمط الغالب عليها ذلكم القالب الشعري القديم، والمتمثل في القصيدة العمودية المعروفة، ذات الوزن الواحد والقافية المتشابهة، كما تؤكده النماذج والمنتخبات المستشهد بها آنفا. إلا أن هذه السمة لم تكن وحدها في الميدان، وإنما نجد من الشعراء من حاول ركوب أنماط شعرية أخرى كالأناشيد عند الشاعرين علال الفاسي ومحمد الحلوي مثلا، وكالرباعيات أو الشعر الذي يَتَصَرَّفُ في أوزانه وقوافيه كما هو الشأن عند الشاعرين أحمد عبد السلام البقالي وعلى الهاشمي الخياري وأضرابهما.

وللاستشهاد في المجال الأول أشير إلى نشيد العرش للشاعر علال الفاسي، والذي جاء في أوله :

شعلـــة العيـــد أنيري الأفقـــا

إن في نـــورك فجرا أصـــدقـــا

هـــو ذا القلب لـــه قـــد خفقـــا

إنـــــه بشرى سمـــو الـــوطن

هـــو ذا نـــور الأنـــام

كـــاشف سحب الغمـــام

إنـــه نحـــو الأمـــام

شعبـــه هـــاد وحـــاد

نحن حـــول العرش نحكي الأســـدا

إن دعـــا السلطـــان لبينـــا النـــدا

لننيـــل الشعب عيشـــا رغـــدا

ونعيـــد اليـــوم عـــز الـــوطن

لعـــــلاه، لفـــــداه

ولتحقيـــــق منـــــاه

مجـــدنـــا نحمي حمـــاه

في نمـــاء واتحـــاد[62]

وكذلك أشير في المجال ذاته إلى نشيد القمم للشاعر محمد الحلوي الذي استهله بقوله :

أقسمت بـــالأرض وبـــالسمـــاء

وخـــالـــق الأكـــوان والأشيـــاء

والشعب كـــالطـــوفـــان في الصحراء

بصـــانـــع المسيرة الخضراء

وبرجـــالنـــا وبـــالنســـاء

كـــالرعـــد، كـــالبركـــان، كـــالقضـــاء

وبجهـــاد الشعب والفـــداء

وبـــألـــوف الشعب من ورائي

59) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 96.

60) أنغام وأصداء، ص 38.

61) الحسنيات، ج 3، ص 113.

62) ديوان علال الفاسي، جمع وتحقيق د. عبد العلي الودغيري، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الرباط 1984، ج 1، ص 110.

وبجــــــلال الرايـــــــــة الحمراء

وبـــــالأمــــــازيــــغ والغربــــــاء

أن لا أخــون مــــا حييت وطني[63]

أما المجال الثاني فاستشهد فيه بمطلع إحدى عرشيات الشاعر محمد أجانا على شكل رباعيات جاء فيه :

رقص الأطلس يبـــــــــــــــــدي

فرحــــــة العيـــــد السعيـــــد

وانتشى الشـــــــــــــــاطئ بشرا

وتغنى بــــــــــالنشيـــــــــد

☆☆☆

طرب الجـــــــــــــــدول يمشي

جـــــــــذلا نحـــــــــو المصب

هتف الشعب رضيـــــــــــــــا

بـــــــاسما بسمـــــــة حب[64]

• اعتمدت العرشيات في الغالب الأعم على البحور ذات النفس الطويل من بسيط وطويل وما أشبه، ولكنها بين الحين والحين تطلع علينا ببحور ذات نفس قصير، أو بحور مجزوءة كمجزوء الكامل الذي ركبه الشاعر محمد العلمي في عرشية مطلعها :

في هـــــذه الـــــذكرى الجليلـــــه

آي من الصـــــــور الجميلـــــــه

فـــــــــــانظر إلى البشرى بهـ

ـــذا العيـــد والـــدنيـــا خميلـــه

تـــزهــــو بهــــا الألحـــــا

ن والألــــوان والعبر الأصيلـــــه[65]

ولعل شعراء العرشيات، وهم يلتزمون البحور ذات النفس الطويل، كما التزموا القصائد العمودية التقليدية، إنما يدلون بذلك على وفائهم للتراث الشعري المأثور، وخاصة في موضوع المديح، إذا أن شعراء العربية القدامى، من أمثال النابغة وزهير ولأخطل وأبي تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم كانوا لا يخرجون في أمداحهم عن هذا النهج التقليدي المحتذى، والذي احتضنه كذلك شعراء النهضة العربية في المشرق من أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وأضرابهما؛ ومن هنا يكن شعراء العرشيات المغاربة قد تمثلوا النماذج العربية القديمة وأدركوا ما كان يربطها بالموضوع الشعري المطروق من أواصر وصلات، وما كان يؤلف بين المضمون الفكري والنمط الشكلي من علائق ووشائج، فجاءت قصائدهم دالة على هذا الإدراك، مجلية لهذه الوشائج والصلاة.

• لقد اتخذ الشعراء العرشيات مناسبة لأفراز خواطرهم وعواطفهم، وما كان أقواها وأصدقها وأخصبها، وهي خصوبة قاربت القصيدة فيها عند بعضهم المائتي بيت أو تجاوزتها، كما هو الشأن مثلا بالنسبة لعرشية الشاعر محمد العلمي التي مطلعها :

بــك زدنـــا بين الأنـــام فخـــارا

وأقمنـــا فـوق الثريـــا منـــارا[66]

فقد بلغت مائتين وسبعة وأربعين بيتا؛ وإليها نضيف عرشية الشاعر علال الفاسي التي بلغت مائة وثلاثة وستين بيتا والتي بدأها بقوله :

سموت فكــانت دونــك الأنجم الـزهر

وفقت فـلا شمس هنـاك ولا بــدر

وجــاوزت آفـاق الجـلالــة رفعــة

فـدانت لـك الـدنيـا وطـاوعـك الـدهر[67]

ولعل طول النفس الشعري هذا، هو مظهر آخر من مظاهر الوفاء للشعر العربي القديم، الذي كانت تطول قصائده ـ وخاصة ما كان منها في فن المديح، سواء تعلق الأمر بالمشرق أو تعلق بالمغرب، فقد طالت مدائح البوصيري مثلا، وطالت مدائح الفشتالي، وطالت مدائح آخرين، وقبل هذا وذاك طالت المعلقات في العصر الجاهلي إلى أن بلغ بعضها ألف بيت كما هو معروف.

63) الحسنيات، ج 3، ص 19.

64) ديوان وفاء وولاء، ج 2، ص 578.

65) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 199.

66) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 233.

67) ديوان علال الفاسي، ج 1 ص 103.

• بعض العرشيات تميز بظاهرة التكرار التي ليست بالجديدة في هذا اللون من الشعر، وإنما هي ظاهرة عرفها الشعر العربي منذ عهد بعيد، وكان لها عشاقها سواء في المشرق أو الأندلس أو المغرب. ولعل بعض شعراء العرشيات وهم يركبون هذا المنحى في قصائدهم، يجددون في ذلك سبيل إلى بسط مشاعرهم وتأكيد موقفهم، انطلاقا من القولة المشهورة : «الشيء إذا تكرر تقرر»، وكنموذج لهذه الظاهرة أورد أبياتا من عرشية للشاعر عبد اللطيف أحمد خالص يقول فيها :

إن المسيرة في الوجود عقيدة
والفضل للسلطان في إرسائها

إن المسيرة فكرة جبارة
أعيى الورى التفكير في نظرائها

إن المسيرة حققت لبلادنا
عزا رفيعا ساطعا بضيائها

إن المسيرة أعلنت لبلادنا
مجدا أصيلا عم في أفيائها

أن المسيرة أعجزت من دبروا
طمس الحقيقة وابتغا إخفائها

خلاقها الحسن الوفي لشعبه
وبلاده فجزته حسن وفائها

خلاقها الحسن الوفي مخططا
لمراحل التنفيذ في إجرائها

خلاقها الحسن الهمام مراقبا
متعهدا للسير في إمضائها(68)

وبعد أبيات تلح عليه ظاهرة التكرار مجددا فيقول :

الله أكبر رددوها جهرة
أوحى الإمام البر في إعلائها

الله أكبر رددوها جهرة
هزت قلوب الناس في أحشائها

الله أكبر رددوها جهرة
ملأت فضاء البيد من صحرائها

الله أكبر رددوها جهرة
شرع الوزير الشهم في إلقائها(69)

إلا أن هذا التكرار قد اتخذ عند نفر قليل من هؤلاء الشعراء ظاهرة جديدة قد يعزوها صاحبها إلى تشابه المناسبة الباعثة على قول الشعر، وقد يعزوها إلى ولعه بإعادة صوره ومضامينه، والتوقيع على الوتر نفسه في هذه القصيدة وفي تلك، مهما تتابعت السنون. وتتمثل هذه الظاهرة الجديدة في الحفاظ على ذات المضامين والصيغ في قصيدتين مثلا مع اختلاف واحد تخضع له القافية التي تأتي في هذه القصيدة هي غيرها في تلك.

وللاستشهاد في هذا المضمار أقيم مقارنة بسيطة بين قصيدتين للشاعر عبد الكريم التواتي تشابهت مقاطع منهما تشابها يكاد يكون تاما، لا على مستوى المضامين فحسب، بل كذلك على مستوى الصياغة في غالب الأحيان.

جاء في القصيدة الأولى، وهي بعنوان : «أبدا لن يرى الزمان لك الند»، وهي من البحر الخفيف :

وأنا شاعر ترسم في صد
ق عطاكم فاستنطق الأعمالا

رام أمجادكم فأعياه مارا
م، فأغضى مهابة وجلالا

ومضى يرسل الأهازيج والشعـ
ـر، ويشدو تخشعا وابتهالا

صاغ آلاءكم عقود جمان
أكسبته محاسنا وجمالا

ودلو صاغ قلبه زهرات
عطرات الولاء معنى وقالا(70)

68) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 344.
69) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 345.
70) ديوان وفاء وولاء، ج 1، 133.

وجاء في القصيدة الثانية، وهي بعنوان : «آمن الشعب أنك الخير»، وهي من البحر الخفيف أيضاً :

وأنـــا شـــاعر ترسم في صـــد
ق هـــداهـــا وسجـــل الأصـــداء
رام تخليـــــــــــــد شعره وتمنى
مـــا أذاب الحشـــا وأدمى الـــدماء
رام أمجـــادكم فـــأعيـــاه مـــارا
م، فـــأغضى أمـــامهـــا إغضـــاء
ومضى يرســـل الأهـــازيـــج والشعـ
ـر، ويشـــدو تعلـــلا واحتـــذاء
صـــاغ آلاءكم عقـــود جمـــان
أكسبت شعره المنـــدى بهـــاء
وهـــو لـــو يستطيـــع صـــاغ حنـــايـــا
ه أكـــاليـــل نـــاطقـــات ولاء[71]

وجاء في الأولى كذلك :

أرجف القـــائلـــون أنـــك ثـــان
وأتـــاهـــوا التـــاريـــخ والأجيـــالا
إنمـــا أنت في المحـــامـــد فرد
عـــز شـــأنـــا ومرتقى ومنـــالا[72]

وجاء في الثانية :

أرجف القـــائلـــون أنـــك ثـــان
وأتـــاهـــوا التـــاريـــخ والأنبـــاء
إنمـــا أنت في المحـــامـــد فرد
عـــز شـــأنـــا وهمـــة وإبـــاء[73]

وجاء في الأولى أيضا :

ورأيت التصنيـــع أس الحضـــارا
ت فخصصت للمصـــانـــع مـــالا
وبثثت البـــلاد طـــولا وعرضـــا
تقنيـــات حبـــوتهـــا إجـــلالا

أي ركن في المغرب الحر لم تـــ
ـــعـد أيـــاديـــك، سهلـــه والجبـــالا
وتصـــديت للفـــلاحـــة تـــولـيـ
ـهـــا اعتنـــاء وتصطفيهـــا مجـــالا
ورأيت الـــسدود شريـــانهـــا الحـ
ـي فـــاغـــدقت شـــأنهـــا إفضـــالا
شـــدت منهـــا مفـــاخرا تتحـــدى الـــد
ـهر خلـــدا وتبهر الأجيـــالا[74]

وجاء في الثانية :

ورأيت التصنيـــع أس الحضـــارا
ت فـــأعليت شـــأنـــه إعـــلاء
وبثثت البـــلاد طـــولا وعرضـــا
تقنيـــات حبـــوتهـــا إنمـــاء
كـــل ركن في المغرب الحر روتـ
ـــه أيـــاديـــك البر والـــد أمـــاء
ولقـــد همت بـــالفـــلاحـــة ترعـــا
هـــا وترعى أبنـــاءهـــا الأوفيـــاء
ورأيت الـــسدود شريـــانهـــا الحـ
ـي فـــأوليت للـــسدود اعتنـــاء
شـــدت منهـــا خـــوالـــدا يتحـــدى الصـ
ـنع فيهـــا الأهرام والقـــدمـــاء[75]

وكذلك جاء في الأولى :

حسن مـــا أرى مفـــاخرك الجـ
ـلى لهـــا منتهى سنـــا وكمـــالا
عجـــز الشعر أن يفي حقهـــا وصـ
ـفـــا فـــأمسى ينمـــق الأقـــوالا
ذاك شـــأوي من قـــدره فتقبلـ
ـــه جميـــلا تضفي عليـــه جمـــالا
وأقـــل عثرتي فقـــد كـــل إعجـــا
زي ونـــاءت كـــواهلي أثقـــالا

71) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 182.
72) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 135.
73) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 183.

74) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 135.
75) ديوان وفاء وولاء، ج 1، ص 184.

وأنـــــامـــــا بلغت ســـؤلي ولكن
ذاك حبي أرسلنـــــــه أمثـــــــالا[76]

وجاء في الثانية :

حسن مـــــا أرى مفــــــاخرك الجـ
ـلى لهـــا منتهى فـــأدري ابتـــداء
عجـــز الشعر أن يفي حقهـــا وصـ
ـفـــا فـــأمسى ينمــق الأنبيـــاء
ذاك شـــأوي من قـــدرهـــا فتقبلـ
ـــه فقــد كـل وصفي عنهـا ونـــاء
وأقـــل عثرة الــــذي بـــولي العهـ
ـــد يرجـو في حقـــه الإغضـــاء
شبـل ملـــك لـــه الأمـــازيـغ والعر
ب في إكبـــار يخلصـــون الـــولاء[77]

☆ ☆ ☆

وأخيرا، فإن فن العرشيات في الشعر المغربي، يظل موضوعا يستحق أكثر من مقال أو دراسة، نظرا لما يجسده من عناصر الالتقاء والالتحام، وأواصر المحبة والتعلق، بين عرش درج على رعاية الأمة وضمان نهضتها وتأمين وحدتها واستقرارهـا، وبين شعب درج على الوفـاء والـولاء لهـذا العرش، واستصغر النفس والنفيس في سبيـل استمراريتـه ودوامه، وكأن أفراده جميعا قد أنـابوا عنهم من تحـدث باسمهم، وعبر عن حقيقة عواطفهم فقال :

وفـــائي لهـــذا العرش مـــا كنت تعهـــد
وحبي لأحفـــــاد الشريف مـــؤبـــد
ألا فـــاشهـــدوا أن الـــوفـــاء شريعتي
لمن قلـــدوا الفخر التليـــد وقلـــدوا[78]

☆ ☆ ☆

المحمدية : عبد الجواد السقاط



76) ديوان وفاء وولاء، ج ١، ص 136.
77) ديوان وفاء وولاء، ج ١، ص 185.
78) الشاعر إدريس الجائي، ديوان وفاء وولاء، ج ٦، ص 43.

الشخصية المغربية من خلال أدب الجهاد

للأستاذ عبد الله بنصر العلوي

«أقول وأؤكد أن الجهاد يشمل كل شيء لا استثنى نهاية فكرة الحرب لأن الرجل يموت للدفاع عن عقيدته، يموت للدفاع عن بلده، يموت للدفاع عن أسرته، يموت للدفاع عن كرامته، فما هي كرامة المسلمين إذن، إذا ـ كلما ـ داسهم العدو في شرفهم وفي إسلامهم وفي أموالهم وفي أعراضهم وفي عقيدتهم، فما هي إذن قيمتنا إذا نحن استسلمنا تمشيا مع حضارة القرن العشرين واستثنينا نهائيا العمل العسكري، أنا لا استثنى أي شيء وإنما أقول آخر الدواء الكي علينا أن نجرب كل شيء وإن نركب جميع المسالك، وأن نطرق جميع الأبواب، وأن لا نترك فجا إلا وصلنا فيه الأولين. ولكن إذا لم يكن من الموت بد فمن العيب أن تموت جبانا»[1].

صاحب الجلالة الحسن الثاني

يمثل أدب الجهاد أو المقاومة أو النضال أو التحرير[2] واقعا طالما ناشده الأدباء والعلماء في المغرب قصد التعبير عن مواقفهم الدينية والوطنية، لما في ذلك من استجابة للواقع ووعي بمتطلباته. وتلك سمة الشخصية المغربية التي اختارت الحرية ودافعت عنها بالعقيدة والسلاح. ومساهمة الأديب والعالم في هذه الاستجابة تنطلق من الرؤية والمعاناة. ومن ثم، كان كل من المعرفة والإبداع نضالا لإثبات الكيان وجهادا للحفاظ على العقيدة وتحريرا لما احتل من أراضيه ومقاومة لمن ناوأه الخداع والعداء.

إن الأدب المغربي في مسيرته الابداعية يحمل واقعه ويصدر عن طبيعة حساسة واعية بما تؤول إليه البلاد أيام المحن والأخطار المحدقة بها. ومثل هذا النزوع كان نابعا من الرؤية العامة للفكر المغربي، إذ توارت الذاتية بكل عوامل تأثرها وتفوقها ليسود الضمير الجماعي للتعبير عن الأمل الذي يصبو إلى تحقيقه الجميع، ألا وهو النصر والوحدة والحرية. لذلك كان الجهاد أو المقاومة أو النضال والتحرير ظاهرة في الأدب المغربي عبر تاريخه، لأن الأجنبي ـ باعتباره صليبيا ومحتلا ـ كان دائما بأبواب

1) قال جلالة الملك الحسن الثاني 1977 ـ 1983.

2) راجع دراستنا لهذه المصطلحات في محاضرات الأدب المغربي السنة الثالثة. كلية الآداب. فاس. (مرقون).

الثغور يقرع بالتي هي أشد وأقوى، فيجد مقاومة بالسلاح نضالا بالكلمة حبا في تحرير الأرض وتحقيقا للجهاد.

ويمكن استجلاء هذه المعطيات في الأنماط الابداعية لتالية :

1 - الرسائل الثغرية.

2 - أدب الاستصراخ.

3 - أشعار الفتوح

ولا يكاد يخلو ثغر من ثغور الغرب الإسلامي تعرض للاحتلال إلا وتمثل إبداع هذه الأنماط التي تصور شراسة المحتل وضياع الأهل والمال والخوف على الدين، وتدعو إلى التشبث بقوة العزيمة والحث على الجهاد والاستشهاد. ويكفي أن نشير إلى موقف المغرب من سقوط مدن الأندلس على يد الصليبيين. فقد خاض المرابطون والموحدون معارك جهادية كالزلاقة والأرك لاسترداد الثغور والحصون الأندلسية، وكان الأدب المغربي صورة عن عصره، استجاب لاستصراخ الأندلس ودعا إلى الجهاد وهنأ بالفتوح، كما في قصائد ابن حبوس والجراوي وسليمان الموحدي... وحاول المرينيون الدفاع عن الأندلس، وكان الأدب في عهدهم استنفارا للجهاد كما في قصائد ابن المرحل والملزوزي وابن تاتدرارات... وفي العصر السعدي - خاصة أيام أحمد المنصور - أصبحت الدعوة إلى اجتياز الأندلس مطلبا ملحا لدى الشعراء أمثال عبد العزيز الفشتالي والمسفيوي والهوزالي... كما كان لمعركة وادي المخازن تأثير كبير في الأدب السعدي جسد الشعور بالقوة والانتشاء بالنصر والسعي إلى الجهاد.

لقد كان سقوط الأندلس بيد الصليبية وبالا على المغرب إذ تجرأ عليه البرتغال والإسبان واحتلوا الكثير من ثغوره. ومن ثم نجد أصداء الجهاد والمقاومة في كثير من نصوص الأدب المغربي في العصر العلوي، ويكفي أن نشير إلى الحركة الأدبية التي شهدتها فتوحات مولاي اسماعيل[3]، وحروب إيسلي[4] وتطوان[5] والريف[6] والمناوشات الاستعمارية[7]، وحروب التحرير وثورة الملك والشعب والمسيرة الخضراء لتحرير الصحراء[8]، مما كون ظاهرة أدبية مزدهرة متواصلة الحلقات شكلت تراثا، يقول عنه الدكتور عباس الجراري أنه : «أداة حاسمة في الصراع والمواجهة ظهرت فعاليتها أيام المحنة والكفاح، ومازالت هذه الفاعلية قادرة على التأثير باعتبار التراث ملاذا تؤول إليه الأمة عند الشدائد يضم صفوفها ويشحنها بالطاقات اللازمة عند التعبئة، ثم هو بعد هذا ملك جماهير الأمة وخيط الاتصال بها على الدوام - ولا حق لأحد أن يسلبها إياه»[9].

لذلك كان أدب الجهاد بالمغرب سبيلا لبلورة موقف فعال استجاب لمعطيات حضارية ودينية وفكرية برزت في شؤون المعرفة والابداع والواقع مثلما تفرزه اشعار عبد الواحد البوعناني وعبد السلام القادري ومحمد بن علي الرافعي وعبد السلام جسوس ومحمد بن زاكور ومحمد بن الطيب العلمي وحمدون بن الحاج وسليمان الحوات ومحمد بن إدريس العمراوي ومحمد بن محمد غريط والمفضل أفيلال والطاهر بن محمد الإيفراني ومحمد بن شقرون وعبد الرحمن الدكالي وعلال الفاسي ومحمد الحلوي والوديع الأسفي وكثيرهم الشعراء الذين تفاعلوا مع الأحداث والوقائع واستجاب إبداعهم لمواقفهم البطولية حيث كان الجهاد الطابع البارز، وكانت المقاومة الظاهرة العامة مما حقق تواصلا بين الأجيال وتمثلا للرؤية الفكرية التي تبلور جدلية فاعلة بين الفكر والإبداع والواقع[10].

---

3) راجع : تاريخ الضعيف / تاريخ تطوان لداود / الاستقصا للناصري.

4) راجع : النضال في الشعر المغربي لعباس الجراري ص 14 - 31.

5) راجع : تاريخ تطوان لداود ص 250/5 - 274.

6) راجع : الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية لإبراهيم السولامي.

7) راجع : النضال في الشعر المغربي.

8) راجع : مساهمات الشعراء المغاربة في العديد من المجلات والجرائد. انظر بعض القصائد في :

- الحسنيات - وزارة الأنباء ج 1 و2 و3.

- ولاء ووفاء - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

9) راجع : مقالته : الثقافة المغربية في ظل صاحب الجلالة الحسن الثاني. دعوة الحق ع 257 ص 34.

10) راجع دراستنا : «أصداء المقاومة لتحرير سبتة في الشعر المغربي خلال العصر العلوي» قدمت في إطار موضوع : المغرب في العهد العزيز إلى 1912» الذي نظمته الجامعة الصيفية في المحمدية : 1987.

وفي إطار ذلك التواصل وهذه الرؤية يتضح المنهج لاستجلاء الشخصية المغربية. ومن ثم، يمكن تلمس بعض معالم نصوص أدب الجهاد بالمغرب، فهي تشكل :

أ - جهادا كبيرا ضد الصليبية للحفاظ على الدين والتراث الإسلامي.

ب - ومقاومة مستميتة للدفاع عن الهوية والانية المغربية.

ج - ونسقا فكريا في التراث المغربي إسلامي الروح وقومي النزعة وإنساني البعد.

ونحاول أن نعرض - من خلال الأنماط الآنفة الذكر - لثلاثة نصوص تعبر عن أدب الجهاد لإبراز الشخصية المغربية في حرصها على الجهاد لإثبات مقومات الدولة المغربية في الحفاظ على نقاء السريرة وصيانة الوحدة الوطنية.

فمن الرسائل الشعرية ما وجهه علماء فاس إلى المجاهدين المحاصرين سبتة السليبة على عهد مولاي اسماعيل[11]. ونقتطف من إحدى الرسائل قول محمد بن عبد الرحمان البكري الدلائي :

«فالصبر الصبر أيها الناس، في مواطن الحرب والباس، والعزم والإقدام، وثبات الأقدام. والتقدم إلى الإمام، والاستنصار بالملك العلام.

الله الله ! لا تولوهم الأدبار، أو تنكصوا على أعقابكم فتبوؤوا بسخط الجبار. ولا يهولنكم ما ترون من العدد والعدة للكافرين، فانها لا تغني **﴿شيئا ولو كثرت وان الله مع المومنين﴾**».

ثم يشير مؤلف الرسالة إلى ضرورة تخليص سبتة من الاحتلال بإعلاء كلمة الله وقتال من كفر به آملا دفع الباطل وتبديل النواقيس بالأذان والكنائس والبيع بمساجد يعبد فيها الديان، يقول :

«ويخلص الله على أيديكم هذه البقعة من الكفر، وتستنقذونها - إن شاء الله - من بين ناب وظفر. وتفتح - بحول الله وقوته - هذه المدينة التي طالما وهي أسيرة ! وعلى أيدي الكفار - منذ زمان - كئيبة حسيرة ! بعدما كانت دار إسلام، ومطالع شموس وإعلام. ومعاهد تسبيح وتقديس، ومحافل علوم وتدريس».

ويتساءل عن ماضيها المجيد، ويصف حالها قائلا :

«فأين روضها الفائح، وكوكبها المنير اللائح، وعاضها الذي لولاه ما فاحت تلك البطائح. وأين قطب العارفين بالله، ومناخ ركاب أولياء الله. سبتيها الشهير، أبو العباس الولي الكبير. وغيرهم ممن لا نعلمهم، **﴿الله يعلمهم﴾**».

«لبست البلاد بعدهم ثوب إحداد ! وطلع فيها كوكب نحس بعد إسعاد ! وعكست حظوظها الليالي ! وغابت منها شموس العلم والمعالي ! واستبدلت بالسعادة والشقاء والعذاب ! وصارت - بعد أن كانت دار علم وعبادة - مأوى الخنازير والكلاب ! يبكي عليها الدهر من لم يكن باكيا ! أو يتالم عند رؤيتها من مر بها رائحا وغاديا !».

«الله الله ! يا أهل لا إله إلا الله ! ويا أهل غارة الله ! ويا حملة كتاب الله ! ويا أمة رسول الله !»[12].

وهذه الرسالة تعبر عن رؤية إسلامية تبث الحماس في النفوس وتحضّ على الجهاد. رؤية تحمل إيمان صاحبها وتأثره بفداحة احتلال سبتة وضياع ماضيها العلمي والديني. ومثل هذه الرؤية تكشف عن دلالة أساسية تستوحي موقفا من الواقع - من خلال المعاناة - فالدعوة إلى الجهاد سبيل للحفاظ على الدين والبلاد والشخصية. أما أسلوب الرسالة فلا شك أنه - بمعجمه - يجسد نفس الرؤية. فالنغمة الخطابية ووسائلها الفنية من سجع وتكرار واقتباس وترهيب وترغيب،... نهجت طريق السلاسة والوضوح.

وفي أدب الاستصراخ قصيدة طويلة للطاهر بن محمد الإيفراني يخاطب فيها شيخه أبا العباس الجشتيمي ويذكر ما يهدد المغرب في الاحتلال منذ بدأت المناوشات الاستعمارية تتربص به. يقول :

«فيا بدر أفق الدين ياليث غابه
ويا غوث ملهوف ويا خير منجد

11) راجع : رسائل علماء فاس إلى المجاهدين المحاصرين سبتة لمحمد إبراهيم الكتاني. مجلة الثقافة المغربية ع 4 ص 61 - 86.

12) ن.م. ص 66 - 67.

تدارك دماء الدين واسمع صريخه
وشمر إلى نصر الهدى وتجلد
فقد انشب الكفر المداهن نابه
ومد إلى سرح الهدى كف مفسد
وكاد بأنواع المكايد أهله
وصار ينادي خامري وتلبدي
أسر احتساء في ارتغاء ومآله
سوى الدين من مرمى يرام ومقصد
وقد بلغ السيل الزبى بظهوره
وإن لم يداو العر بالكي يزدد

وفي القصيدة استنفار للجهاد :

يجاهد في الله العظيم عدوه
بإقدام ليث في الكريهة مجرد
يشب لظى الهيجا بقلب مشيع
وكف بصير بالطعان معود
وإطراق ثعبان وكيد ثعالة
وتصميم فهد في جراءة فرهد
ويختال ما بين الصفوف كأنه
عروس تهادى بين خود وخرد
على كل طرف سابح ومطهم
قوى القرا عبل كصرح ممرد
ببيض سيوف أو بسمر مدافع
مزلزلة إن يبرق السيف ترعد[13]

وهذه القصيدة دعوة صريحة إلى الجهاد والاستشهاد لمقاومة الكفر والاحتلال، كما هي صورة نابضة بالقوة والحياة، مما يجعل صاحبها الطاهر ابن محمد الإيفراني شاعر الجهاد والمقاومة الشعبية التي ظهرت بالجنوب[14]، وإن لم يكن أسلوبها شعبيا. لأنه يحمل كثيرا من الجزالة والقوة كمعظم شعراء الجنوب الذين يمثلون مدرسة بدوية في الشعر المغربي استوت فيها الصناعة والإبداع، وكان معجمهم الشعري رصينا وصورتهم الشعرية قوية، وبذلك قاربوا شعر الفحول[15].

ومن شعر الفتوح قصيدة لمحمد الحلوي يصف فيها «العبور الأكبر» لتحرير الصحراء ويتغنى بفخار الشعب يوم حقق جهاده. يقول في مطلع القصيدة :

أي شعب أنا ؟ وقد سار خلفي
كل شعب كأنه من جنودي
أي شعب أنا ؟ وأي فخار
أنا منه متوج بالورود
أي شعب أنا ؟ وقد مضى العا
لم يرنو لموقفي المشهود
يرصد الزحف في مواكبه الخضـ
ـر ويهفو لفتحي الموعود
وقف الخلق ينظرون لزحفي
وهديري في الكون مثل الرعود
وأنا كالأعصار يعوي وكالسيـ
ـل أتيا ملء الربى والنجود

ولم تكن المسيرة الخضراء الاجهاد الملك والشعب في سبيل إنقاذ الصحراء من براثن الجهالة والضلال، ومن احتلال الاستعمار الغاشم. ومن ثم لم يكن تحرير الصحراء أو «العبور الأكبر» إلا مسيرة متواصلة للجهاد الذي اتسم به المغاربة عبر العصور لبلورة الشخصية المغربية في مساهمتها الفعالية لحفظ الدين واللغة.

ولا شك أن هذه المسيرة ـ باعتبارها حدثا رائعا يسجله التاريخ للمغاربة، وباعتبارها إرهاصا للإبداع يستوحي منها الأدب الكثير من المعطيات، وباعتبارها جهادا في سبيل الله لإحلال الهدى ـ جديرة بالتقدير لأنها مكنت الشخصية المغربية من مقومات جديدة.

13) راجع : سوس العالمة لمحمد المختار السوسي ص 115.
14) النضال في الشعر المغربي ص 67.
15) راجع : ـ نصوص المعسول وسوس العالمة.
ـ ديوان الأبحر المعينية في بعض الأمداح المعينية للشيخ محمد الغيث النعمة. دراسة وتحقيق أحمد مفدي. مرقون. كلية الآداب. فاس.

يقول الشاعر محمد الحلوي في نفس القصيدة :

ذعر الغرب من مسيرة شعب
حـل فيهـا الهـدى محـل الحـديـد
فتـداعى بنـوه من كـل صـوب
ليروا زحفنـا لأرض الجـدود
بـالمصـاحيف مشروعـات وبـالأغ
ـصـان نسعى لفـك اعتى القيـود
وتعـالت اللـه أكبر في كـل
كثيب وعبر وهم الحـدود
حـدث رائـع يسجلـه الـدهـ
ـر لشعب مـؤهـل للخلـود[16]

وفي هذه القصيدة غنائية تمجد هذا العبور الأكبر ـ الجهاد، استطاع صاحبها أن يعكس ثورية المسيرة في عمل إبداعي لأنها تحقق الامداد والاستمرار والتجدد والتطور لحدث مليء بالمواقف والدلالات والإبداع أكسب التجربة الشعرية رؤية، وللشخصية المغربية فعلها الجهادي سمات متميزة.

إن دراسة أدب الجهاد بالمغرب لاستجلاء الشخصية المغربية يمكن الباحث من معطيات متعددة الجوانب، منها :

أ ـ إن أدب الجهاد يهدف إلى التعبير عن الوقائع والأحداث، وإلى التعبير عن المواقف والمشاعر، وهو بذلك بشكل وثيقة لها حضور فعال في الواقع، ورؤية إبداعية للحدث، واستشراف لاستكمال الوحدة الترابية بتحرير ما تبقى من الثغور والجيوب.

ب ـ إن أدب الجهاد يستمد من الروح الإسلامية ومن الشعور الوطني ومن الانتماء الإنساني ما يحفز على العمل لاقرار الوحدة والحرية، وبذلك كان الجهاد ـ باعتباره طابعا للمقاومة والوطن والثورة ـ رؤية واضحة المعالم والسمات.

جـ ـ إن أدب الجهاد ـ وإن لم يجانس بعضه بين التجربة الإنسانية والصياغة الجمالية ـ فإن له دورا هاما في بعث الهمم حتى لا تستكين للاستسلام. وفي ذلك إبداع ـ دون شك ـ لواقع الذات والجماعة.

د ـ إن أدب الجهاد لا يمثل في البحث والدراسة إلا جوانب أو أصداء، نظرا لما تعانيه الدراسات المغربية ـ وخاصة فيما يتعلق بمجال الإبداع ـ من إشكالات وعوائق، بعضها يصطدم بالرؤية والمنهج، وبعضها يواجه صعوبة كبيرة لقلة المصادر من جهة، ولتشتت النصوص الدفينة في عدة مصادر ذات ألوان معرفية مختلفة من جهة ثانية. لذلك أوجه عناية الباحثين إلى الاعتناء بأدب الجهاد، وذلك بجمع النصوص ودراستها. وما مقالي الاساهمة في بعض جوانب الشخصية التي يجب المحافظة على مقوماتها لتستمر فعالة نابضة بالقوة والحياة.

فاس : ذ. عبد الله بنصر العلوي



16) الحسنيات ص 265/1.

ملامح من الحياة الثقافيّة في العهد اليوسُفي

للأستاذ محمد احميدة

تمثل فترة المولى يوسف، المرحلة الأولى لعهد الحماية، ولا شك أن الساحة الثقافية خلال هذه المرحلة التاريخية تفاعلت مع مجموعة من الأحداث كان الفكر فاعلا فيها ومنفعلا بها. وسنحاول في هذا المقام أن نقارب الوضع الثقافي في فترة معينة، من جوانب محددة، سعيا إلى تقديم ملامح عن اهتمامات الوسط الثقافي عهدئذ.

إن الدارس للمرحلة اليوسفية من تاريخنا، يلحظ أن الساحة الثقافية لم تكن راكدة، وأن أسماء عديدة كانت تبرز في هذا المجال أو ذاك. فهناك اهتمام بالعلوم الإسلامية، وجدل في القضايا التاريخية، واحتفال كبير بالشعر والشعراء، كل ذلك ينم عن وجود تحركات ثقافية، لها اهتماماتها ومشاغلها، مهما كانت النوعية والحجم.

تستوقفك في هذه المرحلة أسماء علماء حملوا مشكاة الحركة السلفية في بلادنا في هذا العهد اليوسفي كأبي شعيب الدكالي، وتلفت النظر كتابات تاريخية لمهتمين كعبد الرحمان بن زيدان، ومحمد بن علي الدكالي السلوي، ومشاركات فقيه أديب كمولاي أحمد بن المامون البلغيثي، إلى احتفال بالشعر من خلال مساهمات شعراء كمحمد بوجندار وعبد الله القباج...

مثل هذه الأسماء وغيرها، تنوعت كتاباتها واهتماماتها، استطاعت أن تسهم في إثراء الساحة الثقافية عهدئذ تدريسا وكتابة.

فما هي طبيعة القضايا التي كانت تشغل الساحة الثقافية عهدئذ ؟ وما هي اهتمامات مثقفي هذه الحقبة التاريخية ؟

يبدو لدارس هذه المرحلة أن القضايا الشاغلة متنوعة وعديدة، وسنحاول عرض بعض منها، تقربنا من الصورة العامة للحياة الثقافية في العهد اليوسفي.

من هذه القضايا ما كان له علاقة بالمجال الديني. ونحن نعلم أن الثقافة الإسلامية تشكل حيزاً كبيراً داخل الوسط الثقافي عهدئذ، ومن ثم كان لابد أن تثير المواضيع التي لها علاقة بهذا المضمار، اهتمام الفقهاء والأدباء. ومن بين القضايا التي ثار حولها نقاش، وحركت الأقلام خلال هذه الفترة، مسألة صحة التبليغ عن رؤية الهلال بواسطة التلغراف. لم تكن القضية جديدة في الساحة الثقافية المغربية، وطرحت قبل هذا التاريخ بالمشرق العربي، وقدمت إجابات عديدة في الموضوع.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن القضية مسألة سطحية، بيد أننا نرى في مناقشتها واهتمام فقهاء وأدباء الفترة بها، حدثا يعكس أبعاداً تتجاوز الوقوف عند حدود صحة التبليغ بالتلغراف أو عدم صحته، لتصبح - فيما يبدو لي - مظهراً الصراع بين فئتين من المثقفين العلماء، كلٌّ يمثل موقفاً معيناً.

ففي سنة 1333 هـ ـ 1915م عين المولى يوسف لجنة من العلماء، يرأسها الشيخ الفقيه شعيب الدكالي للنظر في هذه المسألة : هل يصح الإخبار برؤية هلال رمضان أو العيد بواسطة التغراف ؟

وأفرزت هذه اللجنة جملة من الاجتهادات في كتابات، وكان من الذين ساهموا بآرائهم في هذه القضية الأديب محمد بوجندار. فقد دون كتابا أسماه... «إتحاف الاشراف بحكم العمل بخبر التغراف»،[1] غير أنه توقف عن إكماله، ووضع مختصرا له بعنوان : «الإنصاف في مسألة العمل بخبر التلغراف».[2] انشغال الوسط الثقافي عهدئذ بهذه المسألة يضعنا أمام قضية فكرية انشعب حولها الفقهاء إلى فريقين : فريق لا يقول بصحة الاخبار عن رؤية الهلال بالتلغراف، وفريق لا يرى مبرراً لهذا الإبطال.

والحق أن الموقفين يبينان عن صراع بين فئة اتسعت آفاقها الفكرية لقبول الجديد، ما دام هذا الجديد لا يتعارض وتعاليم الإسلام الجوهرية، وفئة ثانية تنظر بعين الريبة لهذا الاختراع القادم من ديار الغرب.

لقد كان محمد بوجندار واحدا من الذين عبروا عن وجهة نظرهم في القضية بجرأة ووضوح. فنادى باستخدام التلغراف لنقل الخبر برؤية الهلال. فهذا الاستخدام يخدم الصالح العام للمسلمين. وموقف كهذا يدل على نوع من التفتح وقبول الجديد، كما يشي بأفق فكري غير متزمت.

أما الفئة الرافضة فتعكس موقفا متشددا تجاه ما هو قادم من الغرب. وقد ينظر إلى هذه الآلة كإنتاج يهدف إلى غزو قيمنا وتقاليدنا، وبالتالي فإنه لا يحمل خيراً للمسلمين، خاصة عندما ينظر إلى هذا الإنتاج الدخيل كجهاز آت من ديار الكفر !

وإلى جانب القضايا الدينية، حظيت الكتابة التاريخية عهدئذ باهتمام كبير، وعرفت الساحة الثقافية على عهد المولى يوسف أسماء كانت لها إسهامات قيمة في هذا الباب. فكتابات عبد الرحمان بن زيدان، ومحمد بن علي الدكالي السلوي، ومحمد بوجندار، وعبد الحفيظ الفاسي، أثارت الكثير من النقاش والجدل، أثرى الوسط الثقافي. وربما كان إنتاج الأديب محمد بوجندار من الكتابات التي خلقت ردوداً، وأذكت الجدال، خاصة ما كتبه عن شالة وآثارها. فقد نشر هذا الأديب بجريدة «السعادة» سلسلة من المقالات،[3] تناول فيها بالحديث هذا المركز التاريخي، غير أن بعض آرائه لقيت نقداً من أقلام بعض المهتمين، وتراوحت الردود بين المنافحة والمناقضة. لقد تحدث محمد بوجندار في مقالاته عن شخصية يحيى بن يونس دفين شالة، ذاكراً أن هذه الشخصية لا تعرف لها ترجمة، مستنداً في ذلك إلى رأي أبي علي اليوسي الوارد في محاضراته،[4] وكانت هذه الإشارة إعلان بداية ذلك النقاش الحاد الذي دار بين الكاتب ومنتقديه. وربما كان الفقيه عبد الحفيظ الفاسي، أبرز من دخل في جدل مع محمد بوجندار حول هذه القضية. بدأ الفقيه عبد الحفيظ الفاسي رده على أعمدة السعادة، ليصبح الرد بعد ذلك كتاباً يطبع تحت عنوان «الانتصار بالواحد القهار في إبطال نقض أبي جندار»[5] وتطور النقاش ليصبح سجالاً بين فريقين :

فريق يعضد أديب الرباط محمد بوجندار، وآخر يساند الفقيه عبد الحفيظ الفاسي. فلما صدر كتاب «الانتصار بالواحد القهار»، طلع الفريق الجنداري برد لتفنيد آراء الخصم، بعنوان «تحقيق الانكسار لمدعي الانتصار على صديقي أبي جندار» دونه الشاعر محمد الجزولي بانتداب من جماعة «النادي الجنداري».

يقول محمد الجزولي :[6] «لما برزت الرسالة المعنونة بالانتصار بالواحد القهار، عقد النادي الأدبي جلسته الاعتيادية للمباحثة في شؤونه العلمية الأدبية. فكان من جملة ماراج ذكره تلك الرسالة التي هي كنخالة في ماء غسالة، نظراً لما فيها من الفلتات والسقطات والهفوات

1) محمد بوجندار : الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، 1 : 88.
2) طبع سنة 1916.
3) نشرت بين دجنبر 1921 وغشت 1922.
4) الحسن اليوسي : المحاضرات، 44. ط. دار المغرب، 1976.
5) طبع سنة 1922.
6) تحقيق الانكسار، مخطوط خاص.

والغلطات وقلب الحقائق والانتقال، وكثرة القيل، والقال الأمر الذي حمل النادي على انتدابي لنقد تلك الرسالة، وهدّ أركانها، ونقض معالمها وتقويض بنيانها».

واتسع نطاق الجدل، وانضم الفقيه محمد بن علي الدكالي السلوي مساندا فريق عبد الحفيظ القاسي، ومنتقدا محمد بوجندار انتقادا جارحاً، لدرجة اتهام أديب الرباط بالسرقة فيما كتبه عن شالة.

يقول ابن علي الدكالي :[7] «وأما قضية سرقة «بو»[8] لتأليف شالة كله، فلو تكلفت التشطيب على ما سرقه من كلامي في التاريخ الكبير، وعلى تأليفي «الدرة اليتيمة في أخبار شالة الحديثة والقديمة، من أول فقرة إلى آخر الكلام على خراب شالة، لم يبق له في تأليفه إلا قشور كلامه التي كلها تمشدق بكلام الغير» من كل هذا يتضح أن هذه المسألة التاريخية استطاعت أن تحرك الوسط الثقافي عهدئذ، وهو تحريك أفرز مجموعة من الكتابات لاشك أنها كانت إغناء للمكتبة المغربية.

وكانت القضايا الأدبية بدورها تثير جدلا ونقاشاً خلال الفترة اليوسفية، هذه الفترة التي عرفت بروز أسماء شعراء وكتاب كانت لمساهماتهم أثر فاعل في الساحة. فما ينشره الشعراء عبد الله القباج، أحمد سيكرج، محمد الجزولي، أحمد بن المواز، أحمد بن المامون البلغيثي، الشنقيطي، محمد بوجندار، وغيرهم، يعمل على تحريك الوسط الأدبي، فتثير قصائدهم أو مقالاتهم، حوارا وقد يذهب الأمر إلى تخميس أبيات أو تشطيرها أو معارضتها، ويميل أديب إلى المقارنة بين القصائد، والبحث عن الشبيه عند شعراء آخرين وقد تنساق بعض الكتابات إلى طرق باب السرقات الأدبية. وموضوع السرقات كان محورا يجتذب الأدباء، ويغريهم بالكتابة. وفي هذا الإطار نقف على نموذج من العهد اليوسفي، ولشاعرين كان كل منهما يهتبل مناسبة عيد المولد النبوي ليقصد في مدح المولى يوسف. وفي سنة 1338 هـ أنشأ الشاعر محمد بوجندار قصيدة يوسفية بمناسبة عيد المولد مطلعها :

صاح لا تغف إذا الدهر غفا
وانتبه تنهب أويقات الصفا

فلما قام الأديب المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان بجمع جملة من هذه القصائد اليوسفية، في كتابه «اليمن الوافر الوفي» أدرجت هذه الفائية منسوبة للشاعر السلوي العربي حركات، مما دفع الأديب محمد بوجندار إلى تنبيه جامع الديوان إلى هذا الخلط، فكتب يقول :[9] «في شهر ربيع النبوي عام ثمانية وثلاثين كنت أنشأت وأنا بالمستشفى تفاؤلاً بالشفا، قصيدة فائية نبوية مولدية، رفعتها بإمضائي الحقيقي إلى السدة الملوكية اليوسفية، ثم نشرتها بإمضائي المستعار في عدد 2015 من هذه الجريدة تحت عنوان : تهنئة الجناب الشريف بالمولد النبوي المنيف... ثم راعني إلا وقد طبع الديوان السلطاني، جمع الأديب النقيب الزيداني (اليمن الوافر الوفي)، فإذا بتلك القصيدة هي هي، بنفسها ونفسها، مدرجة بين قصائد الجزء الثاني، لكن بإمضاء غير إمضائي وعنوان غير عنواني ! بل منسوبة لأحد أدباء سلا، وهو الأديب السيد العربي حركات، كان الله لنا وله في السكنات والحركات».

فيضطر جامع الديوان ابن زيدان إلى توضيح الأمر، وليؤكد أن القصيدة الفائية المشار إليها، قد تلقاها بإمضاء أديب سلا. يقول ابن زيدان :[10]

«فليكن في معلومك أيها الصديق الحميم، أن الفائية المشار لها، هي بإمضاء ذلك الأديب.. «الحذف بالأصل»، وإني بحول الله على نية زيارة تلك الرحاب، بعد عاشر المحرم وأزور حضرتكم وأطلعكم على الأصل بعينه» وفي مقالة ثانية لمحمد بوجندار بعنوان «انتقاد أدبي»[11] يكتب هذا الأديب حول قصيدة للشاعر محمد بن اليمني الناصري نسبها أحدهم إلى محمد بوجندار، ليزيل هذا الإبهام، فإذا أضفنا إلى هذين النموذجين ما كتبه ابن علي الدكالي

7) ورقتان مخطوطتان بالخزانة الصبيحية بسلا، دون رقم ولا حرف.
8) «بو» هو الرمز الذي يذيل به محمد بوجندار إنتاجه المنشور بالسعادة.

9) السعادة، ع، 14 شتنبر 1926.
10) نفس العدد..
11) السعادة، ع، 28 يبراير 1920.

كتعقيب على مقالات بوجندار حول شالة، والذي أشرنا إليه سابقاً، اتضح أن موضوع السرقات الأدبية كان يحظى باهتمام أدباء هذه الفترة، وكانت قضية تداولتها أنديتهم الأدبية وكتاباتهم النقدية.

هذه مجموعة من القضايا تقدم ملمحا عن الحياة الثقافية في العهد اليوسفي، ونوعية الانشغالات الفكرية عهدئذ، وربما تتضح هذه الملامح الثقافية لهذه الفترة حينما تعرض لما كان عليه فن من فنون القول، كان يجد هوى في النفوس عند أدباء الفترة اليوسفية، فماذا عن الشعر عهدئذ ؟

لن ينصرف القلم إلى محاولة تقويم شعر هذه المرحلة، فهذا لا يتسع له المقام، وإنما أسعى إلى الوقوف عند جانب محدد يتعلق بمفهوم الشعر السائد يومئذ هذا المفهوم الذي سيتحكم ولا شك في صياغة النص الشعري عند شعراء المرحلة.

إن الدارس لشعر هذه الحقبة يرصد تواجد مفهومين للشعر : الأول لا يخرج عن النظرة التي ترى في الشعر وعاء جاهزاً يطلب من «الشاعر» ملؤه بمجموعة من الألفاظ والكلمات، هذا المفهوم سنجده عند فقهاء / شعراء ينظرون إلى الشعر باعتباره ثقافة دنيا، وهو ليس سوى رديف للثقافة الأساس، ثقافة العالم الحق كامنة في التمكن من النص الأول (القرآن الكريم) والدراية بكل العلوم الدينية الأخرى التي تسمح بالنفاذ إلى عمق الكتاب الكريم والسنة والنبوية، أما قرض الشعر فحلية.

هذا المفهوم تجسد في إنتاج هؤلاء الفقهاء / الشعراء، وربما كان خير من عبر عن ذلك الشاعر مولاي أحمد بن المامون البلغيثي بقوله :[12]

إنما قلت ما نظمت من الشعـ
ـر ولوعا ورغبة في الكمال

وعنده أن العيب ليس في عدم قرض الشعر :

إنما العيب أن ترى شاعرا خلـ
ـواً من الفضل والعلوم العوالي[13]

ويؤكد البلغيثي هذا المفهوم في قوله :[14]

واجعله كالملح في جنب العلوم ولا
تجعله همك في كل الاحايين

هذا المفهوم سيؤثر في تشكيل النص الشعري عند هؤلاء الفقهاء / الشعراء. فلم يشكل العمل الشعري عندهم هما أساسيا، بل أصبح ممارسة من درجة ثانية فلا يجعل الفقيه من الشعر «همه في كل الاحايين»، فإذا قرض انصرف إلى نظم المساجلات أو تدوين الإخوانيات أو تقصيد مولديات، وهي الدوائر التي يدور فيها كثير من نظم شعراء هذه الحقبة.

أما المفهوم الثاني فإنه يشكل على مستوى التصور نظرة أنضج، وربما كان محمد بوجندار واحداً من هؤلاء الذين قدموا صياغة متقدمة لمفهوم الشعر خلال هذه المرحلة التاريخية. فالشعر عند أديب العدوتين عملية لصيقة بالوجدان االصادق، وقرض الشعر لا يكون بملء أشكال جاهزة بلغة خالية من الإحساس والتفاعل. يقول محمد بوجندار[15] متحدثاً عن مفهومه للشعر :

«... فالشعر إذا ليس هو تلك النغمة العروضية، وإنما هو تلك العاطفة الروحانية، أو ما يتركه الشاعر في نفس السامع من التأثير عندما يصور له وجداناته وإحساساته تصويراً يكاد يراه السامع ببصره، ويلمسه بيده، فيصبح شريكه في شعوره، طائراً معه في جو ذلك الفضاء الواسع من الخيال. أما إذا نطق به اللسان، لا عن إحساس ووجدان، ولا عن باعث من حس وإحسان، وكان خالياً من تلك العاطفة الروحانية، والقوة التأثيرية فليس ذلك على الحقيقة بشعر، وذووه إنما هم وزانون نظامون لا شعراء». فإذا كان هذا هو مفهوم الشعر عند محمد بوجندار ومن يحمل وجهة نظره هاته ـ كالشاعر المطبوع عبد الله القباج

12) ديوان البلغيثي : ابتسام ثغور الأشعار بتنسم عبير الأفكار، 2 : 117، مخطوط الخزانة العامة بالرباط.

13) نفسه، 2 : 260.

14) شاعران أمام قضاة الشعر، السعادة، ع، 23 ـ 9 ـ 1921.

ـ فإننا سننتظر من هؤلاء أن يحققوا هذا التصور على مستوى إنجاز النص. فماذا تقول النصوص المنجزة ؟ إذا أخذنا شعر محمد بوجندار كنموذج، فإننا سنقف على ذلك البون الشاسع الذي يفصل بين التصور النظري والإنتاج الشعري المنجز. إذا كان الشاعر عبد الله القباج يؤمن بأن الشاعر غير الناظم، ويؤكد محمد بوجندار أن الشعر ليس هو تلك النغمة العروضية فإن إنتاج هؤلاء لا يحقق هذا المفهوم. إن أشعار محمد بوجندار، مثلاً، والتي توجد بين أيدينا تضعنا أمام ناظم بالدرجة الأولى. صحيح أننا لا نملك الديوان الكامل لهذا الشاعر ولكثير غيره من شعراء الفترة، بيد أن ما يعرف من شعر بوجندار يجعله بعيداً عن تمثيل التصور الذي قدمه عن العملية الشعرية، نستثني من ذلك نصا واحدا هو قصيدته «أنا والبدر» التي نشرها بجريدة السعادة بتاريخ 14 اكتوبر 1920، غير أن هذه التسمية تذوب في المجموع الكامل الذي يتشكل معظمه من مساجلات وإخوانيات ومدائح تبدو إلى النظم أقرب منها إلى الشعر.

هذه مجموعة من الملامح حاولنا من خلالها أن نقترب من الوسط الثقافي على عهد المولى يوسف للتعرف على بعض اهتمامات وانشغالات فقهاء وأدباء هذه الفترة وهي ملامح قد تساهم ـ إذا أضيفت لها عناصر أخرى ـ في إضاءة فترة تاريخية من حياتنا الفكرية، عرفت ظهور أسماء فاعلة في الساحة الثقافية المغربية خلال الربع الأول من هذا القرن.

الرباط : محمد احميدة



لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة

للأستاذ عبد الله اكديرة

المغرب بلد آمن أمين يريد بإذن الله أن يعيش في ظل شريعة الحق والعدل... سكانه قاطبة بفضل الله يسعون إلى أن يكونوا من أهل الخير والفضل... وخير الحق والعدل شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله... وأفضل الفضل أن تستوي سريرة المرء وعلانيته في كل أعماله وأقواله، ويبلغ مبلغ الإحسان في ذلك اقتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فيه وبهم عرف أهل المغرب الإيمان وأسكنوه في قلوبهم، وعن طريقه وطريقهم أدركوا الإسلام، وطبقوه ويطبقونه بكل جوارحهم فيهم وحولهم، وبواسطته وواسطتهم رقوا ويرقون إن شاء الله وبحول منه مراتب الإحسان، فتنضح ظواهرهم بصالح الأعمال والأقوال مصداقا لما تزخر به سرائرهم من طيب العزائم وطاهر النيات... إنهم أهل الحق... ولن يزالوا ظاهرين عليه وبه إلى أن تقوم الساعة، ويلقون الله على عهده، بقلوب سليمة إن شاء...

ومن فهم أهل المغرب للحق وكلمة الحق وشعاره الخالد : «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» أن كل واحد منهم يعلم ويُعلّم من إخوانه من لا يعلم : أنه مؤمن وسط مؤمنين... في الزمان والمكان... وأن سلسلة أخوته للمؤمنين تمتد عبر الزمان والمكان امتدادا رحبا فسيحا شاسعا لا يدري بدايته ولا نهايته... فهي تشمل جميع عباد الله الصالحين من إنس وجن وملائكة وغيرهم... منذ أن ابتدأ الله العظيم جل جلاله الخلق إلى أن يشاء سبحانه إنهاءه... أو ليس هو المؤمن الصادق الذي يردد كل حين في صلواته المفروضة والمسنونة والنافلة : «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» ؟

وإن من فهمه لها أيضا أن يحيا مؤمنا صادق الإيمان، لا يحمل في قلبه غلا لمن آمن، كيفما كان وأينما كان... أليس هو الذي يدعو بدعاء القرآن : «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا...» ؟

وهي تعني لديه أيضا العزة... هذه العزة التي جعلها الله تعالى له ولرسوله وللمؤمنين... وطبقها أهل المغرب مركزين إياها في شعارهم الخالد : «الله، الوطن، الملك»... فهذه العزة عند كل مغربي هي نصر الله : «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم». وهي عنده أيضا الدفاع عن حوزة الإسلام وأرضه، والسعي لرفع شأن الوطن وإقرار أمنه وسيادته بين الأوطان... وبديهة البداءة : «حب الأوطان من الإيمان». وهي أيضا عنده حب أمير المؤمنين وحامي الملة والدين القائم بأمر الله والراعي لحقوق الله والساهر على حقوق المؤمنين... وهذا الحب يتجلى في طاعته والدعاء له بالنصر والتأييد والتمكين في

السر والعلن : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...» والمؤمن الحق عزيز على الكافرين ذليل على المؤمنين... وهكذا كان أهل المغرب، وهكذا سيبقون... وبهذا سيظلون ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة... لأنهم صادقون مع أنفسهم، صادقون مع غيرهم، صادقون قبل هذا ومعه وبعده مع ربهم... وهذا الصدق يثبته واقعهم في حالهم ومآلهم... اتباعهم لكتاب الله وسنة رسوله... تمسكهم بوحدة مذهبهم في الفقه والاجتهاد... عملهم الدائب على رأب صدع المسلمين، وجمع شملهم، والاهتمام بجميع أمورهم، وحبّهم، والولاء لهم، ومساعدتهم، والتعاون معهم في الملمات، والسعي في مصالحهم، ومحاولة الأخذ بناصية الباغي منهم إلى جادة الصواب، وأطره على الحق... بهذا كان المغاربة أبرارا، وبهذا كانوا أحراراً... وبهذا كانوا ظاهرين على الحق حتى قيام الساعة بشهادة الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم في الحديث الشريف الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله...

إنه حديث وبشارة... يحق لكل مغربي أبي أن يتيه به فخرا واعتزازا... بانتمائه إلى الإسلام العظيم أولا، وبانتمائه إلى هذا الوطن... إلى هذا البلد الخير الطيب الأمين... يقول سيدنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث العظيم، في هذه البشارة المباركة لنا نحن أهل المغرب على الخصوص : «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[1]، الله أكبر... لا أكتمك قارئي العزيز أنني وأنا أنقل هذا الحديث المبشر قد اعترتني رجفة، وترقرقت العبرات في عيني، حتى اختلطت الأسطر أمامي، وازدادت رجفتي وأنا أقرأ تعليق صاحب الكتاب الذي نقلت لكم عنه هذا الحديث المبارك، قال بالحرف :[2] «وفي هذا بشارة عظيمة للأمة الإسلامية بأهل المغرب، وبشارة لأهل المغرب، وإننا لنرجو أن تتجدد همم أهل المغرب عامة لتجديد الإسلام وإحيائه».

من هو هذا المغرب ؟ ومن هم هؤلاء أهل المغرب ؟ للجواب عن هذين السؤالين أطرح سؤالا ثالثا : من هي الدولة الوحيدة على وجه الأرض التي تحمل اسم المغرب حقا وصدقا ؟ تحمله بموقعها الجغرافي، تحمله باختيارها التاريخي، تحمله بإجماع أهل الحل والعقد فيها على اختياره، بل تحمله بإجماع كل أفراد الشعب على إقراره وصونه وحفظه والدفاع عنه في كل المجالات... المغرب معروف من جميع بني الإنسان قديما وحديثا بأنه هو هذه الأرض المباركة الخصبة المعطاء الطيبة، معروف بحدوده الحقيقية التاريخية التي لا ينازعه فيها إلا ظالم... ومع ذلك، فإن أحب أحد أن يشارك أهل المغرب في فضل الله هذا العميم الغامر الذي آتاهم، فليدخل معهم فيما دخلوا فيه من الحق، والظهور بالحق، والظهور على الحق... وفضل الله كبير، ورحمته وسعت كل شيء... فما هو هذا الحق الذي آمن به أهل المغرب، واختاروه لهم دينا وعقيدة ومذهبا ؟

الحق نقيض الباطل، وهو ثابت راسخ مكين، والباطل زاهق يقوم على شفا جرف هار فينهار بنفسه وأهله في الهاوية، ثم في نار جهنم...

والحق في شرع الله ودينه هو ما أتى به القرآن الكريم، وما أمر به النبي ﷺ، وحياً صادقاً من الله العلي الحكيم... وقد بشر النبي الصادق المصدوق أهل المغرب بأنهم لا يزالون ظاهرين على هذا الحق إلى أن تقوم الساعة، وهذا منه ﷺ تبشير ودعاء، تبشير لهم وتيسير وتشجيع، ليظلوا قابضين على هذا الحق، عاضين عليه بالنواجذ، صابرين على ما قد يجره عليهم ثباتهم عليه وتمسكهم به من حسد الحاسدين وبغي الباغين ومكر الماكرين...

---

1) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي - المجلد السابع - الجزء الثالث عشر، ص 68 - علق الإمام النووي عليه : قال علي بن المديني : المراد بأهل الغرب العرب... (وأهل المغرب اختاروا العروبة والعربية انتماء ولسانا)... وقال آخرون : المراد به الغرب من الأرض... (وأهل المغرب أرضهم في المغرب الأقصى) [...] قال القاضي : وقيل المراد بأهل الغرب أهل الشدة والجلد (وهذا ما عرف به أهل المغرب قديما وحديثا...).

2) دراسات منهجية هادفة في البناء - من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك تأليف : سعيد حوى ص 198.

وهو منه أيضا دعاء لهم بأنهم لابد منتصرون غالبون بهذا الحق... لأن الزبد وهو الباطل لابد أن يذهب جفاء... وأماما ينفع الناس وهو الحق فيمكث في الأرض...

فالمغاربة يسبقون ببركة بشرى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ودعائه ظاهرين على الحق... أي متعاونين عليه إماماً ورعية... وهذه الحقيقة نلمسها جلية، ونراها واضحة في كل ما يلم بالمغاربة من خير أو شر... فما أن يدعو الداعي إلى التظاهر والتعاون والتكاتف والتضامن، حتى تجدهم جميعا قلبا واحدا وجسما واحدا... الحق رائدهم، وأمير المؤمنين قائدهم... ولن أطيل بضرب الأمثلة، فالمغاربة جميعهم يعرفون أنفسهم بين الناس، ويدركون مزاياهم بين الأمم.

والمغاربة ببركة بشرى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ودعائه يسبقون دائما ظاهرين على الحق... أي منتصرين غالبين ظافرين بفضله، فالنصر في النهاية دائما للحق... وصولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة... والمغاربة أهل حق... وهم ببركة بشرى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ودعائه يسبقون ظاهرين على الحق... أي واضحين فيه وبه وله... فالحق وضوح وبيان وجلاء، لا غموض، ولا تعقد، ولا التواء... وهاهم المغاربة في كل قضاياهم سلما أو حربا يتفوقون وينتصرون عاجلا أو آجلا... والواقع والتاريخ يشهدان، وهاهم المغاربة في كل قضاياهم سلما أو حربا واضحون جليون يعلنون حقهم لكل الناس، وفي كل مكان وزمان لا يخشون فيه لومة لائم، حكم لهم بهذا القاصي والداني، والعدو والصديق... إلا من طبع الله على قلبه ممن يريد أن يغطي الشمس بغر بال كما يقول مثلنا الدارج...

ومن مزايا الحق التي لا يزال أهل المغرب ظاهرين عليها أنهم أهل بيعة شرعية... يعيشون في ظل إمارة المؤمنين... بيعة أمير المؤمنين تطوق أعناقهم، وتقلده هو أمانة أن يكون راعيهم الأمين، ورائدهم المحنك في متاهات الحياة العصرية التي كثرت فيها الأهواء، واستعلنت فيها مذاهب الباطل، وتزينت للناس تريد أن تستحوذ عليهم...

فالمغاربة بهذه البيعة التي أعطوها لإمام المسلمين في بلدهم عن طواعية، يقيمون ركنا ركينا من الحق الذي ارتضاه الله لهم ولغيرهم... وبشرهم هم على الخصوص رسول الله بأنهم لا يزالون ظاهرين عليه حتى قيام الساعة... وهم بهذه البيعة أيضا يقيمون بينهم وبين الجاهلية حصنا حصينا...

ومن مزايا الحق التي لا يزال أهل المغرب ظاهرين عليه بحول الله تعالى أنهم أهل الكتاب وأهل السنة، وهم أيضا أهل مذهب فقهي اجتهادي واحد يعمهم جميعا من أقصاهم إلى أقصاهم... هو مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس عليه رضوان الله ورحماته... وهذا من فضل الله تعالى عليهم...

وقد قلنا إن الحق هو ما جاء به سيدنا محمد ﷺ من كتاب الله وسنته... والقرآن والسنة هما أمر الله تعالى... وبماذا يأمر الله تعالى ورسوله : ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون**﴾.

العدل هو القسط والموازنة والاعتدال والتوسط وإحقاق الحق... وأخذ الحق من الظالم للمظلوم، وإغاثة الملهوف، وإعانة الضعيف وتقويته، والسلطان الذي بيد أمير المؤمنين بحكم بيعتهم له يقلده أمانة جليلة يقول عنها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : «السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل ضعيف وملهوف». فهو الذي يقيم العدل ويقره، وهو الذي يعين على الإحسان ـ وهو الذي يثبت بين جميع أفراد شعبه أواصر التواصل والتكافل والتضامن وصلة الأرحام... وهو الذي يقيم بينهم وبين الفحشاء والمنكر الحواجز والحجب من شرع الله... وقد صدق أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه : «إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن». وهو الذي يحول بينهم وبين البغي والظلم والفتن بتوحيد كلمتهم وجمع شملهم ولم شعثهم...

ومن مزايا الحق التي سيبقى المغاربة عليها ظاهرين أن أمير المؤمنين زاكي النسب، يرتفع به نسبه إلى أطهر وأزكى الأعراق الأجدر بالبيعة وإمارة المؤمنين والأحق

بها... وها نحن كمغاربة قد احتفلنا ونحتفل بالذكرى السابعة والعشرين لتربع أمير المؤمنين، رعاه الله وأيده، على سدة إمارة المؤمنين، خلفا لأجداده الميامين كابرا عن كابر، وببيعة صحيحة قويمة من شعبه... بيعة رضا وبهجة خاطر...

وتلك نعمة جلى... وذلك فضل سابغ... من الله تعالى الجواد الكريم على أهل المغرب... عليهم أن يقدر وهما حق قدرهما... بأن يظلوا أهل الحق... وبه ظاهرين إلى قيام الساعة... كيف ؟ وبم ؟

الجواب في محكم التنزيل : ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾...

وطاعة الله هي العمل بما جاء في القرآن الكريم... وطاعة الرسول هي العمل بسنته التي بين للناس فيها ما شرعه الله لهم، فهو صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي كلفه الله تعالى بتبليغ وحيه وشرعه للناس، وتكفل بعصمته في هذا التبليغ حتى يؤديه بكل أمانة...

وطاعة أولي الأمر منا هي بكل بساطة طاعة أمير المؤمنين ومن ينوب عنه في تولي رعاية شؤون ومصالح المؤمنين في هذا البلد الأمين... ولم أجد تفسيرا شافيا لهذه الطاعة خيرا من تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسير المنار، حيث قال : «المراد بأولي الأمر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين، وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة، فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر أو حكم، وجب أن يطاعوا بشرط أن يكونوا منا، وأن لا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم...».

وأمير المؤمنين منا ونحن منه، وهو فينا حامي الملة والدين... ولن يأمرنا إلا بما يراه متفقا معهما في العموم والخصوص والكل والجزء... وطاعته فرض عين على كل منا نبتغي بها إلى الله الوسيلة... وهي من الحق الذي لن يزال أهل المغرب ظاهرين عليه إلى قيام الساعة...

فاللهم زد أمير المؤمنين بسطة في العلم والجسم وانصره بالحق وللحق وفي الحق وكن له وليا ونصيرا...

وأقر عينه بولي عهده المحمد وبصنوه الرشيد وبسائر أهله وولده وشعبه... واجعلهم جميعا من حسناته...

وأدم اللهم يا سابغ الفضل والنعم على المغرب وأهل المغرب نعمك ظاهرة وباطنة، وزدهم من فضلك الذي لا ينفد، واجعلهم بالحق ساعين وله عاملين وعليه ظاهرين حتى تقوم الساعة... واجعل اللهم الحق عمدة العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وسندهم الذي إليه يرجعون في كل أعمالهم وحلهم وترحالهم... أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق.

الرباط : عبد الله اكديرة



احتفاءً بعيد العرش المجيد

أقباس وهاجة من تلكم الشمس الساطعة ومواقف نبيلة لا تنساها ذاكرة التاريخ

من اختيار وتنسيق الأستاذ : م . ب . م . ع

قال رائد الجهاد والتحرير :

«الحماية فرضت علينا في وقت ضيعنا فيه حرصنا المستمر على الوحدة والاتحاد... شخصيتنا مبنية على وحدة المذهب، والعمل بالسنة وكتاب الله... علينا أن نحتفظ بشخصيتنا، ومقومات شخصيتنا».

من خطاب أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني في الذكرى الرابعة والثلاثين لثورة الملك والشعب.

☆ ☆ ☆

«كان المغرب دائما حاضرا على خارطة العالم، وهو محترم، وله وزن وثقل».

من خطاب أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني إلى الأمة بمناسبة عيد الشباب المجيد، في الذكرى الثامنة والخمسين لميلاد جلالته.

☆ ☆ ☆

«المغاربة حين يذهبون للحج، يكونون مثالا في عبوديتهم وعبادتهم وسلوكهم».

في إشادة أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، وتنويهه ـ حفظه الله ـ بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أثناء استقباله ـ نصره الله وأيده ـ لأعضاء الوفد الرسمي المتوجه إلى الديار المقدسة، برئاسة الدكتور محمد الهلالي، وزير التربية الوطنية.

☆ ☆ ☆

«اجعلوا من سيدنا رسول الله ﷺ، مثلكم الأعلى وإسوتكم الحسنة. كونوا خير سفراء لبلدكم».

من رسالة أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني إلى حجاجنا الميامين؛ وقد تلا نص الرسالة الملكية السامية، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري، أثناء توديعه للفوج الأول من حجاجنا الميامين.

☆ ☆ ☆

ـ المغرب حجرة لا يزعزعها من أراد. وشجرة المغرب لها عروق طويلة جدا في التاريخ والأمجاد.

ـ المغاربة كلهم كانوا أعضاء المقاومة، وجيش التحرير.

- تنظيم كلية صيفية تاريخية كل سنة بالدار البيضاء، للذكرى والافتخار والاعتزاز.

- تنظيم أعضاء المقاومة وجيش التحرير على أسس جديدة، لنكرم ونشرف الذين كانوا بارزين في النضال والكفاح.

- فترة الاستعمار والحماية لم تكن فترة انقطاع، بل كانت فترة تعليق.

- الاستمرار في العادات والتقاليد والمشروعية.

- تاريخنا أعز ممتلكاتنا.

- الاستمرارية لما قبل وما بعد ثورة الملك والشعب.

- هناك عناصر مهمة جعلت من شعبنا شعبا خاصا وخصوصيا.

- الغيرة والحكمة والوطنية.

من أهم العناوين التي عالجها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، في خطاب الملكي السامي بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب، مساء يوم الأربعاء 20 غشت 1986.

☆ ☆ ☆

- «قضية الصحراء ستظل بالنسبة لي قضية مقدسة، وسنحمل السلاح للدفاع عن هويتنا الإسلامية، إذا وقعت المدينة المنورة ومكة المكرمة في قبضة غلاة يقيمون سلطة سياسية شيعية تحت ستار ديني».

- «الهمجيون لا يمكن أن يدعوا كونهم منتدبين للدفاع عن القضية الفلسطينية».

- «في حالة وقوع حرب جديدة، فإننا سنخوضها دائما إلى جنب الفلسطينيين».

أبرز الفقرات من الحديث الذي أدلى به جلالة الملك الحسن الثاني لمجلة «لونوفيل أوبسرفاتور» عدد الأسبوع الأخير في سبتمبر 1986.

☆ ☆ ☆

«شعبي العزيز،

قال الله تعالى في كتابه الحكيم : ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا﴾.

فعلا شعبي العزيز، جاء الحق وتبين الحق، وحصحص الحق. وفي إمكاني أن أزيدك من المترادفات، في شأن الحق وعلو كلمته، وسمو درجته، نظرا لمحبة العرب للحق، وتعلقهم بالحق، وتشبثهم بالحق. جاءني النبأ هذا الصباح الذي كنا ننتظره. لم نكن ننتظره تفاؤلا فقط، بل كنا ننتظره إيمانا ويقينا منا. لأن الحق معنا، لأن الحق سبحانه وتعالى معنا، وراءنا وأمامنا. في جانبنا.

جاء الحق يجيب، شعبي العزيز، على الأسئلة التي طرحناها أمام محكمة العدل... قلنا لمحكمة العدل :

أولا : هل الصحراء قبل احتلالها من لدن إسبانيا، كانت أرضا بدون سيد، وبدون مالك، أم لا ؟

ثانيا : فيما إذا لم تكن تلك الأرض مواتا، فما هي العلاقات التي كانت تربطها مع المغرب ؟

ثالثا : إذا أجبت عن هذه الأسئلة، فبالطبع اعترفت أنت محكمة العدل، بأن لك الصلاحية، لتبثي في المشكل، بكيفية نهائية.

وهذا الصباح، جاءت شعبي العزيز الأجوبة على الأسئلة الثلاثة.

أولا : اعترفت المحكمة بأن لها الصلاحية لكي تنظر في الملف وتحكم فيه.

ثانيا : وهذه المسألة جانبية، ولا نعتبرها نقطة ثانية، بل نعتبرها نقطة ثانوية. ومن بعد قالت : هناك مشكل قانوني بين المغرب وإسبانيا. فسمحت لنا بأن يكون لنا قاض خاص يمثلنا في شخص بوني، القاضي العدل، الرجل الممتاز، ابن ساحل الحاج الذي بهذه المناسبة - يسرنا أن نوجه له عبارات تقديرنا، وعبارات اعترافنا بالجميل، وبالطبع، في شخصه أن نعبر له ولشعبه ولرئيسه

شقيقنا وأخينا، الرئيس هوفويت بوانييه، عما نكنه له من تقدير وإعجاب.

ثم أجابت المحكمة على السؤال الثاني : «لم تكن الصحراء أرضا موتا». بمعنى أنه حينما جاءت إسبانيا، لم تجد فراغا... ثم أجابت أخيرا محكمة العدل على السؤال الثالث : ما هي العلاقات التي كانت موجودة بين الصحراء وبين المغرب ؟ وتعترف المحكمة أن هناك روابط قانونية، وروابط بيعة.

لأنني أفسر القانون الدولي الإسلامي بأن هناك الروابط القانونية، وهناك روابط البيعة. فيمكن مثلا أن نكون محتلين أرضا، وبيننا وبينها قانون ينظم المعاملات... ولكن لم تكن بيعتها في عنقنا... وقد وقع هذا في تاريخ المغرب. أما هنا، فقد قالت محكمة العدل : هناك روابط قانونية أولا، وروابط بيعة، بين المملكة المغربية وبين الصحراء».

من الخطاب السامي الذي وجهه رائد الوحدة الترابية للمملكة، مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني ـ سدد الله خطاه، ووفق مسعاه ـ وذلك يوم إعلان قرار تنظيم حدث القرن، المسيرة السلمية الخضراء التي كان سلاحها كتاب الله، في 6 نوفمبر 1975.

☆ ☆ ☆

«غدا إن شاء الله، ستحترق الحدود... غدا ستطأون أرضا من أراضيكم».

من خطاب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ دام لـه النصر والتمكين، والفتح المبين ـ وذلك بمناسبة انطلاق المسيرة الخضراء، نحو الصحراء المغربية.

☆ ☆ ☆

«لنرجع : عملنا أتى أكله، وأكثر من أكله».

من الخطاب الذي ألقاه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ نصره الله ـ في مدينة أكادير، يوم الأحد 5 ذي القعدة عام 1395 هـ الموافق 9 نوفمبر 1975.

☆ ☆ ☆

ـ «روح التضحية، وإنكار الذات، التي تتحلون بها، مصدر اعتزاز لشعبنا، ودرس من دروس الوطنية لأجيالنا القادمة».

ـ «تشييدكم للجدار الأمني السادس يكفل الأمن التام لصحرائنا، ولرعايانا».

في الأمر اليومي لجلالة الملك الحسن الثاني، القائد الأعلى، ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية، في الذكرى الواحدة والثلاثين لتأسيسها.

☆ ☆ ☆

ـ «علينا أن نضمن لكل مغربي كرامته بالتعليم، والتكوين، والغذاء».

ـ «التخطيط أن تكون الدولة على بينة من حاجاتها وإمكاناتها».

ـ «من واجبنا أن نعطي للجماعات المحلية جميع التسهيلات الإدارية ليمكنها أن تخلق، وتعين الدولة على خلق ميزانية التسيير».

ـ «يجب أن نخلق وسائل ثروتنا في أقرب وقت ممكن».

ـ «الاستثمار المعقول هو للإنجاز السريع، لنجني بسرعة ثمرة ما حرثناه».

من الكلمة التوجيهية السامية التي ألقاها جلالة الملك الحسن الثاني، عندما ترأس ـ حفظه الله ـ أشغال المجلس الأعلى للإنعاش الوطني والتخطيط، في الجلسة الافتتاحية بالقصر الملكي بفاس، يوم الأربعاء 4 ربيع الأول 1408 هـ الموافق 28 أكتوبر 1987.

☆ ☆ ☆

ـ «الحرب العراقية الإيرانية حرب تصدير الإيديولوجيات تحت غطاء الإسلام».

ـ «السنة هي المذهب الأورتودوكسي الإسلامي. والشيعة رغم أنها ليست كلها بدعة، فإنها تظل مع ذلك نوعا من البدعة».

ـ «نحن أهل السنة والشيعة، تعايشنا مدة أربعة عشر قرنا. لكن، فجأة طفا على السطح نزاع مصحوب بنزاعات أخرى في جوار مشوب بعدم الاستقرار».

ـ «نظامنا قرر حماية مؤسساته التي اختارها الشعب المغربي».

ـ «بالنسبة لي، ليس هناك جريمة سياسية. والجريمة السياسية الوحيدة، هي عندما يدعي شخص بأن الصحراء ليست مغربية».

ـ «الصحراء بالنسبة للمغاربة، كالآلزاس ـ لورين بالنسبة للفرنسيين».

رؤوس الأقلام من الاستجواب المباشر الهام، الذي خص به جلالة الملك الحسن الثاني القناة الثانية للتلفزة الفرنسية ـ (نوفمبر 1987).

☆ ☆ ☆

أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني يتبادل تهانئ عيد المولد النبوي الشريف، مع أشقائه قادة الدول الإسلامية، ويقول ـ حفظه الله ـ :

«يعز علينا، ونحن نحتفل بهذه الذكرى المباركة الغالية، ذكرى الرسول الأعظم سيدنا محمد الأمين، موحد قلوب المسلمين على المحبة والوفاء، أن نسمع أصوات التعصب والجفاء، تطغى على نداءات السلم والإخاء وحسن الجوار بين الأشقاء، فلا نملك إلا أن نجدد العزم على العمل معكم وسائر قادة أمتنا الإسلامية، على أن نجتاز بها هذه المرحلة العصيبة، وهي أشد ثقة بنفسها، وأقوى إيمانا برسالتها، وأشد إصرارا على توحيد صفوفها، وجمع كلمتها، وتوجيه طاقاتها المادية والروحية والفكرية، إلى بناء مجتمع أمثل، وغد أفضل، تسترجع فيه هيبتها، واحترامها، ومنزلتها العالية بين أمم الأرض».

ـ «ندعو الله القدير أن يصون هذه الأمة من عبث العابثين، ويحميها من شر الكائدين، وأن يوحد جمعها وكلمتها على سبيل الخير والمحبة، حتى تواصل عطاءها، وتؤدي الرسالة السامية التي جاء بها رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم».

الخميس 12 ربيع الأول 1408 هـ ـ 5 نوفمبر 1987 م

☆ ☆ ☆

«شعبي العزيز،

لنجعل من هذه المسيرة هجرتنا إلى الله ورسوله، ولنصل الرحم، ولنسترجع الأرض، ولنبن سرنا ومسيرتنا وخطواتنا، ولنبنها على إيماننا بالله، واتكالنا عليه، وعملنا الدؤوب، يقينا بأنه سبحانه وتعالى، لم يعودنا منه إلا الجميل. فإذا كان في بعض الأحيان ذا جلال، فلم يكن ذا جلال إلا ليعطينا دروسا ويلقننا حكما. ولكن كان سبحانه وتعالى ذا جمال. وما عودنا إلا الجمال. وما عودنا إلا الخير.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة. إنك أنت الوهاب﴾، صدق الله العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله.

من الخطاب الملكي السامي يوم إعلان قرار تنظيم المسيرة السلمية الخضراء، معجزة القرن العشرين. ـ 16 أكتوبر 1975 ـ.

☆ ☆ ☆

«شعبي العزيز،

«إنك بسيرتك نحو مسيرتك، ربما تمكنت أنت الشعب المغربي من تجسيم وتجسيد ما نسبية العالم من مصالح سبل الصلح والتصالح، بالنسبة للسبل الأخرى.

«فالمسيرة المغربية أصبحت أعجوبة الزمان، والحالة هاته أن الناس نسوا أن في مسيرة السلم، يمكن أن يجدوا أكثر مما يمكنهم أن يجدوه في مسيرة الحرب. نسوا الدروس، وأنت لم تنسها شعبي العزيز. نسوا التاريخ، وأنت لم تنسه شعبي العزيز، بل تحليت باختيارك المسيرة، تحليت بتلك الأخلاق التي جعلت من كبار المفكرين وكبار الفلاسفة والزعماء والطبقات العاملة، والسياسية، في أوائل القرن هذا، تلك الوسائل التي مكنتهم من الضغط على ما كانوا فيه من ضيق، مكنتهم من التغلب على القهر والغلبة التي كانوا يعيشون فيها حتى أمكن لقرننا هذا أن يعيش في ظل الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والعدالة الاجتماعية».

من خطاب جلالة الملك الحسن الثاني ـ حفظه الله ـ حينما أعطى إشارة انطلاق المسيرة الخضراء، في 6 نوفمبر 1975.

☆ ☆ ☆

«شعبي العزيز،

«لنرجع إذن إلى منطقنا : المتطوعون إلى طرفاية، وخادمكم إلى مراكش. ولنفتح بابا سوف يفتح لنا آفاقا جديدة. ولنسر على بركة الله، موقنين بأن عملنا هذا أتى أكله، وأكثر من أكله. وأن مسيرتنا لن تسجل لنا المجد والفخر فقط، بل سوف تكون من عناصر دوام المغرب، ودوام اسمه، ودوام تمجيده وإكباره، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

«وقبل أن أنتهي من خطابي، وددت لو عانقت في قبلة واحدة كل فرد من أفراد الشعوب التي شاركتنا في مسيرتنا. وإنني أتوجه هنا إلى رؤساء وفودهم، لأقول لهم إن المغرب يعترف بالجميل، ولا ينسى الجميل، ولن ينسى الجميل. وأنه إذا كنتم في حاجة إلى مغربي، تسجدون ثلاثة، وإلى مائة ستجدون ألفا، وإلى نصف الشعب، ستجدون الشعب كله.

«شعبي العزيز،

«لنسر إذن في منعطفنا الجديد على بركة الله، ولنفوض أمرنا إلى الله سبحانه وتعالى، لأنه لم يعودنا إلا الخير.

ولنقل جميعا من كتابه العزيز : ﴿ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير﴾.

«إنك مجيب الدعوات، وبالاستجابة جدير. والسلام عليكم ورحمة الله».

من خطاب جلالة الملك الحسن الثاني يوم 9 نوفمبر 1975.

☆ ☆ ☆

قسم المسيرة :

«أقسم بالله العلي العظيم أن أبقى وفيا لروح المسيرة الخضراء، مكافحا عن وحدة وطني، من البوغاز إلى الصحراء. أقسم بالله العلي العظيم أن ألقن هذا القسم أسرتي وعترتي، في سري وعلانيتي. والله سبحانه هو الرقيب على طويتي وصدق نيتي».

☆ ☆ ☆

- «الآن حصحص الحق والحقيقية ستقهر الكل، وستغلبنا على الكل».
- «هدانا الله لأن نخوض بنجاح ميدان الأمن، وميدان السياسة».
- «دخول ملف الصحراء إلى الأمم المتحدة، انتصار مهم، سيمكنه المجتمع الدولي من أن يفرق بين الحق والباطل».
- «ائتوا إلى هنا لتقفوا على الحقيقة، لا في الأرض فقط، ولكن في قلوب رعايانا في الصحراء».
- «علينا أن نستقبل هذه الذكرى بتفاؤل، وببرودة أعصاب، وعدم التكيف لما سنسمعه أو نقرأه».

- «نسيطر على الموقف من الناحية الأمنية، ونكتفي بالدفاع عن النفس».
- «كنت دائما سباقاً للتضحيات».
- «الاستفتاء واضح في الصحراء».
- «المغرب ملكا وشعبا، لا يقبلون التلاعب بالقانون».
- «الشعب المغربي في مستوى الأحداث».
- «منظمة الوحدة الإفريقية لم تصبح الحكم اللائق. فقد سبقت تعبير المواطنين عن اختيارهم لمواطنتهم».
- «مع الصبر والمثابرة، عرفنا بلفنا».
- «نحن في انتظار زيارة اللجنة التقنية».
- «علينا أن نكون مرنين، وأن نستعمل الإعجاز».
- «اللجنة التقنية سترى الهدوء والطمأنينة، في العيون، والسمارة، وبوجدور».
- «الآن يعلم المجتمع الوطني الحقيقة».
- «ليس هناك ارتباط بين قوة وقوة عند الحدود».
- «ليس هناك جندي واحد يتجول في المدن أو القرى الصحراوية».
- «وهنا كما يقول الفقهاء : (وقف حمار الشيخ في العقبة)... وهنا وقع الاصطدام بين الحقيقة والخرافة».
- «المهم أن يضع الإنسان رجله في الركاب».

أهم المواضيع التي عالجها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ أيده الله ونصره ـ في خطابه السامي، إلى شعبه الوفي، بمناسبة الذكرى الثانية عشرة للمسيرة الخضراء ـ 6 نوفمبر 1987.

☆ ☆ ☆

في القمة العربية الطارئة بعمان :

صاحب السمو الملكي ولي العهد، الأمير سيدي محمد يؤكد في خطاب هام، أمام الأقطاب العرب :

- «أحمل إليكم تحيات جلالة والدي الملك الحسن الثاني الأخوية، المشفوعة بالحب والتقدير، ومتمنيات جلالته بأن تصدر عن هذا المؤتمر العظيم، مقررات في مستوى الظروف التي تجتازها أمتنا العربية».
- «التعليمات التي أصدرها جلالة والدي للوفد المغربي، تؤكد على احترام جميع بنود ميثاق الجامعة العربية، والتشبث بقرارات قمة فاس التي أعطت لأسرتنا العربية مكانا مرموقا في المجتمع الدولي».
- «المغرب سيظل وفيا لالتزاماته العربية والإسلامية، باذلا جهوده لتحرير أرضها، وتحقيق تضامن أبنائها».

الإثنين 16 ربيع الأول 1408 هـ ـ 9 نوفمبر 1987 م

☆ ☆ ☆

- «فخورون بالمسيرة الخضراء، لأنها انطلقت من المشروعية. ووجودنا في الصحراء، وجود شرعي».
- «المغرب في الصحراء، وسيبقى في الصحراء. وإننا من طنجة إلى الكويرة رجل واحد. وأتحدى أن يخرجه أحد من الصحراء».
- «لا استنزاف مالي، ولا اقتصادي، ولا ملل روحي، بل تشبث وإيمان، ووقوف وثبات».
- «ذكرى المسيرة مليئة بالتاريخ والأمجاد والدروس».
- «على الجيل الجديد أن يبقى مرتبطا بماضيه».
- «المغرب لا يمكنه أن يتنكر للأسباب التي جعلت منه بلدا شامخا».
- «أكدنا أننا سنلتزم بنتائج الاستفتاء».
- «الغطرسة وانعدام المسؤولية، لم تتراجع أمام حسن نيتنا».
- «قلب نابض واحد، ومواطن واحد... ومن أراد التماطل وضياع الوقت، فالمغرب في الصحراء...».

شذرات من الخطاب السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ حفظه الله بالسبع المثاني ـ إلى شعبه الوفي بمناسبة الذكرى الحادية عشرة للمسيرة الخضراء المظفرة.

الخميس 3 ربيع الأول 1407 هـ ـ 6 نوفمبر 1986 م.

☆ ☆ ☆

...وبعد الاستفتاء الصريح في العيون والداخلة :

- السمارة تجدد البيعة، والمواطنون يهتفون : الصحراء صحراؤنا... والملك مكلنا !

...وعن الصحراء في الصحافة الدولية :

- المغرب في وضع مريح داخل صحرائه التي يسيطر فيها على الوضع.

- المرتزقة خسروا معركة الفارسية، ومعركة الدعاية المغرضة.

- المغرب استرجع أقاليمه الجنوبية في نطاق الشرعية الدولية.

الخميس 4 ربيع الثاني 1408 هـ الموافق 26 نوفمبر 1987 م

☆ ☆ ☆

في رسالة جلالة الملك الحسن الثاني ـ نصره الله وأيده ـ إلى الوزير الأول، الدكتور عز الدين العراقي :

- توجيهات ملكية سامية لرصد مبلغ 20 مليون درهم سنويا، لدعم الصحافة الوطنية، وإعانة الهيئات السياسية والمنظمات النقابية على ممارسة الدور الموكول لها بحكم دستور المملكة.

- ارتياح وامتنان الهيئات السياسية للقرار الملكي السامي.

«...والآن وقد توطدت أركان الملكية الدستورية التي جاءت بحمد الله متجاوبة مع تقاليدنا الأصيلة، مطابقة لروح العصر ومتطلباته، متجانسة مع أسلم النظم وأصحها، كافلة للحقوق السياسية، والحريات الأساسية على غرار النظم الديمقراطية المتأصلة العريقة والمتحررة، فإن الهيئات السياسية، والمنظمات النقابية والمجالس المنتخبة، سواء في الصعيد المحلي أو الصعيد الوطني، تمارس بيسر واطمئنان، مالها من حقوق، وما أنيط بها من مهام، بحكم دستور البلاد الذي أقر التعددية، ونظم التمثيل والنيابة...

وهذا أمر يسعدنا كل الإسعاد، لأننا بحرصنا على تأسيس الديمقراطية ببلادنا، وجعلها عقيدة راسخة في مجتمعنا، توخينا هذه الغاية لاعتقادنا أن الديمقراطية الحقة المقترنة بالاستمساك بالمبادئ الأخلاقية السامية والقيم الدينية المقدسة هي أوضح المسالك وأنجع الوسائل لبلوغ ما نبتغيه من أغراض، وتحقيق ما نتطلع إليه من مطامح...

ورعيا لما نرغب فيه أوثق الرغبة، ونحرص عليه أشد الحرص، من جعل هيئاتنا السياسية، ومنظماتنا النقابية قادرة على تذليل العقبات، واجتياز الصعوبات المادية، واستجابة منا للالتماس الذي أعرب عنه أعضاء لجنتي الداخلية والإعلام بمجلس النواب، فإننا نأمرك أن ترصد سنويا مبلغ عشرين مليونا من الدراهم، يكون خاصا بدعم الصحافة الوطنية وإعانة الهيئات السياسية والمنظمات النقابية على ممارسة الدور الموكول إليها بحكم دستور مملكتنا.

وأملنا وطيد أن يساعد هذا الدعم صحافتنا الوطنية وهيئاتنا السياسية ومنظماتنا النقابية على أداء واجبها أداء يصون مصالح البلاد ويرعاها، ويعين على تحقيق الأهداف التي يحددها اختيار الأمة، وعلى إغناء الحوار الوطني، وعلى إدراك المقاصد والغايات التي يتيسر بها ازدهار الوطن ورفعته ومجده».

وحرر بالرباط، في يوم الجمعة 16 ربيع الثاني 1407 هـ ـ الموافق 19 دجنبر 1986 م.

☆ ☆ ☆

في الخطاب السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني - أيده الله ونصره - إلى شعبه الوفي، بمناسبة عيد الشباب المجيد :

- جلالته يعلن عن تقسيم المغرب إلى أكاديميات تابعة للجامعات.
- قررنا أن نجعل من هذه السنة سنة كيفية تلقين أبنائنا ما يجب أن يعلمون، وما عليهم أن يتقنوه.
- يجب أن يكون الأساتذة أقرب ما يمكن إلى تلامذتهم وأن تكون البيئة الجهوية أقرب ما يمكن من التلاميذ.
- إصلاحنا لامتحانات الباكالوريا ليس نهاية الغاية، بل وسيلة لتهييء المغربي الصالح.
- مسيرة المجد، ومسيرة البناء.
- علينا أن نهيئ شبابنا للقرن المقبل.
- علينا أن نسلح أبناءنا بالعلم والمعرفة.
- التنسيق بين السياسة والتربية والتعليم.
- علينا أن نتحرر من العاصمة.
- على شبابنا أن يتسم بسمة الوطنية والجهوية.
- عجلة التاريخ لا ترحم. إياك أن تنسى هذا !
- النظر للمستقبل بعين الحذر.
- المجد هو العمل اليومي.
- على أجيالنا أن تكون طموحة !

أهم النقاط التي تناولها الخطاب الملكي السامي، مساء يوم الأربعاء 11 ذي القعدة 1407 هـ - الموافق 8 يوليوز 1987 م.

- أمير المؤمنين، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني - دام له العز والتمكين والفتح المبين - يترأس حفلا دينيا احتفاء بعيد المولد النبوي الشريف.
- ويدلي بحديث لصحيفة «السياسة» الكويتية :
- «سيبقى المغرب وفيا لبنود ميثاق الجامعة العربية. ولو وقع أدنى شيء للكويت، ستجد المغرب أول من يدافع عنها».
- «متشائم جدا بالنسبة للمستقبل، إذا لم يجتمع المسلمون عربا وأفارقة، وآسيويين وغيرهم، ليروا ماذا يجب القيام به».
- «المشكل ليس في عدد الحاضرين في القمة، بل في وحدة النوايا».
- «دول الخليج ليست متفقة حول إيران».
- «هناك أهداف وغايات ما تحت الحرب العراقية الإيرانية».
- «لم تحدث حرب بين الشيعة والسنة منذ قرون».
- «العرب يضيعون الآن الفرصة».
- «الوساطة السعودية بين المغرب والجزائر خلقت دينا ميكية».
- «الجدار الأمني أعطى للعمليات العسكرية اتجاها آخر».
- «في عودة مصر إلى الجامعة العربية، المهم هو جواب مصر».
- «يجب أن نحترس، حتى لا نقع في التناقض».
- «لابد من تشجيع القطاع الخاص... ونحن لم نتأثر بأوضاع البورصات العالمية».
- «إني متفائل بالنسبة للاقتصاد المغربي».

هذه هي أهم النقاط في هذا الحديث الجمعة 11 ربيع الأول 1408 هـ - 4 نوفمبر 1987 م.

☆ ☆ ☆

وفي حديث آخر، أدلى به جلالته لصحيفة «السياسة» الكويتية أيضا، بتاريخ الإثنين 24 مارس 1986 :

- الفرصة المتاحة هي عبر إطار سلام شامل، تسترجع فيه الأرض، وتحترم حقوق الفلسطينيين.
- دول عربية تحرك المخاطر ضد دول الخليج، وتحرض عليها، وهذا ليس من شهامة وطبع العرب.
- الدول التي لا تتقيد بميثاق الدفاع المشترك،

عليها أن تخرج في الجامعة، لأن الميثاق لا خيار فيه.
- كلنا انتفعنا من خيرات دول الخليج. ومن الخذلان أن لا تقف معها إذا تعرضت للخطر.
- اشتعال حرب الخليج... أحداث عدن... السودان : صدف حدثية وسياسية لا تعجبني.
- نحن دائما في وساطة بين الأردن والمنظمة، إذ لبنات الحل في وحدة الصف، والهدف بينهما.
- علاقتي مع الحسين علاقة شقيق وابن عم. فقد اكتشفت أنه حسيني من أبيه، وحسني من أمه.
- مازلت خائفا على دول التعاون، ففي شمالها يقع المشكل العربي - الإسرائيلي، وفي شرقها حرب الخليج، وفي جنوبها عدن، وفي غربها المشكل السوداني - الأثيوبي.
وقى الله شبه الجزيرة التي أصبحت محاطة بحزام من الحروب، والبحار الساخنة.
- دول عربية تساعد إيران عسكريا، وأضعف الإيمان أن تقف مع العراق، ولا تعين عدوه عليه.
- العالم العربي ثلاث كتل : دول الخليج، دول الوسط، ودول المغرب، وعلى الجميع أن يأخذوا بصيغة التعاون.
- ثورات الخمسينيات لم تغير الشكل السياسي أو شخصياته، ولكن غيرت البناء الروحي والمعنوي للدولة.
- هذه الثورات استوردت بضائع سياسية من أوروبا الشرقية لإعادة البناء المجتمعي.
- في يونيه المقبل، سأمتحن المصداقية الأمريكية، وسأسأل ريغان : هل ستكونون صادقين في وعدكم للفلسطينيين إذا قبلوا القرار 242 ؟
- كأنما الذي أوجد الجامعة العربية عارف بنفسية العرب، فخطط لانهيارهم وتفرقهم.
- التشتت العربي، وكثرة القرار ورؤسه، أحد أسباب كوارثنا القومية.

☆ ☆ ☆

صاحب السمو الملكي، ولي العهد، الأمير سيدي محمد، يترأس افتتاح الندوة الدولية حول «محمد الخامس الملك الرائد»، تلك الندوة التي نظمتها جمعية رباط الفتح في الفترة ما بين 16 و20 نوفمبر 1987 بالرباط في مسرح محمد الخامس، تحت الرعاية السامية لجلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره.
في الخطاب الملكي السامي التوجيهي بالمناسبة :
- اختار جلالة المغفور له محمد الخامس، المسلك الصعب الذي يصان به الشرف والكرامة، ويستبقى معه الوفاء والإخلاص للمقصد.
- إننا موقنون بأن الندوات المقبلة ستكشف جوانب مستمرة من تاريخ كفاح محمد الخامس الحافل بأروع الصفحات.
- «لقد خاض الملك الراحل معركة كان خصمه فيها استعمارا صارما غاشما واثقا بقوته، معتدا بسلطانه، غير عابئ بما يترتب على تصرفه من كريه العواقب، وذميم الآثار. وضاعف شراسة هذه المعركة وقوة فصولها وأطوارها، أنها لم تنحصر في ظرف من الزمن قصير، وإنما استمر مريرها، وتطاولت آمادها أعواما بعد أعوام، وأدرك - طيب الله ثراه، بثاقب ذكائه، ونافذ بصيرته، أن كسب المعركة منوط بإعداد شعبه، رجاله ونسائه، لخوضها إلى جانبه، وبتعبئة قواه الفكرية والروحية، ونشر الوعي بين كباره وصغاره، ورياضة النفوس بالصبر والمعاناة والمكاره والخطوب...».
- «سيكون من أسباب ابتهاجنا واعتزازنا أن تسهم هذه الندوة في توثيق أواصر الاتصال بين جيل الاستقلال، وجيل مناهضة الاستعمار من أجل الاستقلال».

☆ ☆ ☆

جلالة الملك الحسن الثاني - أيده الله ونصره - في حديث هام للتلفزة السويدية :

- يتعين على البعثة التقنية الأممية أن تقف على حقيقة ما يجري في الصحراء على الصعيدين العسكري والأمني.

- ليست هناك مشاكل بين المغرب والجزائر، ولا أفهم لماذا تصر الجزائر على حشر أنفها بمثل هذا التصلب ؟

- متفقون على قيام مجموعة اقتصادية مغاربية.

- لا تحملونا وزر ما قام به الاستعمار.

- لا مجال للتنكر لأبنائنا.

- مستعدون لإجراء الاستفتاء.

- أسلوب السويد فاجأ دائما الجميع.

- سندافع عن وحدتنا الترابية.

- أبواب القصر مفتوحة في وجه الجميع.

- «آمل أن يستمر إشعاع الملكية، لأن المغرب في الحقيقة - كما قال والدي طيب الله ثراه - أسد يجب أن يقاد بخيط، لأن المغاربة لا يحبون أن يكونوا عبيدا. فهم غيورون على كرامتهم. لذا يجب احترام هذه الكرامة. ولكن، إذا استوجب الأمر قيادتهم، فيجب أن يكون ذلك بحزم، ولكن، برفق، وأدب، واحترام».

هذه هي أهم النقاط التي عالجها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني - حفظه الله - يوم 25 أكتوبر 1987، في الحديث الذي أدلى به في القصر الملكي العامر بفاس، للسيدة كريستيان فورسوني المبعوثة الخاصة للتلفزة السويدية.

☆ ☆ ☆

على إثر الأحداث الدامية التي تعيشها، منذ أسابيع، الأراضي العربية المحتلة والقدس الشريف :

- أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، رئيس لجنة القدس، يدعو ملوك ورؤساء وأمراء الدول الإسلامية إلى عقد اجتماع عاجل للجنة القدس بالمغرب، على مستوى وزراء الخارجية.

- وتنفيذا للتعليمات الملكية السامية : الشعب المغربي يلتزم دقيقة صمت، تضامنا مع الشعب الفلسطيني، واحتجاجا على قمع السلطات الصهيونية الوحشي للمواطنين في الأراضي العربية المحتلة.

- مجلس النواب يجدد تضامنه مع الشعب الفلسطيني.

نص الرسالة الملكية السامية :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

إن الأحداث الداهية التي تعيشها الأراضي العربية المحتلة والقدس الشريف بصفة خاصة، توجب على كل من ينتمي إلى شريعة الإسلام أن يعمل جادا للتنديد بها، والعمل لإيقافها وفضحها أمام الرأي العالمي بكيفية علنية ورسمية.

ونظرا لهذا كله، ارتأينا كرئيس للجنة القدس، أن نستدعي - بصفتكم عضوا فيها - وزير خارجيتكم لاجتماع عاجل حتى ندارس الوضع القائم بالقدس الشريف، ونتخذ من المساعي والقرارات، ما يتطابق مع انتمائنا للأسرة الإسلامية المتماسكة الأطراف، وللفضيلة العالمية التي يجب أن يكون موقفها موقفا واضحا وسلميا دون محاباة أو انتهاء.

ولهذا كله، فإننا نوجه لكم استدعاءنا لاجتماع لجنة القدس الشريف بالمغرب، ابتداء من يوم الأحد 27 دجنبر 1987.

وتقبلوا حضرة الأخ العزيز، أصدق مشاعر المودة والتقدير.

☆ ☆ ☆

- جلالة الملك الحسن الثاني يترأس أشغال اجتماع لجنة القدس بيفرن، عشية يوم الثلاثاء 14 جمادى الأولى 1408 - 5 يناير 1988.

- العاهل الكريم يؤكد في خطابه السامي بالمناسبة :

- «اجتمعنا بفاس، واتفقنا على مخطط حاز الاجماع، وأصبح كل عربي عربي كان، بيده دليل للطريق، كلما سئل، وجد الحجة والنصّ للإجابة».

- «إذا نحن وحدنا صفنا في قضية القدس في الناحية الاستراتيجية، اضطررنا العدو إلى أن يدخل باب الحوار، إما هنا أو هناك».

في البيان الختامي للجنة القدس :

- تقدير لجلالة الملك الحسن الثاني لجهوده من أجل تحرير القدس.

- إعلان يوم الجمعة 15 يناير 1988 يوما للتضامن مع الشعب الفلسطيني.

- الدعوة للإسراع في عقد المؤتمر الدولي للسلام، تحت رعاية الأمم المتحدة.

ومما جاء في الكلمة الملكية السامية، بالأخص :

- ... «لست بصدد عرض عواطفي وألمي شخصياً، حينما أرى المشردين من الأطفال والنساء والشيوخ، يذهبون ضحية العنف، لا يرحمهم أحد من الدول العظمى، وبالأخص دولة عظمى من أعظم الدول، حاربت لتحرير العالم، ولتحرير الشعوب من النازية والفاشيستية، تلك التي حارب المغرب بجانبها. وهذه هي علة تدخلي بالنسبة للولايات المتحدة التي هي صديقة لنا منذ القديم، ومنذ القدم. فهي صديقة قريبة، وصديقة وفية، ولكن، أقول لها : لا !».

- ...«وقبل أن أختم كلمتي هاته، أقدم لأميننا العام السيد بير زادة، شكرنا وامتناننا على الجهود التي ما زال يقوم بها لمصلحة المؤتمر الإسلامي، ولمصلحة لجنة القدس، وما رأينا منه إلا ما يسر. وإننا بهذه المناسبة، نشكره جزيل الشكر، على نشاطه هو والأمانة العامة.

أما بالنسبة للشعب الفلسطيني، فلا يسعني إلا أن أتوجه إلى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الأم أبو عمار، لأرجو منه أن يحمل إلى المجاهدين خارج الأرض المحتلة، وإلى المقاومين داخل الأرض المحتلة، وهنا يجب أن نضع النقط على الحروف. فخارج الأرض المحتلة هم مجاهدون، وداخل الأرض المحتلة هم مقاومون. وحق المقاومة معترف به لجميع من انتهكت حرماته، أو استعمرت أراضيه.

لأولئك المحاربين ما قاله الله سبحانه وتعالى : ﴿قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، فهزموهم بإذن الله﴾.

صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد ذلك طلب جلالة الملك من الحاضرين قراءة الفاتحة، ترحما على أرواح الشهداء.

وقد انتهت أشغال لجنة القدس برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني، في يفرن، بالمصادقة على عدد من التوصيات التي أدانت فيها بشدة السياسات والممارسات الصهيونية اللا إنسانية، تجاه السكان العرب في الأراضي العربية المحتلة، المتمثلة في الإخلاء، والطرد، والإبعاد، والقتل، والاعتقال الجماعي، ومصادرة الممتلكات، والاعتداء على حرمة الأماكن المقدسة، والهجوم على المصلين، أثناء أداء صلاة الجمعة بالمسجد الأقصى.

وقد طالبت لجنة القدس المجتمع الدولي باتخاذ جميع الاجراءات لمساندة الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه المشروعة.

☆ ☆ ☆

تنفيذا لتعليمات أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني : انطلاق الدرس الديني الأول بتارودانت، إيذانا بإحياء الكراسي العلمية.

وفي كلمة بالمناسبة أكد السيد عبد الكبير العلوي المدغري، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، أن إحياء هذه الكراسي العلمية التي تعد بمثابة جامعة شعبية ومدرسة إسلامية متكاملة تجمع بين العلم

والدين، هو من مكرمات جلالة الملك الذي أمر بإحيائها، تمشيا مع سنن ومناهج السلف الصالح في التكوين والتفقه في الدين، وتلقي العلوم على أوسع نطاق، مبرزا أن الدروس التي ستلقى في هذا الإطار، مفتوحة للجميع دون استثناء وأنها ليست للوعظ والإرشاد، بل لتلقي العلم.

وأوضح أنه تم اختيار نخبة من العلماء الأجلاء، لإحياء هذه الكراسي العلمية التي أعطت نتائج إيجابية بعد افتتاحها في كل من فاس، ومراكش، وتطوان، ومكناس، مشيرا إلى أنها ستكون مكملة لدور الكتاتيب القرآنية، والمدارس العتيقة، ومعاهد الدراسات الإسلامية.

وبعد ذلك ألقى العلامة، فضيلة الشيخ عبد الله الجرسيفي، رئيس المجلس العلمي لإقليمي أكادير وتارودانت الدرس الافتتاحي الأول الذي تمحور حول منهجية السلف الصالح في إلقاء مثل هذه الدروس التي كانت مدرسة علمية متكاملة تخرج منها العديد من العلماء الأجلاء، وذلك من خلال نبذة تاريخية عن الكراسي العلمية بتارودانت.

كما تمت بنفس المناسبة إقامة صلاة الغائب ترحما على أرواح شهداء القضية الفلسطينية على غرار كافة البلدان الإسلامية، تخليدا ليوم التضامن مع الشعب الفلسطيني.

الجمعة 24 جماى الأولى 1408 هـ ـ الموافق 15 يناير 1988 م.

جلالة الملك الحسن الثاني ـ أيده الله ونصره ـ يسلم أوراق الاعتماد، للسيد محمد التازي، كسفير لجلالة بجمهورية مصر العربية، ويخاطبه بالكلمة السامية التالية :

«السيد التازي، قررنا أن نرفع مستوى تمثيلنا في مصر إلى مستوى السفير. ولم نكن لنجد رجلا أكفأ منك للقيام بهذه المأمورية، ولا سيما أنك تعلم حق العلم مكانة مصر كدولة وكشعب بالنسبة لإفريقيا، والعالم الإسلامي، والأسرة العربية.

كما أنك تعرف حق المعرفة، ما هي روابط الصداقة التي تربط بيني وبين فخامة الرئيس السيد حسني مبارك، لا منذ اليوم، ولكن منذ القدم. فأنا أعرفه ما يزيد على 15 سنة في الوقت الذي كان فيه نائبا لرئيس الجمهورية. ومنذ ذلك الوقت إلى الآن، تمكنا هو وأنا، من أن نطلع كل واحد منا على الآخر. وكل منا يحترم الآخر، وكل منا له عواطف صداقة وتقدير للآخر. فكن حفظك الله في مستوى هذه المعطيات كلها. ولي اليقين أن المدة التي ستقضيها مستقبلا في القاهرة، ستجعلك تغتنم هذه الفرص لتوطيد العلاقات والأواصر التاريخية والوقتية التي تربطنا مع مصر، والشعب المصري.

أعانك الله، وسدد خطاك. ولي اليقين أن مصر والمغرب بعد هذا التلاقي الجديد، سوف يعملان لتقوية الصف العربي، وتوطيد أواصر الأخوة الدينية في الأمة الإسلامية، والعمل بكيفية دؤوبة للرفع من مستوى قارتهما وهي إفريقيا. والسلام عليك ورحمة الله».

القصر الملكي بيفرن ـ في يوم الأربعاء متم جمادى الأولى عام 1408 هـ الموافق 20 يناير 1988 م.

☆ ☆ ☆

بعد خطاب جلالة الملك الحسن الثاني ـ حفظه الله ـ خلال اجتماع لجنة القدس بيفرن :

رسالة إلى جلالة الملك الحسن الثاني ـ دام له العز والتمكين ـ تلقاها من لدن الرئيس الأمريكي رونالد ريغن، تؤكد ما يلي :

ـ أفكار جلالتكم البليغة في خطاب خامس يناير، تذكر بالتعاون التاريخي المغربي الأمريكي في ميدان الدفاع عن الحرية والكرامة الإنسانية.

ـ الأحداث الأليمة التي نشاهدها في الضفة الغربية وغزة، تهيب بنا عاجلا للبحث عن حل النزاع العربي الإسرائيلي.

ـ الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني يجب أن ينص عليها في أي اتفاق يعقد، ويتناول بالدرس الحل النهائي للأراضي العربية المحتلة.

الخميس فاتح جمادى الثانية 1408 هـ ـ 21 يناير 1988 م.

☆ ☆ ☆

تنفيذا لتوصيات لجنة القدس؛ وبعض ردود الفعل على النطاقين : العربي والدولي :

ـ مساعي إسلامية لتحسيس الرأي العام الدولي بخطورة الأوضاع المزرية في الأراضي المحتلة.

ـ الأوساط الدبلوماسية تؤكد أن رسالة ريغن إلى جلالة الملك، هي تقدير لمواقف جلالته المبدئية لصالح القضية الفلسطينية والقدس الشريف.

ـ مبادرة مصرية من خمس نقاط، لحل القضية الفلسطينية :

1) الدعوة إلى وقف كافة أعمال العنف في الأراضي المحتلة ستة أشهر تلتزم حلالها الأطراف المعنية بتنفيذ عدة خطوات محددة.

2) وقف كافة عمليات الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة.

3) احترام الحقوق السياسية، والحريات الأساسية للشعب الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي.

4) ضمان سلامة وحماية الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، بواسطة آليات دولية مناسبة.

5) التزام الأطراف المعنية بالتحرك نحو عقد مؤتمر دولي للسلام من أجل التوصل إلى تسوية سلمية شاملة، تتضمن الاعتراف بحق كل الدول في المنطقة، في العيش في سلام، وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير مصيره.

ـ رسالة الرئيس رونالد ريغن لجلالة الملك، تقدم إيجابي في الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية.

ـ صحيفة «السياسة» :

جلالة الملك الحسن الثاني انتزع أول اعتراف أمريكي بحقوق الشعب الفلسطيني.

ـ وزراء الخارجية العرب، بمشاركة المغرب، يبحثون في تونس ـ تطورات الانتفاضة الفلسطينية.

ـ ورقة عمل فلسطينية تحدد تطورات تحرك عربي لدعم سكان الأراضي العربية المحتلة.

ـ في أشغال المؤتمر الثامن عشر للاتحاد البرلماني العربي بتونس :

المغرب يجدد دعمه اللا محدود لكفاح الشعب الفلسطيني، ويدعو إلى وقف النزيف الدموي في الخليج.

ومسك الختام لهذه الأقباس الحسنية الوهاجة، والمواقف النبيلة لعرشنا المجيد، في جهاده المستميت من أجل إعلاء كلمة الله، وتوطيد بطولات العرب والإسلام، وترسيخ دعائم السلام العالمي، نتلو في خشوع وإنابة قول الله عز وجل :

﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين. لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم. إنه عزيز حكيم﴾.

ـ صدق الله العظيم ـ



إيليوت روزفيلت

انعقد بالمغرب مؤتمر «آنفا» الدولي بمدينة الدار البيضاء من 14 إلى 24 يناير من عام 1943.

وقد حدث هذا المؤتمر الدولي الهام في فترة حاسمة من تاريخ البشرية في العصر الحديث، جمع الرئيس الأمريكي روزفيلت، والمستر ونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية آنذاك، وكان المغرب تحت الحماية الفرنسية، وقد قام المغفور له مولانا محمد الخامس الأمين على السيادة الوطنية، بدور رائع هام في اسماع كلمة المغرب...

وقد أقام الرئيس الأمريكي حفل عشاء على شرف جلالة الملك مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ليلة 22 يناير من نفس السنة، وقد جعل محمد الخامس من هذا الحفل مناسبة لجلسة عمل سياسية للمطالبة باستقلال المغرب والاعتراف من الحلفاء بتصفية الاستعمار الأجنبي بشكل عام.

وهذه وثيقة هامة من كتاب : «أبي قال لي» لمؤلفه إيليوث روزفيلت ابن الرئيس الأمريكي الذي يحكي فيه ذكريات والده كما سمعها منه، عن هذه الليلة التاريخية...

يكتب إيليوث على لسان والده :

«في هذه الليلة... كان السلطان ضيفنا. وحينما وصل كان محفوفا بابنه الفتى، وهو ولي العهد المنتظر (يقصد الملك الحسن الثاني) يتبعهما الصدر الأعظم (رئيس الحكومة المغربية على ذلك العهد) ورئيس التشريفات، وكلهم كانوا يرفلون في جلاليب بيضاء حريرية وفضفاضة... وحينما بدأ العشاء كان السلطان على يمين والدي وتشرشل على يساره. وأخذ والدي يتحدث إلى السلطان بحيوية حول ثراء المصادر الطبيعية للمغرب والإمكانيات الواسعة للتنمية التي يمكن تحقيقها في هذا القطر. وكانا هما الإثنان يشعران بالبهجة والحبور من هذا



ولي العهد الأمير الحسن (الملك الحسن الثاني) يستعرض مع والده محمد الخامس السلاح الأمريكي يوم 12 يناير 1943 ومعهما في السيارة الجنرال باتون.



الأمير الحسن ولي العهد يحضر مع والده محمد الخامس مأدبة عشاء أقامها لتكريمه الرئيس روزفلت خلال انعقاد مؤتمر أنفا مساء يوم 22 يناير 1943.

الحديث، وبما أنهما يتحدثان الفرنسية بسهولة، الشيء الذي لا يمكن أن نقوله عن تشرشل، فقد كان باستطاعتهما التعمق في مختلف القضايا : رفع مستوى العيش للسكان المغاربة، ومن أجل ذلك، ضرورة الحفاظ داخل البلاد على جزء مهم من هذه الثروات.

وصرح السلطان عن رغبته العميقة في أن يجد العون بمختلف أوجهه للقيام بالمجهودات الهادفة لتجهيز بلاده بالمؤسسات الصحية العصرية وإتاحة فرص التعليم العام.

وهنا عبر والدي عن رأيه بكون تحقيق مثل هذا العمل ينبغي على السلطان أن لا يتيح الفرصة للمصالح الأجنبية حتى لا تستطيع عن طريق نظام التنازلات حرمان بلاده من خيراتها.

وحاول تشرشل تغيير الموضوع، لكن السلطان أخذ من جديد بخيط المحادثات واضعا السؤال لمعرفة العواقب التي ينبغي استخلاصها من نصيحة والدي فيما يرجع للحكومة الفرنسية المقبلة.

وبينما كان والدي يلعب بشوكته دون اكتراث لاحظ أن الحالة ستتغير جذريا بعد الحرب خاصة فيما يرجع للاستعمار.

عندئذ سعل تشرشل وحاول، مرة أخرى، تغيير مجرى الحديث، إلا أن السلطان وجه السؤال لوالدي حول ما يعنيه بـ «التغيير الجذري» فقدم والدي ملاحظة حول العلائق التي كان يقيمها فيما بينهم الرأسماليون الفرنسيون والبريطانيون قبل الحرب وكيف أنها تتجدد تلقائيا، لأن هدفها هو امتصاص خيرات المستعمرات وتحدث أيضا عن إمكانية اكتشاف احتياطات بترولية بالمغرب.

وألح السلطان على هذه القضية مصرحا بتأييده لاستغلال سائر مصادر الثروة الطبيعية مضيفا بأنه لا ينبغي أن تخرج المداخيل المحصل عليها من البلاد، ثم أطرق رأسه بأسى، وتأسف بأنه لا يوجد إلا عدد ضئيل من المهندسين والعلماء بين مواطنيه وهذا ما يجعل تحقيق مثل هذه المشاريع مستحيلا دون عون.

وأخذ تشرشل يتحرك بانفعال فوق كرسيه وعليه علامات الانزعاج، فألمح والدي هامسا بأن بالمستطاع أن يتم تكوين علماء ومهندسين بالمغرب بفضل برنامج للتبادل الجامعي مع الولايات المتحدة مثلا، وكانت إشارة من السلطان تعني الموافقة، وحالت أصول «الاتيكيت» أن يسجل في اللحظة عناوين الجامعات ذات الاختصاص.

وتابع والدي شرح فكرته وهو يداعب كأس الماء. وقال بأن بإمكان السلطان أن يطلب بسهولة مساعدة الشركات التجارية الأمريكية التي تستطيع عن طريق مبالغ جزافية أو بنسب مئوية أن تنجز برنامجا لاستغلال الثروات، وأكد أن من شأن هذه التركيبة أن تتيح لحكومة المغرب ذات السيادة مراقبة على مستوى واسع لمصادر ثروة البلاد وتتمتع بجزء كبير من أرباحها وأن تتمكن آجلا أو عاجلا من وضع يدها على اقتصاد البلاد. وأبدى تشرشل تذمره وتظاهر وكأنه لا يسمع الحديث.

لقد كان عشاء ممتعا قضى فيه سائر الضيوف، باستثناء واحد فقط - (يقصد تشرشل) - ساعة شيقة جدا. وحينما غادرنا الموائد، أكد السلطان لوالدي بأنه ما أن تضع الحرب أوزارها بشكل نهائي، حتى يطلب مساعدة الولايات المتحدة لتوفير ظروف أفضل لمستقبل المغرب، وكانت عيناه تشعان فرحا. وقال : «بأنه عهد جديد لبلدي».

وخرج السلطان من قاعة الأكل يتبعه الوزير الأول البريطاني وهو يعض على سيجاره بغطرسة.



وأنت رئيس القدس تمسح عاره

للشاعر أحمد الجمالي

هو الأطلس الجبار تشمخ هامته ... وتعلو على مر الزمان مكانته

وكل ذوي الألباب يعلم أنه ... برغم صروف الدهر صينت كرامته

فمن قبل «إدريس» العظيم وشعبه ... قوي رفيع الجاه ترفع رايته

يعانق من يحميه من سطوة العدى ... وفي درئه للضيم تبدو شهامته

ألم تعلموا ما كان يصنع «طارق» ؟ ... ففي الفتح بانت في الحروب كفايته

فكم دول عظمى عليه تداولت ... من الحكم أصنافا فبانت رزانته

وكم دول شتى عليه تصارعت ... ولكن على الأوغاد عزت قيادته

أتت «دولة الأشراف» فانقاد طائعا ... ونعم همو للمجد في الدهر قادته

سلوا «الحسن الجد» الذي كان عرشه ... على صهوة الأفراس تبدو مهابته

وهذا حفيد الجد : «نجل ابن يوسف» ... على سنن الأجداد تمضي سياسته

هو «الحسن الثاني» إمام بلادنا ... لخدمة هذا الشعب كانت إمامته

طربنا لعيد العرش آن أوانه ... ولاحت من الآفاق بالبشرآيته

فمرحى به عيدا لأشرف عاهل ... تعود إلى آل الرسول أصالته

ومرحى بذكراه التي سرت الورى ... وأفعمت الأجواء بالعطر باقته

وحلت بنا الذكرى فقرت عيوننا ... ولم لا ؟ وعيد العرش تحمد عادته

ففي كل ركن قوس نصر تزركشت ... بمختلف الألوان فيه إنارته

وفي كل دوح نغمة تملأ الفضا ... أناشيد نصر غردتها حمامته

وفي كل حي بالمدينة حفلة ... وقد فرشت للشدو والرقص ساحته
شدونا وكان الشدو منا كناية ... عن الحب تبدو في الوجوه أمارته
لعاهلنا الغالي نزف ولاءنا ... بلحن رقيق في النفوس عبارته
لقد قادنا سبعا وعشرين حجة ... فيا حبذا في القائدين قيادته
مضت كلها في الكد والعمل الذي ... ستكتب في دنيا الخلود خلاصته
فكان مثالا في البطولة سالكا ... بنا مسلك الأحرار تخشى بسالته
لقد حرر الصحراء من قبضة العدى ... فحيرت الألباب منه زعامته
وضمت رمال البيد توا إلى الحمى ... فبان من الجار الجحود كراهته
وقد كان إبان الخصاصة والبلى ... من المغرب الأقصى تساق إعانته
ألم يان للجار الحقود صوابه ؟! ... ألم تبد للخصم العنيد سفاهته ؟!
صبرنا وكان الصبر منا سماحة ... أليس لنا جيش تهاب شجاعته ؟!
ونحن بالاستفتا نبز خصومنا ... ألم تكفهم في البيد يوما شهادته ؟!
ألم تزر الصحراء للبحث لجنة ... فألفت بها وضعا تسرك حالته ؟!
لعمرك ماراق الصحاري وأهلها ... من الملك إلا عدله ونزاهته
فأقسمت الصحراء والشعب كله ... بأن لا يسوس البيد إلا جلالته
هو «الحسن» المقدام ذو الرأي والحجى ... وعقله بحر لا تحد نهايته
لقد وحد الأوطان والشعب كله ... فعم حمانا عطفه ورعايته
ولازال في كل الظروف مناضلا ... يوالي جهادا والتحرر غايته
يريد جلاء عن جميع ترابنا ... فويل لمن تبقى علينا وصايته
«فسبتة» يوما سوف ترجع للحمى ... وخصم الحمى فيها ستخفض رايته
«مليلية» الصنو استغاثت بملكها ... ستدركها لكن قريبا إغاثته
«جيوب» لنا أخرى، ترى؟ هل لها رضى ... بغير حمانا تحتويها عنايته ؟
مشاريع في كل البقاع تقام كي ... تكون لدى الشعب النبيل سعادته
فما شئت من سد يشاد ومصنع ... وما شئت من ميناء جمت بضاعته
فمعملنا كنز ثمين بأرضنا ... تعود على الأوطان بالربح آلته
وما شئت من آلات حرث حديثة ... أليس بها الفلاح ترقى زراعته ؟!
وأحياؤنا ملأى بمستشفياتنا ... محاربة للداء تبرز آفته
وناهيك بالتلقيح عم طفولة ! ... لمختلف الأدواء كانت وقايته !
سل العلم والتعليم كم له من يد ... على خير ما يرجى تؤدى رسالته
ينال شباب العصر منه حظوظه ... فبالعلم يسمو وعيه وحضارته

بفضل الذي ربى وثقف جيلنا ... غدا الشعب يحيا والعلوم هوايته
أليس مليك الشعب خير مثقف ... تهز النوادي في كل جمع خطابته ؟!
وعى من علوم العصر أبهى فنونه ... فأمسى له فكر جلته ثقافته
فلسطين يا مولاي شرد أهلها ... ومزقهم خلف تفشت مرارته
ورغم ظروف القهر ثار شبابها ... سلاحه إيمان له وحجارته !!
ليرجم أعداء له قد تجبروا ... فيا حبذا في الثائرين انتفاضته !
ليرجع للأرض السليبة أهلها ... ويهزم صهيون بها وعصابته
وأنت رئيس القدس تمسح عاره ... لترجع للقدس الشريف مكانته
فلم يبق بعد اليوم غيرك منقذا ... أيا من لها دوما تعبأ طاقته
وحرب الخليج اليوم هاج لهيبها ... وإيران طالت للعراق عداوته
وأنت لذات البين خير معالج ... أيا من ترجى للسلام وساطته
فآمالهم طرا عليك تعلقت ... لتهدأ يا مولاي بالشرق حالته
أدامك ربي للعروبة خادما ... وأبقاك بدرا للحيارى إنارته
وأبقاك للإسلام تحفظ شرعه ... فأنت له حصن وفيك حمايته
ودمت لشعب حبه لك خالص ... وأسعد بشعب في يديك قيادته !
وصان «ولي العهد» ربه سرمدا ... ودامت على مر السنين سلامته
وأبق «الرشيد» الصنو يارب جوهرا ... تضيء على عرش البلاد نضارته

الدار البيضاء : **أحمد الجمالي**

عرش فما له في أعماقنا بدل

للشاعر مصطفى الطريق

بمناسبة حلول الذكرى السابعة والعشرين لتربع صاحب الجلالة على عرش أسلافه الغر الميامين.
وبمناسبة الزيارة الملكية الميمونة المعلن عنها لأقاليم الشمال.

مولاي، طلعتك الغرا، لنا أمل   باليمن، والجود، والأفراح يتصل
إنا ابتهجنا بها، والبشر يغمرنا   والانس وافى، كقطر الغيث ينهمل
والدهر أسفر عن وجه بشاشته   صبح تتوق لما في وهجه مقل
مولاي، للشعب، أنت القصد من أزل   أنت المنى، وبك الأمجاد تكتمل
وأنت شهم أبي رائد حدب   من دأبك السعي والإنجاز والعمل
والفضل منك بدا كالبحر في دفق   من فيضه كل بشر في الثرى خضل
والسعي منك فعال في البلاد بها   تعلى صروح البنا، لله تبتهل
لو حمل الدهر ما أنجزتم عملا   لمال حتما به في سيره زلل
ولانتهى للعيا من غير ما جرم   وبات في حيرة يرتاده وهل
بحبل عرشك هذا الشعب معتصم   وما لعرشك في أعماقه بدل
يبارك الفعل دوما وهو منك لنا   بذل له للمغازي والبنا سبل
إنا هنا كلنا سرا وفي علن   جند لأمرك يا مولاي نمتثل
نمشي إذا نحن نودينا لمكرمة   لا ينثني أبدا، من بيننا رجل
حققت للشعب ما يرقى به وبدا   في عزة لم تنل من حظها دول
أقررت بالوثبة التمرير منطلقا   وبات يضرب في الهيجا بك المثل
ما مثلكم في الجهاد اليوم من أحد   فالله يلهمكم، والنصر يكتمل
مولاي أنت لنا في عيشنا سند   مولاي إنا بكم للمبتغى نصل

نلنا بسعيكم النعمى وما برحت   تثرى المزايا هنا دوما وتعتدل
والشعب يهنا بها والعيش مبتهج   تكسوه في منتهى أفراحه حلل
يا رائدا بات للإصلاح معلمة   يا رائدا بشؤون الشعب يشتغل
يا أيها الفارس المغوار يا حسن   إنا بطلعتك الغراء نحتفل
مثواك من شعبك الخلاق مهجته   وحبه لك عهد ليس ينفصل
مولاي يا حسن الأفعال في خلق   يا من لك السعي بالإنجاز يعتدل
بادرت للغوث لما صار إخوتنا   في أرض لبنان لا غوث لهم يصل
أيقظت كل ضمير حكمة وبدا   كالهدي رأيك بين الناس ينتقل
أظهرت موقفك الجريئ في شمم   حبا لشعب فما عنه لكم شغل
والقدس ضالتها فيكم لها وجدت   وأنت فكاكها المختار يا بطل
وسوف ينشر فيها سعيكم فرجا   وداخل المسجد الأقصى لنبتهل
سنعزف السلم لحنا سوف ننشده   أغنية فيزول الهم والحبل
ويورق العود في جناتها عبقا   وفوقها يزدهي صفصافها الخضل
مولاي إن الوئام اليوم مكتمل   وفي ظلاله هذا الشعب يحتفل
وإننا اليوم في يسر وفي دعة   والخصم في غيه يشقى وينخذل
قد ساءه أننا نحيا بوحدتنا   وطالع السعد في صحرائنا جذل
فشاء من طيشه بذلا بعزتنا   وما درى أنه بفعله وعل
مولاي إن الذي في أضلعي كلف   أحياه منذ الصبا والوجد يشتعل
وما بصدري فليس الشعر يظهره   ولا المعاني ولا الألفاظ والجمل
فكيف مولاي أبدي ما يغامرني   وقد تملكني من قدركم خجل
مولاي للشعب يرعاك الإله أبا   تبني وتعلى ومنك البذل متصل
وليحفظ الله هذا الشعب في كنف   من الرعاية لا شر ولا عضل

القصر الكبير : مصطفى الطريبق

الحسن الثاني

داعية الوحدة الإسلامية

للأستاذ محمد بخات

لقد اشتهر الحسن الثاني حفظه الله بأنه القائد السباق إلى دعوات الخير والمبادر دوما إلى المكرمات في ميدان الإسلاميات، فمنذ تولى مسؤولية مغربنا الحبيب وهو يدعو العالم الإسلامي إلى التمسك بالكتاب والسنة، ويناشد قادة المسلمين وشعوبهم بالعودة إلى الأصل لأنه المصل الواقي ومصدر الإحياء والتجديد والريادة للمسلمين مصداقا لقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم...﴾. (الأنفال : 24).

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس...﴾ (البقرة / 143).

فهو الذي قال سدد الله خطاه في رسالته السامية إلى العالم الإسلامي :[1] (معاشر المسلمين لقد أكرمنا الله بدين متين الأساس راسخ البنيان، صالح لكل زمان ومكان ما من شعيرة من شعائره، ولا شريعة من شرائعه إلا وهي مؤسسة على تقوى الله ورضوان فهو دين يقرر «كرامة الإنسان»، ولا يرضى له بالتعرض للذل والهوان وهو دين العلم والحرية، الذي لا يعرف التحفظ ولا التقية، يدعو أتباعه دعوة ملحة إلى تعلم العلوم والفنون واللغات، ويسمح لهم بالتفتح على جميع أنواع الحضارات، إذ بذلك ينالون أسباب القوة والخلود ويتفادون أخطار الجمود والجحود، وهو دين الوفاء بالعهود، والعدل الوارف الظلال والإحسان الشامل للوجود، وهو دين تقوم تكاليفه على أساس الرفق والتيسير، ورفع الحرج والبعد عن كل تعسير وهو دين يعامل الناس بالإنصاف والسوية، ويلزم بالشورى بين الراعي والرعية، ويحذر المسلمين من التنازع المؤدي إلى الفشل، ويحضهم على وحدة الصف والهدف والعمل، فبالوحدة يجمعون أمرهم، ويتغلبون على الصعاب التي تعترض سيرهم ويتمكنون من استيناف البناء والتشييد، والإصلاح والتجديد، في عالم الإسلام الواسع المديد، وإذا جمعت المسلمين كلمة التوحيد وربطتهم شريعة الإسلام، فلا خوف عليهم من غوائل الدهر، ومفاجآت الأيام، قال تعالى : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

1) من الرسالة الملكية إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، دعوة الحق، عدد : 1 من السنة (23)، صفحة (12 و13).

فتفرق بكم عن سبيلـه ذلكم وصـاكم بـه لعلكم تتقون﴾ (الأنعام / 153)).

فمن وحي تلك الكلمة السامية نقول بأن كل نهضة إسلامية لابد أن ترتكز على العلم ويباركها العلماء ويحوطوها بالعناية والرعاية لتستمر النهضة قويمة والمسيرة مستقيمة فهذا دور العلماء في مجتمع الإسلام، إنه الدور القيادي والريادي، للتوجيه والتصحيح عملا بقوله تعالى : **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** (آل عمران / 104).

لهذه الغاية النبيلة كان تأسيس **رابطة علماء المغرب والسينغال** بإيعاز من الحسن الثاني وتشجيع رعاه الله في يونيو 1985، وهذا ما يؤكد ريادته الإسلامية العالمية، ونتج عن هذا التأسيس المبارك عقد مؤتمرها الأول[2] بدكار عاصمة السينغال.

وكان تأسيس رابطة علماء المغرب والسينغال خطوة أولى في طريق الوحدة الإسلامية ولاشك أن عقد مؤتمرها الأول كان من مكرمات وبركات السياسة الحكيمة النابعة من إيمان الحسن الثاني بضرورة تحقيق الوحدة الإسلامية في عالم اليوم فهي الغائبة عن واقعهم، وبغيابها يقاسون شتى الويلات والخطوب، إنها سياسة تنم عن ريادته الإسلامية كما تدل على تأثيرها في قادة الشعوب الإسلامية، هذا التأثير الذي ظهر في طلب دول إسلامية[3] الانضمام إلى رابطة علماء المغرب والسينغال.

وقد كان لعقد المؤتمر الأول لرابطة علماء المغرب والسينغال الاثر الطيب والصدى الكبير في السينغال، هذا ما تجلى بوضوح في كلمة الرئيس السينغالي عبدو ضيوف بالمؤتمر، والفضل في ذلك لعاهل المغرب، وكان مما قاله :[4]

(...فإن هذا الاجتماع يأتي استجابة لرغبة الشعبين وقائدي البلدين في تقوية روابط الصداقة والأخوة التاريخية...) كما دعا الرئيس السينغالي العلماء إلى القيام بمهمتهم الكبيرة والخطيرة المتعلقة بتقوية الأخوة الإسلامية القائمة بين السينغال والمغرب، والعمل على تطوير المسلمين في إطار قيم الإسلام النبيلة خاصة في وقت تطغى فيه المصالح الإنسانية التي يبدو أنها تتقدم على حساب القيم الأخلاقية والروحية.

وقد نوه الرئيس السينغالي بمبادرة الملك الحسن الثاني لجمع شمل العلماء من أجل تعميق البحث حول عدد من القضايا الإسلامية قصد التوصل إلى تقريب وجهات نظرهم لما يخدم الأمة الإسلامية[5].

وهكذا فتأسيس رابطة علماء المغرب والسينغال وعقد مؤتمرها الأول كمبادرة ملكية رائدة إنما تحققا لإيمان الحسن الثاني حفظه الله بضرورة السير في طريق الوحدة الإسلامية على أسس علمية من وحي ديننا، وهذه حقيقة نابعة من دعوة القرآن الكريم إلى الاعتصام بالله والتمسك بحبله لأن القرآن يهدي ويقي ويحقق في عالم الواقع إنسانا حضاريا فريدا من نوعه : **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا...﴾** (آل عمران / 103).

﴿إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾ (الإسراء : 9).

فالقرآن هو الذي ربى إنسان الإسلام الذي عاش في استقامة وحصانة ووعي ونورانية وسمو وحضارة من نتاج القرآن :

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون﴾ (الاحقاف : 13 و14).

---

2) أيام 13 و14 و15 من جمادى الآخرة 1408 موافق 2 ـ 3 ـ 4 فبراير 1988.

3) وهي موريطانيا وغامبيا ونيجيريا وتشاد (عن (العلم) عدد يوم 15 جمادى الاخرة 1408 موافق 4 فبراير 1988).

4) عن نفس المرجع.

5) المرجع نفسه بتصرف.

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلا من غفور رحيم. ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين. ولا تستوي الحسنة ولا السيئة أدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (فصلت : من 30 إلى 35).

هنا القرآن ولاشك هو ينبوع الخير وأساس حضارة الإسلام وسبب سعادة من يؤمن به، وهذه شهادة حق والحق ما شهد به الأعداء من كنورتي الاطالي : (إن نهض المسلمون فلن تنهض بهم روح أوربية ولا روح شيء خارج عن الإسلام، فالقرآن كان مبعث نهضتهم بدءا وهو مبعثها عودا)[6].

إن هذه القولة المعبرة عن قيمة القرآن، المبرهنة على أهمية القرآن، المجسمة لعظمة القرآن على لسان أحد علماء الغرب إنما توحي بحقيقة واحدة وهي أن نجاح الدعوة الإسلامية التي نجم عنها البعث الإسلامي الذي تحقق سابقا والذي سيتحقق مستقبلا إنما كان وسيكون بواسطة هذا القرآن، وهذا ما لاح في الأفق وعرف بالصحوة الإسلامية.

وما الصحوة إلا عودة للأصل وتأكيد لصدق الانتماء وتحقيق لوسطية الإسلام وريادة المسلم، وصدق الله العظيم :

﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾ (الحج : 77 ـ 78).

إنه القرآن، دعوته كلها خير، فهو دستور دين الفطرة، وشريعة الحق، ورائد الأمة التي أراد الله لها به أن تكون خير أمة أخرجت للناس، فهذا القرآن (هو كتاب هذه الأمة الحي ورائدها الناصح، وأنه هو مدرستها، التي تتلقى فيها دروس حياتها، وأن الله هو المربي. ولقد أراد الله سبحانه أن يكون هذا القرآن هو الرائد الحي الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ، لقيادة أجيال هذه الأمة، وتربيتها وإعدادها لدور القيادة الراشدة، الذي وعدها به كلما اهتدت بهديه، واستمسكت بعهدها معه، واستمدت منهج حياتها كله من هذا القرآن، واستعزت به، واستعلت على جميع المناهج الأرضية الجاهلية...)[7].

إن القرآن هو وسيلة الدعوة لدين الله، هو الضرورة الحتمية للعودة لدين الحق، هو الحيوية المطلوبة لتحقيق هداية ربانية، لتحقيق حركة بانية لصرح الإنسانية في هذا القرن وفي القرون المقبلة وحتى يوم القيامة.

إن القرآن نهج الله في الحياة، وعلاج الله للحياة، ونداء الله لكل إنسان، ودواء الله لكل البشر، وينبوع الخير الثر، وعلة الحضارة السامية، ومفتاح السعادة الإنسانية التي أساسها طاعة الله على الدوام مع حياة الفضيلة إلى الأبد.

إن القرآن حل للغز الحياة وعقدة الحياة لحفظ المصير الإنساني، لإسعاد الوجود الإنساني، أن فيه الحل الوحيد الذي بحث عنه فلاسفة الدنيا ومفكرو العالم عبر العصور لمعرفة الحكمة من وجود الإنسان، ولتحقيق سعادة الإنسان في هذه الأرض.

إن الفلاسفة اجتهدوا في البحث وأعملوا الفكر للوصول إلى نتيجة نهائية تعرفهم بحقيقة الحياة ودور الإنسان فيها، فلم يعثروا على الحل المنشود للغز الحياة، ولم يفلحوا في التعرف على حقيقة وظيفة الإنسان في هذا

---

6) مجلة الفكر الإسلامي ببيروت، عدد 11 من السنة الأولى، صفحة : 61.

7) كتاب «طريق الدعوة في ظلال القرآن» من جمع وإعداد : أحمد فائز، جزء 1 صفحة : 119.

الوجود لأنهم بشر فضلوا، وهذا الحل الفريد لا يعلمه إلا رب البشر، وهو يوجد في دستور الإنسانية، كتاب الله، معجزة الله، القرآن الكريم : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾. (الذاريات : 56، 57، 58).

وما فائدة العبادة ؟ ولماذا العبودية لله ؟ وهل هي ضرورية إلى هذا الحد ؟ وهل هي حتمية الوجود في هذا الكون ؟

إن العبادة حتمية لاستمرار وجود الإنسان في هذا العالم كما أراد الله له وإلى ما شاء له لمصلحته المضمونة ولوجوديته المؤمنة في ظلال الديانة الحقة، فهي وحدها الدليل على حقيقة الإنسان وأفضلية الإنسان.

أما العبودية لله فهي ضرورية ليبقى الاتصال بين الخالق والمخلوق، ولإدامة الأخاء الإنساني بين الناس على أساس من التقوى القاضية على كل فوضى من جميع الأنواع منها : فوضى السلوك والتصرف، فوضى القيم والمفاهيم، فوضى الاعتقاد والتصور، فوضى الجنس والتحرر، فوضى التقدم والتخنث، فوضى الانحلال والتعليل، فوضى التعصب والتغير، فوضى الترقي والتعدي، فوضى التهديد بالابتكارات، فوضى التدمير بالاختراعات.

هذه الأصناف من الفوضى المقوضة لصرح الإنسانية إنما تشمل مجتمعات الناس الذين يجتنبون عبادة الله ويجهلون العبودية لله التي تحميهم وتقيهم وتفيدهم وتسعدهم في ظلال العمل بالتعاليم الربانية.

إن التقوى هي المصل الواقي للناس وهي وسيلة للاعتصام بالله ونتيجة إيجابية للإيمان بالله تحدث التكامل بين العنصرين الروحي والمادي في الإنسان وتحقق الانسجام بين متطلبات الروح ومتطلبات البدن، فهي أفضل زاد وأمثل طريق على الله : ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى...**﴾ (البقرة : 197).

إذن فإنسان القرآن المؤمن بهذا الدين قد وجد الحل منذ نزول القرآن فعاش بمبدأ القرآن في الوجود وعاش بنظرة الإسلام وفهم الإسلام للحياة : (أنا عبد الله. إذن أنا حر... إذن أنا موجود)[8].

فوجوده حقيقي منبثق من وجود الله، وحريته حقيقة من دعوة الإسلام إلى الحياة ومفهومة من نظرة الإسلام للحياة المتمثلة في المسؤولية التي يفرق بها بين الإنسان والحيوان.

إن الحكمة العميقة من وجود العبودية لله تتجلى في إيجاد الإنسان الذي يتمتع بتحرر مقبول ينتج عنه الشعور بالواجب الذي هو خاصية الإنسان، وينجم عنه الاهتمام بالمسؤولية التي هي ميزة الإنسان. هذا التحرر المعقول ليس من صنف التحرر اللا معقول الذي يؤمن به بعض الفلاسفة غير المتعمقين أو المتطفلين على الفلسفة من أمثال (سارتر) الذي يقول : (أنا حر... إذن أنا موجود) بل ويدعو إلى الحرية المطلقة فيقول : (أنا حر في كل شيء... حر عندما أزني... وحر عندما أهرب... وحر عندما آكل... حر عندما أخاف... حر عندما أريد... وحر عندما لا أريد... ولم لا أكون حرا ؟ ما دمت قد حذفت كل جوهر من فوقي ومن خلفي فأنا غير مرتبط ولا مربوط...)[9].

إن تحرر المرء مما لا يليق به ككإنسان له عقل وفكر، ونفس وضمير تقره الحقيقة الدينية وتحتمه الضرورة الاجتماعية وتؤكده النظرة الفلسفية التي تتسم بالصحة، فهذا التحرر اللائق يكون له الإدراك الصحيح لإسرار الأمور فيفكر بشكل معقول ويحول هذا التفكير إلى طاقة متحركة كلها إنتاج سديد يبني صرح الإنسانية ويسعد كل من لمس آثاره العميقة أو أحس نفعه الشامل.

---

8) من مقال للأستاذ محمد علي ضناوي بمجلة حضارة الإسلام بدمشق عدد 8 من السنة السابعة، صفحة : 21 ـ 22 ـ 23 شوال 1386 يناير 1967، وقد جاء في نهاية المقال : إن العبد.. لله.. حر سيد نظيف في جوهره عالم بحقيقته مدرك لوجوده فلذلك لن يكون لأية رغبة أو لأي كان عبداً لأنه موجود كالحياة.. ورحم الله العارف بالله أحمد بن خضرويه إذ قال : (في تمام العبودية لله تمام الحرية) ومن هنا صحت القاعدة : (أنا عبد لله.. إذن أنا حر.. إذن أن موجود).

9) عن نفس المقال والمصدر.

إن تحرر الإنسان دليل على ترقي حضارة الإنسان وصيانة له من الانحدار إلى حضيض الحيوانية، فتحرره الصحيح هذا واجب أكيد وخير برهان على المسؤولية النظامية لا المسؤولية الفوضوية، وأفضل دليل على الحرية الواعية لا الحرية اللا واعية.

إن هذا الإنسان لابد له من ميزة تلازمه وتدل عليه : وهي أن يكون الإنسان المسؤول عن أدواره في الحياة، الإنسان المؤمن بالمحاسبة الآجلة أمام الله على هذه الحرية والمسؤولية اللتين يجب أن يكون بهما إنسان الخير لا إنسان الشر، إنسان الفضيلة لا إنسان الرذيلة.

إن الحرية المطلقة قضاء على وجود الإنسان لأنها تعد على حدود الله وتحد لكل الناس، فبها تضيع الواجبات، وتنعدم المسؤوليات وتتميع الأخلاق، وتنمحي الحقوق، ويفشو الحرام، ويختفي الحلال، فهي لذلك أم المشاكل أبدا، بينما الحرية المفيدة بناء لوجود الإنسان وأصل لكل الحلول ونعمة الله لهذا الإنسان ليعيش بنظام دائم وفي استقرار كلي يتحقق بوسيلتين لازمتين : وسيلة العبودية لله ووسيلة الإحسان لنفسه ولغيره في حدود أوامر ونواهي الإله، وصدق الرسول المربي ﷺ وهو يبين مفهوم الحرية ويضع معالمها في دنيا الناس :

(مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فآذوهم، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وأن أخذوا على أيدهم نجوا ونجوا جميعا)[10].

إن الإنسان الحقيقي هو ذو الضمير الحي، ذو الوعي الصحيح، ذو الإحساس بقيم الحياة، ذو الشعور بواجباته في الحياة، ذو الاعتقاد القويم في الوجود، المؤمن بالحقيقة الخالدة وهي أنه لم يلق في هذا الوجود احتقارا له أو عبثا به ليتيه ويضل بل وجد في هذا الكون ليفهم حقيقة الوجود بالدين الحق، ويحيا بوجودية إنسانية مؤمنة لا بوجودية حيوانية كافرة تعبث بالحقائق الناصعة وتكفر بالقيم الصحيحة.

إن الوجودية المؤمنة بالله هي الوجودية القويمة التي يتجسد بها الفارق الوحيد والفيصل البين بين حقيقة الإنسان وحقيقة الحيوان، هذه الحقيقة التي تبرز في الأخلاقية البانية لوجود الإنسان المحافظة على قيمة الإنسان، المجسمة لماهية الإنسان، فالأخلاقية الفاضلة نتاج الضمير الواعي الذي يؤمن بمكارم الأخلاق ويرى ضرورة الوازع والحس والشعور المرتبط بالأخلاق الفاضلة، الحسنة.

إن هذا النوع الفريد من الأخلاق حقيقة أكيدة لديمومة الحياة السعيدة ولبقاء الإنسان المهتدي لربه، المدرك لكرامته في الوجود، الخليق بأن يكون الإنسان الفذ، القائد لكل خير، الهادف لكل نفع في هذه الأرض صامدا في وجوه الباطل مقاوما للشر لا يفتر ولا يكل.

إن هذه الضرورة الأخلاقية هي النتيجة المشرفة للإنسان وهي التي يؤكدها الإسلام بل هي العلة في بعثة رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه (إنما بعثت لا تمم مكارم الأخلاق) وفي رواية (إنما بعثت لاتمم صالح الأخلاق)[11].

وبما أن هذه الحقيقة الأخلاقية المانعة لكل انحلال وضياع منطقية لإيجابيتها، بديهية لواقعيتها، فقد آمن بها من المفكرين المؤمنين بالله (داروين) الذي توصل إلى (إن الضمير أو الحس الأخلاقي هو أظهر فاصل بين الإنسان والحيوان)[12].

(وكانط) الذي اتخذ (من الشعور الأخلاقي منطلقا لإثبات خلود الأرواح ويوم الحساب ووجود الله)[13].

---

10) رواه البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير.
11) أخرجه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي في شعب الإيمان ورواه أحمد في المسند.

12) عن رسالة شبابنا المثقف أمام الإيمان والتدين للشيخ نديم الجسر.
13) نفس المرجع.

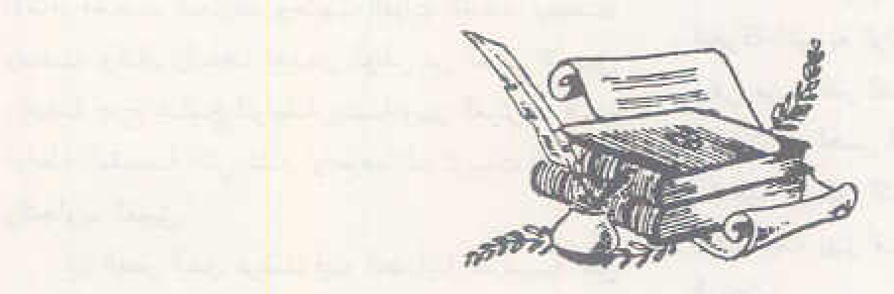
ونعود إلى رحاب القرآن لنرى أن المؤمن به في العصر النبوي قد تشبعت روحه بحقيقة المنهج القرآني فعاش في وجود إسلامي لأنه آمن من أعماق قلبه بأن رسول الإسلام ﷺ هو المعبر الوحيد عن حقائق القرآن، وهو المشخص الوحيد بسلوكه لأخلاق القرآن، فالإيمان الحق بهذا الإسلام لا يكون إلا عن طريق القرآن الذي قربه إلى الأفهام، وحببه إلى النفوس، وجسمه للعقول، وزينه في القلوب كلية وبحيوية محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام بواسطة سنته الهادفة، سنته الذخيرة سنته الكاملة، سنته الجامعة، سنته الرحيمة بالإنسانية.

إن القرآن صيدلية ربانية تحتوي على كل العلاجات والرحمات، ولكن علاجه نسيج وحده ودواءه فريد نوعه، وصدق الله :

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ (الإسراء : 82).

﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ (يونس : 57).

الرباط : محمد بخات





للأستاذ عثمان بن خضراء

إن لعيد العرش مقاماً ممتازا بين أعيادنا، وقد كان الاحتفال به يرمز دائما إلى تحقيق الرغبة الأساسية التي تولدت عنها جميع الرغبات الوطنية «وهو الوازع العميق الذي دفع الأمة المغربية منذ عشرات السنين قدماً إلى الأمام، فخاضت المعارك، وجابهت القوات الغاشمة، وضحت، وصمدت، وكان رائدها تخليص الوطن من الحكم الأجنبي وإقامة صرح شامخ للرابطة بينها وبين العرش... هذه الرابطة المقدسة التي تشد أواصرها الذكريات المجيدة والتجاوب العميق.

إن العصر الذي فرضت فيه الحماية الفرنسية على المغرب كان استمراراً للحملة الاستعمارية التي شنتها أروبا على بلدان إفريقيا وآسيا... وتسابقت إلى الفتح والاستيلاء قصد السيطرة على موارد الثروة الطبيعية في تلك الأصقاع وفتحها أسواقاً للمنتجات الصناعية لاعتصار أموالها واستلاب أرزاقها وامتصاص خيراتها... واستأثر المستعمر في المغرب بأفضل منابع الثروة والإنتاج وبشؤون البلاد يسيرها كيف يشاء... لقد أصبحت مظاهر الكبت يتسع نطاقها وتضيق حلقاتها، وكانت مراجل الثورة تفيض بالقوة وتنبض بالحياة، شأنها في ذلك شأن كل قوة طبيعية تعترضها قوة غير طبيعية....

ولما اندفعت الثورة من محيطها الضيق إلى أفقها الكبير كانت الأيدي تهتز مع القلوب.

وكان الإخلاص ينفعل مع طبع الخير العام، وتخطى محمد الخامس والحسن الثاني الصفوف ليكونا في قيادة الحركة الثورية الرائعة... وإذا بالثورة تجتاح كل شيء، ولا تبقى من عناصر الفساد على شيء... وكان دهاقنة الاستعمار يعلمون أن الحسن الثاني هو المخطط الرئيسي للمقاومة الشعبية والبطل الثائر في وجه فراعنة الاستعمار والذي عرف كيف يهز أقدامهم على أرض المغرب ليحررها من الدخلاء.

وهنا ترجع بنا الذاكرة إلى فذلكة تاريخية مماثلة، حينما قاوم السلطان المولى اسماعيل الاستعمار البرتغالي والإنجليزي مقاومة سجلت اسمه في صفوف الأبطال الخالدين وحرر الشواطئ المغربية من استعباد طال أمده وعظم خطره وامتد أثره، ثم كان بالمرصاد للإقطاعيين الذين كانوا يستعملون سلطتهم لإرهاق الشعب المغربي وإثقال كاهله... فملوك الدولة العلوية من المولى اسماعيل إلى الحسن الثاني، كانوا رقباء لكل بادرة من البوادر عاملين على ان يجنبوا هذا المغرب حوادث الدهر وعاديات

الزمان... لقد كانت حرية هذه البلاد وتحصينها وحفظها من عبث العابثين هدف أولئك الملوك العظام، وأن هذا الموقف الصارم هو الذي أكسب المغرب هيبة وجلالا في أعين غيره من الأمم، فكانت تلك السفارات التي كونت للمغرب تاريخاً دبلوماسياً حافلاً يشهد للمغاربة بموهبة سياسية وبنصح دبلوماسي وبسمعة محترمة وبكلمة مسموعة وبنفوذ معتبر رغم مناوات الحساد وكيد الكائدين وترهات تلامذة الاستعمار.

فالمعركة مستمرة من أجل عظمة هذه البلاد... وهي كما يريدها جلالة الملك الحسن الثاني عمل كل شهر، كل سنة، كل جيل - فهي معركة إيمان في القلب وفي التفكير والإبداع والإنتاج والمغاربة الذين فتحوا الأمصار وطبعوا دولا أخرى بالطابع المغربي، لن يقبلوا التنكر لأصالتهم ولن يستوردوا أنظمة غريبة عنهم لأن مجتمعهم يرفضها... فليطمئن الحاقدون والحاسدون، فالشعب المغربي المسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا !

والأمة التي يقودها ملوك من طراز الحسن الثاني تستطيع حقاً الاستفادة من تضامنها وقوتها ووحدة أبنائها لتشق طريقها نحو العظمة والبناء والازدهار - وعيد العرش كان دائماً يرمز إلى هذه المعاني ويجسد تجاوب الملك المسلم والشعب المؤمن والتحامهما في معارك النضال والكفاح.

فبلادنا تدفع عجلة التقدم إلى الأمام، والشعب يعطي كامل قدراته في الحجم الكلي للإنتاج، يعطيه كل مواطن ويقدمه من مجهوده ومن بذل ومن كفاح استجابة لنداء ملكه الملهم ولنداء التاريخ والأجيال.

الحسن الثاني سليل العزة النبوية الشريفة يعتبر من المجددين لمعالم الإسلام في هذا القرن... إذ ما خلا قرن من القرون من قيام داعية إلى الله تعالى على هدى وبصيرة، ويحيى بأقواله وأعماله ما يكاد يندرس من معالم هذا الدين، وقد شرح أمير المومنين في رسالته السامية الموجهة للأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري فضائل ومميزات الدين الإسلامي الذي يعتبر دين العلم والحرية والكرامة والوفاء بالعهد وحسن الجوار - وقد أوضح حفظه الله كيف أرسى المسلمون حضارتهم العظيمة على مبادئ العلم والمعرفة، فأثروا الفكر الإنساني في مختلف المجالات، وأغنوا الفكر البشري والعقل المتنور بفتوحات علمية واسعة... وتحدث جلالته في رسالته التاريخية عن الأمة الوسط التي هي الأمة التي ترتكز كل مظاهر حياتها على تحقيق التوازن حيث لا إفراط ولا تفريط، وإنما الانسجام والتكامل والألفة والتوفيق بين الدين والدنيا باعتبار أن العقيدة السمحاء تنظم تلك العلاقة التبولية التي تخلق ذلك الانسجام المتواصل والذي يجعل من الالتزام العقائدي على مستوى العبادات التزاماً دنيوياً في نفس الوقت، بالنظر لجوهر تلك العبادات ودلالاتها الروحية وانعكاساتها العملية على السلوك والتعامل.

ويعتمد جلالة الملك الحسن الثاني في رسم طريق الفلاح بالدعوة للعودة إلى ينبوع العقيدة الإسلامية كدين ومنهج وسلوك ينظم العلاقات داخل المجتمع الإسلامي، ويركز على مبدأ المسؤولية بالنسبة للفرد والجماعة، وبالنسبة للراعي وأفراد الرعية بحيث تخص الجميع ولا يستثني أحد، ومن هذا المنطلق فإن الدعوة الرائدة لأمير المومنين لمواصلة الدور الحضاري للأسلاف تعنى استيعاب المضمون الروحي للعقيدة الإسلامية وترسخ المضمون الفكري والسياسي والاقتصادي للإسلام... وان توجيه هذه الرسالة التاريخية لأمة الإسلام نابع أساساً من الالتزام بروح العقيدة السمحاء.

وهكذا... فالخطة التي يسير عليها الحسن الثاني تتسم بروح إسلامية وبسمة الخلق والإبداع، وتقوم على استيفاء المناهج والأساليب المتولدة على الدراسة المحكمة والاستيعاب الرزين لتجنب مواطن الزلل والزيغ وتسلم المشاريع من مغبات الاختلال والارتجال !

لقد تفطن الملك الملهم إلى أن العصر الذي نعيش فيه يتميز بتقدم العلم، وطغيان المادة، مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية... فتحقق إلى أن أرشد الحكومات هي تلك التي عرفت كيف

تحسن الاختيار وسط الآراء والنظريات المختلفة... وتخط للشعب المسلم سياسة مستمدة من حقائقه الدينية وشخصيته الاجتماعية مرتكزة على مقوماته، ملبية لعبقريته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته أو فيما ينوبه كعضو مسؤول في الاسرة الإنسانية الكبرى !

وأمام هذه التيارات المختلفة، فإن جلالة الملك يرى أن الشعب المغربي المسلم يجد نظاماً اقتصادياً واجتماعياً في كتاب الله العظيم الذي يقول :

﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**﴾ فنكون تلك الأمة الوسط التي ليست بالرأسمالية ذات النظام الأهوج التي لاتترك حرية لأي ضعيف، ولا بالاشتراكية التي دلت الأرقام والحوادث على أن نظرياتها يمكن أن تكون أخطر من تطبيقها !

نريد أن نكون تلك الأمة التي يمكنها أن توفق بين النظامين، وذلك بأن تعطي لكل الميادين مدلولها ومفهومها... ففرق جلالته بين الميادين التي يجب أن تبتعد منها الدولة وأن تبقى تلك الميادين في قبضة المبادرات الحرة.

أما ميادين التأميم، فباختصار كل ما يجعل للدولة سلطات على القطاعات الاستراتيجية للإقلاع الاقتصادي وللاستثمار في النمو... مثل الطاقة، والصناعة الثقيلة، والمواصلات بجميع أنواعها، والقروض ووسائل القروض ودور القروض ذات الصبغة الاقتصادية المنتجة، والخيرات الباطنية برا كانت أم بحرا، هذه القطاعات الاستراتيجية ذات الطاقة مائية كانت أم كهربائية أو نووية إن شاء الله تعالى، أو معدنية أو مالية.

وهناك ميادين أخرى، وهي ميادين المبادرات الخاصة، وهل كل ما يمكن المواطن من رفع مستواه الخاص وخلق الرواج والنيابة عن الدولة التي لا يمكنها أن تخوض جميع الميادين... فترى الصناعة والصناعة الصغيرة والسياحة والفلاحة بجميع أنواعها، والتجارة وخلق شركات مغربية في الداخل والخارج حتى يمكن للمغرب أن لا «يتزوج» دائماً بخلاياه وسلالاته الخاصة، بل أن يأتي بدم جديد وتلقيحات جديدة، ويعرف بنفسه وبإنتاجه، ويمكن كذلك أن يصدر للخارج أدمغة ومفكرين ونخبة طيبة من شبابه.

وهذا... فعمل الحسن الثاني الملك المسلم يتميز بالجدية والتضحية والفطنة والذكاء والعبقرية وحب الصالح العام، وهي العوامل التي جعلته يحيا بحياة أمته ويسعد بسعادتها ـ ولا عجب، فعروش ملوكنا كانت ولا تزال قلوب شعوبهم وأن تيجانهم أعمالهم ومنجزاتهم، وأن صولجانهم أفكارهم وتوجيهاتهم...

فالعرش المغربي من أول تأسيسه كان تصحيحاً للأوضاع والتزاماً بحمل مشعل رسالة الإسلام... وقد استطاع أن يقف في وجه كل الأعاصير منذ المولى ادريس الأول رضي الله عنه إلى الملك الحسن الثاني نصره الله تعالى أن من يدرس طبيعة العرش المغربي وحقيقته منذ إنشائه يجد أكثر القائمين على هاته العروش والجالسين عليها كانوا نخبة أعدهم آباؤهم أحسن عدة ليكونوا جديرين بقيادة أمتهم وزعامتها، ويكونونهم تكويناً شعبياً، ويربونهم تربية قاسية ليكونوا أهلاً لقيادة شعوبهم...

ففي حياة الملك المغربي الخاصة يكون دائماً محفوفاً بالعلماء، والحكماء ورجال الشورى... وهمته تحقيق المآثر بالعمل المتواصل لبناء التاريخ وإرساء قواعد التواصل ومناراته لخير الأجيال المغربية ولخير الحضارة الإنسانية التي كان المغرب دائماً ركناً قوياً من أركان انبعاثها وإشراقها وانتشارها.

نعم... تحل الذكرى السابعة والعشرون لتربع مولانا أمير المومنين صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني حفظه الله ونصره الله على عرش أسلافه الأكرمين ونحن نخوض أوج معركة نضجت أفكارها ووضحت أهدافها وتيسرت طريق الوصول إلى مبتغاها والمرتجى منها...

هناك معركة التنمية الاقتصادية... معركة التقدم الاجتماعي... معركة العدالة الاجتماعية... معركة الحرية، الحرية الحقيقية التي تنعكس في حياة الإنسان فكراً وعاطفة ومادة، والتي تدخل حياة الإنسان فتفتح بيته

وطرق حياته وأسلوب تفكيره، فتبسط بين يديه رداءها خيرا ونعمة ورفاهية... خبزاً، وبيتاً، ومدرسة، ومستشفى، وعملاً وعدالة، ينعم بهذا كله تحت سماء بلاده الحرة وفي مجتمع متماسك تتحكم فيه نوازع الخير والفضيلة...

فعهد الحسن حافل بالعطاءات، والبطولات، والانتصارات مليء بجلائل الأعمال ودلائل التوفيق... وان الحماس الوطني والإيمان الصادق لهو الحافز الذي يحرك أبناء المغرب قاطبة لتحقيق المزيد من المكاسب والكثير من الغنائم مثل ما حدث أثناء المسيرة الخضراء المظفرة حيث تحول المغاربة إلى شخص واحد يحس بنفس الإحساس ويعيش نفس المواقف، فتوجت باسترجاع الصحراء المغربية إلى حظيرة المملكة بفضل كفاح ملك شهم وشعب بطل... وذلك بالرغم من الروح القبلية التي كان الاستعمار وأذنابه من بعده يذكونها، وذلك لسبب واحد وهو أن سكان الصحراء كانوا يعتبرون مستقبلهم في الانضمام إلى باقي تراب المغرب المحرر لترابطهم به روحياً وتاريخياً ـ وهب أبناء الصحراء ـ من كل فج عميق لتأكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لأمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني مثل ما حدث لأسلافه المنعمين ـ فرفعت أعلام النصر مرفرفة فوق ربوع الصحراء وستبقى خفاقة منيعة رغم كيد الكائدين ومناورات الحاسدين الضالين الذين وقفنا بجانبهم أيام الشدة والمحنة فكانوا أول المتنكرين لنا والناقمين علينا، فما أبلغ الحكمة القائلة : «اتق شر من أحسنت إليه».

ولا غرو... فقد سجل التاريخ كفاح الملوك العلويين والشعب المغربي من أجل وحدة التراب عموماً والصحراء على الخصوص... الشيء الذي أكدته الوثائق التاريخية والمستندات الوطنية والأجنبية...

فقد وصل إلى تخوم السنغال السلطان العلوي مولاي اسماعيل وصاهر أهل شنقيط حيث عقد على الملك خناثة ابنة الشيخ بكار المغافري، هذا البيت المشهور بالصلاح والاستقامة.

ورحل السلطان مولاي الحسن الأول بدوره إلى تخوم شنقيط وأوغل فيها إلى أن نزلت جيوشه بالساقية الحمراء متفقدا أحوال الرعية.

ثم أرسل السلطان مولاي عبد العزيز وفداً إلى شنقيط لينصب بعض القواد، والموظفين السامين ويسلم لهم ظهائر تعيينهم، ويتفقد الأحوال ويصلح من شأنها فقصدت هذه البعثة مدينة «اسمارة» بالساقية الحمراء واجتمعت بالشيخ ماء العينين وأدت مهمتها أحسن أداء.

هذا ومن جملة الوثائق التاريخية التي أدلى بها المغرب حول مغربية الصحراء أنه في سنة 1911 عندما تمت المعاهدة الفرنسية في شأن المغرب، وضعت خريطة لتحديد البلاد المغربية... فكانت تحد بالجزائر وإفريقيا الوسطى والسنغال وتوجد الصحراء وموريتانيا داخلة في هذه الحدود... وقد عمدت فرنسا إلى إدماج موريتانيا في إفريقيا الغربية سنة 1920 والصحراء الغربية المغربية بعد ذلك سلمت لاسبانيا وذلك بدون موافقة الدولة المغربية وملكها، مما يجعل هذا الأمر ملغى ومناقضاً للقوانين الدولية !

استطاع الشعب المغربي بفضل كفاح طويل بقيادة ملكه المنعم محمد الخامس ونجله الملك العبقري الحسن الثاني من تحرير جزء من الأراضي المغربية سنة 1956، وقد آثر المغرب وهو يوقع وثيقة الاستقلال على أن يحتفظ فيما يخص الأجزاء غير المحررة منه، ويسجل حقه الكامل في تحريرها واستعادتها إلى حظيرة الوطن المحرر... ثم تواصل بع ذلك الكفاح، فاسترجعت طرفاية المجاورة للصحراء المغربية سنة 1958 بعد مفاوضات مباشرة مع اسبانيا... وبعد مفاوضات أخرى ومضنية مع الدولة الإسبانية أيضاً استعاد المغرب منطقة إيفني في 1969.

وأخيراً جاء دور الصحراء المغربية وبالضبط الساقية الحمراء... واهتم الرأي العام الدولي بالمواقف البطولية والدهاء السياسي والخبرة القانونية التي استعملها الملك

الحسن الثاني لمعالجة هذه القضية سواء مع اسبانيا، أو هيئة الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية... وأثبت حفظه الله مغربية الصحراء تاريخياً وسياسياً واجتماعياً ودينياً وقانونياً، فاعترف الجميع بمشروعية مطالب المغرب في الوحدة الترابية وتحرير الأراضي من الاحتلال الأجنبي ما عدا الذين أعمى الله بصيرتهم وفي قلوبهم مرض استعماري مزمن !!

وبعد النطق بحكم المحكمة الدولية بلاهاي، قرر الملك العبقري القيام بمسيرة سلمية والدخول إلى الصحراء في موكب سلام... وأيدت جل دول العالم، وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية موقفنا، مباركين هذه المسيرة الشعبية وهذا الزحف المقدس، الشيء الذي دفع بالحكومة الإسبانية إلى التفاهم مع المغرب والاستجابة لإرادة الشعب وملكه وقرار محكمة لاهاي... فرفعت الأعلام المغربية مرفرفة على ربوع الصحراء وتعالت هتافات الغبطة والنصر والحب والولاء، وتجديد الطاعة والبيعة لجلالة الملك... وتحقق العالم مرة أخرى من شعبية الحسن الثاني ومن مغربية أهل الصحراء الذين رفضوا رفضاً مطلقاً كل محاولة كتزييف واقعهم ومحاولة فصلهم عن تاريخ أجدادهم مهما كانت التضحيات... فليطمئن الخصوم أو المستعمرون الجدد أذناب الاستعماري الذين يسعون في فرقة الشعب الواحد ليسودوا في المنطقة ويهيمنوا !

وجاء انسحاب موريتانيا من ملف الصحراء الغربي ليؤكد الحقيقة الواضحة التي تتجلى في كون المغرب هو الطرف المعني أولاً وأخيراً... فخرجت مدينة الداخلة برجالها ونسائها وشبابها وأطفالها إلى الشوارع هاتفة بمغربيتها ورافعة للعلم المغربي والشعارات التي تؤكد صدق الولاء، فكان يوم 17 رمضان 1399 موافق 11 غشت 1979 عيداً بالنسبة لسكان المنطقة ودعوة الحكومة المغربية إلى بسط السيادة الوطنية على إقليم وادي الذهب وكان تتويج الانتفاضة الشعبية الرائعة في الداخلة هو إيفاد وفد من سكان الإقليم المحرر لتمثيل السكان في تجديد البيعة إلى جلالة الملك الحسن الثاني، طبقاً للتقاليد المرعية وتأكيداً لتمسك السكان بالوحدة، وبعد استكمال الوحدة الترابية ها هو المغرب، ملكاً وحكومة وشعباً، يبذل جهداً كبيراً وتضحيات غالية لاستعادة عظمة المغرب، وقد هيأ جلالة الملك بتعاون مع حكومته البرامج الواسعة والدراسات الجوهرية للعناية بالصحراء اقتصادياً واجتماعياً ودينياً فتصبح جنة خضراء بإذن الله تعالى وحسن عونه... وكل من تجول اليوم بربوع صحرائنا المغربية من المواطنين والأجانب تأخذه الدهشة للتطور السريع الذي يتجلى للعيان في جميع الميادين في هذه المدة الوجيزة !

سبعة وعشرون سنة قضاها جلالة الملك الحسن الثاني متربعاً على عرش القلوب حافلة بالعطاءات والبطولات والأمجاد، مليئة بجلائل الأعمال ودلائل التوفيق... فلا غرابة، وهذا الملك العلوي الشهم يحيى بحياة أمته ويسعد بسعادتها، وهو سر الصلة الوثيقة الثابتة المتمكنة بينه وبين شعبه، والعرش المغربي كان دائماً مركز القيادة، معبراً عن ضمير الأمة ومعرباً عن شعورها ومنفذاً لرغباتها وتطلعاتها وأشواقها، عالماً بمواقع الخير منها وفاهماً لمعنى المجتمع الحديث الذي تعيشه !

فالذكرى السابعة والعشرون لتربع جلالته على العرش العلوي المجيد لتذكرنا في فخر واعتزاز بالكفاح البطولي الذي خاضه ضد القوى المعادية للحرية ووحدة الشعوب، فهو حفظه الله تعالى من ذوي الإيمان الراسخ الذين يدركون إدراكاً واعياً حقيقة الخطر القائم على الإنسان ويلعبون دورهم البطولي غير عابئين بما يلحقهم من مكروه وأذى ! وان التاريخ الذي يسجل حياة الأمم وأعمال رجالاتها لفخور بما يضمه إليه من صفحات لامعة ووقفات مشرفة لملكنا الذي تعتز به العروبة وينتظم به الإسلام جلالة الملك الحسن الثاني.

فالشعب المغربي وهو يحتفل بالذكرى السابعة والعشرين لجلوس جلالته على العرش فإنما يحتفل بالعهد

الـذي لا ينكث ولا ينتقض والوفـاء الـذي لا ينفصم والـولاء الذي لايتفاءل والاستبشار الـذي لا يبرح والمسرة بمـا كـان والثقة بما سيكون والاعتزاز بما يوضع من خطط ومشـاريع ويمارس من منجزات وأعمال !

والشعب المغربي البطـل وهـو يحتفـل بعيـد العرش المجيد يكرم عبقرية فذة من تلك العبقريات التي لا تزور العالم إلا نادراً.

والوطن العزيز يدين لشعبية الحسن الثاني المتفتحة، وحد به المتواصل وأبوته المتعالية، ويمتن لجهاده الصامت وكفاحـه المستمر والطـافـح بـأسمى بطـولـة ـ وان شعبـاً كـالشعب المغربي يـؤمن بـأن مجـد ملكـه من مجـد شعبـه جدير بتاريخه في الماضي وخليف بتـاريخـه في المستقبل المشرق الوضاء...

بـارك اللـه تعـالى في عمر سيـدنـا الهمـام الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن، وألهمنـا سبحـانـه لرضاه وشكر نعمـه التي أسبغهـا علينـا وزادنـا منهـا كمـا وعـد، ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ إنه سميع مجيب.

سلا : عثمان بن خضراء



الحسن الثاني ونضال شعب

للأستاذ
عبد السلام العزيز

إن العظمة لا تدرك اعتباطا، وبسهولة أو صدفة، بل هي صفة تزرع في النفس منذ النشأة، ما إن يشتد عود الإنسان حتى تكبر فيه إذ تلتحم خلاصتها المكونة مع الزمن، فمن خطوات واثقة ـ تفتح معالم الطريق، وتنير مغالق المعارف / يتكون العظماء...

هكذا ترعرع جلالة الحسن الثاني، عظيم شب يحمل مقومات القيادة بل كانت هذه المقومات تأبى عليه أن لا يساويه أحد في الاجتهاد، يقول الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور (كانت ثقة جلالته تأبى عليه وهو في سن مبكرة أن يتصور أحد ممن يقرأ معه يحفظ أكثر منه ولو سبقه بعدة سنين).

وقد عملت اتصالات جلالته المبكرة على شذب قدراته، كما أن الأحداث العالمية والوطنية التي كانت تطبع المراحل الأولى من حياته، أحدثت تغييرات هامة في أفق معارفه وأحكامه على القضايا السياسية الوطنية والدولية ومن المعلوم أن المغرب حينئذ شهد ظهور جيل من الشباب تكون وتعلم داخل المغرب وخارجه، وأصبح يشعر بمسؤولياته اتجاه المجتمع الذي كان يرزح تحت وطأة الحماية ونير الاستعمار، وكان لهؤلاء الشباب وعلى رأسهم جلالة الحسن الثاني أن يقيموا الأحوال والأحداث التي تعيشها بلادهم داخليا بالنظر للحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تخنقها التشريعات الاستعمارية الصادرة من الإقامة العامة لخنق الحريات وشل الاقتصاد واستغلال المحصول الوطني، مما أثر على الإنسان المغربي؛ كيف لا وقد بلغوا المرحلة التاريخية بل تعدوها بانفتاحهم على القوانين الدولية التي تلهج بحقوق الإنسان.

ومن أجل أن يكون العمل الوطني كاملا وخالصا أصبحت الاتصالات بين جلالته وبين الطاقات الشابة فرضا يسهمون من خلالها جميعهم في الاعداد والإنجاز، اتسع نطاقه عبر أقاليم المملكة متغلغلا في المدن والقرى، ليصبح فعلا تحرريا ناجحا اشترك فيه كل المغاربة حضريون وبدويون في كل المستويات العمرية، وكان لممارسة المرأة نشاطها السياسي في الخمسينات دور هام في دفع قوة اندفاع التحرر. والواقع أن خطوات الكفاح الوطني ارتبطت بذلك التنظيم المتلاحم الذي كان بين العرش. والشعب والذي قام فيه جلالته بمهمات تاريخية واجتماعية وهو في ربيع العمر بتكليف من والده جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

ويعلمنا المسار الإنساني أن البداية هي التاريخ، فعبر استمرارية العمل الإيجابي تنشأ القرارات وتتبلور. هكذا

إذن سارت الأمور في ظل المشاورات بين العرش والشعب، وفي خمى ذلك التنظيم المتلاحم حددت التنظيمات السياسية (المناسبة) للبعد المرسوم لها ولكفاحها. لقد كانت مبادئ الحرية والوحدة والإسلام هي الميثاق الذي يوحد الأمة ويجمع شملها، والوحدة بين الأمة المغربية (رمزهاالعرش) ووجود هذه الأسس في أمة هو سبيل حياتها وعزتها وكرامتها، وكان الشعب يدرك من منطلق (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أن المحاربين في سبيل مبادئه وقيمه هم فتيته، فسماهم بالمجاهدين، فكان نضال شعبنا جهادا في سبيل الله والحق والعدل وخلاصا من كل سيطرة تتحكم في تفكيره ووجدانه وحركته، وصارت الأجيال الصاعدة التالية معتزة بوطنيتها شاعرة بمسؤوليتها سواء عرفت التعليم أو الحرفة، وكانت الخطب التي كان جلالته يلقيها إيقاظا لشعور الأمة والهابا لحماس شبابها أكبر الأثر في جيله، ومن أهمها خطابه بصحن جامع القرويين بفاس في يونيو 1941 وخطابه بطنجة في أبريل 1947 والأمثلة تطول، والحقيقة أن رحلة جلالة المغفور له التاريخية إلى طنجة قلبت الموازين السياسية إذ أشعرت الدول بالتطور الفكري والسياسي التي حدث بالمغرب على ضوء التطورات الفكرية والسياسية التي حدثت في العالم خلال فترة الحرب العظمى.

وكما كان الحال في المدرسة كذلك كان حال جلالته وهو يدرس القانون، فقد مضى جلالته يجتهد ليستعين بالحجج والنصوص على تقوية معنويات والده للوقوف في وجه المستعمر الغاشم : يقول عبد الوهاب بنمنصور في كتابه الحسن الثاني حياته وجهاده (ومن ذلك الحين صار ولي العهد لا ينزل إلى الميدان مندفعا بغيرته وحماس شبابه فقط بل صار يخوض العراك وهو متسلح أيضاً بمنطلق المحامي) ومنذئذ كان جلالته المساعد الأيمن لوالده والمثال الحي للشبيبة المغربية المناضلة عن الاجتماع بالنابغين منهم ومشاورتهم في أمور البلاد ضارب بكل الاغراءات والمراودات التي تغرى شابا طامحا بالحيوية والوطنية.

طنجة : عبد السلام العزيز





مرحبـــاً أهــلا وسهـــلا بــك يــا عيــد الأمــــاني
جئت بـــدرا يتـــلالا فـــازدهت هــذي المغــــاني
قـــد أقمنــا لــك حفــلا وتبـــادلنـــا التهـــاني
لــك نشـــدو بـــالأغـــاني ونبـــاهي العـــالمينــا
بـــالـــولاء والتفـــاني نتحلى أجمعيـــنــــا

مـولاي عيـــدك السعيـــد بـالأمنيات دومـــا يعـــود للـــوطن
وعرشـك الغـــالي المجيـد هـو الحيـاة نحبـــه طـول الـــزمن
لعيـــده يحلـــو القصيـــد والأغنيـــات والرقصُ... يحلـــو كـل فن

فشعبُنـــا اليـــوم طروب أنت الـــذي أسعـــدتـــه

لعرشكم تهفـــو القلـــوب بـالــدعوات يـــا ربنـــا أبقيتـــه

يـــا شريف الشرفـــاء يـــا بـــديـع المنجـزات
كم أقمت من بنـــــاء كم صنعت المعجـــزات
بـــالتفـــاني والــوفـــاء تتحـــدى العقبـــات

☆ ☆ ☆

قـــد تنـــا نحـــو الصـــلاح		في طريـــــــق مستقيم
من فـــــلاح لفـــــلاح		نحـــو جنـــات النعيم

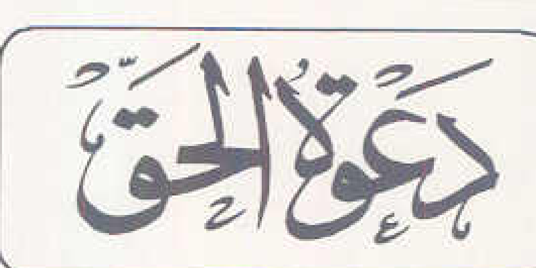
☆ ☆ ☆

تبسم ثغر الربيـــع الجميـــل		وحيى المليـك وعرشـا أصيـل
وفـــاحت ورود بـــأعطر طيب		لعيـــد مجيـــد عظيم جليـل
تـــزف إلينـــا بشـــائره		تهني الحبيب وشعبـا نبيـل
أمـــولاي عشتم ودمتم لنـــا		منـــار الرشـــاد وخير دليـل
رعـــاك الإلـــه لمغربنـــا		وأبقـــاك ذخرا ونبع الجميـل

تطوان : **أحمد العمراني**



فهرس العدد الخاص
بعيد العرش لمارس ((1988))



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط ـ المملكة المغربية



أسسها:
جلالة المغفور لـه
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957 م

التحرير:
الهاتف: 623.60

الإدارة
و
التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

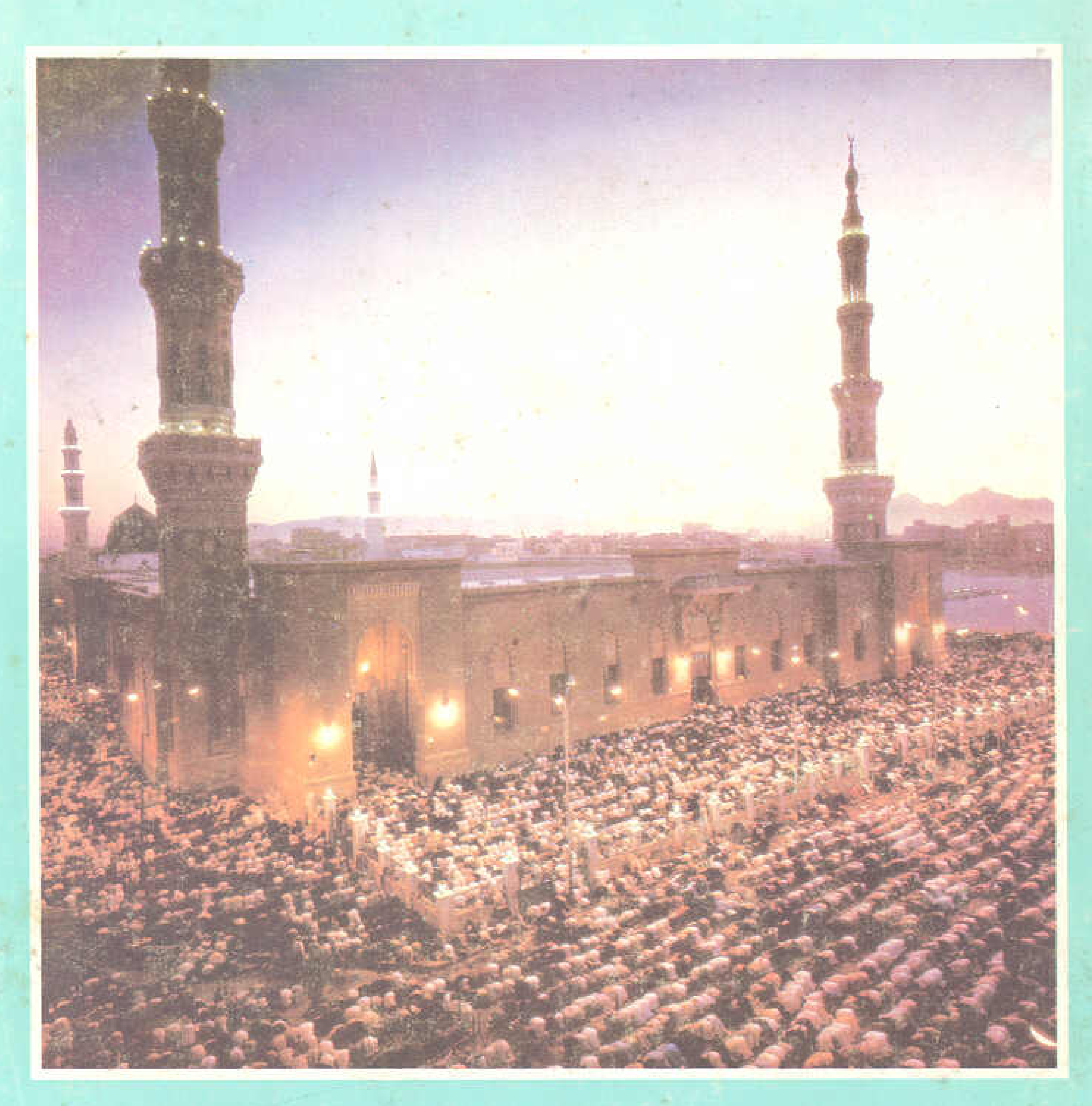
*

الاشتراكات : في المملكة المغربية : 70 درهماً
في العـالـم : 80 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485 . الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

مطبعة فضاله . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3



منظر للمدينة المنورة، وقد بدأت في الرسم جموع المؤمنين، وهم يؤدون الصلاة...